

السافاك





المشروع القومي للترجمة

منظمة السافاك ودورها في تطور الأوضاع الداخلية لإيران في عهد الشاه



تأليف: تقى نجارى راد

ترجمة: محمود سلامة علاوى

مراجعة وتقديم: محمد السيد جمال الديب

396

المشروع القومى للترجمة

الساڤاك

تأليف : تقى نجارى راد

ترجمة ودراسة : محمود علاوى

مراجعة وتقديم : محمد السعيد جمال الدين



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٩٦
- السافاك
- تقى نجارى راد
- محمود علاوى
- محمد السعيد جمال الدين
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لكتاب :

السافاك

المؤلف : تقى نجارى راد

الناشر : مركز اسناد انقلاب اسلامى

١٩٩١

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax** : 7358084 .

المحتويات

تقديم المراجع

حين انهار نظام الشاه في إيران وتقوّضت أركانه - سنة ١٩٧٨ - انقشع الغبار عن الدور الهائل الذى ظلت منظمة المخابرات والأمن القومي الإيرانية - السافاك - تمارسه لسنوات طويلة للسيطرة على كل فروع الحياة هناك ، منذ نشأتها سنة ١٩٥٧ وحتى قضى عليها مع انتصار الثورة الإسلامية ، وبدأت في إيران وغيرها دراسات جادة حول تلك المنظمة الجبارة ، التي طبقت شهرتها في العصف بالمعارضين الآفاق ؛ فصدر عدد من الكتب التي ألفها كُتّاب غربيون تناول بعضها تلك المنظمة باعتبارها أحد العوامل الرئيسية لسقوط حكومة الشاه ، بينما ركّز البعض الآخر على بيان أوجه نشاط السافاك داخل إيران وخارجها .

ولقد مسّت الحاجة في الآونة الأخيرة ، وبعد صدور شهادات المؤلفين الغربيين في القضية - إلى سماع رأى الخبراء الإيرانيين الذين يملكون في حوزتهم أغلب الوثائق والأسانيد السرية التي ظلت المنظمة تحتفظ بها منذ نشأتها وحتى انهيارها ، والذين كانوا - في الوقت نفسه - شهود عيان على الدور الحاسم الذى مارسته في توجيه السياسات الداخلية بوجه خاص .

ولم يمض وقت طويل حتى صدور الكتاب الذى بين أيدينا الآن عن " مركز وثائق الثورة الإسلامية بطهران " سنة ٢٠٠٠ ، وقد اعتمد فيه مؤلفه السيد/ تقى نجّارى راد - أحد العاملين بالمركز المذكور - على مجموعة الوثائق الموجودة بالمركز وعلى شهادات حيّة لا يرقى إليها شك .

لقد عرض المؤلف للأسباب السياسية والأمنية التي دعت إلى إنشاء السافاك ، ودور المخابرات المركزية الأمريكية والإسرائيلية في تدريب الكوادر الإيرانية ، وفي بناء

الخلايا وبث العملاء فى الخارج ، كما أفاض المؤلف فى الحديث عن دور الساڤاك كأداة لضبط مسار الحكومة والمجالس النيابية والأحزاب الحكومية فى عهد الشاه ، ثم انتقل المؤلف إلى وصف أبعاد الصدام بين المنظمة ومختلف الفصائل المعارضة فى داخل إيران وخارجها من يسارية وقومية ، ونخبة مثقفة ذات توجهات ليبرالية ، وعنى المؤلف خاصة ببيان ما كان بين الساڤاك ورجال الدين وعلى رأسهم الإمام الخمينى من صراع هو بالقطع من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى قيام الثورة فى سنة ١٩٧٨ م .

ومن ثم كانت ترجمة الكتاب إلى العربية ونشره ضمن أعمال المشروع القومى العملاق للترجمة إنما تعد – من كل الوجوه – إضافة ذات شأن ، وعملاً جديراً بكل الشكر والامتنان .

وقد تصدى لهذه الترجمة الزميل الدكتور محمود علاوى كما قدَّم لها بدراسة تمهيدية حول جهاز الساڤاك والنظام البهلوى . والدكتور علاوى أديب بارع ذو تجربة وباع فى الترجمة من الفارسية إلى العربية ، فضلاً عن أنه أستاذ جامعى متخصص قدم العديد من الأعمال العلمية الجليلة فى تاريخ إيران وآدابها فى العصر الحديث ، مما هيأ له أن يقدم إلى مكتبتنا العربية – بكل يُسر واقتدار – هذه الترجمة الواضحة الرائعة التى تستحق كل ثناء وتقدير .

محمد السعيد جمال الدين

مقدمة المترجم

عزيزى القارىء يعد الساڤاك (*) فى عصر محمد رضا شاه بهلوى (١٩٤٢ - ١٩٧٩ م) فى إيران من أشهر أجهزة الاستخبارات وأكثرها دموية فى العالم ، وقد حقق شهرة لم يحققها أى جهاز أمنى استخبارى فى أيه دولة أخرى حتى أنه فاق جهاز الـ (كى . جى . بى) الروسى (والموساد) الإسرائيلى و (C.I.A) فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبمعنى آخر (تفوق التلميذ على الأستاذ) فى القمع والقهر طبعاً .

ومعلوم أن الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية هى التى درّبت الساڤاك على أساليب القمع والتعذيب ، كما صدّرت له جميع أدوات التعذيب فى السجون ، وقد يظن أحد أن جهاز الساڤاك قد حافظ على النظام البهلوى ليبقى على عرش إيران ، وهذا غير صحيح إذ إنه منذ أن أسس هذا الجهاز البغيض فى عام ١٩٥٧ م . وبعد الإطاحة بحكومه مصدق رئيس الوزراء آنذاك فى عام ١٩٥٣ م ، عاشت الحكومات الإيرانية المتوالية والمتغيرة من وقت لآخر بسبب سوء الأحوال السياسية والاجتماعية والأزمة الاقتصادية الخانقة ، التى كادت أن تعصف بالبلاد فى ذلك الوقت ، عاشت فوق بركان من الثورات والمظاهرات والإضرابات فى جميع قطاعات المجتمع الإيرانى .

إلى أن انتهت الأحداث المذكورة بانتصار ثورة الشعب الإيرانى التى قادها زعيمها آية الله الخمينى فى عامى ١٩٧٨ م - ١٩٧٩ م . ونظراً للآثار السلبية الجسيمة التى تركها الساڤاك فى العصر البهلوى فقد شجّعنى هذا أن أقدم دراسةً تبين طبيعة هذا الجهاز الأمنى الخطير الذى وصفه محمد رضا شاه بهلوى نفسه (بالأخطبوط) . كما قمت بترجمة كتاب « الساڤاك» الذى هو موضوع الحديث .

محمود علاوى

(*) كلمة الساڤاك إختصار لـ : سارمان اطلاعات وامنيت كشور بمعنى : (جهاز الاستخبارات وأمن الدولة) . المترجم .

دراسة حول النظام البهلوى والساڤاك

الكتب التى كتبت فى شأن الساڤاك :

حتى الآن لم يكتب بحث كامل فى شأن الساڤاك ، أو جهاز أمن الدولة واستخباراتها ، أو حتى فى شأن دوره ونتيجته منذ تأسيسه فى عام ١٩٥٧م حتى انتصار « الثورة الإسلامية الإيرانية » سنة ١٩٧٩ وقد وردت إشارات قصيرة عن أعمال الساڤاك تمثلت فى مذكرات موظفى ذلك النظام .

وما قد تم فى هذا الشأن من الدراسات كانت فى هيئة معلومات متنوعة حول الحكومة البهلوية وأسباب سقوطها ، من ذلك كتاب «الساڤاك» الذى ألفه كريستين (دلانو آكه) وترجمه للفارسية السيد نيك جوهر ، ومن بين الكتب التى تحدثت بالتفصيل عن أنشطة الساڤاك ، كتاب مثل « درباره ساواك » أو فى « شأن الساڤاك » وكتاب « ديبلماسى أمريكا وشاه » أو «الدبلوماسية الأمريكية والشاه» [١] .

وقد مثلت هذه الكتب جوانب من الساڤاك وأعماله فى إيران من ظام وفساد [٢] إلا أن المحققين والدارسين لم يبحثوا فى شأن الساڤاك ، كما أن ما ورد بهذه الكتب معلومات قصيرة أو موجزة ، وتبين فقط أسباب نشأة الساڤاك وأعماله فى ضوء الآثار المتعلقة بالنظام البهلوى والثورة الإسلامية ، ولكن كتابا كاملاً لم يكتب فى هذا الموضوع [٣] باستثناء الدراسة الوافية التى كتبها : تقى نجارى راد عن الساڤاك فى شتى الجوانب تحت اسم : « ساواك ونقشى آن در تحولات داخلى رژيم شاه » أو « الساڤاك ودوره فى التطورات الداخلية إبان حكم الشاه » ، ومثال ما أورده (حسين فردوست) الذى ظل فترة من الوقت يشغل منصب القائم بالأعمال فى جهاز الساڤاك ،

(١) تقى نجارى راد : ساواك ونقشى آن در تحولات داخلى رژيم شاه . تهران ١٣٧٨ ص ١٣ .

(٢) منهجية الثورة الإسلامية (مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخمينى) : مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينى ط ١ ، طهران ١٩٩٦ ص ١٧٥

(٣) ساواك ونقشى آن در تحولات داخلى رژيم شاه ص ١٣ ، ١٤ .

وما ذكره فردوست كان عبارة عن مذكرات تحت عنوان « ظهور وسقوط سلطنت بهلوى » أو ظهور السلطنة البهلوية وسقوطها ، وهى مذكرات موجزة [1] عن تأسيس هذا الجهاز ودور سيا [2] والموساد فى تأسيسه وكذلك فى أنشطة هذا الجهاز ، ويدخل ضمن الكتب المذكورة التى قدمت دراسة حول فترة محمد رضا شاه بهلوى ولكنها لم تعرض إلى السافاك كجهاز استخبارات ، كتاب ألفه فريدون هويدا [3] وأسماه «سقوط الشاه» وقد ترجمه إلى العربية وعلق عليه الدكتور: أحمد عبد القادر الشاذلى .

جذور البوليس السياسى فى إيران :

تستخدم الأجهزة الأمنية المختلفة فى الدول الديمقراطية والأنظمة الجمهورية للمحافظة أساسا على المصالح العامة للمواطنين والتصدى لخيانة الأعداء والخارجين على النظام ، بينما استخدمت هذه الأجهزة المذكورة سواء فى عصر الملوك القاجاريين أو فى العصر البهلوى لغرض آخر ، وهو الكبت والقمع وإرساء أسس الديكتاتورية وليس [4] الديمقراطية .

ويرجع تاريخ تأسيس البوليس السياسى فى إيران إلى القرن السابع قبل الميلاد ، منذ أن كان الأباطرة الهخامنشيون وبعد ذلك الساسانيون يرسلون ممثليهم إلى البلاد القاصية والدانية حتى يواتوهم بالمعلومات والأخبار اللازمة ، وكان يطلق على هؤلاء الأفراد اسم عيون الشاه ، وكانت وظيفتهم الرئيسية إطلاع الشاه الإيرانى بأخبار الأمراء وكبار رجال الدولة ، وقد تمت الاستفادة من فكرة الجاسوس والموظف السرى فى كل فترات تاريخ إيران القديم منها والمعاصر .

(١) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست (ظهور وسقوط سلطنت بهلوى) ص: ٢١٢ ، ٢١٣ نقلا عن:
– محمود طلوعى: ازطاووس تافرح جاى باى زن در مسير تاريخ معاصر إيران . القاهرة ٢٠٠٢م ص ٣٥٣ .
(٢) سيا: C.i.A هى منظمة الاستخبارات الأمريكية .
(٣) من الأفراد الذين اشتهروا بالفساد فى عصر محمد رضا شاه بهلوى أمير عباسى هويدا ، اختار الشاه هويدا لرئاسة الوزارة عام ١٩٦٥ واستمر اثنتى عشرة سنة حتى عام ١٩٧٧ وقد كان الشاه يرغب فى رئيس وزراء مطيع للأوامر الملكية ولا شك أن عمله فى السافاك قد زكاه لذلك وعزل الشاه أمير عباسى هويدا عن رئاسة الوزراء وعينه فى منصب وزير البلاط . وبعد عام واحد وثلاثة أشهر أصدر نعمت الله نصيرى رئيس السافاك آنذاك أمرا باعتقال هويدا ثم أعدمته الثورة الإسلامية بعد ذلك .
– فريدون هويدا : سقوط الشاه . ترجمة وتعليق أحمد عبد القادر الشاذلى . مكتبة مدبولى ص ٦٥ .
(٤) على أصغر شميم : إيران در دورة سلطنة قاجار . تهران ١٣٧٥ ص ٣٢٤ .

وكان أبرز نظام جاسوسى وبوليسى وسياسى فى الدولة الإيرانية فى عصر ناصر الدين شاه وكان يديره ميرزا تقى خان أمير كبير أثناء فترة صدارته .

وقد كوّن أمير كبير تشكيلات أمنية للاطلاع على تفاصيل أمور الدولة ومعرفة سلوك الولاة الظلمة والمتعسفين تجاه الشعب ، وقد أطلق على هذا الجهاز الأمنى آنذاك (جواسيس الأمير) وقد انتشرت فى كل المدن والقرى وحتى السفارات الأجنبية .

وقد بلغت قوة التحقيقات والبحث من قبل هذه الأجهزة الحد الذى وصل إلى أدق تفاصيل أحداث الدولة وخاصة الأحداث الاجتماعية (١). لقد أدرك أمير كبير من خلال عيونه التى بثها فى كل مكان أن سبب كثير من الفتن والثورات الداخلية وتمرد الأمراء المحليين ناتجة عن دسائس سفارتى روسيا وإنجلترا، اللتين كانتا وراء كثير من الانقلابات والإطاحات السياسية ، كما سنرى بعد ذلك فى الإطاحة بحكومة مصدق (٢) .

وقد عين الجواسيس للعمل فى السفارات المذكورة من أجل منع المؤامرات ، والمحافظة على الأمن الداخلى ، والحصول على الأخبار والمعلومات القيمة والسرية ؛ ليرسلوها إلى أميرهم من مقار أعمالهم حتى يوقف مؤامرات الأجانب والأعداء قبل حدوثها ، وقد لعبت سياسة أمير كبير هذه دورا مهما فى كشف المؤامرات وإحباطها وإقرار الأمن الداخلى فى البلاد .

وفى عصر ناصر الدين شاه وخلفائه وبعد انتصار الثورة الدستورية عام ١٩٠٦ وزيادة الاضطرابات داخل البلاد عزمت الحكومة الإيرانية أن تستعين بعدة مستشارين سويديين من أجل إدارة شؤون الحكومة ، كما أسس جهاز بوليسى وأمنى منظم ، وقد رأس هذه الهيئة أو المنظمة شخص يدعى (وستداهل السويدى (٣)) ، وفُصل بين إدارة البوليس السياسى والأمور الأمنية فى عهد ناصر الدين شاه ، واستعان الجهاز المذكور بالجواسيس من النساء والرجال ، وكان يعمل هؤلاء الأفراد تحت مسميات مختلفة فى المناصب الحساسة .

(١) أنظر Browne : aliterary history of persia im modern times
وكذلك : تقى نجارى راد : ساواك ص ١٨-١٩ .
(٢) محمود طلوعى : ازطاووس تافرح. ص ٢٤٩، ٢٥٠ .
(٣) Westdahl

وبعد انقلاب ١٩٢١ وصل قائد الجيش رضا خان إلى السلطة وقد احتمى أول الأمر بالإنجليز والروس ، وتولى وزارة الحربية على الرغم من اعتراض وستداهل والهيئة الاستشارية السويدية [(١)] .

كما انفصل جهاز الشرطة عن وزارة الداخلية وانضم إلى وزارة الحربية ، وكانت أولى خطوات رضا شاه فى ذلك الوقت هى طرد وستداهل وسائر المستشارين السويديين ، كما أنشأ جهازا للشرطة على نمط الجيوش ، وكانت كل هذه الأجهزة الأمنية خاضعة له ، ومع زيادة نفوذ رضا شاه واستقرار نظامه الديكتاتورى زاد نفوذ الجهاز الأمنى وتجاوزاته فى البلاد [(٢)] .

متى أسس السافاك ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نبيّن أن كلمة السافاك هى الكلمة الفارسية نفسها « ساواك » التى تشير حروفها إلى هذه العبارة :" سازمان إطلاعات وأمنيت كشور " أو (منظمة أمن الدولة واستخباراتها) . فى السنوات الأولى من عام ١٩٥٠ م زاد نفوذ الدكتور مصدق ، الذى كان آنذاك يشغل منصب رئاسة الوزراء ، وكان معظم أفراد الشعب الإيرانى يساندون مصدق كما أن حزب توده الشيوعى كان يؤازر رئيس الوزراء المستنير ، وقد وجد الشاه محمد رضا بهلوى فى انضمام الشيوعيين من الإيرانيين إلى صف مصدق خطراً يهدد عرشه ويحدّ من سلطاته كملك أول الأمر [(٣)] .

ولهذا السبب دبّر الشاه محمد رضا بالتخطيط مع المخابرات الأمريكية والإنجليزية للإطاحة برئيس الوزراء مصدق ، إذ إن الشاه تأكد لديه أن عدوه الأساسى هو الشيوعيون متمثلين فى حزب توده ورجال الدين ، وبالفعل عندما أمم مصدق البترول الإيرانى سنة ١٩٥٣ كانت خطة المؤامرة قد نفذت ، وذلك بالاتفاق مع أشرف بهلوى شقيقة الشاه التى أرسلتها المخابرات الأمريكية والإنجليزية بجواز سفر مزور إلى إيران إذ كانت آنذاك منفية فى فرنسا ، وجاءت أشرف بهلوى تحمل مؤامرة الإطاحة بمصدق فى مظروف سلمته إلى الشاه ، وتم هذا الأمر عام ١٩٥٣ م [(٤)] .

(١) ساواك . ص ١٩-٢٠ .
(٢) يوسف مازندى : إيران ابر قدرت قرن تهران ١٣٧٣ ص ٢٣٠ .
(٣) تقى نجارى راد : ساواك . ص ٤٢ للإحاطة بتفاصيل هذه المؤامرة انظر :
(٤) محمود طلوعى : ازطاووس تافرح ص ٢٥٠ .

ومن هنا فكر الشاه في تأسيس جهاز السافاك وعين الجنرال (تيمور بختيار) كأول رئيس له عام ١٩٥٧م لقمع الحركات المعارضة ، كما أعلن الشاه عن عدم شرعية حزب توده ، وأسس إلى جوار هذا الجهاز الأمنى جهازا آخر باسم جهاز التفتيش الملكى ومكتب المعلومات الخاص ، وأوكل رئاسته إلى الجنرال حسين فردوست الذى سبق ذكره ، وكانت مهمة هذه الأجهزة مراقبة المسئولين ورفع التقارير إلى الشاه مباشرة ، وعلى الرغم من أن جهاز السافاك كان تابعا إداريا إلى سلطة رئيس الوزراء فإن ولاءه كان للملك [١] .

أهداف تأسيس السافاك :

يمكن القول إن محمد رضا شاه بهلوى أراد بتأسيس السافاك خلق نظام ديكتاتورى أكثر ثباتا ، والذى فى ظله استطاعت أمريكا أن تحافظ على مصالحها فى منطقة الشرق الأوسط ، وقد مثل القسم المعروف بالأمن الداخلى فى السافاك أهم قسم فى كل فروع هذا الجهاز الرهيب ، حتى إنه وضع تحت المراقبة كل الجماعات والمنظمات المعارضة مثل : حزب توده [٢] ، والجبهة الشعبية ، ورجال الدين المعارضين ، والأفكار العامة ، والمراكز الجماعية ، والمعاهد والجماعات .

وتنحصر أهداف السافاك فى أهداف معلنة وأهداف غير معلنة ، من ذلك نذكر مثلاً ردع الشيوعية ، وتأمين مصالح الاستعمار فى إيران والشرق الأوسط ، والمحافظة على مصالح البلاط والرأسمالية والاستثماريين الأجانب ، وتأسيس جهاز استخبارى أمنى منسجم ، ونشر الثقافة الغربية الهدامة فى البلاد [٣] ، ومحو الثقافة الثورية للاستعمار ، وتصفية أعداء النظام من الشيوعيين ورجال الدين [٤] .

ارتباط السافاك بأجهزة الاستخبارات العالمية:

ارتبط السافاك منذ ظهوره ارتباطا وثيقا بمنظمتين جاسوسيتين عالميتين هما «سيا» الأمريكية و«الموساد» اليهودية [٥] هذا فضلا عن تعاون السافاك مع

(١) بزرج علوى : الأرضة. ترجمة محمد علاء الدين منصور . القاهرة ٢٠٠٠ م ص ٨ .
(٢) منوجهر خدايار محبى : انقلاب إيران وبنيادهاى فرهنكى آن تهران ١٣٥٣ ص ٢٠٢ .
(٣) Laurerce Lockhart : The Constitutional laws of Persia .
The Middle East Journal . vol . XIII . P 374. washington 1959
(٤) تقى نجارى راد : ساواك ص ٤٢،٤١ .
(٥) السيد زهرة : الثورة الإيرانية ص ١٤٤ القاهرة ١٩٨٥ .

الـ «كى.جى.بى» الروسية والـ "SDECE" الفرنسية ، وقد دخلت أمريكا بعد انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٩٥٣ م المسرح السياسى الإيرانى بكل قوة ، إذ حرص الأمريكيون بعد أن وطدوا الحكومة الديكتاتورية فى إيران أن يتخذوا من إيران قاعدة رئيسية لهم ، وسعت أمريكا أيضا من خلال نفوذها فى المراكز الاستخبارية والأمنية أن توطد نفوذها فى المنطقة ومن بينها إيران .

وبسبب هذا الجهاز السافاكى لأمريكا ، قدم الأمريكيون مساعدات كثيرة للمحافظة عليه وتقويته ، من ذلك أنها أرسلت تيمور بختيار رئيس السافاك إلى أمريكا للتباحث والتشاور مع الزعماء الأمريكيين وبحث كيفية عمل منظمة الاستخبار الخارجية (C.I.A) وجهاز الأمن الداخلى (F.B.I.) [١] .

كما أرسلت أمريكا رجال التدريب الأمريكيين لتعليم رجال السافاك وتدريبهم حتى تعلم القوى الاستخبارية فى إيران أصول الاستخبار والتجسس ، كما جاءت جماعة أمريكية تتكون من خمسة ضباط من منظمة سيا إلى إيران وقدمت لهم التدريبات الضرورية من أجل تطوير الاستخبار لديهم .

وكان رجال السافاك يتعلمون على يد الأمريكيين الفنون الأولية للتجسس مثل : استغلال عمل التجسس ، والاستفادة من كتابة التقارير والمراكز الأمنية ، وأساليب المراقبة والتحقيق والاستجواب والأمن بكل أنواعه ، كما كان [٢] المحللون الإيرانيون فى السافاك يتعلمون التكتيكات التحليلية ، من ذلك : كيف يجمعون الأدلة للتعرف على طبيعة الأفراد وكيف يميزون مصادر الاستخبار الجديرة بالثقة . ومع بداية تعاون الموساد مع السافاك [٣] تقلصت العلاقات بين سيا الأمريكية والسافاك ، ومنذ عام ١٩٦٢م زاد نشاط الموساد فى إيران بدءا من عام ١٩٧٣م.

وبعد احتلال إسرائيل لفلسطين وثقت إيران علاقاتها مع النظام الإسرائيلى [٤] وكانت إيران إحدى الدول الإسلامية التى اعترفت رسميا فى عام ١٩٥١ بإسرائيل

(١) ساواك. ص ٤٦ .
(٢) تقى نجارى راد : ساواك. ص ٤٩ .
(٣) فريدون هويدا : سقوط الشاه. ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى. ص ٤٥ .
(٤) السيد زهرة : الثورة الإيرانية ص ١٤٣ .

وبمعنى آخر حل الموساد محل سيا الأمريكية فى تدريب الإيرانيين كل أنواع التدريبات المرتبطة بالاستخبارات والتجسس [1] ، بل واستورد الساڤاك كل وسائل التعذيب من إسرائيل ، وقد ظلت جماعة الموساد تؤدى دورها خلفا للأمريكيين حتى عام ١٩٦٦ [2] .

من تيمور بختيار ؟:

بدأ بختيار حياته فى منزل قديم فى شارع (كاخ) فى طهران ، وعاش حياة فقيرة حتى أرسله الشاه بناء على طلبه إلى أذربيجان حيث أبدى شجاعة ومهارة فى قتال المتمردين ، وعندما كان مصدق رئيساً للوزارة كان تيمور قائدا عاما للواء المدرع المتمركز فى كرمانشاه،فأرسل إحدى وحداته إلى طهران خلال الأحداث الجارية هناك ، وتدخل الجيش وأخمد الثورة ، ومنذ ذلك الحين عين بختيار قائدا عسكريا لطهران بأمر من أمريكا .

وتحول تيمور بختيار من الفقر إلى الغنى ومن الاعتدال إلى الظلم والقسوة ، فقد كان مكلفا بإسكات كل شخص لا يرغب فيه الشاه أو الإنجليز أو الأمريكيون ، الذين سبق وأن علموه دروسا فى سياسة الكبت والقمع عندما أرسله الشاه إلى أمريكا للتدريب على أعمال الساڤاك التى تقوم على التخلص من كل معارض لسياسة الشاه ، سواء من حزب توده أو أنصار الحركة الدينية التى كان يقودها رجال الدين المعارضون للسياسة البهلوية [3] .

لهذا ليس غريبا أن يتعقب الشيوعيين فى كل مكان كما أعدم العديد من فدائيى الإسلام ، وأطلق العنان للفرقة المدرعة رقم ٢ لقمع السيدات والنساء السجينات ، ولم ينج من أذيته حتى الشيوخ من أمثال آية الله كاشانى، الذى كان يقود المعارضة الدينية ضد الشاه قبل أن تنتصر هذه المعارضة بعد ذلك على يد الإمام آية الله الخمينى [4] .

وقد ارتقى تيمور بختيار إلى رتبة فريق بفضل معاونيه المستشارين الأمريكيين ، كما عينه الشاه بضغوط من الساسة الأمريكيين رئيسا للساڤاك ، وعلا نجم بختيار

(١) ساواك. ص ,٤٩ .
(٢) بزرج علوى : الأرضه. ترجمة: محمد علاء الدين منصور ص ١١ .
(٣) فريدون هويدا : سقوط الشاه. ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى ص ٥٧ .
(٤) يوسف مازندى / ايران ابر قدرت قرن. ص ٣٣١ .

خلال فترة زواج الشاه من الملكة الثانية ثريا بختيارى ، وعمل تيمور بختيار على جمع الأموال والثروات بكل السبل ؛ ليعوض أوقات الفقر ، حيث كان يلقى بالأبرياء فى السجن ليحصل على المال مقابل إطلاق سراحهم ، حتى بلغت ثروته أكثر من مليار تومان ، هذا فضلا عن الجواهر والأراضى والذهب والعقارات [(١)] .

وكان تيمور بختيار رجلاً محبا للمنصب والجاه ويسعى إلى غرضه بكافة الوسائل ، المشروعة وغير المشروعة وظل ممسكا بيد من حديد على السافاك ، وفى ظل الأحوال الاقتصادية السيئة آنذاك عقب الأعوام التى أطيح فيها بالدكتور مصدق على يد تيمور هذا نفسه ، وعقب ازدياد المظاهرات فى كثير من المدن الإيرانية هذا فضلا عن استياء رجال الدين - عرض الشاه على تيمور بختيار منصب رئاسة الوزراء [(٢)] كما استعان بأشرف بهلوى لتؤثر على الشاه نفسه لكى يوليه المنصب المذكور وأمر صحيفتين بطبع صورته وكتابة عبارة (رئيس وزراء إيران القادم) .

إلا أن مسعى تيمور قد خاب ليس هذا فحسب بل وأقاله الشاه من منصب رئاسة السافاك ، ولما شعر بالفشل سواء فى البقاء فى المنصب السابق أو فى المنصب المأمول (رئاسة الوزارة) أقام قصرا فى (سعد آباد) وعين حرسا على أبوابه بالملابس الخاصة وكان دائما يستضيف فيه سفراء الدول العربية والوزراء والقواد [(٣)] .

ولما اشتد غيظ الشاه من أفعال تيمور نفاه إلى أوروبا سنة ١٩٦٣ فذهب إلى جنيف ، وبدأ حملة علنية ضد الشاه ، ومنها توجه إلى فرنسا ثم بيروت واستقر بعد ذلك فى بغداد ، حيث واصل الهجوم على الشاه بدعم من حزب البعث العراقى ، وكانت التقارير فى تلك الأيام تصل من سائر العواصم الأوروبية عن بختيار واتصالاته بالطلاب والمعارضين وكانت الأحداث السياسية توضح أن آثار تيمور بختيار واضحة فى سائر أعمال التخريب ، كما كانت الأخبار والمعلومات فى هاتيك السنوات تصل عنه من بغداد وبيروت من حين لآخر [(٤)] .

(١) سقوط الشاه. ص ٥٨ .
(٢) محمود طلوعى : ازطاووس تاقرح. ص: ٣٠١ .
(٣) فريدون هويدا : سقوط الشاه. ترجمة عبد القادر الشاذلى. ص: ٥٨ .
(٤) بزرج علوى : الأرضة. ترجمة محمد علاء الدين منصور ص ١٠١ .

وعلى الرغم من حرص العراقيين على حماية بختيار فإنه قتل على يد أحد المحيطين به وشرب من الكأس نفسها التى أذاقها للكثيرين ، وقد حل حسين باكروان محل بختيار فى رئاسة السافاك وكان نائب بختيار ، ولكن بسبب نظافة يده لم يستمر طويلاً وأقيل من منصبه وعمل وزيرا للإعلام فى وزارة هويدا ثم سفيرا فى باكستان ثم فرنسا حتى أعدمته الثورة الإيرانية عام ١٩٨٠م (١) .

طبقات المجتمع الإيرانى والاصطدام بالسافاك:

على الرغم من أن بحثنا هذا محصور فى موضوع السافاك فإننا لا يمكن أن نفصل فى المجتمع الإيرانى بين النظام الحاكم والطبقات المختلفة فى المجتمع ، فلو اعتبرنا أن النظام الحاكم هو الرأس للجسد فإن الطبقات الاجتماعية هى الجسد المحرك للرأس وهو المتأثر بهذا النظام سلبا وإيجابا والمؤثر فى الوقت ذاته .

ولم يكن دور الطبقات فى البناء السياسى لإيران قبل الثورة متساويا ؛ بل إن بعض الطبقات ومنها طبقة الأمراء والقاجاريين والأشراف والأعيان والخوانين ورؤساء القبائل ورجال الدين كان لهم الدور الأكبر والحظ الأوفر فى تسيير المجتمع (٢) والتأثير فيه على الرغم من أن تعداد هذه الطبقة مقارنة بالطبقات الأخرى قليل جدا (٣) ، ومع ذلك كانوا يمثلون النخبة السياسية فى إيران . أما الطبقة الثانية فيمثلها التجار والمهنيون والكسبة والحرفيون ، وقلما كانوا يتدخلون فى الأمور السياسية إلا إذا أحسوا أن حقوقهم قد انتهكت ، وقد حدث هذا فى الثورة الدستورية ، فكان للتجار والحرفيين دور مادى ومعنوى واضح ؛ لهذا كانت هذه الثورة (أى الثورة الدستورية عام ١٩٦٠) من أنواع الثورات البرجوازية (٤) على عكس الثورة الإسلامية الإيرانية بزعامة الإمام الخمينى فى عام ١٩٧٩ م .

أما الطبقة الثالثة : فتشمل المزارعين الفلاحين والعاملين والعشائر وصغار المُلاك وعامة الشعب ، ولم يكن لهذه الطبقة الدنيا أى دور سياسى فى المجتمع ولم يكن مسموحا لهم بالتدخل فى شؤون البلاد إلا إذا تزعمت هذه الطبقة الأولى مثلاً (٥)

(١) سقوط الشاه : ص ٥٩ .
(٢) مجيد سائلى كُرده ده : سير تحول قوانين انتخاباتى مجلس در ايران تهران ١٧٣١ ص ٠٩.
(٣) Lamliton : Persian society under the Qjars : J.R.A.S. Vol.48 (July - octoler) London 1961
(٤) سير تحول قوانين انتخاباتى مجلس در ايران ص ٩٠ .
(٥) السيد زهرة : الثورة الإيرانية ص: ٧١ .

وخاصة شريحة رجال الدين الذين كانوا على خلاف دائم مع الحكام سواء فى العصر الدستورى أو فى عصر الثورة الإيرانية الإسلامية ، أضف إلى هذا أن المجتمع الإيرانى كان خاضعا للعلاقات الأسرية والقبلية وكان لذلك اعتبارات حاسمة فى النظام السياسى الإيرانى ، وكان فى إيران وقت حدوث الثورة الإيرانية الأخيرة ما لا يقل عن أربعين عائلة استطاعت هذه العائلات أن تحتفظ بقوة مركزها وتأثيرها ، ومن بين هذه العائلات الأربعين نذكر عائلات المرتبة الأولى فى المجتمع الإيرانى وهى : (بهلوى) ومنها الأسرة البهلوية ، و(ديبا) ومها فرح ديبا زوجة الشاه الثالثة و(اسفنديار) [١] وتنتسب لها ثريا اسفنديارى الزوجة الثانية لمحمد رضا شاه بهلوى ، و (بختيارى) و (مهدوى) و (بوشيرى) و (اردلان) .

وإنْ كانت الطبقة وفاعليتها أو تفاعلها مع الطبقات الأخرى تشكل هيكل المجتمع وتكون سببا فى استقراره أو اضطرابه فإن الاقتصاد الذى تتحكم فيه وتصوغه هذه الطبقات قد يكون وراء انتصار أو اندحار ثورة ما ، فكانت المشكلات الاقتصادية السبب الرئيسى وراء انتصار الثورة الإسلامية ، وقد أرجع بعض الكتاب والمفكرين تردى النظام البهلوى إلى الأزمة الاقتصادية ، ومن الكتاب الغربيين والكتاب الماركسيين نذكر (مايكل فيشر) ، و (فريد هوليداى) ، و (ريتشارد كوتم) [٢] ، أما الكتاب الإيرانيون الذين يرون أن العامل الاقتصادى وراء فشل النظام البهلوى وأجهزته المختلفة فنذكر فى طليعتهم (بخّاشى) [٣] .

فيرى هؤلاء الكتاب أن التضخم والمشكلات الاقتصادية، وتعثر الأجهزة التنفيذية ، ونقص السلع ، ونقص الخدمات الأساسية ، والفساد [٤] كل هذا قد دفع النظام البهلوى إلى القيام بحلول لهذا التضخم ، من ذلك محاولة الشاه تغيير حكومة عباس هويدا وتعيين جمشيد أموزكار فى عام ١٩٧٨ م رئيسا للحكومة ، إلا أن هذه الحلول المتعجلة التى اتخذت فى مواجهة التضخم لم تُجدِ نفعا آنذاك [٥] ، حتى إنه على الرغم

(١) السيد زهره · الثورة الإيرانية ص . ٧١ .
(٢) (Fisher Michael) ، (Freed Hollday) ، (Richard Cottom)
(٣) صادق زيبا كلام مقدمة اى برانقلاب اسلامى ص: ٣٨ .
(٤) حجت مرتجى التيارات السياسية فى إيران المعاصرة : ترجمة محمود علاوى المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ٢٠٠٢ م ص ١١ - ١٢ .
(٥) مقدمة اى برانقلاب اسلامى ص: ٣٨ ، ٣٩ .

من زيادة قيمة عائدات البترول إبان حرب أكتوبر وهزيمة إسرائيل ، إلا أن هذا لم يجد الحكومة الإيرانية نفعا ؛ لأن تصدير البترول إن لم يواكبه تطور فى الصناعات فى البلاد من أجل تصدير منتجات صناعية – إذا أخذنا فى الاعتبار أن إيران بلد متخلف زراعيا وكان يتبع فى الزراعة الأسس البدائية – أدركنا عمق المأزق الذى وقعت فيه الحكومات الإيرانية المتعددة التى شكلت فى الفترة الأخيرة من عهد محمد رضا شاه بهلوى . وإذا انتقلنا إلى التجارة التى تمثل الضلع الثالث مع الصناعة والزراعة فى تطور أى شعب من الشعوب سنجد أنها لم تكن بأحسن حالاً ، إذ إن الشاه كان يمنح أصدقاءه والمقربين إليه حرية لدرجة أنهم خصّوا أنفسهم بجميع شؤون تجارة البلاد وكان فكرهم منحصرا في ملء جيوبهم [١] من خيرات البلاد ، وقد أدى كل هذا إلى زيادة المعادين والمعارضين للنظام البهلوى فانقلب معظم أفراد المجتمع وطبقاته ضد النظام البهلوى وتضامن وآزر بقوة رجال الدين للإطاحة بحكم محمد رضا بهلوى .

لماذا نجح الخمينى فى القضاء على النظام البهلوى والسافاك :

بداية إن الثورة الإسلامية لم تصدر عن الغابات الشمالية أو الارتفاعات الجنوبية فى إيران ، ولم يكن أساسها القرية أو المدينة ، إن الثورة الإيرانية الإسلامية بدأت من المساجد، ولم يكن شكل الثورة أو تخطيطها أو زعامتها على اتصال بأية قوى راديكالية فهذه الثورة لا تنتمى إلى حزب الطبقة العاملة ولا إلى التشكيلات الثورية المختلفة [٢] .

كان الملايين من الإيرانيين يرون فى الإمام الخمينى التواضع والأسلوب البسيط [٣] فى الحياة مما جعلهم يحترمونه ، بينما كانوا يرون فى الشاه الغطرسة والتباهى والفساد والغرور الأجوف ، وقد أصبح كل هذا سببا فى زيادة رصيد الإمام ضد الشاه ، ويمكن القول إن الإمام الخمينى بعبارة أخرى زعيم الأمة بالقوة والفعل بالنسبة للقوى السياسية والمذهبية وغير المذهبية ، وهو زعيم معادٍ للديكتاتورية والاستبداد وزعيم المرأة والرجل المحبوب من الجميع والذى اجتمعت عليه كل الطبقات والفئات من حيث التأييد والمؤازرة [٤] .

(١) سقوط الشاه. ص ٣٤٧ ، ٣٤٨
(٢) صادق زيبا كلام مقدمة اى برانقلاب اسلامى ص: ٢٥٦ – ٢٥٧ .
(٣) ذهب كاتب هذه السطور عام ٢٠٠٠م إلى إيران ورأى بيت الخمينى المتواضع والبسيط الذى كان مقر انصار الثورة التى أطاحت بالنظام البهلوى وجهازه السافاك الذى كان يعد من أعتى الأنظمة الاستخباراتية فى العالم آنذاك.
(٤) مقدم اى برانقلاب اسلامى . ص : ٩١ .

ومعلوم أن الإمام الخمينى عندما اعتقل عام ١٩٦٥ اتخذ السافاك إجراءات أمنية مشددة لمراقبة أتباعه ، بل وراح السافاك يزرع الفتن بين الإمام ورجال الدين الآخرين ويقوى خصومه ، واهتدى رأى السافاك آنذاك إلى نفى الخمينى إلى العراق وبعد ذلك إلى تركيا ، إلا أن هذا الرجل تزعم الثورة من المنفى فى البلدين المذكورين . ولم يستطع العراقيون أو الأتراك أن يُثنوا الإمام عن هدفه ، فحاول السافاك بالتنسيق مع العراقيين أن ينفوه إلى الكويت إلا أن الكويت رفضت استقبال الإمام ومن ثم أبعدوه هذه المرة إلى فرنسا[١] . وكانت تقارير السافاك تفيد نجاح الخمينى فى إثارة الشعب والقوى المعارضة ضد النظام البهلوى بينما هو فى الخارج ، ولعل السافاك لأول مرة فى التاريخ يقابل نوعا من التحدى والعزيمة عند مثل هذا الرجل الذى يتسلح بشىء واحد وهو الإسلام؟! وعلى الرغم من أن جهاز السافاك قد قابل أحد رجال الدين الأقوياء وهو آية الله الكاشانى وانتصر النظام البهلوى فى النهاية عليه وتخلص منه ، ومع أن الكاشانى كان زعيما يحظى بمؤيدين لا حصر لهم إلا أنه لم يكن مرجع تقليد كما أنه لم ينجح فى ضم مرجع التقليد الأعظم آية الله البروجردى[٢] إلى صفه .

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا إن فشل الكاشانى فى زعامة الشعب الإيرانى وهزيمته أمام السافاك لأنه كان أشبه برئيس حزب ولم يكن زعيما روحياً مثل الخمينى ، وأرى أن هذا الرأى غير صحيح لأن الكاشانى مهّد الطريق لثورة الخمينى الأخيرة بما بذله الكاشانى من جهود لا ينكرها أى راصد أو دارس للثورة الإيرانية الإسلامية ، وأن فضل الإمام الخمينى وتميزه يرجع إلى فشل القوى الأخرى القومية والمذهبية وغير المذهبية فى إيجاد الحلول ، وجاء الخمينى [٣] صاحب الفكر وفى جعبته حلول لمعظم المشاكل والقضايا التى كان يعانى منها المجتمع الإيرانى ، وأن انتصار الخمينى لا يُعزى إليه وحده ولا يحلل أو يفسر بمنأى عن جهود رفاقه الآيات والزعماء الكبار الآخرين ، من أمثال : آية الله البروجردى وآية الله الكاشانى وغيرهما .

لقد دخل الإمام الخمينى المسرح السياسى حاملاً معه مشروع تأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والجمهورية مصطلح يتكون من كلمتين (الجمهورية) وتبيّن شكل

(١) تقى نجارى راد : ساواك ص: ١٩٠ - ٢٠٢ .
(٢) إبراهيم الدسوقى شتا : الثورة الإيرانية القاهرة ١٩٨٨ م. ص ١٣٢ .
(٣) محمد ستوده : الإمام الخمينى والأسس النظرية للسياسة الخارجية .
- مجلة الحياة ، السنة الثانية ، العدد الرابع بيروت ٢٠٠٠ م. ص ٧٠ .

الحكومة المقترحة أما كلمة (الإسلامية) فتعنى المحتوى ، وفى ظل هذه الحكومة يتساوى جميع الأفراد فى المجتمع يستوى فى ذلك الرجل والمرأة ، والأسود والأبيض ، وقد قُصد بالمحتوى (الإسلامية) أن هذه الحكومة تُدار وفقا للقوانين والقواعد الإسلامية ولا تخرج عن هذا الإطار الإسلامى (١) .

إن ثورة الإمام الخمينى لم تحرر فقط إيران والإيرانيين بل حررت الإسلام والمسلمين من براثن القوى الغربية ، كما أن معظم إنجازات ثورة الخمينى أنها قوّت روح الثقة بالنفس فى كل مواطن ، إن حركة الخمينى يمكن فهمها فى ضوء حركة أو مناسبة عاشوراء التى حرصت على أن تبعد الثورة الإسلامية من التشتت والضياع عبر التاريخ الزاخر بالأحداث غير المستقرة ، وقد كان لهذه الثورة إنجازان عظيمان ، الأول : إقامة نظام إسلامى ، والثانى : إبراز الهوية الإسلامية فى العالم بدلاً من طمسها (٢) . وربما يكون من أهم المفاهيم التى يقدمها الفكر الشيعى مفهوم التقليد وطاعة الإمام ونائب الإمام طاعة كاملة ، فالفكر الشيعى (٣) يضع الأئمة الشيعة فى مكانة سامية ولهم أكبر معانى الإجلال والتقدير ، ويقول الإمام الخمينى فى هذا الصدد:« إن لأئمتنا فى المذهب الشيعى مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبى مُرسل (٤) » .

ومثل هذه الطاعة الكاملة واجبة لدى الشيعة لنائب الإمام فى زمن الغيبة ، وهذا المبدأ الشيعى يفسر فى الحقيقة إلى حد ما ظاهرة التأثير الطاغى والتجاوب الجماهيرى الكبير من جانب الجماهير الإيرانية لتعاليم الإمام الخمينى وتوجهاته ، فهذا التجاوب لم يكن من منطلق الالتزام بتعاليم زعيم سياسى ترى فيه الجماهير تحقيقا لمصلحتها فحسب ، وإنما فى المقام الأول من منطلق الالتزام بمبدأ أصيل فى الفكر الشيعى وتأدية لواجب دينى (٥) .

(١) على دزاكام : أزادى وديندارى ، تؤويل تهران ١٣٦٩ ص ٢١٢ وانظر كذلك :
– سيد عباس حسينى قائم مقامى : قدرت ومشروعيت (رويكردى نو ونقادانه به نظريه هاى مشروعيت درولايت فقيه . ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) The Cultural viewpoint of the Leader of the islamic revolution of Iran Ayatollah Syed-Ali Khamenei: translated by: Dr Sadroddin Mo (savi I.C.R.O.Tehran 2000 .

(٣) لقد انتصر الخمينى على النظام البهلوى لأنه كان صاحب فكر وليس مجرد مثقف أو مستنير:
– على شريعتى : العودة إلى الذات . ترجمة إبراهيم الدسوقى شتا . القاهرة ١٩٨٦ ص: ١٥٨

(٤) السيد زهرة : الثورة الإيرانية. ص ١٤٣ .

(٥)المرجع السابق : ص ١٤٣ .

وفى ظل الأزمة الاقتصادية والسياسية وسوء الأحوال الاجتماعية التى كان وراءها انتشار الفساد فى المجتمع [١] واستسلام حزب توده وتردى جميع القوى الوطنية [٢] – قاد الإمام الخمينى وأنصاره الثورة الإيرانية وكان شعاره : (أن يسقط نظام الشاه)، وأصبح واضحا أن أى شعار آخر يطرح ما دون ذلك يعد تخلفا عن حركة المد الجماهيرى وتخليا عن مطلبها الأساسى ، وفى هذا الإطار أثبت تيار الإمام الخمينى بما لا يدع مجالاً للشك أنه أكثر راديكالية وأكثر تلبية لمطالب الحركة الجماهيرية من حزب توده والجبهة الوطنية ، ويمكن القول إن هزيمة قوى المعارضة الرئيسية الأخرى وتهاويها قد أفسح الطريق واسعا أمام الزعامة الدينية [٣] للثورة .

وقد مثلت الحكومة الإسلامية التى أرساها الإمام الخمينى حكومة نموذجية مثلى تُرضى جميع أفراد الشعب الإيرانى فى ذلك الوقت [٤] لأنها تقوم على الأخلاق ، ولا شك أن هذه الرؤية ذات جذور عميقة فى الفكر السياسى العالمى ، إذ كان سقراط يعتبر أن رسالة العلم الاضطلاع بالأمور السياسية ، وكان أفلاطون يقيس قيمة الحكومات بمعيار تطبيقها للأخلاق [٥] .

ولاية الفقيه :

إن كان الساڤاك هو اليد التى كان يبطش بها النظام البهلوى فإن ولاية الفقيه هى الفكر الذى كانت تقوم عليه الحكومة الإسلامية التى دعا إليها الإمام الخمينى ، وهى الفكر الذى أطاح بالنظام البهلوى والساڤاك معا [٦] .

وكلمة الولاية مشتقة من لفظة (ولىّ) وهى تحمل حسب رأى كبار العلماء فى اللغة العربية مفهوما واحداً لا غير وهو (القرب)، وقد ذكر العلماء أن لكلمة ولى ثلاثة

(١) مكانة المرأة فى فكر الإمام الخمينى : مؤسسة تنظيم ونشر الإمام الخمينى طهران ١٩٩٦ ص ٣٣٩ .
(٢) حميد شوكت : نگاهى از درون به جُنبش چپ إيران گَفتگُو با ايرج كشكولى) نشر اختران ، تهران ١٣٧٩ ش ص ٣٩٨ – ٤٠١
(٣) المرجع السابق : ص ١٤٥ .
(٤) منهجية الثورة الإسلامية (مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخمينى) : مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينى ط ، طهران ١٩٩٦ ص ٣٩٠ – ٣٩١ .
(٥) فاطمة طباطبائى · يك ساغر از هزار تهران ١٣٧٩ ص ٣٧٠ – ٣٧١ .
(٦) سيدى عباس حسينى قائم مقامى : قدرت ومشروعيت (رويكردى نو ونقادانه به نظريه هاى مشروعيت درولايت فقيه) ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

معان : (المصدق والمحب والناصر) ، فضلاً عما لكلمة الولاية من معنيين آخرين هما : التفوق ، والقيادة أو الحكومة ، وعندما تستخدم كلمة الولاية فى شأن الفقيه يراد منها الحكومة ورئاسة شؤون المجتمع أى رعاية أمور المسلمين ، ومن جانب آخر تستخدم الولاية في المصطلحات الفقهية في موردين ، الأول: أن يكون المولى عليه غير قادر على إدارة شؤونه كالميّت والسفيه والمجنون والصغير، والثاني: أن يكون المولى عليه قادرا على إدارة شوؤنه ولكن توجد أمور أخرى تتطلب إشراف وولاية شخص ، وولاية الفقيه تندرج تحت المصطلح الثانى (١) .

وولاية الفقيه من وجهة نظر الخمـــينى تعنى الاضطلاع بشؤون الرعية أو على حد قوله : (إننا نريد خليفة حتى ينفذ القوانين ولابد للقوانين من شخص يقوم بتنفيذها وهذا الشخص هو الخليفة) (٢) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا لم يعين خليفة فما بلغ رسالته ، استنادا من الشيعة إلى قول الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (٣) .

إن الإمام الخمينى ومن أتى بعده يستمدون التأييد – فى نظر الشيعة – من الله ويقول فى هذا الصدد حجت مرتجى إن الثورة لا تضعف أبدا فى ظل الزعامة الدينية نظرا لقوتها وقوة مبادئها ، وأن الفقيه زعيم هذه الثورة مؤيد من قبل الله كما أنه يتمتع بعصمة من الذل والانحراف ؛ لهذا اعتبره الإسلام حاكما للآخرين وراعيا لهم ولا أحد يعلو الولى الفقيه من أفراد الشعب ، ولمـا أن ولايــة الفقيه تمـثل أساس نظام الحكم فلا يجب أن نوجّه للولى الفقيه أى نقد من خلال وسائل الإعلام وهذا الولى الفقيه لا يخضع للانتخاب أو الاقتراع المتعارف عليه بل إن أهل الخبرة يكتشفونه ويعرّفون الناس به ، وباختصار فإن الولى الفقيه معين من قبل الله ليس للشعب فى اختياره أى دور ولا يتدخلون فى سلطاته وهو المسئول أمام الله سبحانه وتعالى (٤) .

(١) صادق حقيقت : مدخل إلى الفكر السياسى فى الإسلام (مجموعة مقالات) طهران ٢٠٠٠ ص ١٧١.
(٢) محمد السعيد عبد المؤمن : ولاية الفقيه بين النظرية والتطبيق القاهرة ١٩٩١م ص ٤٠ .
(٣) سورة المائدة/ ٦٧ .
(٤) حجت مرتجى : التيارات السياسية فى إيران المعاصرة : ترجمة محمود علاوى ص : ١٧٠ .

ويمكن إبراز بعض الحقائق حول ولاية الفقيه فى النقاط الآتية :

- ليس للشعب دور فى اختيار الولى الفقيه (كان الإمام الخمينى فى بداية الثورة والآن يقوم بهذا الدور آية الله على خامنئى) ، وأن أهل الخبرة هم الذين يكتشفونه .
- الولى الفقيه أهم من القانون الأساسى .
- حكومة العدل الإسلامية بديل للنظام الجمهورى [(١)] .
- ينبغى أن يتولى رجال الدين مقاليد الأمور فى المجتمع دون غيرهم.
- لا ينبغى للأحزاب أن تنحرف عن خط الإمام فى أعمالها الحزبية [(٢)] .
- تصدير الثورة من مهام الحكومة الإسلامية التى يديرها الولى الفقيه [(٣)] .

ويقول الإمام الخمينى فى هذا الصدد : (إننا مكلفون بالتفريف بالإسلام فى كل أنحاء العالم ، فالإسلام مظلوم الآن فى الدنيا إنه غريب فى الدنيا وإننا مجموعة صغيرة نملك إعلاماً ناقصاً بينما يملك الآخرون جميع وسائل الاعلام » [(٤)] .

(١) سيدى عباس حسينى قائم مقامى : قدرت ومشروعيت (رويكردى نو ونقادانه به نظريه هاى مشروعيت دولايت فقيه) تهران ١٣٧٩ ص ١٤٣ .
(٢) حجت مرتجى : التيارات السياسية فى إيران المعاصرة . ترجمه محمود علاوى ص ٩٣
(٣) بيزن ايزدى : مدخل السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية. ترجمة سعيد الصباغ. القاهرة ٢٠٠٠م ص ٣٠ .
(٤) منهجيه الثورة الإسلامية . ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

نهاية السافاك

أوضاع السجون [١] والتعذيب فيها :

قبل أن أعرض لأوضاع السجون فى إيران فى عهد السافاك ، أطرح سؤالا مهما وهو : هل حافظ جهاز السافاك على النظام البهلوى أم كان سببا فى سقوط النظام ؟ تُجمع معظم المصادر والمراجع الإيرانية والغربية على أن السافاك كان يحمى عرش الطاووس ويدافع عنه ، وأنه تم إنشاؤه بمساعدة المخابرات الأمريكية والإنجليزية والإسرائيلية ؛ لإقرار النظام البهلوى حتى تحافظ الدول المذكورة على مصالحها فى إيران قبل الاهتمام بمصلحة النظام البهلوى ، أو على حد قول الشاه محمد رضا بهلوى نفسه : (إن من يقترب من هذا الأخطبوط - السافاك - يعرض نفسه للهلاك حتى لو كان الشاه نفسه) [٢] .

وأنا أقول إن جهاز السافاك كان وبالا على الشاه أكثر من نفعه ، وأنه لو افترضنا جدلا أن هذا الجهاز البوليسى الجاسوسى البغيض لم ينشأ أساسا ربما لبقى محمد رضا شاه على عرش إيران لفترة أطول ، ويكفى أن نعلم أن الملك القاجارى ناصر الدين شاه قد ولى عرش إيران ما يقرب من نصف قرن دون الاعتماد على جهاز أمنى مثل السافاك أى من عام ١٨٤٨ م حتى عام ١٨٩٦ م [٣] .

ولنعرض إلى تجاوزات السافاك بالأدلة والبراهين لنثبت حقيقة الرأى الذى طرحناه . فى ظل الأوضاع السياسية السيئة والأزمة الاقتصادية الخانقة سعى جهاز السافاك أن يسكت صوت الإمام الخمينى ، عندما طرح الإمام مشروع الحكومة الإسلامية ، وبدأ الشارع الإيرانى يردد أفكار حكومة الإمام المستقبلية ، لأن الخمينى

(١) من السجون الموجودة فى عصر محمد رضا شاه بهلوى سجن «أوين» و«كميتة» و«قصر ولى» . المترجم .

(٢) تقى نجارى راد : ساواك. ص ٢٢١-٢٢٢ .

(٣) سايكس : تاريخ ايران. ترجمة محمد تقى جيلانى جلد دوم تهران ١٣٦٣ ص ٦٣٥ وانظر كذلك :
- Browne : The persian Revolution . P : 30 - 31 .

بذلك أيقظ المارد الإيرانى المتمثل فى الطبقات المحرومة من الشعب ، وراح رئيس السافاك آنذاك (نصيرى) يفتش فى مشروع الحكومة الإسلامية ربما يجد نقطة ضعف يضرب بها الخمينى وأتباعه ، كما فعل قبل ذلك مع آية الله الكاشانى [١] ، لهذا تمكن نصيرى من الحصول على بند من مشروع الحكومة الإسلامية وكتب ساخرا من أقوال الإمام : (لقد أهنت كل رؤساء الدول العربية) كما استعدى رؤساء الدول العربية قائلا : (يمكنكم أن تردوا على أقوال الإمام الخمينى وأن تدركوا ما يرمى إليه) ولا شك أن هذه دعوة صريحة لمعاداة الخمينى ومحاولة محاربة أنصاره [٢].

ولما لم تُجْدِ محاربة الخمينى [٣] وأنصاره بمحاولة الإيقاع بينه وبين رؤساء الدول العربية راح يعزف على وتر آخر وهو المهادنة ، وبحلول شهر محرم رأى الإمام الخمينى أنه أفضل فرصة لإبراز فساد النظام الحاكم ، فأرسل الإمام بياناته إلى الوعاظ والفقهاء والمتحدثين فى الهيئات المذهبية ، واعتبر أن قرارات السافاك غير قانونية ولا قيمة لها ، وحثَّ رجال الدين والخطباء على عدم السكوت على جرائم نظام الشاه ، ولهذا ليس غريبا أن يستدعى السافاك قبل بداية شهر المحرم رجال الدين الذين قام بتحديدهم وأمرهم بأن يبتعدوا عن الحديث فى أمور ثلاثة : ١- لا يتحدثوا ضد الشاه ٢- أن لا يتحدثوا ضد إسرائيل ٣- أن لا يشيروا للشعب الإيرانى أن الإسلام فى خطر . كما صدرت الأوامر إلى جميع فروع السافاك بمراقبة الأمر عن كثب[٤] .

ولمواصلة سياسة التهديد والترغيب راح السافاك يصدر العقوبات الكبيرة بدلا من المخففة تجاه السجناء ، فارتفعت العقوبة من عامين إلى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما أو المؤبد .

وكان يصدر هذه العقوبات ضد السجناء الذين لم يرتكبوا جرما بالفعل حتى أصبحت أقل عقوبة للسجناء السياسيين هى ثلاثة أعوام ، وهذا يعنى أن المتهمين الذين لم يرتكبوا جرما سوى الاطلاع على كتاب أو قراءة منشور هى سجنهم نحو ثلاثة أعوام .

(١) يوسف مازندى : ايران ابر قدرت قرن ص ٣٣١ .
(٢) ساواك. ص ٢٠٠٠ .
(٣) حاول جهاز السافاك نشر الشائعات ضد أسرة الخمينى وضده شخصيا ويقول رئيس السافاك (وفى هذا الشأن:ابحثوا عن أية وسيلة تُستخدم ضد الإمام الخمينى مثل اسم هندى أو إنجليزى) .
(٤) تقى نجارى راد : ساواك . صـ ١٨٠ .

أضف إلى هذا أن السافاك حظر حرية السجناء الذين انتهت فترة عقوبتهم أى أبقى عليهم فى السجون ؛ لأنه كان يدرك أن هؤلاء السجناء كانوا على اتصال بالجماعات المسلحة وأن خروجهم يعنى رجوعهم ثانية للأعمال الفدائية والمسلحة ضد النظام و السافاك (١) .

كما تمادى السافاك فى استعمال وسائل التعذيب التى تخطت الحدود الإنسانية واللاإنسانية ضد المشتبه بهم ، فاستخدم ألوانا للتعذيب أشد وأنكى من القتل ، وأسهبت المصادر فى ذكر أشكال التعذيب التى جرت ومورست ضد الشعب الإيرانى ، واعترف الشاه نفسه فقال : « إن لدينا من وسائل الضغط النفسى ما يفوق وسائل التعذيب فى العصور الوسطى » . وقد تنافس رجال السافاك والشرطة فى أعمال التعذيب لانتزاع الاعترافات (٢) .

ومن آلات التعذيب البدنى : السوط الكهربائى ، والعصا الكهربية ، والكماشة الحديدية ، والمخراز ، والكرسى الكهربى، وكانت تستورد من إسرائيل فى عهد تيمور بختيار ، ونورد فى هذا المقام نموذجا من السجينات اللائى عذبن على يد السافاك : تم إلقاء القبض على فتاه فى العشرين من عمرها وقيدت بسرير حديدى ولم يكن يسمح لها بالذهاب إلى المرحاض إلا ثلاث مرات فى اليوم وبعد الصراخ والسباب والشتم لحراس السجن كانوا يضربونها بسوط معدنى كهربى ويحرقون مواضع حساسة من جسدها بالعصا الكهربية ، وكانت قد حاولت فى إحدى المرات أن تمزق عنقها بشوكة وتنتحر ، إذ سمعت أن أحد طلاب الحرية والثوار البرازيليين قطع لسانه بأسنانه حتى يمتنع عن الإجابة عن أسئلة مستجوبيه ، وأرادت تقليده لكنها فشلت (٣) .

وفى حضور بضعة رجال جعلوها تنبطح على الأرض وكانت عارية مكشوفة وحاول أحدهم أن يجامعها ، وكان هذا الفعل مجازا بإذن من رئيس السافاك ، كانوا يخزون لحمها ويشدونه بالكماشة ولم تكن ترضخ للاستجواب ووصل الأمر أن رجال السافاك كانوا يضعون براز هذه السيدة فى فمها لكى ترشد عن زملائها دون جدوى (٤) . ولاشك أن هذه السيدة نموذج للآلاف من السجينات والسجناء فى عصر الشاه محمد رضا بهلوى .

(١) صادق زيبا كلام : مقدمه اى برانقلاب اسلامى صـ ١٩٤ .
(٢) بزرج علوى : الأرضه . ترجمه محمد علاء الدين منصور ص : ١١ .
(٣) الأرضه : ١٢٤ .
(٤) المرجع السابق : صـ ١٢٣ - ١٢٤ .

وكما قلت منذ قليل إن السجناء الذين انتهت فترة عقوبتهم قد أبقى عليهم السافاك فى سجن (أوين) وفرض قيودا جديدة على مثل هذا النوع من السجناء بل وأطلق عليهم اسم قتلة الشعب ؟! أما المشكلة التى قابلت السافاك فهى ارتباط السجناء السياسيين بأصدقائهم خارج السجن فى لقاءات كانت تتم بينهم على الرغم ، من المراقبة الشديدة وتضييق الخناق عليهم فى اللقاءات ، إلا أن هؤلاء السجناء راحوا يتبادلون المعلومات والمنشورات مع بعضهم بشكل أو بآخر .

وقد علّمت التجاربُ السافاك أن الوسيلة الأساسية فى حصول هؤلاء السجناء على المعلومات هى الأقرباء الصغار سنا مثل الأخت والأخ ، لهذا فإن السافاك حل هذه المسألة بقصر الزيارة على الأب والأم والزوجة فقط (١) .

وفضلاً عن حصار السجناء داخل السجون ، فقد كانت الأوضاع المختلفة للكتب والاطلاع والاستمتاع بوسائل الإعلام لا تقل سوءا عن أوضاع التغذية والرعاية الصحية ، فقد حرم السجناء السياسيون تماما فى سجن (أوين) ، و(كميته) من الاطلاع على الكتب والصحف أو المراسلة مع أحد خارج السجن ، وكانت الوسيلة الوحيدة للاتصال بالعالم الخارجى هى جهاز التلفزيون فى سجن أوين أما استخدام الراديو فقد كان ممنوعا تماما خوفا من استخدام الإذاعات الأجنبية (٢) .

إلا أن سجن (قصر ولى) كان أفضل حالا ، فعلاوة على التلفزيون فإن السجناء يستطيعون أن يطلعوا على الصحف بشكل مستمر كل ليلة ، كما كانت هناك الكتب غير التعليمية ، التى كانت تذكرهم بالأعوام السابقة إلا أن رجال السافاك قد حظروا فى الوقت نفسه الكتب ذات التوجهات السياسية المحددة ، فقد أدرك مسئولو السجن بعد ذلك أن أى كتاب يطلبه السجناء فيه أضرار ومعاداة للنظام . وقد وصل عدد السجناء إلى ٥٠٠٠ سجين سياسى هذا علاوة على السجناء الآخرين ، وبدءا من حركة الانقلاب التى أطاحت بمصدق وحكومته سنة ١٩٥٣ ومنذ ذلك الوقت أصبح معظم أفراد المجتمع معارضين للنظام البهلوى (٣) .

(١) زيبا كلام : مقدمة اى برانقلاب اسلامى . ص : ١٩٥ .
(٢) مقدمة اى برانقلاب اسلامى . ص : ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق . ص : ١٠٤ .

أبرز الأحداث الدامية التى ارتكبها السافاك ومهدت لحله وقضت على النظام البهلوى

عندما ضاق أفراد الشعب بالنظام البهلوى كثرت الثورات والمظاهرات فى الشوارع ، و الاعتصامات فى أماكن العمل المختلفة ، وقابل الشاه هذا بمحاولة تغيير الوزارات كل بضعة أسابيع ؛ من أجل تهدئة المواطنين الإيرانيين ، ولكن هذه المعارضات الشعبية التى استمرت نحو سبع سنوات - السنوات الأخيرة من حكم الشاه - وسادت الجامعات والمدارس وانتشرت بين الحرفيين أدت فى النهاية إلى أن ٨٠ ألف إيرانى قد توجهوا فى العاصمة طهران نحو ميدان جلاليه أو (بارك لاله) ، فاضطر النظام [١] البهلوى إلى أن يستفيد من قراراته العسكرية فى المحافظة على النظام العام بشتى الطرق ، إلا أن التعبير عن المعارضة الشعبية قد ظهر واضحا فى عام ١٩٦٧ م عندما شيع الإيرانيون أبرز معارضى الشاه وهو (غلام رضا تختى) عندما خرجت الألوف من الإيرانيين إلى الشوارع لتشييع جثمان هذا البطل القومى ، وكان غلام قبطان سفينة ويتمتع بشعبية كبيرة لدى الإيرانيين ، وكان من معارضى [٢] الشاه .

وقد عجل السافاك من نهايته ونهاية الشاه المتوقعة عندما راح يرتكب المذابح بين أنصار الخمينى الذى لم يكف فى منفاه بباريس عن مهاجمة الشاه بشأن احتفالات البذخ على مرور ٢٥٠٠ سنة على الملكية فى البلاد مما أثار الشاه لأن ينشر مقالة شائنة فى حق الإمام ، فاندلعت ثورة فى (قم) تؤيد شيخها وقتل الجهاز السافاكى عدداً من أتباع الخمينى عام ١٩٧٨م ، وبعد هذه الواقعة بتسعة أيام فقط تظاهر عدة آلاف من أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لضحايا حادثة (قم) فهبت الثورة وهاجم

(١) صادق زيبا كلام : مقدمة برانقلاب اسلامى . ص :١٠٦ .
(٢) مقدمه اى برانقلاب. ص ١٠٦

المتظاهرون مباني حزب الشاه والبنوك ودور العرض فأطلق السافاك النار على المتظاهرين فقامت في آخر مارس عام ١٩٧٨ م في ذكرى أربعين قتلى تبريز فقتل السافاك والشرطة أعدادا منهم . ويتوالى التوتر بين الشعب والشاه وسافاكه حين اعتدى رجال الأمن في عام ١٩٧٨ م في قم على بيوت رجال الدين ومنهم آية الله شر يعتمداري وقتلوا منهم عددا من الأفراد ، ثم قامت [1] مظاهرات في طهران وفي المدن الإيرانية مثل أصفهان وشيراز وقم وطهران في الشهور التالية نظرا للأحوال السيئة في البلاد وانتشار الفساد وغيبة الحرية ، فأشعلت الجماهير النار في سينما (روكسي) بعبدان يوم ١٩٧٨/٨/١٩ وأحرق فيها أكثر من ستمئة شخص وتفحمت أجسادهم ، وسرت شائعات بين الأهالي أن السافاك هو الذي دبر مسبقا هذه الحادثة لأن أبواب السينما كانت موصدة من الخارج ولم تبلغ قوات الأمن إدارة الإطفاء متعمدة إلا بعد نصف ساعة من بداية الحريق ومنع المسئولون من مساعدة الأهالي لإنقاذ المحبوسين داخل السينما [2] .

وكان السافاك قد اتهم رجال الدين بتدبير هذه الحادثة ولفت ظلال الغموض الحادثة تماما . ودعا الخميني لقلب نظام الشاه وبدأت مسيرات في الشوارع ، واعتصم الناس بالمساجد والمنازل وطالبت الصحف بحل السافاك ، ومعاقبة من قاموا بأعمال التعذيب ، وإطلاق سراح السجناء السياسيين ، وعودة المنفيين لإيران .

وحين قام أكثر من مليون متظاهر إيراني بمظاهرة عظمى في ميدان جلاليا بطهران ظن نائب رئيس السافاك أن هذه فرصته لكي يقفز إلى الرئاسة العامة لجهاز السافاك [3] ، فأمر بإطلاق النار على المتظاهرين فسقط نحو أربعة آلاف من قتلى يوم الجمعة الأسود ٨ سبتمبر عام ١٩٧٨ م ، وتناقل الناس أن ثلاثة طائرات مملوءة بالكوماندوز الإسرائيليين وصلت طهران يوم ٧ سبتمبر ليقوموا مع السافاك

(١) بزرج علوى : الأرضه. ترجمة محمد علاء الدين منصور ص: ١٣ ، ١٤ .
(٢) الأرضه ص: ١٤ .
(٣) المرجع السابق : ص :١٤ .

بهذه المهمة المشار إليها ، ومع التشكك فى صحة هذه الرواية إلا أن الثابت (أن الكيل قد طفح) بالشعب الإيرانى [1] فأحرق البعض دور السينما والبنوك والمؤسسات الاقتصادية حتى يلقى السافاك بتهمة ذلك على الثوار ليعجل الشاه بنهايته ونهاية الحكم الديكتاتورى فى ثورة فبراير ١٩٧٩م [2] .

ولعل كراهية الشعب للشاه تبدو واضحة من خلال ذكر هذه الطرفة الواقعية التى روتها الملكة (فرح ديبا) آخر زوجات الشاه محمد رضا بهلوى من أن الشاه ذات يوم عندما اشتعلت المظاهرات عام ١٩٦٨ استقل الشاه طائرة فى سماء طهران ولما رأى جموع المتظاهرين تساءل : أين أنصارنا فأُجيب عليه بالرد نفسه الذى رده الفرنسيون على الجنرال ديجول فى مظاهرة المليون شخص – مع تناقض الموقفين بالطبع –: فى شارع الشانزليزيه يا جلالة الملك ! أى أن أتباع الشاه كانوا جميعا خارج إيران فى فرنسا وأمريكا والدول الأوروبية الأخرى ، ولعل هذا أبلغ درس لكل ديكتاتور قد تسول له نفسه أن يظلم شعبه أو أن ينتهك حرمة مقدساته ، إذ إن سلاح القهر لن يعود على صاحبه إلا بوخيم العواقب [3] .

(١) صادق زيبا كلام : مقدمه اى برانقلاب اسلامى .
(٢) الأرضة : ص :١٤ .
(٣) محمود طلوعى : ازطاووس تافرح. ص: ٥٣٣ .

العوامل الأساسية التى أدت إلى سقوط النظام وجهازه السافاك

المركزية فى الحكم :

لقد أثار سقوط نظام الشاه ضجة لم تصاحب سقوط أى نظام آخر فى عقد السبعينيات ، ومع سقوط النظام البهلوى وتسلم رجال الدين مقاليد السلطة فى إيران يطرح سؤال : لماذا انهارت المؤسسة العسكرية والسافاكية بهذه البساطة ؟ ولا شك أن عنف الحركة الجماهيرية وشموليتها تقدم جانبا كبيرا من الإجابة على السؤال السابق ، إلا أن دراسة حقيقة الاستقرار السياسى فى عهد الشاه توضح هذا الأمر . فجهاز السافاك جهاز قمع قوى وصارم لا يترك مجالا فى إيران إلا ونفذ إليه [1] وكان الشاه إذا شعر أن فردا ما يطلب جاها أو يشكل خطرا عزله من منصبه بناء على تقارير السافاك [2] وما من جنرال كان باستطاعته أن يزور طهران أو يجتمع بجنرال آخر دون أن يسمح له الشاه بذلك ، وبمعنى آخر كان تعسف رجال السافاك ومركزية النظام البهلوى عاملا آخر فى سقوط الحكم البهلوى [3] ويبدو ذلك فى هيمنة مطلقة لجهاز الدولة وبصفه خاصة من زاوية دور هذا الجهاز الاقتصادى والذى فاق قوة ومركزية كافة الطبقات والقوى ، هذا فضلا عن تقليم أظافر قوى المعارضة باستمرار وشل فاعلية المؤسسات السياسية والأحزاب فى البلاد . ولا ننسى أن نذكر أن اعتماد النظام على قوى كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وطلب العون منها أكسب النظام عوامل ضعف قاتلة ، إذ إن السفارة الأمريكية فى طهران مثلت على حد تعبير أحد الكتاب الإيرانيين (بيت الأفعى) [4] فى إيران ، واكتسب النظام أيضا عداء كافة

(١) السيد زهرة : الثورة الايرانية ص: ١٥٠ .
(٢) تقى نجارى راد : ساواك. ص ٧٦ .
(٣) انظر : منهجية الثورة الاسلامية . ص : ٢٨٩
(٤) يوسف مازندى : ايران ابر قدرت قرن ص: ٢٩٠ .

الطبقات فى المجتمع بما فى ذلك شرائح البرجوازية الإيرانية ذاتها ، بحيث عندما آل النظام للسقوط لم يكن هناك قوة واحدة فى المجتمع يعنيها الدفاع عنه لإبقائه ، أيضا رغم الدور الذى لعبته أجهزة القمع وبصفة خاصة القوات المسلحة والسافاك إلا أن تربية هذه الأجهزة على الولاء أولا وأخيرا لشخص الشاه جعل من السهل انهيارها .

فساد الأسرة الحاكمة عجل بسقوط النظام :

كان رضا شاه والد محمد رضا شاه بهلوى من أشهر الطغاة ، استولى على عرش إيران سنة ١٩٢٦ منتزعا الحكم من الأسرة القاجارية وجثم على صدر الشعب ، فلم يستطع أحد أن يحركه حتى أجبره الأجانب على مغادرة البلاد لموقفه المساند للنازى عام ١٩٤٢ ، وجاء الابن محمد رضا شاه على شاكلة الأب لا يرعى حرمة لدينه ولا يلتزم بأخلاق الحكام ولا يحافظ على شؤون الرعية وترك الأمور فى أيدى معاونيه تجرى من سيئ إلى أسوأ ، حتى أسقطه الإمام الخمينى فى الثورة الإيرانية الأخيرة فى فبراير عام ١٩٧٩م [١] .

وانغمس أفراد الأسرة البهلوية فى الفساد المالى والخلقى ، ولم يتركوا مجالا من مجالات الفساد والسرقة والنهب لأموال الشعب إلا وكان لهم فيه نصيب وافر ، ولعل أول فساد يعزى للأب رضا شاه هو اقتداؤه بأتاتورك فى خلاعة الزى والسفور الإجبارى بين النساء ، ولم يكن بالطبع السفور الإجبارى يهدف إلى تحرير المرأة – كما يبدو فى الظاهر – بل هدف إلى القضاء على هذه الطبقة وامتهانها [٢] ومصادر مآثر النسوة والحد من الخدمات التى ينبغى لها أن تقدمها إلى أبناء الشعب الإيرانى [٣] ومن فساد النظام البهلوى فى عصر رضا شاه أيضا الأخذ بقانون الكابيتولاسيون – أى عدم محاكمة الأجانب أمام القضاء الإيرانى – ولاشك أن هذا التمييز الأجنبى أمام المواطن الإيرانى من أسوأ القوانين التى شانت الحكم البهلوى فى تلك الفترة .[٤] ولم يكن الشاه محمد رضا يختلف كثيراً عن الملوك فى عصر الدولة

(١) فريدون هويدا : سقوط الشاه : ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى ص: ١١ .
(٢) وكذلك منهجية الثورة الإسلامية . ص : ٣٢٤ – ٣٢٥ .
(٣) مكانة المرأة فى فكر الإمام الخمينى ص ٣٣٧ – ٣٣٩ .
(٤) انظر كذلك : Browne : the persian revolution. P 30 - 33 .
- Raymond (Furn) : La Persa . P 160 - 161 .

القاجارية وخاصة (محمد على شاه) (١) فقد كانت مساوئ الحكم فى عصر هذا الملك لاتقل سوءا عن عصر محمد رضا شاه بهلوى .

كما أن السفور والخلاعة فى الملابس لم تكن هى الحرية التى تريدها المرأة الإيرانية ؛ لأن تلك حرية غير سليمة ، هذا فضلا عن انتشار مراكز الفساد الأخرى من قبيل البغاء وفتح أبواب السينما المبتذلة على مصراعيها ، بحيث لو ذهب الشباب لمشاهدة أفلامها لانحرفوا وتعطلت طاقاتهم عن أى عمل يخدم بلادهم (٢) .

وإذا تركنا رضا شاه وابنه محمد رضا شاه فسنجد أن الأميرة أشرف بهلوى شقيقة محمد رضا شاه وتوأمه لم تكن بمنأى عن هذا الفساد بل إنها كانت تجلب المخدرات إلى إيران ، كما كانت من الأميرات الشهيرات والضليعات فى لعب القمار فى أوروبا وفرنسا خاصةً ، ويقول الإمام الخمينى فى هذا الصدد : (رئيسنا المسلم هو ذلك الشخص الذى كان يجلس فى المسجد (٣) ويصدر الأحكام ويرسل الجيوش... وهو الذى يحاسب ابنته حين أخذت عارية مضمونة من بيت المال ويقول إنها إن لم تكن عارية مضمونة لكانت أول هاشمية تقطع يدها ، نريد هذا الحاكم الذى لا يميز بين الناس الذى ينظر إلى أسرته وإلى الناس نظرة واحدة إذا سرق ابنه قطع يده وإذا تاجر أخوه أو أخته - إشارة الى أشرف بهلوى شقيقة الشاه - فى الهروين أعدمها لا أن يعدم أحدا من أجل عشرة جرامات من الهروين ، فى حين أن أخته عندها الأطنان منه وتستورد الأطنان لحسابها) (٤) .

(١) محمد عليشاه : هو سادس ملك فى الأسرة القاجارية ، وهو ابن مظفر الدين شاه (١٣٢٤ هـ ق - ١٣٢٧ هـ . ق) قصف المجلس النيابى بالقنابل ، وظل يلاحق أنصار الحرية بالتصفية والقتل حتى دخل الثائرون والأحرار طهران ، فلجأ محمد عليشاه إلى السفارة الروسية وخلع بعد ذلك من العرش عام ١٣٢٧ هـ ق - مهدى بامداد : تاريخ رجال إيران حـ٤ ص : ٩٦ - ٩٧ .

(٢) المرجع السابق. ص: ٣٣٧٣ - ٣٣٩ .

(٣) إمام خمينى : حكومت اسلامى درس ٢ نقلاً عن :

- إبراهيم الدسوقى شتا : الثورة الايرانية ص: ٢٨٩ .

(٤) آية الله الخمينى : حكومت اسلامى درس ١٠ نقلاً عن .

- الثورة الإيرانية ص: ٢٨٩ .

وإذا تركنا أشرف بهلوى فسنجد أن ابنها (شهرام) كان يهرب الآثار الإيرانية إلى أوروبا وأمريكا واليابان ، وفى إحدى المرات عرض قطعا من الآثار الإيرانية فى اليابان (بطوكيو) تصل قيمتها إلى ستة ملايين فرانك ، وكان بهرام يريد ضعف المبلغ للتنازل عنها للمشترين اليابانيين (١) .

وإذا عدنا إلى الأميرة أشرف بهلوى ثانية سنرى أنها كانت تبتز رؤساء الوزارات الإيرانيين فى الطلب الدائم للأموال طوعا أو كرها ، فعلاوة على أن تلك الأميرة كانت تمتلك العقارات فى فرنسا وجنوب فرنسا خاصة ونيويورك ، إلا أنها كانت تنفق ببذخ على المقامرة فى تلك المدن المذكورة ، ويروى لنا رئيس الوزراء فى عهد محمد رضا شاه بهلوى وهو (هويدا) أنه كان يتناول ذات يوم غداءه مع أحد الضيوف فرنَّ جرس التليفون فى صالة الغداء ، وكان (الطالب) الأميرة أشرف ، وبعد حديث قصير انفعل (هويدا) من تصرف الأميرة التى كانت تطالبه بمبلغ كبير من المال لأنها كانت قد خسرت أموالاً طائلة فى أحد (كازينوهات باريس) (٢) .

وفى ظل هذا الفساد الأخلاقى والاجتماعى راح يدعو الإمام الخمينى إلى الحكومة الإسلامية التى تقوم على الأخلاق (٣) والفضائل الأخلاقية ، كما أن مشروعيتها تنبعث من اتصاله بالقوانين السماوية ، لهذا ليس غريبا أن يتهاوى النظام البهلوى وساقاكه الدموى وينتصر الخمينى وأنصاره فى النهاية مؤسسين حكومة «إسلامية » من طراز فريد قلما نجد له مثيلاً فى معظم الأنظمة الحاكمة فى هذه الأيام ، وكان ذلك فى عام ١٩٧٩م .

(١) محمود طلوعى : ازطاووس تافرح ص: ٣٥٠ .
لمعلومات أكثر فى هذا الموضوع انظر :
(٢) ازطاووس تافرح ص: ٥٢٣ .
(٣) فاطمة طباطبائى : يك ساغر از هزار ص : ٣٧٠ .

(نتائج البحث)

- كانت منظمة السافاك الابن الشرعي للانقلاب الأمريكي عام ١٩٥٣ ضد حكومة مصدق وبعد ذلك أسست السافاك عام ١٩٥٦ م . وبدأت نشاطها الفعلي في مجلس الشيوخ ثم في مجلس الشورى أي بدءًا من عام ١٩٥٧ م وعلى الرغم من أن هذه المنظمة أسست لمقاومة الشيوعية وإقرار الأمن وتثبيت سلطات الشاه ، فإن هذه المنظمة قد وسعت من نطاق صلاحياتها إلى أبعد حدود ، تجاوزت هذه الصلاحيات القانون وسعت لبث الرعب الفزع وإيجاد جو من الكبت والقهر ، كما منع هذا الجهاز رسوخ القوى المعارضة للنظام في كيان الحكومة وقتل كل معارضة في مهدها وسيطر كذلك على الإذاعة والتلفزيون والصحف والكتب والرأى العام في البلاد . ومن هنا أصبح النتاج الثقافي أكثر انتماء للحكومة من الشعب ، أو بمعنى آخر أكثر بعدا عن رأى الحكومة وجهازها السافاك .

- استطاع السافاك حتى عام ١٩٧٧ بسياساته المتعددة ضد المعارضين والسيطرة على الموظفين والعاملين أن يحافظ بشكل مؤقت على استمرار حكم النظام البهلوى ، ومع اتباع السافاك لكل وسائل التعذيب الجسمانية والنفسية مع المعارضين ونشر الشائعات المغرضة والكاذبة لفرض جو من الكبت والإرهاب وتصفية القوى المعارضة وملاحقتها ، إلا أنه فشل في المحافظة على الأمن في البلاد . ومع بداية ظهور الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الإمام الخميني عام ١٩٧٨ م وتزايد معارضة النظام الحاكم من القوى الشعبية فقد فشلت يد السافاك تماما وعجز عن تقديم أى عون للنظام البهلوى .

- إن جهاز الاستخبارات الإيراني المعروف (بالسافاك) كان سببًا رئيسيًا وراء الإطاحة بالنظام البهلوى ، ولم يكن وجوده عاملاً من عوامل بقاء محمد رضا شاه في السلطة كما يعتقد البعض .

- أثبتت التجربة (البهلوية) أن منح الحريات للشعوب أفضل وسيلة لدوام الحكم وأن الديكتاتورية مهما طال أمدها لاتحفظ حكمًا أو سلطة .

- إن انتصار الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٨ م بزعامة الإمام الخمينى برهن على أن تأثير الفكر أقوى من أى سلاح ، لأن هذا الفكر يعيش فى عقول أفراد الشعوب ، وإن سياسة العنف لاتبنى دولة ولا تحقق استقرارا ولا ترهب شعبا وإن بدا هذا الشعب مستكينا لفترة من الزمن .

- ضرب انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية أروع مثل فى توحد الصف بين القائد والمقود ، بين أفراد الشعب الثائرين وقائده (آية الله خمينى) فى الإطاحة بالنظام البهلوى وذراعه الطويلة المتمثلة فى السافاك الذى لاترى له شبيهًا فى التصفية والقتل السهل سوى فى نظام بغداد ورئيسه صدام حسين هذه الأيام .

- إن فترة الصراع التى استمرت فترة طويلة بين رجال الدين المناضلين بزعامة الإمام الخمينى وبين النظام البهلوى تدل على إيمان الشعب الإيرانى بزعيمه الذى لم يوفر النظام البهلوى أى وسيلة فى سبيل القضاء عليه ، فاستخدم معه سياسية الترغيب والترهيب وإجباره بعد ذلك على الهجرة للعراق وتركيا وباريس ، وإن كل هذا الكفاح ليؤكد لنا إيمان هذا الرجل بقضيته التى يكافح حتى حقق هدفه فى نهاية هذا النضال . فكان انتصار الثورة الإيرانية من الأحداث التى هزت العالم فى أيامها . وحقق الهدف الذى فشل فى تحقيقه معظم زعماء الشيعة السابقين .

- إن فشل جميع الحركات الشعبية التحررية قبل مجىء الإمام الخمينى يدل على افتقاد هذه الحركات إلى الإعداد وإلى فكر القائد ، وإن الدين إذا ما رسخ فى القلوب كان أنجح وسيلة لمحاربة الديكتاتورية والطاغوت .

ترجمة كتاب الساڤاك

المقدمة

على الرغم من أن أجهزة الاستخبارات وأمن الدولة جزء لا يتجزأ من الحكومات والأنظمة السياسية فى عالم اليوم ، فإن سابقة وجود هذه الأنظمة وأنشطتها تعود إلى العصور القديمة ، وأن هذه الأنظمة على مدى تاريخها الطويل كانت تتشكل وفقا لطبيعة الحكومات .

ومهما يكن فإن كل الأنظمة الاستخبارية والأمنية تتبع هدفًا مشتركًا فى جمع المعلومات أو السيطرة على الأعمال التى من شأنها أن تهدد الحياة السياسية للنظام السياسى ، ولكن أسلوب الاستفادة من المعلومات وتوظيف هذه الأنظمة يختلف من دولة لأخرى وفقًا لطبيعة هذه الدولة .

وفى الدول الديمقراطية والأنظمة الجمهورية تُستخدم هذه الأجهزة أساسًا فى المحافظة على المصالح العامة للمواطنين والتصدى لخيانة الأعداء والخارجين على النظام ، بينما تستخدم هذه الأجهزة فى الأنظمة الاستبدادية والديكتاتورية مثل نظام شاه إيران قبل الثورة ، تستخدم للمحافظة على النظام الاستبدادى وإحكام قبضته الديكتاتورية ، وسيرة السافاك خير دليل على هذا القول ..

حتى إن السافاك باعتباره أكبر جهاز للاستخبارات والأمن لنظام الشاه أخذ يتدخل فى حياة الهيئات الاجتماعية والسياسية كسوط للإرهاب ، ولذلك فقد كان يشرف على أنشطة جميع الأجهزة الاستخبارية والأمنية الحكومية والخاصة بشكل مباشر وغير مباشر .

والتعرف على إجراءات هذا الجهاز المرعب وأبعاده ونتيجة أعماله من الأمور الضرورية التى لا يمكن تجنبها فى تاريخ إيران المعاصر .

ويعد إلقاء الضوء على الأفق المظلم الذى يشكله جهاز السافاك المرعب هذا فضلاً عن تشدده وتعنته المبالغ فيه ضد أنصار الثورة ، يعد من الضرورات التاريخية .

ومما يزيد من الحاجة إلى ذلك فى الوقت الراهن ، هو هذه الحقيقة : أن البحث فى هذا المجال فى السنوات السابقة على الثورة ممنوع منعًا باتًا ، كما أن هذا الأمر قد ظل أمرا لا يُلتَفت إليه حتى فى السنوات التالية على الثورة مع وجود المصادر والمستندات العديدة ، ونظراً لذلك فقد ظل هذا النظام مجهولاً .

وقد أولى (مركز اسناد انقلاب اسلامى)(*) بناء على هذه الضرورات وفى ضوء رسالته التاريخية – تدوين التاريخ المعاصر والثورة الإسلامية – أهمية كبرى فى نشر هذا العمل .

ويعد هذا البحث ثمرة الجهود العلمية للمحقق والباحث العزيز السيد/ تقى نجارى راد ، وربما يعد أول خطوة فى سبيل بحث السافاك كجهاز استخبارى وأمنى ، حيث استفاد من المعلومات والمصادر الموثقة لمركز وثائق الثورة الإسلامية، ويشكر الباحث المحترم لهذا العمل وكل من تعاون فى هذا البحث ، وكذلك من ساعد فى نشره من الأشخاص الذين عانوا فى سبيل طبع هذا الكتاب وإتمامه .

(مركز وثائق الثورة الإسلامية)

(*) مركز وثائق الثورة الإسلامية .

تقديم

عرض الموضوع :

إن البوليس السياسى أو الجهاز الأمنى قد سبق وجوده فى تاريخ الدول ، واليوم فإن أكثر الدول فى الممالك الديمقراطية أو الدول الديكتاتورية كان لديها جهاز بوليس سياسى ، والهدف من إيجاد البوليس السياسى فى العادة جمع المعلومات والسيطرة على الأعمال التى من شأنها أن تهدد حياة النظام السياسى لدولة ما ، ومع انتشار الشرطة وظهور الدولة والمدن أدرك الحكام أنهم لا يستطيعون أن يثبتوا حكمهم ليس فقط عن طريق القوة والسيف والانتصار فى ميادين الحرب ، بل إنهم فى أشد الحاجة إلى جهاز أمنى يكون للحكام بمثابة العين التى ترى والأذن التى تسمع .

وفى الحكومات القانونية والشعبية فإن البوليس السياسى يقوم بالعمل من أجل وقف الأعمال التخريبية والمعارضة للأهداف القومية والمجتمع ، ولكن فى الحكومات الديكتاتورية وغير الشعبية فإن البوليس السياسى يعتبر بمثابة الأداة التى تساعد على استمرار الاستبداد وإحكام قبضته ، ويمكن القول إن عمل النظام السياسى يشكل هوية البوليس السياسى وأسلوب عمله .

وقد كان للبوليس المعاصر اليوم فى العالم بأسره أساليب أخرى متنوعة وتحت مسميات مختلفة وفى أشكال واضحة ، وغامضة أحيانًا .

وقد انتشرت فى إيران إدارات سرية وجاسوسية منذ قديم الزمان ، ومن أجل الجاسوسية تم تجنيد الجوارى والغلمان والمغنين .

ومنذ القرون الأخيرة احتل شكل البوليس والبوليس السرى خاصة أهمية كبرى منذ العصر القاجارى فصاعداً .

وكان جهاز البوليس السرى لجواسيس «أمير كبير» أهم بوليس سرى وأنشط حتى ذلك الوقت ، وبعد ذلك انتشرت الإدارات السرية ، وقد سعى الملوك القاجاريون

ومن بعدهم الملوك البهلويون فى الاعتماد على تلك الأجهزة إلى حد كبير ؛ ليحافظوا على حكوماتهم الاستبدادية ، وقد أسس جهاز الساڤاك أو (منظمة الاستخبارات وأمن الدولة) فى سبيل هذا الهدف فى السنوات التالية لانقلاب ٢٨ مرداد [١] عام ١٣٣٢ هـ . ش - ١٩٥٣م . وقد وُضعت لائحة جهاز الساڤاك فى عام ١٣٣٥ هـ .ش - ١٩٥٦م .فى مجلس "سنا" أى مجلس الشيوخ [٢] وبعد ذلك عُدلت هذه اللائحة لهذا الجهاز فى مجلس الشورى الشعبى ، والجهاز الأمنى الذى أُسس فى الوقت نفسه هو النواة الأصلية للحكم العسكرى ، والذى بدأ نشاطه الرسمى منذ عام ١٣٣٦ هـ . ش . ١٩٥٧ م وقد لعبت منظمة الاستخبارات الأمريكية (C. I. A) والحكومة الأمريكية دوراً مهمًا فى تأسيسه .

وكان الهدف الرئيسى من تأسيس الساڤاك : منع الشيوعية فى إيران والدول المجاورة [٣] ، وفى سبيل هذا الهدف فإن منظمة الاستخبارات وأمن الدولة واصلت سحق الباقين من أنصار حزب (توده) ، وتمكنت من أن تُخرج أولئك من ميدان النشاط السياسى بشتى الأساليب ، كما وضع الساڤاك الجماعات ذات التوجّه القومى تحت المراقبة ، ولم يقصد جهاز الأمن سحق أولئك ولم يكن ذلك هدفًا من أهدافه ، كل ما فى الأمر أن هذه الجماعات حينما كانت تقوم بأنشطة معادية للحكم من وجهة نظر الساڤاك ، وكان يرى الساڤاك أن استمرار نشاطها خطر - فإنه كان يمنع نشاطها . ومن ناحية أخرى كان رجال الدين من معارضى النظام ، ولم يكن لهذه الجماعة حتى عام ١٣٤١ هـ. ش . ١٩٦٢ م أى بداية الحركة الشعبية للإمام أى خطر ملحوظ ، وقد اتجهت سياسة الشاه والساڤاك إلى شكل المهادنة مع أنصار تلك الجماعة ، وفى الوقت نفسه كانوا تحت نظرها ، ولكن منذ هذا الوقت فصاعداً شكل رجال الدين أكثر الجماعات معارضة للنظام . وكان الإمام الخمينى من بين رجال الدين وزعمائهم الذى تزعم شيئًا فشيئًا قيادة المعارضة ، وكان يقلق الشاه كثيراً ؛ لهذا فقد أمر الساڤاك أن يمنع نشاطه ونشاط أتباعه .

(١) مرداد : الشهر الخامس من السنة الهجرية الشمسية الإيرانية .

(٢) سنا : بكسر السين المجلس الذى يشكله أعيان الدولة ويصل عددهم إلى ٦٠ شخصًا من ممثلى المجلس فى إيران وكان نصف هذا العدد يختاره الشعب والنصف الآخر يختاره الشاه .

(٣) لاشك أن هذا الهدف الظاهر أما الهدف الحقيقى من تأسيس الساڤاك هو القضاء على أعداء النظام . (المترجم) .

وجدير بالذكر أنه من بين كل جماعة من الجماعات الثلاثة المذكورة - اليسارية والقومية والدينية - كان هناك أفراد لم يستطيعوا من خلال الكفاح السياسى قلب النظام الدكتاتورى البهلوى ؛ فاتجهوا إلى أنشطة فدائية ، وكان من بينهم عشرات الجماعات المسلحة والجماعات المناضلة ذات التنظيم الصغير أو الكبير ، وكان ذلك منذ عام ١٣٤٠ هـ.ش حتى ١٣٥٠ هـ.ش. (١٩٦١ - ١٩٧١ م) وجابهوا هذا النظام على الرغم من الرعب والهلع اللذين كان يحدثهما الساڤاك .

أضف إلى هذا أن الساڤاك فى سبيل جمع المعلومات اللازمة للمحافظة على أمن الدولة قد راقب الجماعات المعارضة ، ورجال الدولة ، والموظفين ، والعاملين ، ونواب المجلس ، ونواب مجلس الشورى ، وأعضاء الأحزاب فى الدولة ، وأيضًا فإن الساڤاك قد أشرف على طبع ونشر الكتب ، والصحف ، والمراكز الثقافية ، والعلمية الأخرى ، وجعل الرأى العام تحت سيطرته ليحول دون ظهور المعارضات الشعبية .

ومع الاهتمام بالتوضيحات السابقة يتضح أن جهاز الاستخبارات وأمن الدولة هو أنشط جهة معلوماتية وأمنية منذ عام ١٣٣٥ هـ.ش حتى عام ١٣٥٧ هـ ش (١٩٥٦ - ١٩٧٨ م) فى حكومة محمد رضا شاه بهلوى ، ومن ثم يُطرح هذا السؤال وهو : ما دور الساڤاك فى التطورات السياسية والاجتماعية فى إيران المعاصرة ؟

الجدير بالذكر أنه حتى الآن لم يكتب بحث كامل فى مجال الساڤاك ودوره ونتيجته منذ تأسيسه حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، وإنما وردت إشارات قصيرة عن أعمال الساڤاك تمثلت فى مذكرات موظفى ذلك النظام ، وفى الدول الغربية بُحث جهاز الساڤاك فى شكل مطالعات عديدة حول الحكومة البهلوية وأسباب سقوطها ، من ذلك كتاب «الساڤاك» الذى ألفه كريستين (ولانو آكه) وترجمه للفارسية السيد (نيك جوهر) ، ومن بين الكتب التى تحدثت بالتفصيل عن أنشطة الساڤاك ، كتب أخرى مثل : كتاب (درباره ساواك) أو فى شأن الساڤاك ، وكتاب (ديبلماسى أمريكا وشاه) أو الدبلوماسية الأمريكية والشاه ، وما يماثله من الكتب ، وقد بيَّنت مثل هذه الكتب جوانب من نشاط الساڤاك وأعماله .

وفى إيران فإن الباحثين لم يبحثوا فى شأن الساڤاك ، وعلى الرغم من أن معلومات قصيرة قد وردت عن أسباب تأسيس الساڤاك وكيفية تأسيسه وأعماله فى

ضوء الآثار المتعلقة بالنظام البهلوى والثورة الإسلامية ولكن كتاباً كاملاً فى هذا الموضوع لم يكتب، مثال لذلك ما أورده (حسين فردوست) - الذى ظل فترة من الوقت يشغل منصب القائم بالأعمال فى جهاز الساڤاك - ما أورده فى مذكراته تحت عنوان (ظهور وسقوط سلطنت بهلوى) أو «ظهور السلطنة البهلوية وسقوطها » ، وهى مذكرات موجزة عن تأسيس الساڤاك ودور (سيا) (*) و (الموساد) فى تأسيسه وأنشطة هذا الجهاز ، ولا شك أن فردوست قد سعى بشكل أساسى ليكرر حديثه عن دوره فى إعادة بناء تأسيس الساڤاك .

وبناء على هذا فإن الساڤاك فى النظام البهلوى بدءًا من عام ١٣٣٥ حتى عام ١٣٥٧ هـ.ش (١٩٥٦ - ١٩٧٨ م) كان يعمل كأهم جهة أمنية ، والبحث فى أعمال هذا الجهاز وتقويم نجاحاته فى إرساء هذا النظام واستمرارية سلطة الشاه وأيضا فى التعرف على الجماعات المعارضة لديكتاتورية الشاه وتعقبهم وسحقهم والقضاء عليهم أمر ينطوى على ضرورةٍ مضاعفة ، وذلك حتى يتضح ما هو الدور الذى قام به معارضو هذا النظام فى الجهاد ضده ، وعلى أية أداة كان يعتمد النظام البهلوى فى السيطرة على أولئك ، وأهمية هذه المسألة بالنسبة للباحث هى أن يبين البحث آفاق الحاضر والذى هو بمثابة عمل تمهيدى فى مجال الساڤاك ونتيجة أعماله فى النظام البهلوى اعتمادا على الوثائق الموجودة ، التى هى بين أيدينا حتى يكون أساسا لإنجاز أبحاث أكمل وأشمل على يد باحثين معروفين فى مجال التاريخ المعاصر لإيران .

منهج الدراسة :

والسؤال الأساسى المطروح فى هذا البحث هو : ما الدور الذى لعبه الساڤاك فى التطورات السياسية والاجتماعية لإيران منذ عام ١٣٣٦ حتى عام ١٣٥٧ هـ .ش ؟

والأسئلة الثانوية للدراسة أو البحث عبارة عن :

١ - ما أسباب تأسيس الساڤاك وأهدافه ؟

٢ - ما دور المنظمات الاستخبارية الأجنبية خاصة (سيا) فى ظهور الساڤاك وأعماله ؟

(*) منظمة (C. I. A) ، منظمة للتجسس والاستخبار تابعة للولايات المتحدة الأمريكية .

٣ – ما دور السافاك فى الدولة وبناء أركان النظام خاصة الشاه نفسه ؟

٤ – كيف كان تأثير السافاك على الفكر العام للشعب الإيرانى ؟

٥ – ما دور السافاك فى مواجهة الجماعات المعارضة ؟

٦ – كيف كانت طريقة اصطدام السافاك بالإمام الخمينى وأنصاره فى الثورة الإسلامية ؟

٧ – لماذا لم يستطع السافاك أن يقضى على الثورة الإسلامية وزعمائها ؟

والفرضية الجديرة بالبحث هى كما يلى :

(إن السافاك قام بأعمال تعذيبية جسمانيًا وروحيًا بالنسبة إلى معارضى النظام ، هذا فضلاً عن ترويج الشائعات الكاذبة ؛ مما خلق جوًا من الاختناق والرعب والذعر بين الناس ، هذا من جانب ، والاستعلام عن القوى السياسية الدينية المعارضة وسحقها ، من ناحية أخرى ، وأيضًا السيطرة على العاملين وممثلى المجلسين كجواسيس للشاه ، وهو نوع من الأمن الظاهرى ولكنه أمن كاذب وفاشل . وقد استمر هذا فى الغالب حتى عام ١٣٥٦ هـ.ش – ١٩٧٧ م (ظهور الثورة الإسلامية) ، وقد ساعد فى بقاء الحكم الديكتاتورى البهلوى ، ولكن بزيادة الاعتراضات الشعبية ولا سيما بظهور الثورة الشعبية المذهبية للإمام الخمينى لم يكن بمقدور أى سافاك آخر أن يكون أداة مفيدة فى استمرارية حياة النظام البهلوى).

وفى هذا البحث تمت دراسة السافاك وإداراته المختلفة وأسباب وجود تلك المنظمة وعملها فى سحق المعارضين ودورها فى السياسات الداخلية ، كما أجاب هذا البحث عن أسئلة ، وخضعت فرضية التحقيق للتجربة والاختبار ، وفى الإجابة عن السؤال الأساسى وإعداد متن البحث فإن الباحث قام باطلاع واسع على الكتب والمصادر الموجودة ، وهى محاولة جادة من أجل الحصول على الوثائق المتعلقة بالسافاك ؛ حتى يمكن الاستفادة بقدر الإمكان من الوثائق الموجودة فى (مركز اسناد) والذى يحفل بكثير من المعلومات وبحثها بدقة فائقة .

والمأمـول فـى المستقبـل أن تتم تحقيقات مفيدة فى هذا المجال بالاعتماد على ما لدينا من وثائق أكثر ويتم تصنيفها ، وبذلك دراسات ملء الفراغ الموجود فى مجال تاريخ إيران المعاصر بشكل أعم والسافاك بشكل أخص .

وفـى النـهـاية ، فـإنه يجب على الكاتب أن يقـدم خـالص تقـديره وشكره للمساعدات القيمة للسيد (ملايئى) المسئول عن قسم التاريخ ، والسادة : الدكتور أسد اللّهى - الباحث المساعد السابق فى (مركز اسناد) ، والدكتور غلام رضا خواجه سروى - النائب الإعلامى للمركز السابق والعاملين أيضا فى قسم الوثائق التابع (لمركز اسناد انقلاب اسلامى) أو مركز وثائق الثورة الإسلامية ، وكل الأشخاص الذين ساعدوا فى إعداد هذا المتن الحالى وكتابته .

القسم التمهيدى

أصول فى مجال أسس الأمن فى إيران

مــقــدمــة

ترجع سـابقة أسـاس البوليس السياسى فى إيران إلى القرن السـابع قبل الميلاد، منذ أن كان الأباطرة الهامنشيون وبعد ذلك السـاسانيون يرسلون ممثليهم إلى البلاد القاصية والدانية ، حتى يواتوهم بالمعلومات والأخبار اللازمة ، وهؤلاء الموظفون الذين كـانوا يسـمـون عين الشـاه وأذنه كـان أسـاس وظيـفـتـهم أن يُطْلعوا الشـاه بأخـبـار الإمـبـراطورية والمعـلومـات لا سـيـمـا المتـعلـقـة بسلوك الأمـراء وكـبـار الموظفين وتصرفاتهم [١] .

وقد وُجدت الاستفادة من الجاسوس والموظف السرى فى كل فترات تاريخ إيران ، ولكن أهم وأكبر نظام وربما أول نظام جاسوسى وبوليس سياسى فى إيران فى عصر ناصر الـدين شـاه ظهر على يد مـيرزا تقى خـان أمـير كـبـير أثناء فـتـرة صدارته القصيرة .

١- جهاز البوليس السرى (جواسيس الأمير) :

لقد كون ميرزا تقى خان أمير كبير (*) تشكيلات فى فترة صدارته للاطلاع على تفاصيل أمور الدولة ولمعرفة سلوك الحكام الظلمة والمتعسفين والعسكريين مع الشعب ، ويمكن أن نطلق عليها بحق اسم (مؤسسة أمير كبير للتجسس ومناهضة التجسس) [٢] وإن مؤسسة أمير كبير للتجسس التى كان يطلق عليها فى الحقيقة اسم (مُخبرى الأمير) قد انتشرت فى كل المدن والقرى وحتى السفارات الأجنبية أيضا . وقد بلغ نفوذ التحقيقات والبحث من قبل هذه الإدارة الحد الذى وصل إلى أدق تفاصيل أحداث الدولة والأحداث الاجتماعية والسياسية فى إيران فى مجال العمال والموظفين الأجانب ، وحصول هذه الإدارة على المعلومات الصحيحة واللازمة لإبلاغ الشاه بها [٣] .

وفى (منظمة جواسيس الأمير) اختير للعمل (فى هذه الوظيفة) الجواسيس والعيون الأمناء والصادقون الذين كانت تربطهم علاقة وثيقة بالأمير ؛ من أجل نفع دولتهم والإضرار بالأجانب والعناصر المتصلة بهم الذين كانوا يسعون إلى التغلغل فى أركان الدولة ونظامها [٤] .

وما لبث الأمير - الذى كان يعرف أن سبب كثير من الثورات الداخلية وتمرد الأمراء المحليين ناتجة عن دسائس سفارتى روسيا وإنجلترا ومؤامراتهما - أن عيَّن الجواسيس الأمناء المخلصين للعمل فى السفارات المذكورة من أجل منع المؤامرات والمحافظة على الأمن الداخلى والحصول على الأخبار والمعلومات القيمة ليرسلوها إلى أميرهم فى الوقت المناسب لإحباط مؤامرات الأجانب قبل حدوثها .

وقد أخاف نفوذ أمير كبير فى سفارتى روسيا وإنجلترا أولئك كثيراً إلى درجة أن السفير الروسى كان يعتقد بأن هناك جنًا يعملون من قبل أمير كبير [٥] .

وبشكل عام فإن نشاط مؤسسة (مُخبرى الأمير) أو (مُنهيان أمير) قد أدت دوراً مهمًا فى كشف وإحباط المؤامرات وإقرار الأمن الداخلى ، ويمكن تلخيص عمل هذه المؤسسة فى المحاور الثلاثة الأصلية :

(*) يعد أمير كبير من أعظم رجال السياسة فى العصر القاجارى ، له إصلاحات عديدة فى الإدارة والسياسة والجيش ولعب دورا كبيرا فى إنشاء جامعة (دار الفنون) ووصل فى عهد ناصر الدين شاه رابع الملوك القاجاريين (١٨٤٨ - ١٨٩٦ م) إلى منصب رئاسة الوزراء ، وقُتل عام ١٨٩٠ م فى كاشان . (المترجم)

١- الحصول على الخبر ومعرفة أوضاع الأقاليم وسلوك موظفي الديوان والجيش - خاصة في شأن أخذ الرشوة - ومنع المغالاة في أخذ الضرائب أو الاعتداء على أموال القرويين .

٢- إعداد التقارير عن النظام والأمن العام للمدن والأحداث التي تقع وإرسالها .

٣- التغلغل داخل السفارات الأجنبية ومراقبة الموظفين وسلوك العاملين الأجانب .[٦]

٢- البوليس السياسي في العصر الدستوري :

انتشر في عصر ناصر الدين شاه وخلفائه التخابر والتجسس ، ومع انتصار الثورة الدستورية وزيادة الهرج والمرج والاضطرابات عزمت الدولة الإيرانية على أن تستعين بعدة مستشارين سويديين من أجل إدارة شؤون الدولة ، وتأسيس جهاز بوليسي وأمني منظم .

وقد رأس هذه الهيئة أو المنظمة وستداهل[*] السويدي ، وقد انبثق عن هذه الهيئة تشكيلات منظمة في طهران ، وبعد ذلك في سائر الأقاليم [٧] ، وفي هذه الفترة ولدت لأول مرة أنشطة سياسية بشكل مسالم أو معارض من خلال الأحزاب والجماعات السياسية ، وقد تزايدت هذه الأنشطة بشكل سريع مما تطلب وجود بوليس سياسي منفصل .

وبعد عودة ناصر الملك - نائب السلطنة - إلى إيران حدثت تغييرات في الإدارة العامة للشرطة ، ولأول مرة أسست إدارة للبوليس السياسي السري بشكل منفصل عن جهاز الأمن (الذي كان مكلفًا بالتحقيق في الأمور الجنائية والأعمال التخريبية) [٨] .

ويعتبر عبدالله بهرامي - أول موظف إيراني في الداخلية وضع تخطيطًا اقتضى أن تنفصل الأمور السياسية عن الأمور الجنائية تمامًا وأن لا يتدخل البوليس السري في أعمال الأمور الأمنية ، وبهذا الشكل كان يعمل البوليس السري بسلطات واسعة .

وتعهد البوليس السري بجمع المعلومات والأخبار السرية ، ولإتمام هذه الأمور استعان كثيرا بالجواسيس من النساء والرجال ، وكان يعمل هؤلاء الأفراد تحت مسميات مختلفة في المناصب الحساسة ، وكان هؤلاء الجواسيس يجمعون المعلومات

(*) (Westdahl)

اللازمة ، وبعد ذلك يخبرون البوليس بالأدلة أو يتم الرجوع إلى الشؤون الأمنية وكان يتم ضبط المتهمين بواسطة البوليس العادى مع المحافظة على جميع القواعد القانونية .[٩]

ومع انتقال السلطة من القاجاريين إلى رضا شاه فإن إدارة البوليس السرى - الذى اتخذ لنفسه فى هذا الزمان اسم الإدارة السياسية - قد وُضعت فى خدمة أهداف النظام .

٣- البوليس السياسى وجهاز الشرطة فى عصر رضا شاه :

بعد انقلاب ١٢٩٩ هـ . ش . (١٩٢٠م) وصل قائد الجيش رضا خان إلى السلطة وهو الذى لعب دورا مهما فى هذا الانقلاب ،واحتمى بالإنجليز وقوات القوزاق ، وتولى وزارة الحربية . وعلى الرغم من مخالفة «وستداهل» والهيئة الاستشارية السويدية فإن جهاز الشرطة قد انفصل عن وزارة الداخلية وانضم إلى وزارة الحربية ، وبعد طرد وستداهل وسائر المستشارين السويديين أنشئ جهاز للشرطة مثل سائر الجيوش والقوات كمنظمة خاضعة تماما للحاكم ومطيعة له .[١٠]

ومع انتقال السلطة من القاجار إلى رضا خان بهلوى تحول جهاز الشرطة إلى القيام بالأنشطة المضرة (أى الأنشطة المخربة المتعلقة بالنظام وأمن الدولة)، وقد قام جهاز الشرطة بممارسة هذه الوظيفة بصرامة وحدة ملحوظتين ، وقد تسلل هذا الجهاز إلى أسرار الأسر [١١] فى عصر رئاسة (مختارى) له ، حتى تمكن أن يحيط الجهاز علما بالأخطار والمؤامرات التى كانت تهدد سلطنة رضا شاه الديكتاتورية ، فتسنى له سحقها ، ومع زيادة نفوذ رضا شاه واستقرار نظامه الديكتاتورى زاد نفوذ جهاز الشرطة الأمنى هذا .

وكان رضا شاه وأنصاره يعتبرون أن جهاز الشرطة أمرا لازما لإقرار النظام والأمن وسحق المعارضين ، أو بمعنى آخر منع الجرائم والتجاوزات ومؤامرات الموظفين الأجانب ، وفى الحقيقة كان الهدف الأساسى له هو المحافظة على النظام الديكتاتورى [١٢] ، ولهذا السبب كانوا يسعون إلى المحافظة عليه وتقويته .

وقد عُدلت مجموعة القوانين العامة المنظِّمة لأجهزة الشرطة فى البلاد ، فى عصر رئاسة(دركاهى) - وهو أول رئيس لجهاز الشرطة فى عهد رضا شاه . ومع تنفيذ

القانون أسس رضا شاه وزارة للداخلية فى المدن [١٣] وكان أحد أركان جهاز الشرطة فى هذا العصر (الدائرة السياسية) التى هى نفس فرع البوليس السرى فى عصر إشراف السويديين ، وكانت تعتبر هذه الدائرة أولى الشُعب فى إدارة الأمن ، ولكن بعد ذلك بمقتضى العصر انفصلت الدائرة السياسية ، ودخلت تحت رعاية وزير الداخلية مباشرة.[١٤]

٤- رؤساء جهاز الشرطة فى عصر رضا شاه [١٥] :

كان دركَاهى أول رئيس لجهاز الشرطة .

وفى عصره تبدل هذا الجهاز إلى نظام للقلع والقمع والظلم ، وقد غدا هذا الجهاز المحرك الأساسى فى المحافظة على السلطة الاستبدادية للدولة ، وقد أُسندت الرئاسة العامة لجهاز الشرطة بعد إقالة (دركَاهى) فى شهر آذرماه عام ١٣٠٨ هـ.ش (١٩٢٩م) إلى العميد محمد صادق كوبال فترة من الوقت ثم تولاها بعد ذلك فضل اللّه زاهدى ، ولكن أحداً منهم لم يعمر طويلاً فى هذا المنصب .

والرئيس الثانى لجهاز الشرطة فى عصر رضا شاه هو العميد محمد حسين آيرم، الذى وصل إلى قيادة الجيش بعد الحصول على هذا المنصب،وقد أبدى (آيرم) منذ بداية رئاسة هذا الجهاز مهارة فائقة ونشاطًا بارزًا ، وكانت الدائرة السياسية أو الشعبة السياسية فى هذا الجهاز أكثر فعالية من الفترات السابقة ، وكان جهازًا مخيفًا إلى حد كبير من وجهة نظر الناس ، و آيرم الذى تعرض فى هذا المنصب لغضب الشاه قد تمارض حين علم بذلك ، وذهب إلى أوروبا من أجل العلاج ، ولكنه لم يعد مطلقًا.[١٦]

وبعد ذهاب آيرم إلى أوروبا تولى العقيد ركن الدين مختارى نائبه شؤونَ وزارة الداخلية ، وعندما صرف الشاه النظر عن إعادة (آيرم) لمنصبه رُقى ركن الدين مختارى إلى درجة عميد وفى عام ١٣١٥ .ش (١٩٣٦م) عين لرئاسة جميع أجهزة الشرطة فى الدولة ، وكان مختارى فى العمل الإدارى رجلاً قانونيًا ودقيقًا ، ولكنه من حيث الشدة والقسوة لم يكن بأقل من سلفه (آيرم) [١٧] ، وقد تولى مختارى نحو ست سنوات رئاسة جميع أجهزة الشرطة والأمن ، حتى وقعت أحداث شهر (شهريور) عام ١٣٢٠ هـ .ش. (١٩٤١م) فصدرت له الأوامر من الشاه بنقل أعضاء أسرة السلطنة إلى (أصفهان) . ويمكن أن نذكر من الأحداث المهمة فى عصر مختارى كشف الحجاب ، والاعتقال ، ومحاكمة الجماعة السياسية المعروفة بجماعة : ٥٣ .

وقد أقيل مختارى من وظيفته بعد إقصاء رضا شاه عن السلطنة ؛ ففكر فى الخروج من البلاد إلا أنه قد ألقى القبض عليه بأمر المدعى العام وأرسل إلى طهران وبعد محاكمته حكم عليه بالسجن [١٨]، وبعد محاكمة مختارى وسجنه والدعايات التى راجت ضد جهاز الشرطة ، فقدت إدارة الشرطة قوتها السابقة .

وعلاوة على جهاز الشرطة والشعبة السياسية فيه فإن الركن ٢ قد تولى مهمة الاستخبارات وضد الاستخبارات فى الجيش ، وكان الركن ٢ يحصل على المعلومات عن الدول المعنية عن طريق الملحقين العسكريين ، كما كان للركن ٢ وجود فى الفرق العسكرية التى كانت تقدم تقاريرها لقائد الفرقة لا للركن ٢ . أما الكتائب فقد كان فى كل منها ضابط يقوم بمهمة الركن ٢ ولكنه لم يكن يُسمى بهذا الاسم ، وكان يُعد جزءاً من ضباط الجيش ، وفى ذلك الزمان فإن رئيس الركن ٢ فى هيئة أركان الحرب يُعد أهم منصب لاستخبارات الدولة [١٩] ، حتى إنه يعتبر أبرز شخصية من حيث الاستخبارات العسكرية وغير العسكرية .[٢٠]

ولكن مع وجود هذه القوى الاستخبارية والأمنية وبث جو الذعر الناتج عن أعمال جهاز الشرطة فى القضايا الاستخبارية فى المجتمع ، فإن استخبارات الإنجليز قد لعبت دوراً مهماً ، أو على حد قول (فردوست) كانت تساعد (رضا شاه) فى المواقف المهمة. [٢١]

٥- البوليس السياسى من (شهريور) عام ١٣٢٠ (١٩٤١م)حتى انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش (١٩٥٣ م) :

ومع إقصاء رضا شاه ومحاكمة مختارى ، فإن وسائل الإعلام قد عارضت جهاز الشرطة ، ففقد قوته واعتباره السابق ، ولم يعد لرؤساء جهاز الشرطة فى السنوات التالية وبعد شهر (شهريور) عام ١٣٢٠ ش. ومع استقرار الحكومة العسكرية التى خصت نفسها بالجزء الأعظم من سلطات الشرطة نفوذ أو سلطة كبيرة ، وفى هذه الفترة تولى رئاسة الشرطة عدد من الضباط مثل قائد الجيش (زاهدى) والعميد (صفايى) والعميد حجازى ، ولكن باستثناء زاهدى الذى ساعد على فوز الدكتور مصدق وأنصاره فى انتخابات الدورة السادسة عشرة فى مجلس الشورى الشعبى – لم يكن هناك أى دور سياسى مهم يذكر للآخرين [٢٢] .

وآخر رئيس لجهاز الشرطة قبل انقلاب (٢٨ مرداد) الذى كان قد لعب دورا سياسيا مهما فى فترة مصدق هو العميد (أفشار طوس) ، وكان من بين جماعة الضباط الشعبيين الذين اختيروا لرئاسة جهاز الشرطة العام فى إيران على الرغم من رغبة الشاه فى قطع نفوذ البلاط بإدارة الشرطة ، ومنذ بداية توليه منصب رئاسة الداخلية فقد تعرض لحملة وانتقاد شديدين من قبل معارضى مصدق ، وقد تعرض لمؤامرة فى اليوم الأول من شهر اردیبهشت عام ١٣٣٢ ش (١٩٥٣م) . حيث خطف وتم قتله ، وقد أثار قتل (أفشار طوس) بداية سلسلة من الإجراءات التى حثت الدكتور مصدق على العدول عن رأيه وحل المجلس السابع عشر ، ثم صدر فرمان بعزل مصدق من قبل الشاه وتعيين القائد (زاهدى) كرئيس للوزراء ، وفى النهاية أدى ذلك إلى أحداث ٢٨ مرداد وسقوط حكومة مصدق .[٢٣]

٦- قانون الأمن الاجتماعى :

لقد عدّل الدكتورُ محمد مصدق فى فترة صدارته للوزراء اللائحةَ مستفيداً من سلطاته الخاصة ؛ من أجل المحافظة على النظام والأمن الاجتماعيين فى الدولة ، وقد عُدَّ هذا التعديل أخطر قانون صدر فى فترة مصدق .[٢٤]

وهذا القانون الذى كان يسمى (قانون الأمن الاجتماعى) قد اعترض عليه آية الله كاشانى وعدد آخر من رجال الدين ، وقد أشار آية الله كاشانى فى رسالة مباشرة إلى خسائر هذا القانون أو هذه اللائحة ، وقد ورد فى جزء من هذه الرسالة : إن الخسارة الكبرى لهذا الأمر لا تعد شيئا أمام نجاح القوى الأجنبية فى هزيمة الثورة ، وسوف يؤنون بهذا القانون أفراد الشعب وسوف يستفيدون منه فى سحق الثورة ، ولازال هناك متسع من الوقت فلا تتعجلوا ، ولو وفقوا فى إنجاز القضايا والمصالح أمام هذه القوة المعارضة فسوف تكون كل الأمور فى صالح المملكة ،فهذا القانون ليس من مصلحة الشعب والمملكة . وأرغب أن تمتنعوا عن تنفيذ هذا القانون أو الأخذ به بدون مشورة مسبقة فلا تتسببوا فى هلاك الشعب والمملكة .[٢٥]

وبعد انقلاب ٢٨ (مرداد) تحققت نبوءة آية الله كاشانى بالفعل .

وأخذت حكومة (زاهدى) بتنفيذ هذا القانون ، وأنشئت منظمة الأمن على هذا الأساس نفسه .

وكان قانون الأمن الاجتماعى يشتمل على تسع مواد، وكانت عدة مواد منه تخالف جـمـيع القـوانـين الديمقـراطيـة ، هذه المواد هى (١) ، و (٢) ، و (٥) ، وفى ظل هذا القانون لم يراع حتى إعادة النظر فيما يتعلق بالمدانين ، ووفقا للمادة (١) ، والمادة (٢) من هذا القـانون فـإن أى نوع من الاعـتـصـام ... فى المصـانع والورش وإدارات الدولة أصبح ممنوعاً ، وكان يعاقب من يرتكب ذلك ويسجن وفقًا للمادة الخامسة .

وكان يؤخـذ بتقرير مسـئولى المؤسـسـات وإدارات الدولة ورجـال القضـاء وأيضًا الموظفين العسكريين ، إلى أن يثبت عكس ذلك .[٢٦]

كما أن مواد قانون الأمن الاجتماعى التى وردت به لم تتغير بالنسبة للمدانين ، وكانت صارمة إلى حد أن الدكتور (مظفر بقايى) قد اعتبر هذا القانون أسوأ من ياصا جنكيز خان (*)، «أحضروا ياصا جنكيز واعملوا بها ولكن لا تنفذوا هذا القانون » ؟!

وقد ذكر (بقايى) فى جزء آخر من أحاديثه فى معارضته للقانون المذكور [٢٧] بدلاً من أن يكون هذا القانون فيه أقل فائدة للشعب الإيرانى والوطنيين غدا حربة قاتلة فى أيدى أعداء الشعب .[٢٨]

وبعد انقلاب (٢٨ مرداد) وسحق الثورة الشعبية ، أصبح هذا القانون أساس عمل السافاك ، وتعرض الشعب الإيرانى لكثير من الأذى والظلم .

٧- من انقلاب ٢٨ مرداد حتى تأسيس السافاك :

لقد انتهى انقلاب ٢٨ مرداد بالثورة التى كان قد بدأها الشعب الإيرانى بعد شهريور ١٣٢٠ هـ . ش = ١٩٤١ م ومع هزيمة الثورة أمام استعمار الشعب الإيرانى فإن أمريكا قد سيطرت على شؤون الدولة لفترة ٢٥ عاما من السلطة والهيمنة ، كما أن محمد رضا شاه الذى كان يرى أن حكومته قد تبددت فى فترة سيطرة الثورة الشعبية حرص مع عودته إلى السلطة عن طريق الانقلاب الأمريكى ـ الإنجليزى فى ٢٨ مرداد على أن يسود الحكم الاستبدادى الديكتاتورى فى أنحاء البلاد.

(*) ياصا جنكيز خان : مجموعة القوانين التى وضعها جنكيز خان من أجل تنظيم حياة جنوده . (المترجم)

وقام (زاهدى) رئيس الوزراء فى هذا الانقلاب على الفور بالسحق الشامل لجميع القوى المعارضة بعد سيطرته على السلطة ، وأصبح التجوال فى طهران ممنوعًا ليلاً ، وأعلنت الحكومة العسكرية ، ورابضت الدبابات فى البازار وفى أنحاء المدينة وألقى القبض على (مصدق) وأنصاره ، وتم التخلص منهم وفى أعقاب ذلك هوجمت معاقل (حزب توده) المعروفة .

وقد تعرضت المطبوعات والصحف إما للضغط أو عطِّلت بالقوة [٢٩] ، واختارت حكومة الانقلاب بأمر من أمريكا (تيمور بختيار) - الذى كان له دور مهم فى نجاح الانقلاب - حاكما عسكريا [٣٠] ، وقد خيم جو من الرعب والخوف والذعر على العاصمة طهران .

وعلى الرغم من تعاون الجيش والأمن مع القيادة العسكرية من أجل توفير الأمن و المحافظة على استقرار النظام ، فإن العلاقة المستقرة بين جميع جهاته والموجهة ضد الشعب والساحقة له والتى بدت ضرورية من وجهة نظر النظام - لم تتحقق ، كما أن الحملات والهجمات ضد المعارضين المكافحين قد بدت بشكل مشتت وغير مخطط أو منظم [٣١] ، ولهذا السبب ظهرت بعض التغييرات التى بدت ضرورية مع تعديل قانون الساڤاك فى ٢٣ من شهر (اسفند) ١٣٣٥ ش (١٩٥٦م) .

القواعد الأمنية والاستخبارتيه بعد تأسيس الساڤاك:

بعد انقلاب (٢٨ مرداد) قام محمد رضا شاه بتثبيت أركان نظامه ، ومن ناحية أخرى فقد كان يعتبر الإنجليز والأمريكيون الذين كان لهم مصالح أساسية فى إيران والمنطقة - أن المحافظة على الأمن وتثبيت الحكومة الديكتاتورية والاستبدادية لمحمد رضا شاه أمرًا ضروريًا ؛ لذا فقد تعاونوا مع النظام من أجل تقوية النظام الأمنى والبوليسى فى البلاد ، وكان الساڤاك أهم قاعدة للأمن والاستخبارات التى أسست عام ١٣٣٥ ش (١٩٥٦م) على يد أمريكا .[٣٢]

وبعد إقرار قانونه (الساڤاك) فى مجلس " الشيوخ " ومجلس الشورى بدأ عمله رسميا عام ١٣٣٦ ش. (١٩٥٧) ، وعلاوة على الساڤاك فقد عُهد إلى الوحدات

البوليسية الأمنية ، والحرس الملكى ، والوحدات الاستخبارية والسرية للركن ٢ فى الجيش ، ومكتب التحقيق الملكى ، ومكتب الاستخبارات الخاص - بمهمة تحقيق الأمن والمحافظة عليه فى أرجاء بلاد إيران الملكية .

وبسبب الرابطة التى تربط بين مركز التحقيق الملكى والمكتب الخاص بالاستخبارات والسافاك فسوف نتحدث فى الرابطة التى تربط بين الشأن بشكل موجز عن هذين المركزين .

٨- جهاز التحقيق الملكى :

لقد تم تأسيس مركز التحقيق الملكى فى سنة ١٣٣٧ ش (١٩٥٨م) عقب ظهور حركة الانقلاب الفاشلة للجنرال (قرنى) ، إثر الاتهامات المختلفة له بالفساد من قبل أمريكا ، وكانت هذه الهيئة وسيلة خاصة للشاه للإشراف على القوى العسكرية ومنع نجاح المؤامرات الأخرى فى القوات المسلحة [٣٣] ، وعلاوة على القوات المسلحة فى طهران وسائر المدن فقد كان جهاز التحقيق المذكور يضع كل الأجهزة الحكومية موضع التحرى والتفتيش ، وكان يسلم تقارير هذه الاستجوابات إلى شخص الملك مباشرة ، وبعد العرض على الشاه كان يبحث المشكلات لدراستها وحلها مع الدولة .

وحل الدكتور أمينى فى بداية رئاسته للوزارة هذه المؤسسة ترشيدا للنفقات ، وبعد ذلك عادت ثانية فى صدارة هويدا .[٣٤]

وقد عاد مركز الاستجواب هذا فى السنة الأولى من حكم هويدا بأمر من الشاه ، وقد عُين عدد من نواب مجلس الشورى والوزراء السابقين كمستشارين فى هذا المركز ، هذا فضلاً عن تعيين بعض الضباط المتقاعدين .

وقد اتجه مركز التحقيق الملكى اتجاهًا معتدلاً حتى عام ١٣٥٠ ش . (١٩٧١م) وكان يريد الشاه عن طريق هذا المركز أن يحيط بمعلومات أكثر بشؤون الدولة ، وبعد وفاة قائد الجيش (مرتضى) - رحمه الله - الذى رأس المركز منذ تأسيسه أسند الشاه إلى فردوست هذا المنصب وقد قام فردوست بتصفية مركز التحقيق ؛ فعزل الضباط القدامى ، واختار بدلا منهم أمراء متقاعدين أصغر سنًا ، ونقل عدداً من القضاة إلى مركز التحقيق .

وسيطر هذا المركز على الوزارات ومراكز الحكومة سيطرة تامة ، وكان يرسل مركزُ التحقيق إلى الشاه التقاريرَ المتعددة التى تتحدث عن الفوضى والاستغلال فى الدواوين الحكومية ، وكان هذا الأمر حرباً علنية ضد الحكومة ، مما جعل هويدا يستاء بشدة من هذا الأمر ، ولكنه لم يستطع أن يمنعه بشتى الطرق. [٣٥]

كما أن مكتب الاستخبارات الخاص كان واحداً آخر من المراكز الاستخبارية للشاه وكان له قدرة أكبر من مركز التحقيق ، وكان يعد من أكثر المراكز سرية فى الاستخبارات فى عصر محمد رضا شاه .

٩- مكتب الاستخبارات الخاص :

أسس هذا المكتب فى سنة ١٣٣٨ ش (١٩٥٩م) بتعاون شابورجى مع الإنجليز وحسين فردوست ، الذى كان موضع ثقة الإنجليز والشاه ، ثم صدرت الأوامر بتأسيس مركز الاستخبارات الخاص ، ولهذا السبب قام بتنظم دورة تدريبية فى لندن من خلال (M ١٦) عرضت ونوقشت فيها الأسس الرئيسية لطرق الاستخبارات كما عرضت كذلك أمور مثل الشيوعية والاقتصاد فى إيران .

ومركز الاستخبارات الخاص كان فى الواقع أساس استخبارات الدولة [٣٦] ، وكان منفصلاً عن المجتمع وجميع مراكز الأمن واستخبارات الدولة الأخرى حتى يمكنه أن يحافظ على المركز السياسى للبلاد فى مواجهة الأخطار المحتملة من قبل الفساد والانحرافات ، وكان الهدف من تأسيس هذا المركز هو أن يحيط الشاه علمًا بجميع التغيرات والتطورات المهمة التى تصدر عن مراكز الاستخبارات والمراكز الأخرى صانعة القرار. [٣٧]

وفى هذا المركز فإن التقارير المتعددة التى كانت ترسل من السافاك والأمن (والركن ٢) كان يرسل منها أهمها إلى الشاه وكانت تُقيِّم ضمن الأخبار والاستخبارات ، حيث يخضع للبحث صحيحها وسقيمها . [٣٨]

القسم الأول

تأسيس الساڤاك

مقدمة

كان الساڤاك وليد أوضاع وظروف سادت الدولة فى النصف الأول من عام ١٣٣٠ ش (١٩٥١م) ، وفى ذلك الوقت فإن محمد رضا شاه الذى كان قد استعاد حكومته وتاجه وعرشه عقب انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ (١٩٥٣م) - قد سعى فى تثبيت سلطاته وتقوية نفوذه ، وفى السنوات الأولى بعد الانقلاب تكفل الحكم العسكرى فى طهران بهذه المهمة ، ولكن عدم استمرار الحكومة العسكرية دفع النظام وحماته إلى التفكير فى إيجاد منظمة أكثر انتشاراً ، كما أن محاربة الشيوعية وضرورة إنشاء مؤسسة منظمة من أجل ملاحقة المعارضين كان من الأسباب الأخرى التى أوجبت إنشاء المنظمة المذكورة ، وقد اقترح الأمريكيون على الشاه إنشاء منظمتين منفصلتين هما (الأمن) و(الاستخبارات) ، ولكن الشاه وافق فقط على إنشاء منظمة واحدة للاستخبارات والأمن معًا ، وبعد ذلك أُعدت لائحة تنظيم جهاز الأمن والاستخبارات فى الدولة عن طريق الهيئة الحكومية ، وفى مدة قصيرة تمت الموافقة على إقرارها فى المجلسين (الشيوخ) و (الشورى) .

وبدأ الساڤاك أنشطته رسميًا منذ أوائل عام ١٣٣٦ ش (١٩٥٧) ، ويومًا فيومًا زادت أنشطته ، وفى هذا الاتجاه بث تنظيماته ونشرها .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والاجتماعية فى إيران قُبيل تأسيس السافاك

لايمكن فهم دور منظمة الدولة للأمن والاستخبارات إلا بالنظر إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية عند إنشائها ، كما أن هذه المنظمة فى الحقيقة نتيجة وثمرة انقلاب خُطِّط له فى ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش . (١٩٥٣م) عن طريق مركز الاستخبارات الإنجليزية ، ونفذ على يد منظمة الاستخبارات الأجنبية (سيا) الأمريكية ومساعدة الموظفين والعاملين المحليين ضد حكومة مصدق الشعبية ، فجعلت الجهة المذكورة الحكومة الديكتاتورية لمحمد رضا شاه تحت سيطرة الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم يكن لمحمد رضا شاه قبل انقلاب ٢٨ مرداد سلطة أو نفوذ .

وقد تعرضت حكومته للسقوط ثماني مرات ، وباختيار مصدق كرئيس للوزراء - على الرغم من ميله للشاه - و اشتعال حركة تأميم صناعة البترول تعرضت مصالح الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا للخطر ، فحجم مصدق سلطات الشاه وحدّ من نفوذ البلاط فى الدولة ، وقد أثارت هذه الأحداث غضب الدول الغربية والشاه والبلاط (*) فى الوقت الذى يئست فيه إنجلترا من الحصول ثانية على بترول إيران ، وصممت بالتعاون مع أمريكا والبلاط على القيام بانقلاب ضد مصدق لمصلحة الشاه (الشخصية) .

ومع نجاح انقلاب ٢٨ مرداد الذى تحقق أثناء العمليات المعروفة بـ (آزاكس) سقطت حكومة مصدق الشعبية وأعيد محمد رضا شاه للسلطة ، وبمساعدة

(*) نلاحظ دوما فى تاريخ الشعوب تلاقى مصالح الشاه والبلاط والدول الغربية ضد مصالح الشعوب . (المترجم)

المستعمرين الذين كانت تعتبر الحكومة نفسها مدينة لهم قويت شوكة حكومة محمد رضا شاه ، ففى سنه ١٣٣٥ ش . (١٩٥٦م) أسست منظمة الأمن و الاستخبارات من أجل المحافظة على الأمن ، وديكتاتورية الشاه .

وزرعت بذرة السافاك فى عام ١٣٣٥ ش (١٩٥٦) فى ظل الحكومة العسكرية ، وبالموافقة على قانون تنظيم السافاك مارست هذه المنظمة أنشطتها منذ أوائل عام ١٣٣٦ ش (١٩٥٧م) بشكل رسمى .

حتى قبل تنظيم السافاك فإن المراكز الأمنية و الاستخبارية للشاه والتى كانت تشكل قسمين قد انفصلت عن بعضها ، فالشعبة الأولى منها كانت تحت إشراف الشرطة ، والشعبة الثانية تحت إشراف الجيش ، وتولت الدائرة السياسية أو المركز الشرطى المهمة الأساسية فى الحصول على المعلومات فى مجال الأمور السياسية داخل الدولة ، ومن بين ذلك الأحزاب والشركات المنتجة والمطبوعات والأفراد ذوى النفوذ السياسى ، وفى الجيش تكفل الركن ٢ بمهمة الحصول على المعلومات والأخبار فى شأن الأفراد العسكريين والجيش .

١- مجالات تشكيل السافاك :

بعد انقلاب ٢٨ مرداد فإن عدة عوامل قد أثرت على الحكومة الانقلابية وذلك بغية المحاولة الدؤوب لسحق القوى المعارضة ، وإيجاد جو من الكبت والرعب فى المجتمع ، فمن جانبٍ ، خافت الدولة من الحركات الشعبية والشخصيات السياسية والمذهبية الكبيرة التى قادت تأميم البترول ، وأبعدت أيدى الأجانب عن دولة إيران والمصادر المهمة لثروتها ، ومن ناحية أخرى كان النظام يخشى الجماعات التى تريد إسقاط النظام الديكتاتورى البهلوى المعارض لأهداف الشعب وكذلك القضاء على العناصر المتسلطة ، ومن أمثال تلك المجموعات (جماعة فدائيى الإسلام) ، ويخشى كذلك من الجماعات السرية والجماعات السياسية المذهبية ، وقد أصبحت هذه المسألة باعثًا على أن أصبح الحكم العسكرى مكلفًا بسحق جميع الجماعات المعارضة ، وكان أول عمل للنظام الانقلابى أمرين ، هما : الأول حل مشكلة النفط ، والثانى سحق أى نوع من الأنشطة المعادية للإمبريالية والقضاء على المعارضين وتثبيت أركان النظام

الحاكم [٣٩] ، وبالفعل قام النظام الحاكم بالعمل من أجل حل مشكلة النفط ، واستسلمت إيران للاتفاقيات الاحتكارية بمساعٍ من أمريكا وإنجلترا [*] ، وكانت مهمة المحافظة على النظام والأمن الداخلى قد ألقيت على عاتق القيادة العسكرية اعتماداً على الجيش والمراكز الأمنية الأخرى ، وتكفل تيمور بختيار القائد العسكرى لطهران بمهمة تنفيذ الأحكام العسكرية وسحق المعارضين . وقد ارتكب بختيار فى ظل الحكم العسكرى فى طهران الظلم والجرائم العديدة ، وقضى على أكثر الأفراد والجماعات التى ُعرف عنها معارضتها للنظام فأوقف أنشطتها بشكل مؤقت ، وكان له دور مهم فى القضاء على جماعات مثل فدائيى الإسلام وحزب توده .

وقد استخدم النظام الانقلابى والحاكم العسكرى فى طهران - تيمور بختيار - فى حربه مع حزب توده [٤٠] الذى كان أساس الجماعات الرئيسية المعارضة للنظام - سلاحَ القوة والسحق والتدمير ، وقد توقف القائد العسكرى فى طهران عن حملته على حزب توده إلا أنه حاكم زعماءه وأعدمهم ، وقد ضعف حزب توده إلى حد كبير فى عصر الانقلاب مع وجود النفوذ الذى كان له فى الجيش (القوات المسلحة) ، وفى الوقت نفسه فإن عدم التنسيق فى نضاله والنزاعات الداخلية المصحوبة بالاختلافات الأيديولوجية قد أثر كثيراً على أنشطة ذلك الحزب [٤١]، وباستقرار حكومة زاهدى وزيادة شوكة سلطة الشاه فرَّ الأفراد القياديون ورؤساء حزب توده من إيران أو سجنوا أو تم إعدامهم ، كما أن عدداً كبيراً من أنصار توده الذين انشقوا على الحزب قد توقفوا عن الأنشطة الحزبية و انضموا إلى الحكومة ، ومع تشكيل السافاك انضم عدد كبير منهم كجواسيس للمنظمة الأمنية ، ومع هذا كله فقد لحقت ضربة كبرى وقاضية بهم عندما عُرفت شبكة أعضاء حزب توده فى القوات المسلحة فى صيف عام ١٣٣٣ هـ . ش (١٩٥٤)، وحوكم منهم عدد كبير وحُبس زعماؤهم أو أعدموا [٤٢] ، وقد كانت معرفة الشبكة المذكورة على هذا النحو فى ٢١ مرداد عام ١٣٣٣ ش (١٩٥٤)، وقبض على (النقيب عباس) بعد أن اشتُبه فيه حينما كان يريد السفر إلى إحدى المدن فى محطة السكة الحديد وضبطت بحوزته حقيبة سفر كانت تحوى عدداً من المستندات الرئيسية للتشكيل الداخلى لحزب توده .

(*) مثل احتكار القطن ، والبترول ، والفحم . (المترجم)

وقد اعترف النقيب عباس أثناء التحقيق الذى أجرى معه فى الإدارة العسكرية بطهران بجميع أسرار حزب توده : خاصةً التخطيط العسكرى للحزب الذى كان يعمل بشكل سرى فى القوات المسلحة ، وبهذا الشكل تكشفت الشبكة العسكرية لحزب توده [٤٣] ، ولاشك أن أسماء أصحاب المناصب فى هذه الشبكة والذين وصل عددهم إلى ٢٥٠٠ شخص لم تظهر آنذاك ، وأن مجموعة الضباط الذين وصل عددهم إلى ٧٠٠ ضابط هم الذين كُشفت أسماؤهم .

منذ الأيام الأولى لإلقاء القبض على هؤلاء الأفراد نقلوا إلى السجون عارين من الملابس وخضعوا للتعذيب ، فاعترفوا بجميع أسرار المنظمة الحزبية ، ليس هذا فقط بل وأصبحوا مستعدين للتعاون والقيام بأية خدمة تخص النظام . إن كثيراً من الأعضاء العسكريين لحزب توده قد لعبوا دوراً مهمًا فى الساڤاك ، حتى وصل بعض منهم إلى مناصب رفيعة . [٤٤]

وكانت الجبهة الشعبية هى الجماعة الثانية الرئيسية المعارضة للنظام التى آزرت قيادة الدكتور محمد مصدق فى حركة تأميم صناعة البترول وذلك بالتعاون مع القوى الدينية ، ولم تتورع الدولة فى حربها مع هذه الجماعة أن تسلك أية وسيلة متعنتة فى سبيل هدفها ، فاستخدمت معها وسيلة السيطرة والإشراف الإلزامى ، وبعد انقلاب ٢٨ مرداد ألقى القبض على أعضاء الجبهة الشعبية بواسطة الإدارة العسكرية وحوكموا وسجنوا [٤٥] ، ثم تم الإفراج عنهم بعد ذلك ، وقد راقب النظام البهلوى الديكتاتورى أعمال هذه الجماعة ، وحاصرهم بالمراقبة الشديدة والسيطرة عليهم ، وكان أعضاء الجبهة الشعبية ضمن ذلك يسعون للمحافظة على توجهاتهم السياسية ، وقد خطوا خطوات فى سبيل رسم التوجه السياسى والاجتماعى لإيران [٤٦] .

أما الفئة الثالثة الرئيسية التى ظهرت بعد أن قضى النظام على حزب توده والجبهة الشعبية فكانت منحصرة فى زعماء الشيعة والجماعات الدينية ، وقد سعى الشاه أن يستفيد من الشعبية الكبيرة لهذه الجماعات باتباع سياسة المهادنة والمصالحة من خلال إبداء المحبة تجاه شخصية الزعيم الروحى للتشيع (آية الله بروجردى) .

وقد حاول الشاه فى مجال آخر فيما يتعلق برجال الدين أن يستخدم هذا السلاح نفسه ، ومهما يكن من أمر فإن الشاه فى السنوات الأولى بعد الانقلاب المذكور لم ير

معارضة علنية من قبل هذه الجماعة ، ولكن بظهور الإمام الخمينى وأنصاره تراجعت سياسة الشاه بالفعل فى مجال رجال الدين ، وكانت نفس هذه القوى الرئيسية التى تزعمها الإمام الخمينى (المرجع الأعظم) للشيعة ، مع الاعتماد على الدور العظيم للشعب الإيرانى الذى أدى إلى الثورة الإسلامية وقضى على الحكومة البهلوية فى بهمن ١٣٥٧ ش (١٩٧٨) .

وفضلاً عن الزعامة الشيعية فإن النظام قد قام بسحق الجماعات الدينية ، وكان «فدائيو الإسلام» إحدى هذه الجماعات التى تعرضت للقمع منها فى عام ١٣٣٤ ش (١٩٥٥م) ، بطريقة تنطوى على النذالة والخسة . كانت جماعة فدائيى الإسلام قد تكونت فى أوائل عام ١٣٢٠ ش ، ودعت إلى تطبيق الأحكام الإسلامية وسعت منذ بداية نشاطها تحت رئاسة الشهيد نواب صفوى إلى القضاء على جذور الفساد والعوامل المرتبطة مثل الكسروية والأصل العريق المزعوم ، وتنفيذ أحكام الإسلام السامية والحيلولة دون الانحراف به عن الجادة .[٤٧]

وقد خضع فدائيو الإسلام لمراقبة الإدارة العسكرية والشرطية عقب المحاولة الفاشلة لقتل رئيس الوزراء فى عام ١٣٣٤ ش (١٩٥٥م) وقد بذلت القيادة العسكرية والشرطية جهوداً فائقة فى سبيل العثور على نواب صفوى وأنصاره ، وفى النهاية وبعد أسبوع واحد تم إلقاء القبض على نواب صفوى وأحد أنصاره - اللذين كانا يختبئان فى منزل حميد ذو القدر - بواسطة قوات الأمن ، وتم نقلهما إلى إدارة الأمن ، وبعد عدة أيام تم إلقاء القبض على عدد آخر من مساعدى نواب بواسطة قوات الأمن المذكورة ، وقد تعرضوا للتعذيب ، وقد صدر الحكم بالإعدام على نواب وعدد آخر من مساعديه بعد شهر واحد من تشكيل محكمة عسكرية لهم ، شكلت بشكل سرى تام ، وفى عام ١٣٣٤ ش . أعدموا رمياً بالرصاص [٤٨] .

وتملك الخوف والرعب نظام الشاه خشية القوات المتبقية على الرغم من القضاء على أكثر القوات المعارضة ، مما أثار جوا من الفزع فى البلاد ، كما أن بقاء الحكم العسكرى لم يعد أمرا ممكنا ، وعلاوة على افتضاح الإدارة العسكرية فى تولى الأمور والمهام المخولة لها من ناحية ، وضرورة وجود انسجام وتنسيق بين مراكز الأمن والاستخبارات من ناحية أخرى ، فقد كان هذا باعثًا لأمريكا أن تقترح على الشاه

تشكيل منظمة الأمن والاستخبارات ، وقد تضمن هذا الاقتراح شعبتين : واحدة للأمن الداخلى ، والأخرى للاستخبارات الخارجية وهما على غرار منظمتى (FBI) و (CIA) الأمريكيتين، ورفض الشاه فكرة إنشاء مركزين منفصلين ، ووافق فقط على منظمة واحدة ذات تنسيق واحد للاستخبارات والأمن (٤٩) .

وفى عام ١٣٣٥ش (١٩٥٦) نشر فى الصحف خبر فحواه إنشاء السافاك ، وأعلن هذا الخبر أن تأسيس المنظمة الأمنية قد تم بموافقة الحكومة وأن مساعدى منظمة الأمن قد باشروا عملهم منذ اليوم السابق . إن تأسيس المنظمة المذكورة لم يكن فى حاجة لإذن أو موافقة من قبل المجلسين لأنه ليس إلا إدارة عامة والإذن بتشكيلها منوط بالحكومة ، غير أن هذه الإدارة كانت فى حاجة للسلطات التى لا تمنح إلا عن طريق القانون والمجلسين .(٥٠)

وبدأت منظمة السافاك برئاسة تيمور بختيار نشاطها رسميًا منذ أوائل سنة ١٣٣٦ ش، ١٩٥٧م بعد الموافقة على لائحتها فى مجلس الشيوخ ومجلس الشورى .

٢- الموافقة على قانون تأسيس السافاك :

أرسلت لائحة تأسيس السافاك إلى مجلس (الشيوخ) بعد الموافقة عليها من هيئة الدولة ، وقد خضعت هذه اللائحة للبحث لأول مرة فى جلسة رقم (٢٠٧) من جلسات مجلس الشيوخ ووفِق عليها على الرغم من اعتراض بعض النواب على ما جاء بها من قوانين ، وفى هذه الجلسة عارض شخصان من النواب بشدة هذه اللائحة المذكورة ، وكان السيد خواجه نورى أحد النواب المعترضين على اللائحة و وصف هذا القانون بأنه ظالم ، وقال : «وهو فى نظرى أظلم قانون وضعته الحكومة » (٥١) .

وقد ذكر السيد (نورى) مشيراً إلى الظلم والتجاوزات العديدة التى تحدث من جانب العاملين العسكريين بسبب هذا القانون ، ووضح أن القانون المذكور كان باعثًا على حرمان الناس من جميع الحقوق الديمقراطية ، وذكر أيضا : (أطلب منكم أن تنتبهوا إلى أى قانون تقرونه ، ففى نظرى أن هذا القانون سوف يحرم معظم الشعب من جميع الحقوق الديمقراطية التى له ، وفقا لطبيعة هذا القانون) (٥٢) ، وفى رد وزير العدل فى ذلك الوقت (السيد جلشائيان) على السيد نورى ودفاعه عن اللائحة المذكورة اعتبر أن تصريحات نورى ناتجة عن فكره المتَصلب والجامد ، ثم واصل حديثه

قائلاً : نحن لم نأت بجديد ولم نبتكر قانونًا جديداً ، ولم نفعل أى أمر جديد، ولا نريد أن نظلم أحدا، واليوم فإن هذه المواد التى تضمنتها هذه اللائحة (أو القانون) لو رجعتم إلى قانون الثواب والعقاب فى القضاء سواء العام أو فى الجيش ستجدون أن هذه القوانين قد وافق عليها مجلس أو مجلسان معًا وأنها تُنفذ منذ فترة طويلة ولسنوات ، وأنها من بين قوانين القضاء فى الجيش [٥٣] . وقد واصل وزير العدل دفاعه وتصريحاته ورد ادعاء نورى بظلم القانون ومعارضته للديمقراطية والحرب ووصف القانون بأنه غير ظالم ، وقد ذكر القائد العام (أمير احمدى) فى الدفاع عن اللائحة مشيرا إلى الأحداث المؤسفة التى عرضت فى الماضى أمن الدولة للخطر ، وأن قانون تنظيم الساڤاك ما سُنّ إلاّ من أجل منع هذه الأحداث المؤسفة و الأحداث المرفوضة ، أو على حد قوله (*لا يوجد فى هذه اللائحة التى تقدمت بها الحكومة أى* غرض سوى منع هذه الأحداث المؤسفة والمرفوضة) .

فإن سلمت الدولة إدارتها للجيش والعسكريين فالهدف أن تدار إدارة حسنة وأنها تعتبر أن أولئك أقدر وأفضل فى هذا الأمر [٥٤] ، وقد قرأ السيد نورى شعراً بعد أن استمع لكلمات القائد أمير احمدى دفاعًا عن وجهة نظره فى معارضة هذه اللائحة ، وكان يوضح الهدف الأساسى للدولة من إنشاء الساڤاك :

« سمعت أن عظيمًا خلّص خروفًا من قبضة الذئب

ووقت المساء أراد ذبحه ،فأنّت روح الخروف منه

قائلة : لقد خلّصتنى من الذئب ولكن فى النهاية كنت أنت ذئبى »

وبعد ذلك ذكر جمال إمامى أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى معارضته للائحة المذكورة ضمن إشارة إلى حديث أمير احمدى بأن القانون المذكور ليس فقط لا يحافظ على الأمن والنظام بل إن مثل هذه القوانين باعثة على هذه الأحداث ، وواصل جمال إمامى حديثه بقوله :«*اليوم يجب أن نبذل قصارى جهدنا لكى نُرضى الشعب فلا نثيره* حتى لا يتجاوز حدوده، ونحن نعتبر أن أفراد شعب إيران ليسوا مجرمين بطبعهم ، ولكن إنْ رأوا السكين قد اقترب من رقابهم فإنهم يثورون ، فأبعدوا السكين عن رقابهم» [٥٥] . وفى السنوات التالية ثبت بالفعل صدق كلام جمال إمامى ، وأن الظلم

والجرائم العديدة التى ارتكبها النظام فى حق الشعب كانت بمثابة السكين التى وصلت إلى رقاب الشعب على حد قول (جمال إمامى) ، وقد ثارت جميع طبقات الشعب ضد الشاه وخلعت الحكومة البهلوية الملكية .

وبعد كلمات جمال إمامى قام وزير الحربية القائد وثوق يدافع عن لائحة تشكيل المنظمة الأمنية ، وذكر أن لائحة تشكيل الساڤاك تنسجم مع القوانين الموجودة ، و أن هذه اللائحة عبارة عن تلك القوانين الموجودة التى كانت تعمل فى ظل عدة أجهزة مختلفة ، لتعمل الآن فى جهاز واحد ، وأننا لم نخترع شيئًا جديداً، وأن هذا التنظيم يُعمل به فى أنحاء العالم ، وبهذا التنظيم الفعلى فإن الإدارة السياسية للشرطة تقوم بعمل واحد ، والركن ٢ فى الجيش يقوم بعمل واحد ، فالإدارات المختلفة تؤدى أعمالاً هدفنا هو أن تتمركز هذه الإدارات من أجل الأمن الداخلى والخارجى للدولة .[٥٦]

وقد تمت الموافقة على اللائحة على الرغم من اعتراض النواب المذكورين ، ومن أجل مزيد من البحث تم الرجوع إلى اللجنة رقم ١ التى كانت المسئولة عن بحث اللائحة المذكورة ، وقد طرحت اللائحة بعد البحث الثانى فى لجنة بالجلسة ٢٣١ من مجلس (الشيوخ) للمرة الثانية .

وفى هذه الجلسة أبدى السيد نورى معارضته مرة أخرى وأشار فى بحثه إلى موضوع جدير بالإشارة ، وهو أن تلك اللائحة المذكورة تتمتع بتأييد قوى أو على حد قوله :(هناك سياسة قوية للغاية فى مناصرتها) [٥٧]، وقال فى القسم الآخر من حديثه : (إن هذه اللائحة فى رأيى أشد مئة مرة من سابقتها وأن هناك سياسة عليا تعاضدها . وقد أدركنا هذا الموضوع فى الجلسات) .[٥٨]

وواصل السيد نورى مشيرا إلى الظلم والتجاوزات التى يمكن أن تحدث فى ظل هذا القانون ، وطالب بإيجاد منظمة لتمنع ظلم الموظفين وإجحافهم تجاه الشعب ، واعتبر أن مثل قانون تأسيس الساڤاك هو قانون الحكومة العسكرية نفسه بل أشد ، مع الفارق أن قانون الحكومة العسكرية محدود ولمدة محددة وفى أماكن معينة ، وأن هذا القانون ليس له مدة محددة ولكل إيران .[٥٩]

وتحدث (إمام قا آنى) نائب آخر من النواب فى مجلس الشيوخ عن معارضته للقانون المذكور الذى ننقل منه فى هذا المقام أجزاء من كلماته : (لست أعترض على قانون الأمن الاجتماعى ولا أظن أن هناك أحداً يعارض الأمن الاجتماعى للدولة ، خاصة فى هذا الوقت الحساس والمتوتر لمنطقة الشرق الأوسط ، وأعتقد أن الدولة والشعب متنبهان لهذا ، وهما يحاربان معًا المفسدين والعناصر غير المرغوب فيها ، ومهما أعلنت الدولة مراراً أن المفسدين قد عاثوا فسادا ولهذا أوافقها على أى قانون حتى ولو كان شديداً ، شريطة أن ينفذ بالعدل [٦٠]، فجميع الثورات قد حدثت فى العالم بسبب كبت الشعوب ، ولكن لا يزال الوعى الاجتماعى لم يصل إلى هذا الحد حتى يحترم الموظفون وظائفهم ، ولا يتجاوزوا على حقوق الشعب ويعتدوا عليها ، وليست مصلحة المملكة فى مثل هذا القانون غير العادى الذى يثير استياء الشعب ، وينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن خطر استياء الشعب أسوأ من خطر المفسدين ومن جيش العدو) .[٦١]

وواصل كلامه معتبرا أن الحكومة العسكرية أفضل من الساڤاك واعتبره يعارض القواعد والقوانين الأساسية وينافى صلاح المملكة .

وبرغم وجود التصريحات المنطقية والمؤكدة لمعارضى اللائحة إلا أنه بسبب الضغط الأمريكى والشاه والدولة على النواب – وُوُفق على قانون الساڤاك بأغلبية الآراء ، وبعد ذلك طرح القرار فى مجلس الشورى بالتفصيل ، و ووفق عليه بدون أى اعتراض وبدأ جهاز الأمن نشاطه رسميًا برئاسة تيمور بختيار الذى تولى قبل ذلك الإدارة العسكرية فى طهران ، وأباح طيلة حياته الظلم والجرائم المتعددة باسم تأمين الشعب الإيرانى .

الفصل الثانى

أسباب تشكيل الساڤاك وأهدافه

كان وراء تشكيل الساڤاك أسباب متعددة، والتى من بينها الافتضاح الصارخ للإدارة العسكرية وأساليبها ، ووجود اختلاف بين مسئولى الدولة فى وجود الحرية أو استمرار الحكومة العسكرية ، والحاجة إلى جهاز جاسوسى أكثر تنظيما من (الركن ٢) فى الجيش والشرطة [٦٢] .

ولكن يمكننا أن نعتبر أن السبب الرئيسى والهدف الحقيقى من تشكيل الساڤاك هو المحافظة على الأمن واستمرار النظام البهلوى ، كما أن مادة قانون تشكيل الساڤاك توضح الهدف من تأسيس تلك المنظمة (من أجل المحافظة على أمن الدولة ومنع أى مؤامرة تضر المصالح العامة) ، ويرأس النظام الأمنى والاستخبار فى الدولة رئيس الوزراء ، ويعاون رئيس الساڤاك رئيس الوزراء ويعين بأمر من جلالة الملك نفسه [٦٣] .

ومع الاهتمام بالهدف المذكور فإن جهاز الساڤاك قد وُضع بتخطيط أمريكى من أجل خلق نظام ديكتاتورى أكثر ثباتًا ، والذى فى ظله تحافظ أمريكا على مصالحها فى إيران ومنطقة الشرق الأوسط . كان قسم الأمن الداخلى فى الساڤاك (المعروف باسم الإدارة العامة الثالثة) أهم قسم فى كل هذا الجهاز الرهيب حتى إنه وضع تحت المراقبة كل الجماعات والمنظمات المعارضة،مثل :حزب توده ، والجبهة الشعبية ، وجمعية رجال الدين ، وأيضًا الأفكار العامة والمراكز الجماعية مثل الجامعات والمعاهد و...إلخ .

وقد اتسم الدور الداخلى للساڤاك أكثر من مجرد الكبت وأعمال الضغط ، وفى مثل هذا المجتمع الذى كان النظام فيه قد منع أى نوع من حرية التعبير ... فلا مناص من أن النظام نفسه قد اضطُر أن يحافظ على الحرية بشكل ظاهرى ، وأن

يجمع عن طريق البوليس السرى نفسه المعلومات حول مشاعر الناس ، وقد حاول السافاك طيلة وجوده أن يُخفق أية مؤامرة في مهدها ضد حكم الشاه ، ولكن الأحداث الأخيرة أثبتت عجزه عن ذلك . وعلاوة على الهدف الأصلي - وهو المحافظة على استقرار النظام الديكتاتورى البهلوى - يمكن أن نذكر أهدافا أخرى والتى كانت فى سبيل الهدف المذكور لتأسيس السافاك :

١- محاربة الشيوعية .

٢- تأمين مصالح الاستعمار فى إيران والشرق الأوسط وأيضًا المحافظة على مصالح البلاط والرأسماليين .

٣ - نشر الثقافة الاستعمارية ومحو الثقافة الثورية المعادية للإمبريالية .

٤ - الحاجة إلى جهاز استخبارى أمنى مناسب .

١- محاربة الشيوعية :

أصبح الاتحاد السوفيتى بعد الحرب العالمية الثانية العدوَ الأصلى لأمريكا، وأثناء الحرب العالمية الثانية شُغل باحتلال دول أوروبا الشرقية والسيطرة على الحكومات الشيوعية فيها، وفى هذا المنعطف تعرضت الدول الأخرى المجاورة إلى الغزو الشيوعى ، وقد تعرضت لهذا إيران ؛ لأنها كانت الجار الجنوبى لروسيا وارتبطت فى حدودها مع تلك الدولة ، ولهذا فإن أمريكا منذ السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية قامت بوقف التحركات الشيوعية فى إيران ، وكان التدخل الأمريكى فى أحداث أذربيجان والأحداث التى أعقبت ذلك مثل خروج روسيا من الأراضى الإيرانية (اتفاقية ترومن) دليلاً واضحًا على أهمية إيران الاستراتيجية بالنسبة لأمريكا والدول الغربية الأخرى ، وفى الوقت نفسه كان يعد طرح موضوع الخطر الشيوعى بمثابة أداة فى يد أمريكا والدول الرأسمالية للتدخل فى شؤون الشعوب وسحق حركاتها ، وقد تمخضت هذه الحجة ، والحملات الدعائية عن نتائج ومنافع عديدة للإمبريالية الأمريكية فى دول الشرق الأوسط ومن بينها إيران ، وذلك بسبب أن أهل هذه المنطقة عمومًا كانوا من المسلمين ، فكان العداء ومعارضة الشيوعية و الماركسية أمرًا طبيعيًا مما أنجح

سياستهم بسبب هذه الحجة ، وبذلك أمكنهم استغلال تأييد الشعب ضد المناضلين والمعارضين للحكومات العميلة (٦٤) .

وعمدت أمريكا في سياق هذه الحملة الدعائية نفسها - وأعنى بها إبراز موضوع الخطر الشيوعى - إلى وضع الخطة التى يتم على أساسها إقامة منظمة للأمن فى إيران ، وقد ذكر الشاه فى كتاب (باسخ به تاريخ) أو « إجابة للتاريخ » السبب فى تأسيس السافاك (هو محاربة الأعمال التخريبية للشيوعية)(٦٥) و (إنهاء الأنشطة الحزبية التى تمارس فى الداخل والخارج) (٦٦) ، والتى كانت مخربة لإيران .

وبناءً على هذا استطاعت أمريكا أن تستفيد جيدا من الخطر الشيوعي وضرورة الكفاح ضده ، ومهدت السبيل إلى نشر الثقافة الرأسمالية لكى تنهب إيران، وفى ظلها الثروات العظيمة لشعب هذه الدولة ، وتحافظ على مصالحها الحيوية فى الشرق الأوسط وخاصة فى خليج فارس ، وفى الواقع فإن طرح موضوع خطر الشيوعية فى ذلك الوقت هو نوع من نشر التوجهات السياسية والعسكرية والاقتصادية الأمريكية فى إيران ودول المنطقة .

٢ _ المحافظة على مصالح الاستعمار في إيران والشرق الأوسط ، والمحافظة كذلك على مصالح البلاط والرأسماليين :

وكان تأمين مصالح الإمبريالية والبلاط والإقطاعيين هدفًا آخر من أهداف السافاك ، ذلك الجهاز الذى كان يرى أن الزعامة الدينية فى المثقفين المناضلين والعمال والفلاحين مانعا وحجر عثرة فى سبيل تحقيق أهدافه ، وقد كانت مصالح الجماعة الأخيرة تتعارض مع مصالح الاستعمار الأجنبى وموظفى النظام سواء فى الأبعاد المادية أو فى الأبعاد المعنوية .

لهذا كان سحق هذه الجماعات والجماعات المناضلة الشعبية الأخرى من المهام الرئيسية للسافاك ، واتفق السافاك والشرطة والجيش على الأهداف ، فكان له نفوذ فى أجهزة الحكومة ووسع شبكاته المتعددة فى المدن الكبرى والصغرى ، وكان له نفوذ كذلك فى المصانع والشركات وتغلغل داخلها فأحدث هذا جواً من الرعب والرهبة وسط الناس ، مما خلق نوعًا من الكبت والاختناق حتى يحفظ الأمن بهذه الوسيلة داخل الدولة (٦٧) .

لقد أجبر الاختلافُ في المصالح – بين النظام والشعب – النظامَ البهلوى أن يستعين بالحكم العسكرى ، ولما أن الاستعانة بهذه الوسيلة لم تكن كافية فقد اتجه إلى منظمة أكثر تطوراً وتكاملاً ؛ حتى يستطيع أن يحافظ على مصالح البلاط والرأسمالية بشكل أفضل .

وفى الواقع فإن هدف الإمبريالية على المدى البعيد هو تهيئة الظروف المناسبة لاستمرار الهيمنة من جميع الجوانب ، التى يمكن من خلالها السيطرة على الشعب بمساعدة الرجعيين داخل البلاد ولكى تنهب رأس مالهم بشتى الطرق ، وقد ارتبط السافاك من أجل تحقيق الأهداف الاستعمارية (٦٨) بشكل دائم بالمنظمات الجاسوسية (سيا و الموساد و المنظمات الجاسوسية فى منطقة تركيا وباكستان) .

٣ – نشر الفكر الاستعمارى ومحو الفكر الثورى المعادى للاستعمار :

وقد سعت أمريكا من أجل المحافظة على مصالحها إلى القضاء على ثقافة الشعب العريقة فى المنطقة ونشر ثقافتها بدلا منها ، كما أن القضاء على الثقافة القومية المذهبية المعادية للاستعمار بعد انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش . (١٩٥٣م) قد استمر إلى سنوات اتسمت بالرعب والمراقبة وكان مؤشراً على غزو (سيا) والمنظمات الجاسوسية الأخرى وسيطرتها على الشعب وتغلبها على القواعد الدينية والقومية والثورية العريقة فى المجتمع (٦٩) ، وقد تكفل السافاك فى الدولة فى سبيل هذا الهدف بمهمة ترويج الثقافة المعادية للاستعمار والثورية وسعى إلى نشر الثقافة المتحررة والاستعمارية ، وحاول الغرب – وخاصة أمريكا – أن تهزم الثقافةُ الاستعمارية الحديثة جميعَ القوى الداخلية والخارجية ، وذلك بنشر الأفكار الثقافية المتحررة والاستهلاكية فى الدول الإسلامية ومن بينها إيران مع التعاون مع الدول والمنظمات الجاسوسية فى تدمير الثقافة القومية والمذهبية للشعب .

وقام السافاك فى إيران بدور مهم فى هذا المجال .

إلا أن ثقافة محاربة الظلم والكفاح فى سبيل المحافظة على الإسلام والثقافة الإسلامية فى مذهب التشيع كان حجر عثرة أمام نجاح السافاك والنظام فى هذا المجال .

٤- الحاجة إلى جهاز استخبارى وأمنى متوازن :

قبل تأسيس السافاك ، والركن ٢ فى الجيش ، وإدارة المباحث فى الشرطة ، والإدارة العسكرية فى طهران - تعهدت هذه الجهات بمهمة الحفاظ على الأمن وكشف القوى المعارضة والقضاء عليها .

ولكن كان لا يزال عدم التعاون المشترك والمنظم بين هذه المراكز موجودا ، وبناء على هذا كان يبدو إيجاد تشكيلات متعاونة ومنتشرة فى سبيل المحافظة على الأمن وتثبيت النظام وتأمين مصالح الاستعمار الأمريكى أمراً ضرورياً للغاية . وقد أكد وزراء الحربية والعدل والداخلية أثناء طرح وبحث قانون إنشاء السافاك فى مجلس الشيوخ على هذا الأمر ، وهو أن السافاك وقانون إنشائه فى الواقع ليس أمراً جديداً بل هو تجميع للقوانين ودمج القوانين المتفرقة للأجهزة المتعددة (٧٠) ، وأن الهدف من إنشاء السافاك هو تحقيق الانسجام التام بين الأجهزة الأمنية والاستخبارية من أجل التحقيق فى الجرائم التى تحدث بموجب القوانين الموجودة (٧١) .

ولا شك أنه بعد تأسيس السافاك والمراكز المذكورة وكذلك المراكز الأخرى التى ظهرت بعد ذلك فإن تلك المراكز ظلت محافظة على وجودها ، وذلك استجابة لرغبة الشاه فى تنفيذ النظام الإدارى المتعدد والحصول على المعلومات من خلال القنوات المختلفة (٧٢) ، وكان السافاك أهم وأكبر مراكز الاستخبار والأمن فى الدولة ، كما أن الشاه وفردوست قد تعهدا بدور كبير فى التنسيق بين المراكز المذكورة .

الفصل الثالث

دور سيا والموساد وراء ظهور الساڤاك وانتشاره

١- أمريكا وسيا والساڤاك :

ارتبط الساڤاك منذ ظهوره ارتباطًا وثيقًا بمنظمتين جاسوسيتين عالميتين هما "سيا" ثم الموساد ، وقد دخلت أمريكا بعد انقلاب ٢٨ مرداد بكل ثقلها المسرح السياسى الإيرانى ، وقد حرص الأمريكيون بعد أن وطّدوا الحكومة الديكتاتورية فى إيران على أن يتخذوا من هذه الدولة قاعدة رئيسية لهم فى المنطقة [٧٣] ، وسعت الحكومة الأمريكية من خلال نفوذها فى المراكز الاستخبارية والأمنية أن توسّع نفوذها فى دول المنطقة ومن بينها إيران ، لهذا قامت أولاً بتأسيس مركز ضد استخبارات الجيش ، الذى كان يشكل لهم أهمية كبرى ، وقد أسسوا بعد جهد كبير مراكز ضد التجسس المركزى ، وضد التجسس على القوات الثلاثية (البرية والبحرية والجوية) ووحداتها ، واختاروا تاج بخش لرئاسة الجهاز للعمل ضد الاستخبارات لكونه مواليًا لسياستهم [٧٤] .

وبسبب أهمية هذا الجهاز لأمريكا فقد قدم الأمريكيون مساعدات كثيرة للمحافظة عليه وتقويته ، وقد اقترحت أمريكا بعد تشغيل المركز المضاد للتجسس التابع للجيش مع تنامى نفوذها فى إيران - اقترحت على الشاه مشروع تأسيس الساڤاك فى سنة ١٣٣٥ ش (١٩٥٦)، كما سافر القائد العسكرى فى طهران (تيمور بختيار) قبل تأسيس الساڤاك إلى أمريكا للتباحث والتشاور مع المسئولين الأمريكيين وبحث كيفية عمل منظمة الاستخبار الخارجية (CIA) وجهاز الأمن الداخلى (FBI) .

مهما يكن من أمر دور أمريكا (فى التعليم والتوجيه) من أجل تأسيس الساڤاك حتى تؤسس منظمة مؤثرة للاستخبار ، لكن كما قلنا فإن الشاه قد رفض اقتراح

أمريكا تأسيس جهازين منفصلين (للأمن الداخلى) و (الاستخبار الخارجى) على غرار (إف بى آى) وسيا ، ووافق على تأسيس منظمة واحدة للاستخبار والأمن المركزى [٧٥] .

وقد احتاجت إيران إلى نظام استخبارى وأمنى قوى باعتبارها المعقل الأساسى لأمريكا فى المنطقة .

علاوة على أن روسيا - الجار الشمالى لإيران ومنافس أمريكا الرئيسى - قد هددت المصالح الأمريكية ، وإن تأسيس السافاك فى إيران عن طريق أمريكا وانتشاره قد أمّن نفوذها الكامل فى إيران والمنطقة وعمّق التغلغل فى إيران ، وكما سبق فإن تأسيس السافاك قد تم بمساعدة أمريكا وإشرافها [٧٦] .

والجدير بالاهتمام أنه ليس فقط قد لعب جهاز التجسس الأمريكى الخارجى أو "سيا" دورا مهما فى هذا الأمر ، بل قدم جهاز الأمن الداخلى (إف بى آى) مساعدات عديدة له. ومع التوسع فى الأنشطة الجاسوسية الخارجية فى إيران ارتبط جهاز الأمن القومى الأمريكى والذى قام بأنشطة فعالة فى مجال الإشراف والتجسس الإلكترونى ارتباطا وثيقًا بالسافاك [٧٧] .

وقد أرسلت أمريكا الفرق إلى طهران لتعليم السافاك وتدريبه حتى تعلم القوى الاستخبارية فى إيران أصول الاستخبار والتجسس. وفى عام ١٣٣٢ ش - ١٩٥٣م. وبعد الانقلاب أتى قائد أحد عمداء الجيش الأمريكى إلى إيران وقد درب قيادة وحدة « بختيار » الاستخباراتية فى الإدارة العسكرية .

وفى عام ١٣٣٤ش -١٩٥٥ حلّت محله مجموعة من كبار المسئولين، جاءت بعده جماعة منظمة تتكون من خمسة ضباط من منظمة سيا إلى إيران وقدمت التدريبات الضرورية لأعضاء السافاك من أجل تطوير الاستخبار لديهم [٧٨] .

وكان المستشارون الأمريكيون فى هذه السنوات يتدخلون فى شؤون السافاك على جميع المستويات ، ويتدخلون أيضا فى الإدارة اليومية للاستخبار بشكل مباشر ، وكما ذكر فقد كان هؤلاء يعلمون موظفى السافاك أموراً ضد التجسس ، ولا شك أن تدريبات السافاك لم تكن على قدر كبير من التطور إذ منحت المفاهيم الأولية للتجسس لكل عامل [٧٩] فى السافاك ، وقد اشتملت هذه التدريبات على دورات فى مجال أصول عمل الاستخبار ، فكان يتعلم ضباط السافاك الفنون الأولية للتجسس

مثل تجنيد العملاء ، والاستفادة من مقر كتابة التقارير ومقار الأمن وأساليب الإشراف والمراقبة والتحقيق والاستجواب والأمن الشخصى ، كما كان يتعلم المحللون فى الاستخبار فى السافاك التكتيكات التحليلية من قبيل كيف يجمعون الأدلة لتحليل طبيعة الأفراد وكيف يميزون مصادر الاستخبار الجديرة بالثقة .

وعلَّم هؤلاء الأعضاء فنون إعداد التقارير وبحث الاستخبارات المختلفة ، وكان يتعلم الجواسيس فى السافاك المهارات فى الأمور السرية والخفية ، وأيضًا التكتيكات التنظيمية وأيضًا مهام وأعمال منظمات الاستخبار فى المعسكر الشرقى(٨٠) .

وتعهد المستشارون الأمريكيون حتى أوائل عام ١٤٣٠ ش-١٩٥١ م. بتدريب العاملين فى السافاك ، وفى هذه السنوات تخلوا عن مكانهم للإسرائيليين والمسئولين فى الموساد ، وكان لسيا والسافاك تعاون محدود فى المجالات الأخرى ، وحافظت هاتان المنظمتان (سيا والسافاك) فى أوائل ١٣٣٠ و ١٣٤٠ ش (١٩٥١-١٩٦١) على توثيق العلاقات بينهما ، وكان لرئيس منظمة سيا فى طهران اتصالات منتظمة مع الشاه ورئيس السافاك وممثل السافاك فى طهران ، وكان السافاك أيضًا مُمَثّل فى أمريكا ، وكان ممثل السافاك فى أمريكا يعمل متذرعا بالعمل الدبلوماسى فى منظمة الأمم المتحدة ، وكان يواصل عمله بشكل منظم فى الاتصال برؤساء منظمة سيا (٨١) ، وقد تبادلت المنظمتان الاستخبارات الجديرة بالاهتمام فى شأن حزب توده .

وقد مدت منظمة سيا السافاك بالمعلومات اللازمة فى شأن دول المنطقة ومن بينها الدول العربية وأفغانستان وروسيا ، وفى المقابل أمد السافاك سيا وأمريكا بالمعلومات المهمة فى شأن أمور المنطقة وأنشطة الجماعات الشيوعية وحزب توده والجماعات المعارضة والمنظمات السياسية فى إيران (٨٢) .

ومع بداية تعاون الموساد مع السافاك تقلصت العلاقات بين سيا والسافاك بدءًا من عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١) . ولكن بدءًا من عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) زاد نشاط سيا فى إيران ، وبدءًا من العام (١٣٥٢= ١٩٧٣) انتقل مركز قيادة سيا فى منطقة الشرق الأوسط إلى إيران ، ومع اختيار ريتشارد هُلمز الرئيس السابق لسيا لسفارة أمريكا فى إيران زاد تواجد أمريكا وسيا فى إيران (٨٣) .

ولكن على الرغم من أن العاملين فى منظمة سيا قد زاد نشاطهم فى إيران ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتنبؤا بمصير الشاه والثورة الإسلامية ، لدرجة أن سيا فى

عام ١٣٥٧ ش(١٩٧٨) قد ذكرت فى تقرير لها أن إيران ليست فى حالة ثورة ، وليست أيضًا فى وضع استعداد للثورة ، حتى أن الشاه يمكن أن يبقى فى عرشه بكل قوة لمدة عشرة أعوام أخرى (٨٤) .

ومع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية فى إيران واحتلال مركز التجسس الأمريكى على يد أنصار الإمام فى عام ش١٣٥٨ (١٩٧٩) انقطعت العلاقات التى تربط (سيا) و(السافاك) ، وانتهى تدخل سيا وأمريكا فى جميع شؤون الدولة .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، انقطعت العلاقات بين الدولتين .

٢ - السافاك والموساد :

بعد احتلال إسرائيل لفلسطين وثقت إيران علاقاتها مع ذلك النظام ، وكانت إيران إحدى الدول الإسلامية التى اعترفت رسميًا فى عام ١٣٢٩ ش (١٩٥٠م) بإسرائيل ، وفى عام ١٣٣٩ ش(١٩٦٠) زادت العلاقة بين الدولتين. وبعد أن تركت فى عام ١٣٣٩ش فرقة سيا (للتدريب على الاستخبار) إيران تعهدت بذلك جماعة من الموساد (منظمة الاستخبار الخارجى الإسرائيلية) لتدريب السافاك .

وقد بقيت هذه الجماعة فى إيران حتى العام ١٣٤٤ ش . وقدمت للسافاك التدريبات اللازمة عوضًا عن منظمة سيا (٨٥) .

وبناء على اقتراح هذه الفرقة تشكلت الإدارة التاسعة (للتحقيق) فى السافاك (٨٦) ، وفى الوقت الذى كانت تقوم فيه جماعة الموساد بالتدريب فإن السافاك والذى تزعمه فردوست قد وضع برنامجا للتدريبات على الاستخبار ، وكان فردوست هذا قد عيَّنه الشاه بلقب القائم مقام من أجل إصلاح منظمة السافاك (٨٧) ، وبالاستعانة بتدريبات سيا والموساد استطاع فردوست أن ينهض بتعليم رجاله .

كما أن وحدة المصالح المشتركة بين إيران وإسرائيل قد حثت أولئك على التعاون الجاد فى الأمور الأمنية ، ويمكن اعتبار أن الهدف الأساسى لإسرائيل وإيران من وراء هذا التعاون هو الإحساس المشترك بين هاتين الدولتين بضرورة إيجاد سياسة متعاونة ضد العرب وافق عليها الإسرائيليون والمسؤلون الإيرانيون .

ولا شك أن العلاقات الإيرانية الإسرائيلية فى هذه السنوات كانت تتم بشكل سرى وخفى ، وقد جاء فى الوثائق - السرية الموجودة فى سفارة أمريكا فى إيران - وهى من بين وثائق خلية التجسس الوثائقى نقلاً عن تورجمن السكرتير الثانى فى هيئة التمثيل الإسرائيلية مايبيِّن حقيقة علاقة إيران وإسرائيل بقوله : (إن أعمال إسرائيل فى إيران كانت فى معظمها سرية) وقال «تورجمن» نفسه : فى الوقت الذى ترغب فيه إسرائيل أن توسع من علاقاتها بإيران فإنها تضع فى الحسبان الوضع الحساس للحكومة الإيرانية - فيما يتعلق بالاعتراف بإسرائيل - مع كثير من الدول العربية ، وبناء على هذا فإنها لا تضغط كثيرا على أن تكون العلاقات علَنية (٨٨) .

وبناء على هذا أيضًا فإن النظام البهلوى على الرغم من اعترافه بإسرائيل على سبيل «الأمر (٨٩) » فإنه لم يكن ليستطيع أن يقوى هذه العلاقات بإسرائيل بشكل علنى ؛ بسبب الوضع الحساس فى المنطقة والعداوة لإسرائيل من قبل الإيرانيين ومسلمى العالم (٩٠) ، ولهذا السبب ومع وجود علاقة إسرائيل فقد تظاهر النظام بعداوته لإسرائيل ، وبدا النظام وكأنه من بين الدول التى كانت تعارض النظام الصهيونى ، وكان يصوِّت فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة ضد إسرائيل على الدوام ، ولكن هذا الأسلوب كان فى الظاهر وليس حقيقيًا عند التقاء إيران بإسرائيل ، وقد جنت إيران وإسرائيل مصالح عديدة من وراء هذا التعاون السرى .

وبتعاون إسرائيل مع إيران حاصرت الأولى بشكل ما العالم العربى ووضعته تحت عينها ، وكذلك لم تشعر إسرائيل قط أنها وحيدة فى الشرق الأوسط (٩١) ، ومن ناحية أخرى فإن إيران قد حظيت هى الأخرى بحماية فائقة من أمريكا وأعوانها ، وكانت تستفيد من الوسائل المتقدمة للاستخبارات الإسرائيلية .

وعلاوة على التعاون الثنائى بين إيران وإسرائيل فى العقدين ١٣٤٠ ، ١٣٥٠ (١٩٦٠،١٩٧٠) فقد انضمتا لمنظمة الاستخبارات التركية فى شكل علاقات رسمية ، وهذا التعاون المشترك الذى اشتهر بالمنظمة الثلاثية (إسرائيل ، إيران ، تركيا) قد توسع إلى تبادل المعلومات أو الاستخبارات فى المجال الخاص بالأنشطة الروسية والدول العربية المبرَّزة فى الشرق الأوسط (٩٢) .

وكان يرسل الإسرائيليون منذ ربيع عام ١٣٥٧ ش . (١٩٧٨) التقارير المنذرة بالخطر في شأن وضع الدولة الإيرانية حتى أن (يورى لوبراى) القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية فى طهران كان يؤكد على أن الشاه لن يتمكن من المحافظة على تاجه وعرشه أكثر من عامين أو ثلاثة .

وهذه التنبؤات لم تحظ بالاهتمام ، وحتى بعد أن تمت هزيمة إسرائيل فى حرب أكتوبر (*) بسبب أن الموساد لم يكن قد استطاع أن يتنبأ بالهجوم المصرى، حتى إن مراكز الاستخبار في أمريكا كانت قد فقدت ثقتها التامة فى الإسرائيليين (٩٣) ، وقد انتهى التعاون بين إسرائيل وإيران والمراكز الجاسوسية للدولتين وذلك مع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية وسقوط الحكومة البهلوية ، حتى إن إيران الإسلامية قد اعتبرت إسرائيل عدوها الأول الأصلى فى المنطقة ، وقامت بمكافحة إسرائيل وذلك من خلال حمايتها للفلسطينيين .

(*) يوم كيبور

الفصل الرابع

تنظيمات الساڤاك

انقسمت منظمة الاستخبارات والأمن (الساڤاك) إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، هى الرئاسة، والإدارات العامة (ساڤاك طهران ، وساڤاك الولايات ، و ساڤاك الأقاليم) كذلك كان للساڤاك مكاتب خارج البلاد . وفى هذا الفصل يتم بحث تنظيمات الساڤاك وفقًا للمعلومات الموجودة. وقد أنشئ الساڤاك فى بداية الأمر على غرار الاستخبارات الخارجية والأمن الداخلى الأمريكى (CIA و FBI) بواسطة الأمريكيين ، وفى عصر حسين فردوست تم تطوير الساڤاك وإصلاحه (٩٤) .

قطاع رئاسة الساڤاك :

كانت منظمة الساڤاك المركزية عبارة عن رئيس الساڤاك ونائب رئيس الساڤاك ورئيس منظمة الاستخبار الخارجى ، والمدير العام ومعاونه ورئيس الإدارة ورئيس القسم ورئيس الدائرة ورئيس الشعبة (٩٥) .

وقد ذكر فردوست فى مذكراته الأقسام التالية فى شأن قطاع الرئاسة :

١- ساڤاك الاستجواب : وكان يحقق مع الإدارات العامة وفروع الساڤاك ومراكزه الممثلة له فى الخارج .

٢- قسم بحث الشكاوى .

٣- المحكمة الإدارية للساڤاك ، التى تعهدت ببحث المخالفات الإدارية .

٤- محكمة الساڤاك الابتدائية .

٥- محكمة الساڤاك للنقض .

٦- قسم الحسابات ، وقد تعهد بمهمة رعاية حسابات الإدارة العامة الثامنة .

٧- الميزانية السرية . ٨- إدارة الحركة .

٩- الإدارة الصحية .[٩٦]

ولكن نموذج منظمة الساڤاك الذى أسس عام ١٣٥٢ ش - ١٩٧٣ م . فقد ورد عن وثائق الساڤاك أن هيئة رئاسة الساڤاك قد شكلت من الشُعَب التالية :

١ - مكتب رئاسة الساڤاك . ٢ - مكتب معاون الساڤاك .

٣ - الصندوق الخاص . ٤ - مستشارو رئيس الساڤاك .

٥ - الكنـــترول . ٦ - التحقيق العام .

٧- سكرتارية شورى الأمن القومى . ٨ - المعاهدات.[٩٧]

ويلاحظ أن جهاز الساڤاك قد حصل على قدر من الوثائق وبعد عامين من خروج فردوست من الساڤاك أصبح هذا الجهاز الأمنى أكثر فاعلية وشأنًا [٩٨] .

الإدارات العامة للساڤاك :

وقد اشتمل الساڤاك فى بداية الأمر على ثمانى إدارات عامة ، أضيـف إليـها بعـد ذلك فى عـصر القـائم بالأعمال حسين فردوسـت الإدارةُ العـامة التـاسعـة (التحقيق) وقد أضيفت بمساعدة الموساد [٩٩] . وقد شكلت الإدارة العامة للتدريب بعد خـروج جماعة الموساد للتدريب فى عام ١٣٤٤ ش ، (١٩٦٥م) وتولت تدريب العاملين بالساڤاك .

وسـوف نبين كل إدارة من الإدارات العـامـة للسـاڤـاك على أسـاس المهـام التى تقلدتها حيث قُسمت إلى عدة إدارات وأقسام ، وفيما يلى نموذج الساڤاك الذى أسس عام ١٣٥٢ ش ، وهاهى وظائف كل إدارة منه وأقسامها المختلفة:

الإدارة العامة الأولى (الأمور الإدارية) :

وقد تعهدت هذه الإدارة بالمهام التالية :

١- تنفيذ الأمور الإدارية المنوطة برئيس الساڤاك ونائبه .

٢- بحث تنظيم ومهام الساڤاك مع أحد المتخصصين والمسؤولين المعينين وحفظها .

٣- إعداد النشريات والنماذج الإدارية والسيطرة على تنفيذها [١٠٠] .

وقد بين فردوست أن الإدارة العامة الأولى تتشكل من إدارة شؤون العاملين وإدارة الاتصالات ، وقسم تشريفات الساقاك [١٠١] ، ولكن نموذج الساقاك فى عام ١٣٥٢ ، (١٩٧٣) اشتمل على الأقسام الآتية :

١- المكتب . ٢- لجنة التوظيف .

٣ - قسم المنظمة المستقل . ٤- الإدارة الأولى (توزيع المراسلات).

٥ - الإدارة الثانية (شؤون العاملين) . ٦- الإدارة الثالثة (الاتصالات) .

٧- الإدارة الرابعة (المشروعات والنشريات) .

٨- الإدارة الخامسة (الاستقبال والتشريفات).

٩- الإدارة السادسة (الكمبيوتر) [١٠٢] .

الإدارة العامة الثانية (جمع الاستخبارات الأجنبية) :

وقد جاء فى مذكرات فردوست فى شأن الإدارة العامة الثانية : (أن الإدارة العامة الثانية هى إدارة عامة لجمع الاستخبارات الخارجية والتى كانت ترسلها بعد جمع هذه الاستخبارات إلى الإدارة العامة السابعة بعد فحصها) [١٠٣] .

وكانت الإدارة العامة الثانية تجمع المعلومات بوسيلتين :

١- عن طريق قواعد خارج الحدود .

٢- عن طريق تأسيس مقر فى الدولة المقصودة ، وفى الواقع فإن أكثر الاستخبارات كانت تتم من خلال هذا الطريق [١٠٤] .

وقد اضطلعت الإدارة العامة الثانية بالمهام التالية :

١- جمع الأخبار الأجنبية الضرورية من أجل المحافظة على أمن الدولة عن طريق العمليات السرية .

٢- تنفيذ المهمة عن طريق العمليات المباشرة (خارج الحدود) وغير المباشرة (عن طريق الممثلين والمسئولين فى الدولة الهدف) [١٠٥] .

٣- إعداد الأخبار وتأمينها والمستندات المعلنة وفقًا لطلب الإدارات المعنية [١٠٦] .

وكانت تتكون الإدارة العامة الثانية فى شأن المهام المذكورة من الأقسام التالية :

١- المكتب . ٢- قسم النظرية والتعليم المستقل .

٣ - القسم المستقل للعمليات الخاصة. ٤- الإدارات الأولى والثانية والثالثة للعمليات.

٥ - إدارة خارج الحدود .

الإدارة العامة الثالثة (الأمن الداخلي) :

كانت هذه الإدارة أهم قسم للسافاك وكان السافاك عادة يعرف بهذه الإدارة العامة ، فهى تشتمل على أكبر تشكيلات السافاك اتساعًا وكان يشرف عليها رئيس السافاك، وكانت الوظيفة الأساسية له المحافظة على الأمن الداخلى و تأمينه ، وقد اضطلعت فى سبيل هذا الهدف بالمهام التالية :

١- إعداد خطط الاحتياجات الاستخباراتية وتنظيمها على أساس سياسة الدولة العليا وإصدار الأوامر اللازمة وفقًا للعملاء المعينين .

٢- الحصول على الأخبار اللازمة للمحافظة على أمن الدولة .

٣- تفريغ الأخبار المكتسبة وإعداد أبحاث الاستخبارات .

٤- الاستفادة من الأخبار المذكورة من أجل إعداد نتائج الاستخبارات وإعداد الأبحاث للاستخبار وإرسالها إلى المصادر المعنية .

٥- السيطرة على تنفيذ خطط العمليات والإشراف عليها .[١٠٧]

وأيضا تتعهد الإدارة العامة الثالثة بمهمة البحث والكشف والتحقيق فى الأخطاء الواردة فى البند (هـ) من المادة (٢) من قانون تنظيم السافاك ، والتى تهتم بأهداف غير التجسس (من مهام الإدارة العامة السادسة) كعمليات التخريب، وتشمل الأنشطة التالية :

(أ) أعمال التخريب .

(ب) المظاهرات الجماعية التى تهدف إلى الإخلال بالأمن العام .

(جـ) تنظيم أى نوع من التشكيلات والأحزاب السياسية التى لم يُعترف بقانونيتها ، وأيضًا التكتلات التى تهدف إلى معارضة الدستور ومعاداة السلطنة الدستورية .

(د) الدعايات الضارة التى تحدث بهدف زعزعة النظام وأمن الدولة (١٠٨).

وقد تألفت الإدارة العامة الثالثة من الأقسام التالية والتى تعهد كل قسم منها بالمهام الرئيسية فى سبيل تأمين الأمن والمحافظة عليه (١٠٩) :

١- مكتب الإدارة العامة .

٢- قسم التحقيق المستقل .

٣- الإدارة الأولى (العمليات والبحث)، وقد تشكلت من ستة أقسام :

القسم ١- (الأحزاب والجماعات الشيوعية) ، والقسم ٢ - (الأحزاب والجماعات السياسية المتطرفة والمهمشة) ، قسم ٣ - (العرب ، و البلوش و الأهداف الجديدة) ، وقسم ٤ - (الأكراد) ، وقسم ٥ - (التحقيقات ووسائل الإعلام المعادية للماركسية وتبادل الاستخبارات) ، وقسم ٦ - (المبادرة).

٤ ـ الإدارة الثانية (العمليات والبحث) التى تشكلت من أربعة أقسام :

قسم ١ـ (التعليم العالى وجامعة طهران) ، وقسم ٢ ـ (مراكز التعليم فى طهران غير جامعة طهران)، وقسم ٣ ـ (مراكز التعليم العالى للأقاليم)، وقسم ٤ ـ (وزارة التربية والتعليم) .

٥ ـ الإدارة الثالثة (العمليات والبحث) التى تشكلت من الأقسام التالية :

قسم ١ - (ألمانيا الفيدرالية ودول شرق أوروبا)، وقسم ٢ـ (الدول الإسكندنافية وغرب أوروبا)، و قسم ٣ - (أمريكا وكندا)، وقسم ٤- (آسيا ، وأفريقيا ، وأستراليا) .

٦ - الإدارة الرابعة (العمليات والبحث) التى تشكلت من الأقسام التالية :

قسم ١ - (حزب رستاخيز والجمعيات الشعبية المنتخبة) ، و قسم ٢ - (الوزارات والمؤسسات الحكومية والشعبية الحساسة) ، وقسم ٣ - (شؤون الصناعة وأصحاب الحرف) وقسم ٤ - (رجال الدين والمجتمعات والأقليات المذهبية)،

وقسم ٥ - (شؤون الزراعة وتربية الحيوانات والعشائر)، وقسم ٦ - (الصحف والمجلات ووسائل الإعلام) ، وقسم ٧ - (أنواع الاستياء العام والقضايا الاجتماعية والاقتصادية) .

٧ - الإدارة الخامسة (المساندة العملياتية) وتتكون من :

قسم ١ - (النظرية والتعليم) ، وقسم ٢ - (الرقابة)، وقسم ٣ - (المساندة الفنية)، وقسم ٤ - (التحقيق)، وقسم ٥ - (المساندة والاستعداد) .

٨ - الإدارة السادسة (الأرشيف) التى تشمل الأقسام التالية :

قسم ١ - (الفيش وإعداد الملف) ، وقسم ٢ - (الأرشيف)، وقسم ٣ - (بحث وتطبيق الأوصاف) ، وقسم ٤ - (تصفية الملف) .

٩ - الإدارة السابعة (العمليات والبحث) التى تتشكل من الأقسام التالية :

قسم ١ - (قوات المشاة الملكية وجنود الثورة)[*] ، وقسم ٢ -(القوات الجوية والبحرية والأهداف المتعلقة بها) ، وقسم ٣ - (الشرطة وإدارة الأمن والأسلحة الممنوعة) ، و قسم ٤ - (الحرس الملكى ووزارة الحربية وغيرها من الأهداف العسكرية).

(اللجنة المشتركة لمواجهة التخريب :[١١٠]

فى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) أسست الحكومة البهلوية من أجل مواجهة الإرهاب [١١١] ومنع الأعمال المسلحة للجماعات المعارضة ، أسست لجنة مشتركة تابعة للساڤاك والشرطة ضد التخريب والفساد .

وقد أسست الجمعية المذكورة فى الظاهر لزيادة عمل التنظيمات الأمنية بشأن مقاومة الإرهاب والأعمال التخريبية ، ولكن فى الواقع ظهرت الجمعية المذكورة لإنهاء الفوضى الموجودة فى أجهزة أمن الدولة [١١٢] .

(*) لا يعنى بالثورة هنا الثورة الإسلامية ، بل يعنى بها « الثورة البيضاء » التى أعلنها الشاه محمدرضا بهلوى سنة ١٩٦١ وقرر فيها مجموعة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (المراجع).

وفي سنة ١٣٥٢ش (١٩٧٣) وافق الشاه على مقترحات تنظيم جديد للجنة المشتركة كان عبارة عن :

(أ) الجمعية المشتركة لمواجهة للتخريب ، وتشمل ثلاث وحدات هى (كل وحْدة فى إدارة للساڤاك) الاستخبارات ، والتنفيذ ، والمساعدة .

(ب) يجب أن يكون رئيس الجمعية من بين قادة الساڤاك .

(ج) يُعرض على الشاه الموضوعات الخاصة للجمعية المشتركة عن طريق الساڤاك .

(د) كان مقر الجمعية فى إدارة الشرطة ، وكانت النفقات المالية للجمعية تتم عن طريق ميزانية رئيس الوزراء ، وتتم جميع العمليات على نحو مشترك [١١٣] .

الإدارة العامة الرابعة (الحراسة) .

تعهدت الإدارة المذكورة بوظيفة الحراسة الشخصية والأماكن ووثائق الساڤاك ومهمة حراسة الوزارات والإدارات والمؤسسات الحكومية والأهلية [١١٤] وقد شُكلت من الأقسام الآتية :

١- المكتب .

٢ - قسم الأرشيف المستقل .

٣ - قسم البلاط الملكى المستقل

٤ - قسم النظرية والتعليم المستقل

٥ - القسم المستقل للعمليات الخاصة.

٦ - الإدارة الأولى : مراقبة الساڤاك

٧ - الإدارة الثانية : مراقبة الأجهزة الحكومية والشعبية الحساسة .

٨ - الإدارة الثالثة : وحدة الحراس .

٩ - الإدارة الرابعة الوحدة العالمية

١٠ - الإدارة الخامسة : المعتقلات .

١١ - الإدارة السادسة : مساندة عمليات الحراسة [١١٥] .

الإدارة العامة الخامسة (الفنية) :

تعهدت الإدارة الخامسة بمهمة الأمور الفنية وإعداد الوسائل الفنية ومراقبتها ، وقد تشكلت الإدارة السابقة من الأقسام التالية:

١ - المكتب .
٢ - قسم الأبحاث الفنية المستقل .
٣ - قسم الشؤون الفنية المستقل .
٤ - المقر الخاص .
٥ - الإدارتان١-٢ الفنيتان .
٦ - الإدارة ٣ : المراقبة والمتابعة .
٧ - الإدارة ٤ : التنصت و ...... [١١٦]

الإدارة العامة السادسة (الشؤون المالية) :

وكان ينفق على هذه الإدارة من ميزانية السافاك العلنية ، ومنذ تأسيس السافاك كان ينفق على نصفها من ميزانية رئاسة الوزراء والنصف الآخر من ميزانية وزارة الحربية حتى لا تُعرض على المجلس ميزانية باسم السافاك .

وقد شُكلت الإدارة العامة السادسة من الأقسام التالية [١١٧] :

المكتب قسم الإقراض المستقل ، الإدارة الأولى : الحسابات ، الإدارة الثانية : التشغيل والخدمات ، والنادى المبنى ووسائل النقل[١١٨] .

الإدارة العامة السابعة (بحث الاستخبارات الخارجية) :

تعهدت الإدارة العامة السابعة ببحث الاستخبارات المرسلة من الإدارة العامة الثانية ، وبسبب العلاقة المنفصلة لوظائف الإدارة العامة السابعة عن الإدارة العامة الثانية فقد كان تنظيم الجهتين متطابقًا معًا [١١٩] .

كانت تقوم الإدارة المذكورة ببحث الاستخبارات الصادرة عن الإدارة العامة الثانية ، وكذلك بحث الكتب والمجلات والصحف المتعلقة بالدول المرصودة وأخبار الراديو اليومية المرسلة عن طريق وزارة الإعلام آنذاك ، كانت تعد كل شهر تقريراً عن إحدى الدول ، وكانت تبين وضع تلك الدولة [١٢٠] .

وكان يسمى فردوست فى مذكراته الإدارة العامة الثانية والإدارة العامة السابعة (منظمة الاستخبارات الخارجية) ، وكانت الإدارتان المذكورتان تعملان تحت قيادة رئيس واحد ، وتشكلت الإدارة السابعة من الأقسام التالية (١٢١) :

مكتب الإدارة العامة ، والقسم المستقل لتبادل المعلومات، والإدارات الأولى والثانية والثالثة : البحث . والإدارة الرابعة مساعدة البحث (١٢٢) .

الإدارة العامة الثامنة (ضد التجسس) :

لقد ظهرت الإدارة العامة الثامنة منذ بداية تشكيل السافاك عن طريق الأمريكيين، وقد وضعت منظمة السافاك على غرار المنظمة الأمريكية .

وكانت هذه الإدارة من الأهداف الرئيسية للدول الغربية فى السافاك ، وطيلة وجود السافاك فإن رؤساء M16 فى السفارة الإنجليزية وسيا فى السفارة الأمريكية كانوا على اتصال دائم مع السافاك ، وكانوا يجمعون الاستخبارات المفيدة والضرورية، وكانت هذه الإدارة العامة تعمل بشكل مباشر فى المقر ، وعلى المستوى الخارجى فإن بعض السافاك الذين كانت لهم إدارة تعمل ضد أعمال الجاسوسية، وقد تكلفت هذه الإدارة العامة الثامنة بهذه المهام :

١- التعرف على الأجانب والسيطرة على أنشطتهم .

٢ ـ التعرف على المؤسسات والمنظمات الأجنبية القانونية وغير القانونية والسيطرة على أعمالها .

٣ ـ تحديد أهداف الأجانب فى إيران وخططهم وطريقة عملهم من أجل الوصول إلى هذه الأهداف .

٤ ـ كشف شبكات التجسس والأعمال المحظورة بغرض إحباط الأنشطة المذكورة .

٥ كشف الأنشطة الضارة وغير القانونية للأجانب المقيمين فى إيران و إبطالها .

٦ ـ القبض والاستجواب بهدف إعداد ملف مبدئى للجواسيس والعملاء والخونة وإرسال ذلك إلى المسئولين فى القضاء . (١٢٣)

وقد تشكلت الإدارة العامة الثامنة من الأقسام التالية :

المكتب ، والقسم المستقل لشؤون الحدود ، والقسم المستقل للتحقيق ، والإدارة ١ - العمليات والبحث ، والإدارة ٢ - العمليات والبحث ، والإدارة ٣ - مساعدة العمليات ، والإدارة ٤ : المساعدة [١٢٤] .

الإدارة العامة التاسعة (التحقيق) :

تأسست الإدارة المذكورة بمساعدة الإسرائيليين وتدريبهم فى الوقت الذى تولى فيه فردوست كمعاون للرئاسة فى السافاك ، وكانت وظيفة هذه الإدارة التحقيق وبحث سوابق الأفراد ، وكذلك هيئة إدارة السافاك والمنظمات الأخرى حسب رغبة أولئك ، وتشكلت الإدارة العامة التاسعة من الأقسام التالية :

المكتب ، والإدارة الأولى للتحقيق ، والإدارة الثانية للتحقيق ، والإدارة الثالثة للفيش المركزى .

رجال السافاك :

قُسِّم رجال السافاك من حيث التنظيم إلى ثلاث فئات: سافاك الولايات ، وسافاك الأقاليم ، وسافاك طهران .

سافاك الأقاليم والولايات :

كان سافاك الولاية من حيث عدد هيئة الإدارة متناسبًا مع حجم الأنشطة وعدد السكان وعدد سافاك الأقاليم .

ولكن كان كل سافاك ولاية يشتمل على التنظيمات التالية :

- الرئيس
- الوكيل
- المكتب ، الذى يقوم بتولى مهام الإدارات العامة الأولى والسادسة وكذلك شؤون مكتب الرئيس والوكيل .

* كما أن شعبة الأمن هى التى تعهدت بمهمة الإدارة العامة الثالثة ، وكانت ذات شعبتين ؛ الشعبة الأولى : من أجل الأنشطة السرية والضارة ، والشعبة الثانية : من أجل كشف أنواع الاستياء وإعداد التقارير عنها .

* شعبة المراقبة ، التى تعهدت بوظيفة الإدارة العامة الرابعة .

* الشعبة الفنية ، وهى التى تعهدت بوظيفة الإدارة العامة الخامسة .

* شعبة التحقيق ، وهى التى تعهدت بوظيفة الإدارة العامة التاسعة .

* شعبة خارج الحدود فى سافاك الولايات الحدودية ، وهى التى تعهدت بمهام الإدارة العامة الثانية .

* شعبة ضد التجسس وهى التى تأسست فى بعض الولايات وتعهدت بمهام الإدارة العامة الثامنة [١٢٥] .

وكان لسافاك الأقاليم رئيس ومن ٣ إلى ٢ رؤساء للعمليات وعدد من الحراس[١٢٦].

سافاك طهران :

تشكل هذا السافاك من الأقسام التالية :

سافاك مدينة الرى ، وسافاك شميران، والمكتب ، وقسم الأرشيف المستقل ، والإدارة الأولى للعمليات ، والإدارة الثانية للعمليات ، والإدارة الثالثة لإمداد العمليات [١٢٧].

مكاتب التمثيل خارج الدولة :

كانت مكاتب تمثيل السافاك خارج الدولة تتكون من رئيس واحد وموظف واحد .[١٢٨]

كان فى العادة يعمل رؤساء الإدارات التمثيلية خارج الدولة تحت مسمى *الدبلوماسيين الإيرانيين فى السفارات الإيرانية* ، وكانوا يراقبون الطلاب والرعايا الإيرانيين ، وكان السافاك قد أسس عن طريق وزارة الخارجية شبكة كبيرة ، وكان يراقب تحركات الإيرانيين بشكل كامل وكانت وزارة الخارجية ومن يعمل بها المقر الرئيسى للسافاك[١٢٩] ، ويكتب خلعتبرى فى مجال نفوذ السافاك فى وزارة

الخارجية : « سعى الساڤاك دائمًا أن يعمق نفوذه بطرق مختلفة فى كل أقسام وزارة الخارجية ؛ ولهذا السبب كان له موظفون رسميون ، وكان الموظفون السريون وإدارة المراقبة وسفراء الساڤاك والموظفون الأقل مستوى والخبراء فى المجالات المختلفة يقومون بأعمالهم وكان الساڤاك فى كل أنواع التمثيل الدبلوماسى له ما بين موظفيْن أو ثلاثة :

١- كان هناك موظف أو عدد من الموظفين الذين كانوا يرسلون من طهران بعلم وزارة الشؤون الخارجية ، وكان هؤلاء يتسترون وراء وزارة الخارجية ، وكانوا يعتبرون بالنسبة للدول أعضاء رسميين وسياسيين للتمثيل الدبلوماسى .

٢- كان هناك موظف أو عدد من الموظفين السريين غير المعلنين والذين عملوا تحت ستار هذا التمثيل وكان هؤلاء من الموظفين الرسميين (الإداريين أو السياسيين) فى وزارة الشؤون الخارجية الذين تعاونوا بشكل سرى مع الساڤاك ومن الممكن أن يكونوا من الإيرانيين أو الأفراد المحليين للتمثيل المذكور .

٣- كان هناك موظف أو عدد من الموظفين المحليين يعملون فى وظيفة سائق أو خادم (سواء من الإيرانيين أو المحليين)» [١٣٠] .

كان هدف الساڤاك خارج الدولة هو السيطرة على الطلاب والإيرانيين التقدميين خارج البلاد ومن أجل سحق الساڤاك للقوى المعارضة خارج الدولة ، فعلاوة على نشر الشبكات المتعددة وتعميق نفوذه فى السفارات الإيرانية فى دول مثل أمريكا وإنجلترا وغيرها فقد كان له أيضا تعاون مشترك مع بوليس هذه الدول والقوى الاستخبارية والأمنية .[١٣١]

القسم الثانى

السافاك والشاه

وسياسة السيطرة على الحكومة والمجلسين

(مجلس الشيوخ ومجلس الشورى)

والأحزاب الحكومية

مقدمة

علاوة على أن السافاك فرض سيطرته على الجماعات المعارضة ومراقبة أنشطتها ومراقبة الحكومة والأجهزة الحكومية ومجلس الشيوخ ومجلس الشورى وجميع العاملين فى الدولة وحتى الشاه نفسه - كان رؤساء السافاك تحت السيطرة بأمر من الشاه ، وكان يعتقد نصيرى الرئيس الثالث للسافاك - والذى قضى فترة طويلة فى هذا المقام - أنه بأمر من الشاه فإن تليفوناته كانت تُسمع بواسطة (پرويز ثابتى) رئيس الأمن الداخلى ، حتى إنه قد قال لأحد مسئولى السافاك إنه هو نفسه كان يسمع له شرائط مكالماته (١٣٢) .وكان لكل عامل فى المجلسين وموظفى الدولة ملف فى السافاك وكانت سوابق أولئك تحفظ فى هذا الملف ، وكان السافاك يشرف على التوظيف وصلاحية الوظائف للأفراد ، أى أنه كان لابد أن يوافق على صلاحية أولئك الموظفين للعمل وشغل الوظائف .

وقد روعى فى هذا القسم مع بحث دور السافاك فى الدولة والمجلسين (الشيوخ ، والشورى) رُوعى دور السافاك أيضا فى الخطط وبرامج الشاه والدولة ومجلس الشيوخ والشورى .

الفصل الأول

الشاه والسافاك

إن قوات الحلفاء قد أجبروا رضا شاه على الاستقالة بعد احتلال إيران فى الثالث من شهر (شهريور) عام ١٣٢٠ ش ١٩٤١/ م ، ثم نفوه خارج إيران ، وأجلسوا مكانه ولى عهد إيران الشاب . وقد واجه محمد شاه في السنوات الأولى لحكمه مشكلات عديدة .

إن احتلال إيران بواسطة قوات الحلفاء والحركة الانفصالية فى آذربيجان والأحداث التى حدثت عقب ذلك ، وكذلك الفتنة الداخلية ، كل ذلك كان من المشكلات التى زلزلت أساس الحكومة الملكية ، وكان صغر سن الشاه وعدم تجربته قد ضاعف من هذه المشكلات ، كما ضاعفت المشكلات المذكورة من استياء الشعب . فالمظاهرات العديدة والاعتراض العام فى بداية عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١) كان ناتجا عن الاستياء العام ، وكان كل هذا حجر عثرة فى طريق الشاه الشاب ، وكانت محاولة اغتيال الشاه في جامعة طهران فى شهر (بهمن) من عام ١٣٢٧ ش (١٩٤٨) تدل على بلوغ استياء الشعب ضده مداه ، وكان هذا الموضوع باعثًا على عزلته [١٣٣] . وعلاوة على الاستياء الداخلى فإن خطر الشيوعية والاتحاد السوفيتى فى شمال إيران كان يهدد حكومة محمد رضا شاه حتى إنه مع ظهور حزب توده وانتشار أنشطته فى إيران كان هذا الخطر قد زاد ، وعلى المستوى الداخلى وفضلاً عن حزب توده ، فإن قدرة الجبهة الشعبية وظهور الدكتور محمد مصدق فى المجال السياسى فى إيران كان يعد تهديدا ضد حكومة الشاه مما أضعف من قوته .

وفى ظل النضال السياسي للدكتور محمد مصدق أثناء الحركة الشعبية وتأميم صناعة البترول فقد كفَّ أيدى المستعمرين الإنجليز عن المصادر العظيمة لثروة إيران ،

ووسّع من سلطته الخاصة فى السياسة الداخلية وحدّ من صلاحيات الشاه والبلاط ، حتى قام بنفى بعض المقربين من الشاه مثل " أشرف بهلوى " قد نفاها من إيران ، بل إن (مصدق) فى نضاله قد أظهر الشاه عاجزا فى السياسة الداخلية والخارجية للبلاد ، ولم يكن أمام الشاه العاجز والمنعزل آنذاك إلا قبول مطالب مصدق والتوقيع عليها (١٣٤) .

كما أن حكومتى إنجلترا وأمريكا اللتين كانتا تريان أن مصالحهما فى إيران فى خطر - قد عزلتا "مصدق" بمساعدة البلاط والعوامل الداخلية الأخرى فى انقلاب (٢٨ مرداد)، فى انقلاب سبق التخطيط له وأعادوا الشاه إلى نفوذه ثانية، وبعد عودة الشاه إلى هذا النفوذ سعى بمساعدة حماته الغربيين إلى إيجاد حكومة استبدادية وديكتاتورية مثل عصر أبيه (رضا شاه) ، وسعى كثيرا أيضا فى سبيل المحافظة على الأمن وتثبيت قواعد سلطته الديكتاتورية .

فظهرت لهذا السبب الإدارة العسكرية ومن بعدها منظمة الاستخبار والأمن أو (السافاك) .

وبنظرة على الأوضاع منذ عام ١٣٢٠ حتى ١٣٣٢ ش ١٩٤١-١٩٧٣ م حيث كانت حكومة الشاه قد اتجهت إلى الضعف بوضوح يمكننا أن ندرك أهمية تأسيس السافاك فى رأى الشاه .

والسافاك مثل أى بوليس سياسى آخر يعتبر فى الدول الديكتاتورية سوطا فى يد الشاه والحاكم المستبد فى الدولة ، ومن أجل المحافظة على الأمن ، أمن الحكومة الديكتاتورية ، فقد أُسس لسحق أى حركة معارضة لسلطة محمد رضا شاه ، وهو فى الواقع إدارة للتجسس والتخلص من جميع الأفراد الذين يعارضون ديكتاتورية الشاه، ولكن السافاك قد تجاوز كل حدود يمكن أن نعتبرها من مهام البوليس السياسى (١٣٥) لأن رغبة الشاه كانت ترى أن يقوم هذا السافاك بدور العين التى ترى والأذن التى تسمع فيسيطر من خلال ذلك على جميع الأمور .

وكان للسافاك الوظيفة التى تحث الناس على احترام برامج الشاه ومن بينها البرامج التى أعلنها السافاك فى أوائل ١٣٤٠ ش ١٩٦١ . تحت عنوان "الثورة البيضاء" وبناءً على هذا فإن السافاك كان مكلفًا أن يهيئ الجو الذى يجعل الصحف والمجلات الإيرانية والكتب تمدح الشاه والثورة البيضاء وبرامجه الأخرى ، وكان موظفو السافاك يولون اهتماماتهم بأصحاب الصحف ويذكرونهم بضرورة أن

يخصصوا كل يوم صفحاتهم الأولى لأنشطة الشاه والملكة ، وأن يطبعوا صورة على الأقل يوميا لأعمال الملك وزوجته ، وعلى هذا النحو فإنه يجب على الصحف أن تبرز أحاديث الشاه والملكة وأنشطتهما بصرف النظر عن قيمة أخبارهما .

ومع زيادة عظمة تقديس الشاه ومع زيادة الصحف والمجلات فإن رجال السافاك كانوا بهذا يناصرون الذات الملكية أمام الشعب ويرفعون من شأنها [١٣٦] ، وكانوا ينشرون كتباً في تمجيد أعمال الشاه والملكة وأنشطتهما .

١ - السافاك من وجهة نظر الشاه :

على الرغم من أن السافاك كان منظمة سرية ، فقد كان لها وجه عام معروف لأن إرادة وسياسة النظام نفسه كانت تحرص على أن يعلم الجميع أن هـذه المنظمة موجودة [١٣٧] ، وسعى النظام البهلوى بناء على الأخطار التى كانت تهدد إيران إلى أن يشير إلى حقيقة وجود المنظمات الأمنية الاستخبارية فى الدول الأخرى مما يستوجب وجود السافاك ، ويبين الشاه فى كتاب "إجابة للتاريخ" ضرورة وجود منظمة الأمن والاستخبار (السافاك) :

« يوجد فى كل دول العالم منظمات مشابهة ، ولما أن أية مملكة مكلفة بأن تكافح الأشخاص الذين يهددون الأمن الداخلى والخارجى لها ، فقد ظهرت أهمية هـذه المنظمات سواء فى الدول الديكتاتورية ، أو الدول الديمقراطية الغربية مثل : الـ (كى ، جى ، بى) و (سيا) ، و (اف ، بى ، آى) ، (ام ، آى فايو) ومنظمة الاستخبار ضد التجسس الفرنسية» . [١٣٨]

وقد اعتبر محمد رضا شاه فى القسم الثانى من كتابه السبب الأساسى والهدف الرئيسى من تأسيس السافاك هو مكافحة الشيوعية وإنهاء الأنشطة المدمرة خارج إيران وداخلها .

وقد أسس السافاك بعد الحادثة المروعة لحكومة مصدق لمحاربة الأعمال التخريبية للشيوعية [١٣٩] .

ويبين الشاه فى موضع آخر :

« أسس السافاك من أجل إنهاء الأنشطة المخربة التى كانت تتم داخل البلاد وخارجها » [١٤٠] .

وقد ذكر الشاه فى موضع آخر من الكتاب أن مهمة الساڤاك هى جمع المعلومات عن الجواسيس والمخربين ، والتقارير عن الدولة والقادة العسكريين :

« يوجد فى إيران مثل أى مكان آخر الخونة والجواسيس والفاسدون والمخربون والذين يجب على الدولة والقادة العسكريين أن يحيطوا علمًا بهم ، وهذه وظيفة الساڤاك التى يقوم بها تجاههم ».[١٤١]

ويمكن فهم أهمية وجود الساڤاك جيدًا من خلال أحاديث الشاه، وكان الساڤاك مثل مراكز الاستخبار والأمن الأخرى التى تُدار بواسطة الشاه ،كان يُعين [١٤٢] رئيس الساڤاك من قبل الشاه ، ويشغل منصب معاون رئيس الوزراء ، ولكن لا يلتقى مطلقا مع رئيس الوزراء فى أعماله ، فى حين أنه كان يقابل الشاه يومين فى الأسبوع بشكل منتظم ، وكان يخبر الشاه : بتقارير الإدارات المختلفة ، ويأخذ منه الأوامر ، وعلى الجانب الآخر كان رئيس الأمن الداخلى (مدير الإدارة العامة الثالثة) يلتقى للتباحث مع رئيس الوزراء .[١٤٣]

وفى بعض الأوقات كان مدير الإدارة العامة الثالثة (الأمن الداخلى) يطلب من الشاه مقابلته ، وفى العادة كان يوافق الشاه على ذلك ، كان رئيس الأمن الداخلى يعرض مباشرة تقاريره على الشاه فى هذه اللقاءات ، حتى إنه كان يتجاوز رئيس الساڤاك، وكانت تُرسل التقارير الأخرى للساڤاك التى لم تكن قد أُبلغت مباشرة إلى الشاه عن طريق رئيس الساڤاك ومدير الأمن العام للإدارة الثالثة ، وكانت تُرسل إلى المكتب الخاص بالاستخبارات .

وكان المكتب الخاص للاستخبارات يبحثها ثم يلخص تلك التقارير ليعرضها على الشاه ، وبلا شك كان للتقارير المذكورة أثر ودور فعال فى مخطط الشاه وبرامجه .

ولا يمكن الاهتمام بكثير من هذه التقارير بسبب تعدد مراكز الاستخبار والأمن للشاه وعدم التوصل إلى مصادرها ، إلا أنه فى أكثر الأوقات فإن تقارير رؤساء الساڤاك والأقسام المختلفة له كانت مؤثرة فى خطط الشاه وأعماله ، وفى هذا الشأن يُفضل أن نوضح المسألة بذكر نموذج من حديث السيد الدكتور باقر عاقلى :

« بعد عام ١٣٥٣ ش/ ١٩٧١م شكا أحد الوزراء – ضمن نيل شرف مقابلته للشاه – بعد أن قدم تقرير أعماله ، شكا أحواله لجلالته إذ رأى أن الوقت مناسب ليقول للشاه : إن لدى مطلباً خاصا، فطلب منه الشاه الإفصاح عنه ، فذكر الوزير

المذكور بعد الثناء على الشاه ومدحه وإبراز سعة صدره قائلا :لقد منحتم يا جلالة، الشاه بعض الوزراء والخدم الأصدقاء لكم مبلغا لا يسترد لشراء منزل ، ولكن لا أعلم لماذا تناسيتم خادمكم ؟

فسأله الشاه : ألا يوجد لديك منزل ؟ فأجاب الوزير المذكور : لا فأنا مستأجر ، وعلى الفور أمر جلالة الملك وحدة الحسابات فى البلاط أن يمنحوه المبلغ نفسه الذى مُنح للآخرين . وبعد هذا تذكر الشاه أنه وصلته تقارير عديدة عن الوزير فى شأن سوء استغلال السلطة عن طريق السافاك .

وبناء على هذا فقد أمر السافاك أن يجمعوا التقارير فى شأن وضعه المالى وأملاكه فى إيران ، وبعد فترة وصل تقرير إلى الشاه فحواه : إن الوزير المذكور يمتلك فى إيران " ١٤٦ عقاراً وأملاكاً عديدة " ، ومهما يكن من أنه بعد الحصول على التقرير المذكور لم يسترجع الملك المـــال الذى أخـــذه الوزير ، لكـنـه عزله تمــامـا من عمله ، ولم يســـند إليه عملاً قط » (١٤٤) .

ولعل هذه الحادثة توضح بجلاء مدى تأثير تقارير السافاك على قرارات الشاه ، لكن طبيعة ديكتاتورية الشاه وأنانيته كانتا باعثين على أن السافاك كان لايرسل التقارير التى تعارض رغبة الشاه ، وسنبحث هذا الموضوع فيما بعد .

٢- الشاه وإنكار دوره المؤثر فى السافاك :

على الرغم من أن الشاه كان له دور مؤثر فى السافاك ولكنه فى كتاب "إجابة للتاريخ » حاول أن ينكر علاقته ودوره المؤثر فى السافاك ، وحاول فى هذا الكتاب أن يشير الى أنه كان مظلوماً وأن الآخرين هم المسئولون عن ظهور المشكلات فى المملكة. ويقول فى شأن السافاك : "لا تعتبر مسئولية أعمال البوليس فى أية دولة مسئولية الملك أو رئيس الدولة ، بل مسئولية وزير الداخلية أو الحربية أو رئيس الوزراء . وفى إيران كان رئيس الوزراء هو المسئول المباشر عن السافاك ، وإن كان ملك المملكة يستطيع أن يتدخل وفقا لطلب وزير العدل من أجل أن يصدر قانونا بالعفو فى شأن المذنبين ، ولم أتجاوز هذه القاعدة مطلقا " (١٤٥) .

ويواصل الشاه كلامه : "وكان لى سلطة التحقيق فى الأحكام أو حق العفو ، وكنت أستفيد دائما بقدر المستطاع من ذلك ، وكنت أوافق على كل أحكام العفو أو التخفيف التى كانت تُعرض علىَّ من قِبل القضاة ، وكنت أعفو دائما عن جميع الأشخاص الذين كانوا يسيئون الظن بى على خلاف ما يراه القضاة»[١٤٦] .

وقد حاول الشاه بهذه الكلمات أن يخالف الحقيقة ؛ ليظهر نفسه نظيفا وبريئا ولكن رؤساء السافاك ومسئوليه (ومنهم حسين فردوست الذى كان حلقة الوصل بين قوى الاستخبار ورئيس المكتب الخاص للاستخبار أيضا ورئيس منظمة التحقيق الملكية وظل فترة يعمل قائماً بأعمال رئيس السافاك) كانوا يدعون البراءة بعد إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم فى محكمة الثورة الإسلامية ، وكانوا يعتبرون أنفسهم خاضعين لأوامر الشاه ومكلفين بتنفيذ آرائه ، وبهذا الشكل فإن أولئك يلقون بجميع جرائمهم وتجاوزات السافاك على عاتق الشاه ، وفى الواقع فقد كان السافاك مركزاً ومنظمة تفوق نفوذ الشاه وأسرته فى النظام الاستبدادى [١٤٧] .

وقد أوضح إحسان نراقى فى كتابه تحت عنوان "من قصر الشاه حتى سجن أوين " المسألة نفسها ، وقد أشار نراقى فى الحديث الذى كان له مع الشاه فى أواخر أيام النظام إلى ضعف الطبقة السياسية الحاكمة وازدياد نفوذ الدولة ، واعتبر أن ذلك ناتج عن النظام وحكومة الشاه .

وقد قال فى بعض أحاديثه للشاه : عندما يكون النظام الحاكم ونظام الحكومة على شكل هرم يكون الملك هو المسئول عن جميع الأفراد حتى رئيس الوزراء نفسه ، ولا يعتبر أى شخص نفسه مسئولاً عن أى شىء من الناحية السياسية ، لأن الشىء الوحيد الذى يقبله الجميع إنما هو الذى يصدر من الشاه ، فالقرارات إنما يتم اتخاذها من جانب الشاه وحده [١٤٨] .

٣ ـ تقارير السافاك للشاه :

كما ذكر فإن السافاك كان يعد التقارير المختلفة وأن بعض هذه التقارير كان يعرفها الشاه عن طريق رئيس السافاك أو مدير الأمن الداخلى العام ، وبعد تأسيس المكتب الخاص بالاستخبارات فإن تقارير السافاك كانت تُرسل إلى هذا المكتب وبعد

الموافقة عليها تلخص تلك التقارير لترسل بعد ذلك إلى الشاه ، ولكن يتضح من تقارير الساڤاك واعترافات مسئوليه أن الساڤاك لم يكن يخبر الشاه بالتقارير المفصلة عن طريق رئيس الساڤاك أو مدير الإدارة العامة الثالثة ، وادعى "علم" (*) فى مذكراته أن التقارير التى كانت ترسل من الساڤاك للشاه تقارير سطحية ومضللة (١٤٩) ، وقد ذكر كل هذا فى كتابه عن مذكراته ، أو على حد قوله : إن التقارير التى كانت تصل إلى الشاه هى فقط للاطمئنان عليه أو أنها مجرد أحاديث تأتى على هواه (١٥٠) ويحب سماعها ، وكتب " علم " فى موضع آخر أنه ذكَّر الشاه بهذه المسألة من أنه لا يطيق أن يسمع تقارير حقيقية حول آلام قلوب الناس (١٥١) .

وقد ذكر باكروان ـ الرئيس الثانى للساڤاك – قائلاً إن الشاه كان يريد التقارير التى توافق هواه ، وعندما كان باكروان سفير إيران فى فرنسا ، ذكر فى الإجابة على إحسان نراقى قائلاً – أنا لا أفهم الشاه لماذا لم ير أن يستفيد من خدماتك؟ فأنت كنت تستطيع أن تكون له مستشارا سياسيا جيدا للغاية ، فأجاب : أولاً إن الشاه لا يريد مستشارا بل كان يريد منفذا كما أن فهمنا لأقسام الاستخبارات كان متفاوتًا ، ... فإذا طلب الشاه تقريرا فى موضوع ما ، فإنه بعد التحقيق فى الموضوع المذكور كان المكلف بهذا الطلب يعد هذا التقرير ليقدمه للشاه والشىء الجدير بالاهتمام أن ذلك التقرير لم يكن هو الشىء الذى كان يريده الملك . وكان يرى باكروان أن الشاه كان منذ البداية يتابع الأسباب والمستندات التى تصل إليه على الفور حتى يمكنه على ضوئها أن يبرر قراراته لدى أشخاص مثل رئيس الوزراء والسفراء الأجانب أو أفراد أسرته (١٥٢) .

ويؤكد إحسان نراقى فى جانب آخر من مذكراته نقلاً عن أحد رجال الساڤاك الذين كان معه فى سجن أوين ، ماقاله « باكروان » .

وذكر رجل الساڤاك المذكور فى الرد على إحسان نراقى الذى كان قد قال له : ألهذا الحد لديك معلومات عن الفساد المالى للطبقة السياسية الحاكمة والأسرة

(*) علم هو أمير أسد الله : صاحب كتاب (گفتگوى من باشاه ، خاطرات محرمانه ، أمير أسد الله علم)، ترجمة : جماعة من المترجمين ، انتشارات طرح نه ، تهران ١٣٧١ ش صـ ١٧ .

الحاكمة ... لماذا لم تخبر الشاه بذلك ؟ فأجاب : كان يقول دائما (نصيرى) إنه لا يمكن إخبار الشاه بتقارير تعارض رغبته [١٥٣]، وفى موضع آخر قال : إن جلالة الملك لا يرغب فى التقارير التى تعارض رغبته [١٥٤] .

لم يكن الشاه يرغب فى أن تخبره منظمة الاستخبار بالموضوعات الحساسة مثل استياء الرأى العام ، وفى العادة فإن التقارير التى كانت تُبلغ كانت غير حقيقية ومضللة . وقد أصبح هذا الموضوع باعثا على أن الشاه لم يحط علما كما يجب بالأحداث الجارية ، فلم يستطع أن يواجه الأحداث التى كانت تهدد حكومته . وفى السنوات التى سبقت الثورة الإسلامية فى إيران لم يستطع الشاه أن يدرك عمق المشكلة التى كانت تهدد النظام ؛ بسبب التقارير المضللة والكاذبة للسافاك ، حتى إنه بعد انتصار الثورة الإسلامية كان مايزال لا يصدق أن الشعب ثار ضده وقضى على سلطنته .

وقد استنكف الشاه محاورة معارضيه وذلك بسبب تأثير التقارير الخاطئة للسافاك ، لماذا ؟ لأن السافاك كان يقول له إن أى حديث مع أولئك لا جدوى منه ، وبناء على هذا فقد حاول أن يسحق هؤلاء بالقوة وأن يبعدهم عن مسرح النضال ، ولكن كما رأينا فإن هذه السياسة القائمة على أساس سحق المعارضين وإن كانت قد استطاعت بشكل نسبى أن تبعد عدداً من المعارضين فى الظاهر عن مسرح الأحداث ليسود الاستقرار النسبى فى الدولة ، ولكنها لم تستطع التحكم فى رجال الدين والشعب اللذين كانا يشكلان القاسم الأكبر من المجتمع ، وكانا بمثابة أهم عامل فى انتصار الثورة الإسلامية .

وأحداث عامى ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ش. (١٩٧٧ ، ١٩٧٨) تؤكد هذا الأمر ، ونتيجة لهذا فإن التقارير السطحية التى توافق ميل الشاه قد أثرت إلى حد كبير فى تشكيل آرائه وأعماله ، وإن كان لا يمكن فى الواقع بيان معدل هذا التأثير بسبب غيبة المصادر الموثوق فيها والكاملة .

الفصل الثانى

الساڤاك والحكومة

إن منظمة الاستخبارات كانت وفق قانون تنظيمها إحدى منظمات الحكومة ، التى كانت تدار من الناحية التنظيمية تحت إشراف رئيس الوزراء ، وكما ذكر قبل ذلك فإن رئيس الساڤاك كان يعمل كنائب لرئيس الوزراء، وبناء على هذا فمن جانب فإن الساڤاك كان يعتبر إدارة حكومية ويرتبط ارتباطًا وثيقًا و مباشرًا بالإدارات والوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى ، ومن جانب آخر كان يسيطر بطرق شتى على الأجهزة الحكومية والموظفين والسياسيين ، وكان أى نشاط للموظفين الإداريين والسياسيين يبلغ عن طريق موظفى الساڤاك المتعددين .

وكان أيضًا لكثير من الموظفين والسياسيين أنفسهم علاقات وثيقة مع الساڤاك ، وكان بعض منهم يرقى بسرعة ويصل إلى مناصب عليا بمساعدة الساڤاك ، وكان أمير عباس هويدا أحد هؤلاء الأفراد الذين كانت تربطه علاقات سرية بالساڤاك من عام ١٣٣٧ حتى عام ١٣٤٢ ش (١٩٥٨-١٩٦٣) ، وكان يتعاون بشكل نشط حتى إن نشرية " كاوش " التى كانت تصدر بمعرفته كان يتم توجيهها بمعرفة الساڤاك .

ولعل الوثائق الموجودة في الساڤاك والخاصة بملف هويدا الخاص أبرز دليل على علاقته الوثيقة بالساڤاك فى فترة رئاسة الوزراء والسنوات التالية بعد ذلك .(١٥٥)

وفى هذا الفصل يتناول البحث مجالات : تعاون الساڤاك مع الحكومة ، و نفوذه فى أرجائها ، وعلاقة الساڤاك كذلك بوزارة الخارجية .

١ـ الساڤاك وتوظيف الموظفين والعاملين بالحكومة :

بناء على التعميم الصادر من رئاسة الوزراء فإن الموظفين الذين يرغبون فى تولى الحكومة كانوا يعرضون على الساڤاك أولا ؛ من أجل إجراء التحقيقات فى مجال صحيفة السوابق .

وكان قد ظهر فى رئاسة الوزراء وسائر الوزارات والمؤسسات الحكومية الكبرى ـ مثل إدارة التخطيط والميزانية والبنك المركزى ....ـ إدارة تسمى إدارة المراقبة ، وكان يرأسها ضابط عامل أو متقاعد على اتصال بالساڤاك ، وكان هذا الفرد همزة الوصل بين الساڤاك وتلك الإدارة أو الجهاز [١٥٦] ، وتعهدت هذه الإدارة بمهمة التحقيق مع الأفراد العاملين فى المناصب الحكومية، وكانت السوابق السياسية للأفراد موضع نظر الساڤاك قبل أى شىء آخر .

وقد قسمت المناصب فى الوزارات والإدارات إلى ثلاث شُعب (عادية ، ومهمة وحساسة) ، وكانت أعمال الشعبة الأولى غير حساسة ومتواضعة ، وكانت تضم الموظفين البسطاء والحراس والبوابين ، وكان يمتلك الساڤاك ثلاث دوائر من أجل هؤلاء الأفراد ، تلك الدوائر التى تجمع الاستخبارات ، لتسمح لموظفى الساڤاك ببحث الملفات المتعلقة بسوابق السياسيين الخاضعين للتحقيق .

وكانت أعمال الشعبة الثانية تحتل أهمية أكبر ، وكانت تمثل المديرين والمسئولين فى الأقسام والإدارات المختلفة ، وفى النهاية تأتى الشعبة الثالثة التى تضم الأعمال الحساسة ، وتشمل الوزراء مديرى العموم للأجهزة والإدارات الحكومية .

وكان على هاتين المجموعتين ملء استمارة من خمس أوراق ، وهى استمارة أكثر تفصيلاً من تلك الخاصة بالمجموعة الأولى . وفيما يتعلق بهذه الوظائف كان الساڤاك يجرى تحقيقات بصورة أوسع بشأن الشخص نفسه وبما يتناسب مع أهمية الوظيفة [١٥٧] ، وكانت تتم هذه الإجراءات بشكل مجحف بالنسبة لبعض الأفراد بسبب طبيعة العمل .

وقد اعتبر " ناصر مقدم " آخر رئيس للساڤاك فى اعترافاته فى محكمة الثورة أن بحث صلاحية الأفراد يخضع للمزاج "وكان الأفراد يقبلون أو يرفضون وفق آراء موظفى الساڤاك الخبراء فى ذلك ، فكانوا يعملون فى خدمة الساڤاك بدلاً من خدمة الناس " [١٥٨] .

وفى الواقع يمكن أن نستتنسخ من مقولة مقدم أن الساڤاك يسعون عند اختيار الأفراد إلى تجنيدهم ، ومن المحتمل أنهم كانوا يرفضون الأشخاص الذين لا يريدون التعاون معهم خاصة فى الأعمال المهمة والحساسة .

٢- الساڤاك وسيطرة العاملين وموظفى الحكومة :

لقد راقب الساڤاك بعد توظيف الأفراد فى الأعمال المهمة والحساسة خاصة أولئك الأفراد الذين كانوا قد وصلوا إلى المناصب الحساسة فى الحكومة مثل الوزارة أو رئاسة الوزراء بمساعدة بعض رجال البلاط ونفوذهم ، وكان يكتب التقارير عن سلوكهم وأحاديثهم ، وكان الشاه اعتمادا على هذه التقارير إذا شعر أن فردا يطلب جاها أو يشكل خطرا ، عزله من منصبه ، وفى الوقت نفسه كان يحاول الساڤاك بشتى الطرق أن يضعف من نفوذ هذا الفرد ، وكان الدكتور(على أمينى) أحد هؤلاء الأفراد ، ومع أن الشاه كان يعارض (أمينى) ، إلا أنه على حد قوله قد اضطر أن يعينه فى منصب رئاسة الوزراء بسبب الضغوط الأمريكية (١٥٩)، وفى سنوات رئاسته للوزراء وبعد عزله من هذا المنصب كان الشاه يعلم بدوره كأداة فى يد الدبلوماسية الأمريكية وحتى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) وأخضع حياته السياسية والخاصة لمراقبة الساڤاك مع تشككه و اضطرابه من هذا الأمر ، وفى ملف أمينى الضخم توجد خطط وأفكار عديدة ، والتى كانت تنفذ وفقا لأوامر الشاه الصارمة للسيطرة التامة عليه وكشف علاقاته واتصالاته للتعرف على علاقته بالأمريكيين (١٦٠) أيضا وفقا لرأى أمينى نفسه فإن الساڤاك قام بمخططات ضده حتى تضعفه فى فترة رئاسته للوزراء (١٦١) . وكان يُختار الموظفون السريون للسافاك فى العادة من العاملين فى الإدارة والموالين لها ومنح الساڤاك مكافآت متعددة من أجل زيادة نفوذ رجاله (١٦٢)، وكانت الوزارات والإدارات الحكومية التى يديرها موظفو الساڤاك السريون قد خضعت لإدارة التحقيق الملكية وكذلك لموظفى مكتب الاستخبارات الخاص.

وعلاوة على السيطرة السرية للسافاك وتعيينه للموظفين السريين فى الإدارات والأجهزة كما سبق القول فقد راقب الساڤاك عن طريق (إدارة الرقابة)الوزارات والأجهزة الحساسة والموظفين والسياسيين ، ولم يكن نشاط الساڤاك قاصراً على المجالات المذكورة ، بل سعى الساڤاك أن يسيطر أيضا بنفوذه على كل الأفراد فى الوزارات والإدارات وتأسيس الشبكات الاستخباراتية المتعددة .

و " فرخ روپارسا " الذى كان أحد وزراء التربية والتعليم فى نظام الشاه وحوكم فى محكمة الثورة باتهامات مختلفة من بينها التعاون مع الساڤاك ، وبسعى من الساڤاك اعترف فى هذا المجال قائلاً : إن الساڤاك طلب منه أن يؤسس شبكة الاستخبارات بين المعلمين حتى يستطيع أن يسيطر على جميعهم (١٦٣) .

كما أن المسئولين والموظفين الكبار الذين كانوا يدركون نفوذ السافاك سعى بعض منهم للتعاون مع السافاك ومسئوليه من أجل الحماية حتى ينجوا بأنفسهم من التقارير المغرضة التى تكتب ضدهم ، وفى هذا القسم نذكر بعضا من رسالة جلال آهنجيان إلى نصيرى رئيس السافاك آنذاك :

« من كان لديه شهادة ميلاد إيرانية ولم يحترم الخدمات والتضحيات للقائد المعظم والزملاء الموظفين من أجل المحافظة على الاستقرار السياسى ، الذى يفتخر به كل أفراد الشعب الإيرانى ، ومَن من الإيرانيين لم يحن رأسه أمام الجهود الجهيدة لمنظمة الاستخبارات وأمن الدولة ولم يثن عليه من جهاز .إن جميع الإيرانيين يمدحون الخدمات الجليلة لزملائهم ، وأنا أمدح بنية خالصة خدمات القائد المذكور »[١٦٤] .

والأفراد الذين هم من هذا النوع كما ذكر (ناصر مقدم) خدموا السافاك بدلاً من خدمة الشعب ، وكانوا ينفذون كل ما كان يأمرهم به السافاك وكانوا يقومون بالتجسس من أجل إرضاء السافاك ، فشخص مثل (جلال آهنجيان) فى تقرير للسافاك كان ينقل الأخبار عن اشتراك الوزراء والمسئولين فى جلسات القمار .[١٦٥]

وكان نفس هؤلاء الأفراد يحصلون على الوظائف المهمة والحساسة فى المملكة بسبب التعاون مع السافاك .

وقد بلغ نفوذ السافاك فى الوزارات والإدارات الحكومية إلى درجة أنه طلب من رئيس الوزراء فى رسالة : لما كان العاملون فى المؤسسات الحكومية يُرسلون إلى خارج البلاد تحت مسميات مختلفة ، فقد وجب أن يتم التنسيق مع السافاك أولاً فى هذا: (المرجو أن تعلم كل الوزارات والمؤسسات الحكومية بضرورة هذا ! لما أنه فى المستقبل سيُرسل العاملون فى المؤسسات بشكل جماعات (كموظفين أو عمال) إلى الخارج تحت مسميات مختلفة مثل (التدريب والمهام والتعليم) ، ومن ثم وجب أن تحيط علما منظمة الاستخبار مسبقًا بأسمائهم وأهدافهم من السفر وتاريخ السفر وتاريخ عودتهم .

(رئيس السافاك : اللواء نصيرى) [١٦٦]

واتبع السافاك التعليمات السابقة نفسها مع البعثات الموفدة لمناطق مختلفة من الدولة [١٦٧]، وبناء على هذا حاول بقدر الإمكان أن يراقب موظفى الحكومة مراقبة كاملة ويسيطر عليهم .

وعندما كان يشاهد الساڤاك استياء أو مشكلة فى إحدى الوزارات أو الإدارات كان يسعى إلى إنهائها بتقديم المقترحات والبرامج ، وسوف ننقل نموذجًا لأحد تقارير الساڤاك فى مجال التربية والتعليم .

وبعد ذكر استياء المثقفين والمعلمين فى حركة التنقلات فى مجال التربية والتعليم قدم الساڤاك الاقتراحات فى تقرير ؛ لمنع هذا النوع من الاستياءات والاعتراضات :

(يبدو أن أفضل الضوابط لحركة نقل المدرسين وتوظيفهم هى كما يلى :

١- أن يكون توظيف المدرسين على أساس ضوابط ضباط الجيش ؛ أى لابد أن يعمل المدرس - بشكل إجبارى - فى مناطق يسوء فيها الجو وتشتد الحرارة .

٢- بالنسبة للمعهد العالى ، تراعى بعض المزايا حتى يهتم الشباب بالعمل فى وظيفة التدريس المبجلة .

٣- من حق المدرسين الذين قاموا بالتدريس عدة سنوات فى الأقاليم الانتقال إلى طهران ، وينتقلون بدرجاتهم .

٤- ينقل المدرسون الذين يعملون الآن فى طهران وأقاليم " كرج ، وشميرانات " وغير ذلك ولديهم خبرات قليلة ويحصلون على المزايا الخاصة - ينقلون بدلاً من المدرسين الذين يعملون فى الأقاليم النائية .

٥- يحظر الإقطاع الإدارى ، وتمنح الوظائف الحساسة للأفراد الذين هم تابعون ومرتبطون بتقدم الدولة ورقيها) .[١٦٨]

ومن خطط الساڤاك التى بلغت كبرامج للتربية والتعليم يمكن أن نفهم أن نفوذ الساڤاك لم يكن قاصراً على التوظيف والسيطرة على الموظفين والعاملين فى الدولة ، بل تعدى ذلك إلى الأمن ومراقبة الوزارات والحكومة ، فقد تدخل الساڤاك فى كل ذلك . وكان يحرص على إعداد الخطط فى شكل برامج للمحافظة على الأمن والاستقرار مع ظهور الاستياءات والاعتراضات .

وفى النهاية يمكن القول إن العاملين فى الدولة والمديرين والمسئولين الذين يتم اختيارهم بتوجيه من الساڤاك عليهم أن يكونوا على صلة به ، من أجل التجديد لهم فى أعمالهم ووظائفهم ، وكان بعض هؤلاء يتعاون مع الساڤاك وسعوا فى أن يضعوا البرامج والخطط ليطلع عليها .

٣- السافاك ووزارة الشؤون الخارجية :

كانت وزارة الشؤون الخارجية من بين الوزارات والأجهزة التى هى موضع اهتمام السافاك بسبب حساسية عملها وعلاقته بالدول الأجنبية ، وفى هذا القسم أشير إلى تصريحات (خلعتبرى) أحد وزراء الخارجية فى عصر الشاه والذى ذكر فى محكمة الثورة ارتباط السافاك بهذه الوزارة .

وقد تحدث خلعتبرى فى قسم من اعترافاته عن علاقته بالسافاك فى وزارة الخارجية وهى على نوعين :

(أ) العلاقة المرتبطة بموظفى وزارة الخارجية ، وهذا النوع من العلاقات يشمل البحث وإصدار شهادة بالصلاحية الأمنية للموظفين الذين التحقوا للعمل بوزارة الخارجية ، وأيضا التنافس المستمر للموظفين أثناء الخدمة (١٦٩) .

كان السافاك على اتصال مباشر فى هذا الشأن مع النائب الإدارى والمالى لوزارة الخارجية ، وكان السافاك يستقى من الاستخبارات المعلومات اللازمة ، وكان السافاك يعين رئيس مكتب المراقبة فى الوزارة وموظفى المراقبة فى السفارات الإيرانية أيضا ، وكانا يعملان تحت إشراف النائب الإدارى والمالى للوزارة .

وقد ذكر خلعتبرى فى قسم آخر من أحاديثه :

« أيضا كان يرسل السافاك فى بعض المجالات المعلومات فوق ورق بلا علامة أو توقيع فى شأن أعضاء السفارات الأجنبية فى طهران وتحركاتهم وعلاقاتهم بالإيرانيين ؛ من أجل إخبار وزارة الخارجية بالمعلومة » (١٧٠) .

وكان يتم هذا الأمر فى الغالب عن طريق الإدارتين الثانية والسابعة للسافاك اللتين كانتا مسئولتين عن الاستخبارات الأجنبية .

وتوضح أحاديث خلعتبرى أن السافاك كان يراقب علاوة على الإيرانيين الأفرادَ الأجانب المقيمين فى إيران ، كما أشار خلعتبرى إلى أنه كان يعد التقارير فى مجال أولئك وكان يرسلها للأشخاص المسئولين .

وقد وضح خلعتبرى النوع الثانى للعلاقة بوزارة الشؤون الخارجية مع السافاك على هذا النحو :

«(ب) العلاقة المرتبطة بالتبادل الثقافى والطلاب واشتملت على نوعين من النشاط:

١- إعداد برامج التبادل الثقافى بين الدول الأجنبية، ووزارة الشؤون الخارجية.

٢- الأمور المتعلقة بالطلاب الإيرانيين فى الخارج والطلاب الأجانب فى إيران ، وتشمل هذه الأمور مكان التعليم ونوع التعليم وتقديم منح تعليمية أو مساعدات مختلفة للطلاب » [١٧١] .

كما أشار خلعتبرى إلى أن السافاك قد تدخل فى إعداد البرامج وتنظيمها ، تلك البرامج المرتبطة بتلك الوزارة هذا علاوة على أمن الوزارات ومراقبتها ، ولا شك أن هذا التدخل من جانب السافاك من أجل السيطرة على سير الأمور والإشراف عليها، من قبيل إيفاد الطلاب وتبادل الأساتذة والطلاب مع الدول الأجنبية . وقد حاول السافاك بالتدخل فى هذه الأمور أن يمنع إرسال الطلاب الذين من المحتمل أن سبق لهم معارضة الحكومة والنظام ليرسل أفرادا تحت إشرافه تحت مسمى طالب أو أستاذ ... إلى الدول الأجنبية ، واستطاع السافاك بهذا الشكل أن ينشئ قوى تعليمية تحت إمرته ؛ ليستفيد منهم فى تحقيق أهدافه ، وبإرسال أولئك إلى الدول الأجنبية فإنه يراقب الجماعات الطلابية المعارضة خارج الدولة أيضًا ، وقد صرح خلعتبرى فى قسم آخر من اعترافاته - بأن نفوذ السافاك قد شمل الموضوعات المهمة أو على حد قوله إن مطلبه لا يرفضه الشاه نفسه ، ولو كان للسافاك رأى غير رأى الوزير كان لا يتراجع عنه بمساندة من الشاه [١٧٢] ، ولكن الشاه يجنب الوزير هذا الضغط . ولا شك أن الشاه كان يعلم أن السافاك يقوم ببث الخوف والرعب فى المجتمع وليس فقط بين الناس ، بل أيضًا وسط الأجهزة الحكومية ، وكان يحقق كل ما يريده ، ولهذا السبب قال الشاه (إن السافاك حكومة داخل حكومة) [١٧٣] .

ومع نفوذ السافاك فى الأجهزة المختلفة للدولة عن طريق موظفيه الرسميين والسريين فقد نشر أيضا الفزع بين الأفراد ، وكان يملى رأيه على جميع الأفراد إذا ارتآه أمرًا لازما ، ولما كان السافاك يأخذ أوامره من الشاه ، فإن كثيراً من الوزراء والمسئولين قد انضموا إلى تلك المنظمة ، وقد حاول السافاك أن يتدخل بشكل مباشر فى سياسة إدارة الدولة ، وقال خلعتبرى فى هذا الصدد :

« ولم يكن للسافاك نفوذ فقط فى وزارة الشؤون الخارجية ، بل أراد أن يقبض بيده على السياسة الخارجية للدولة » .

وفـــى هذا الشأن تدخل السافاك عن طريق (الأبحاث السياسية) التى كانت تتم ، وكان يرسل آراءه إلى وزارة الشئون الخارجية .[١٧٤] وفى شأن الأمور التى تتعلق مباشرة بالأمن الداخلى ومهام السافاك كان وزير الشئون الخارجية يطلب من السافاك أن يرسل استخباراته إلى وزارة الشئون الخارجية فى هذا الشأن حتى يضعها فى الحسبان فى العلاقات مع الدول الأخرى [١٧٥] .

وبالنظر إلى الموضوعات المذكورة يمكن أن نستنتج أن السافاك يستخدم نفوذه بطرق شتى بالاستفادة من موظفيه الرسميين فى إدارات الدولة ، أو بتجنيد أفراد من الجهاز نفسه ، أو بنقل موظفيه تحت مسميات مختلفة حتى فى المناصب العليا ، وقد تدخل فى برامج الدولة بشكل مباشر أو غير مباشر .

ولا شك أنه كان يتدخل فى الموضوعات المهمة بتوجيه من الشاه .

وبعد إعداد السافاك للتقارير فى شأن موضوع ما يقوم بإرساله إلى رئاسة الوزراء أو الوزارات أو إدارات الدولة ، وكان يطلب من الرؤساء والوزراء توضيح ذلك .

وأحيانا كان يرسل الشاه تقارير السافاك إلى مكتب الاستخبار الخاص ، وكان المكتب المذكور يؤيد الموضوع بعد بحثه ، وكانت تكتب هذه العبارة « بُحث والخبر المذكور صحيح » ، وكان يكتب تقريرا حول ذلك [١٧٦] .

وكان لهذا النوع من التقارير التى كانت ترسل للشاه أو الحكومة تأثير غير مباشر فى شأن التخطيط وعمل البرامج ، لكن لو أن السافاك وُفِّق أن يستقطب مستويات رفيعة فى إدارة الدولة من قبيل المديرين العموميين ومعاونيهم فإن تأثيراً عظيما يمكن أن يحدث فى تخطيط تلك الإدارة .

الفصل الثالث

السافاك والمجلسان : الشورى والشيوخ

وفقا للدستور كانت السلطة المقننة والمنفذة فى إيران تتشكل من المجلسين الشيوخ والشورى ، وكان تشكيل أعضاء المجلسين طيلة دورات الانعقاد التشريعية فى العصر القاجارى والبهلوى يشير إلى ارتباطهما بالسلطة الحاكمة باستثناء فترات محدودة ، وكذلك أثناء مباحثة النواب وتفاوضهم . وفى الفترة الثانية لحكومة محمد رضا شاه أى بعد انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش (١٩٥٣م) واستقرار النظام الديكتاتورى فى إيران كان المجلسان المذكوران تحت سلطة الشاه ، وبلا شك أن الشاه كان يسعى فى البرامج التى كان يقدمها إلى أحد المجلسين أن يتبع الدستور .

وكان يعد المجلس تأييدا للشاه ، ولكن مع هذا كان يراعى فى هذا المجلس بحث سائر الأمور التى كانت تشير إلى استقلاليته .

ولا شك أنه فى بعض المراحل خاصة فى مجلس الشيوخ قد ظهر أفراد قاموا بمعارضة برامج الشاه ، من ذلك معارضة شخصين من شيوخ المجلس على تأسيس السافاك كما أشير إلى ذلك فى القسم الأول ، ولكن فى الغالب كان نشاط المجلسين يدور حول كيفية تنفيذ برامج الشاه ، وقلما كانت هذه البرامج نفسها تتعرض للتساؤل .

وبعد تأسيس السافاك رسمياً فى سنة ١٣٣٦ ش (١٩٥٧) خاصة بعد التطورات التى حدثت فى أوائل عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١) فى ذلك الجهاز سيطر السافاك على نواب المجلسين ، وكان التدخل المباشر فى الانتخابات والنفوذ بين الأعضاء وإعداد التقارير المختلفة عن الجلسات العلنية وغير العلنية وجلسات المجلس الاستشارية والمحافل الخاصة للممثلين - من بين أعمال السافاك وإجراءاته .

الساڤاك ومجلس الشيوخ :

كان تأثير الساڤاك ودوره فى مجلس الشيوخ وانتخابات الشيوخ محدودين ، وكان لعضو مجلس الشيوخ شروط شروط مثل كونه وزيرا سابقًا أو محافظا أو سفيراً أو رئيسا لشعبة ديوان الدولة ، أو أن يقضى من يريد أن يتقلد هذا المنصب ١٥ عاما محاميًا ، كما أن الأشخاص الذين كانوا يطالبون بالتمثيل فى مجلس الشيوخ كان لهم ملفات فى الساڤاك ، ولم يكن يعترض الساڤاك على تأييد صلاحيتهم ، ولكن هؤلاء الأشخاص كانوا خاضعين للمراقبة الدقيقة من الساڤاك ، كما أن الأفراد الذين كانوا يعارضون برامج الشاه فى تصويتهم فى المجالس الاستشارية كان يرفض التجديد لهم فى الدورة التالية ، فمثلاً فى الدورة الرابعة لمجلس الشيوخ الذى أسس عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣) واستمر حتى عام ١٣٤٦ ش (١٩٦٧) حُرم أربعة أشخاص من تجديد العضوية وهؤلاء الأشخاص هم : سيد جلال الدين طهرانى ، والدكتور غلامعلى رعدى آذرخشى ، وفتح الله فروډ ، ومحمد على ممتاز .

وفى الفترات الأخيرة جرت العادة على أن أعضاء مجلس الشورى ومجلس الشيوخ الذين لا يرضى عنهم الشاه يستقيلون ، من هؤلاء السناتور مهرانكير منوجهريان ، وكان للساڤاك تأثير فعال فى شأن إعداد لوائح الدولة وخطط النواب الأعضاء فى مجلس الشيوخ أو مجلس الشورى ، وكانت اللوائح والخطط فى العادة تنفذ برامج الشاه وأوامره .(١٧٧)

الساڤاك والانتخابات :

وقد اضطلع الساڤاك فى إجراءات الانتخابات بدورين :

١ - بحث السوابق وصلاحية الأعضاء .

٢ - المحافظة على الأمن والهدوء عند إجرائها .

وقد تعهد الساڤاك ببحث صلاحية المرشحين . ولا شك أنه فى شأن مجلس الشيوخ كما ذُكر قلما يتدخل الساڤاك بسبب الشروط الخاصة للعضوية ، وكانت تُرسل إلى الساڤاك أسماء الأعضاء وملامح شخصياتهم عن طريق أحزاب الدولة أو وزارة الداخلية ، وقد راعى الساڤاك عند بحث صلاحية الأعضاء ثلاثة أمور :

الصلاحية السياسية ، والموقف الاجتماعى ، والمكانة المحلية . وكان الساڤاك عند بحث صلاحية الأفراد يهتم أكثر ما يهتم بالصلاحية السياسية للأفراد ، وفى بعض الموضوعات يوافق الساڤاك على الأفراد الذين لا يحظون بقبول فى الموقف الاجتماعى والمكانة المحلية اللازمة [١٧٨] ، وفى الواقع فإن مدى وفاء الأفراد للنظام وعلاقتهم بالمسئولين فى الدولة والساڤاك يشكل المحك الرئيسى والمهم لقبولهم .[١٧٩]

إن الأفراد الذين يطلبون التمثيل الشعبى كانوا يسعون لإيجاد علاقة مع الساڤاك وأحياناً يتعاونون معه ويبدون الطاعة أمام مسئولى الساڤاك حتى لا يغضب عليهم ؛ لما له من نفوذ فى هذا المجال ، وعلاوة على بحث الساڤاك للصلاحيات فإنه يضع الممثلين المقترحين موضع اهتمامه ، وكان يسخِّر بشكل غير مباشر وسائل الإعلام المنتشرة عن طريق أدواته ومصادره لخدمة أولئك ، أما مدى اقتراب نتائج الانتخابات من توصيات الساڤاك فهو أمر غير معلوم [١٨٠] . وكان الدور الثانى للساڤاك أثناء الانتخابات هو السيطرة عليها وتأمينها ، وعند اقتراب إقامة الانتخابات كان يعد الساڤاك خطة المراقبة والتأمين وكان يخبر رجاله بعدم جواز تدخل موظفيه فى الانتخابات [١٨١] ، ولكن فى الحقيقة كان موظفوه يتدخلون بشكل مباشر أثناء اجراء الانتخابات .

فمثلاً تدخل الساڤاك بأمر من الشاه فى انتخابات الدورة الثانية والعشرين لمجلس الشورى والدورة الخامسة لمجلس الشيوخ والدورة الأولى لجمعية (شهر) أو المدينة فى صيف ١٣٤٦ ش (١٩٣٧م) وألقى القبض على مرشحى حزب (إيران نوين) أو إيران الجديدة فى ثلاثين دائرة ، ونقلهم إلى طهران حتى يمنع انتخابهم ، وفى هذه الانتخابات قسمت مقاعد المجلس فى الدوائر المختلفة بين حزب (إيران نوين) أو إيران الجديدة ، و(حزب مردم) أو حزب الشعب ، و (حزب بان إيرانى)، ولكن (إيران نوين) قد سيطر بالاحتيال على ثلاثين دائرة انتخابية كانت تخص (حزب مردم) ، كما استمال المرشحين المهمين الذين كانوا من الأفراد الأقوياء ويحظون بثقة الشعب ، وسعى أيضاً للسيطرة على كل مقاعد التمثيل فى المجلس .

وقد أخبر السكرتيرُ العام للحزب - البروفسير عدل - ووزير الداخلية - عبد الرضا أنصارى - أخبرا الشاه بهذا وحظيا بالتكليف ، فأجاب الشاه بأنه يجب على حزب مردم أن يكون له ثلاثون ممثلاً فى المجلس .

وبناء على هذا فإن وزير الداخلية قد لجأ إلى السافاك حتى يُعتقل مرشحو حزب إيران نوين فى ٣٠ دائرة تخص حزب مردم ، وعقب هذا الإجراء ألقى السافاك القبض على الأفراد المذكورين ونقلهم إلى طهران وأرسل بعضا منهم إلى سجن (قلعة قزل) [١٨٢] .

وقد سيطر السافاك على الانتخابات طيلة إجرائها سيطرة كاملة ، وحرص وزير الداخلية أن يطلع السافاك على كيفية عملية الانتخابات وعدد الأفراد الناخبين بشكل منظم [١٨٣] .

السافاك والسيطرة على ممثلى المجلس :

راقب موظفو السافاك بدقة متناهية أعمال المرشحين وأقوالهم وكتبوا التقارير فى شأن أى عمل صدر معارضا لرأى الشاه ، وتشير معلومات السافاك إلى أنه عين كثيرًا من المرشحين والموظفين المتعاونين معه ، وانتظر السافاك يوميًا التقارير المتعددة من مصادره فى الجلسات العلنية والسرية والجلسات الاستشارية وجلسات الممثلين الخاصة :

« بالنظر إلى الوقت الراهن نجد أن نفوذ السافاك قد أحاط بكيفية أنشطة البرلمان ، ومع هذا يبدو أن المصادر المذكورة فى هذا المجال ليست كافية وأن تلك المصادر لم تقدم التقارير اللازمة ، وبناء على هذا المرجو أن تأمروا المصادر المذكورة بأن تنتبه إلى أهمية العمل الذى تشغله .

المدير العام للإدارة الثالثة ثابتى » [١٨٤] .

وفى بعض الوثائق يُرى أن عددا من وكلاء المجلس بسبب السوابق السيئة والتشكك فى أمرهم قد خضعوا للرقابة والملاحظة ، وقد جاء فى إحدى وثائق السافاك فى شأن أحد الوكلاء المذكورين :

« إزاء التحقيقات التى جرت فى مجلس الشورى من خلال المصادر المذكورة ، فإنه حتى الآن لم يشاهد عمل معارض فى شأن المجلس المذكور ، وقد تم رصد ذلك من خلال المصدر (١٥٨٥)، ولتقرروا ما ترونه مناسبا فى هذا المجال .

رئيس السافاك فى طهران برنيان فر » [١٨٥]

وبعض وكلاء المجلس الذين كانوا يحيطون علما بنفوذ السافاك وتأثير تقاريره فى كبار مسئولى المملكة والشاه نفسه والذين جدد لهم السافاك تمثيل الشعب فى المجلس فى الفترات اللاحقة ، والتحقوا فى خدمات مرموقة وذلك بتزكية السافاك لهم، والذين أيضاً كانوا يطلعونه بأعمال الأعضاء الآخرين ومن يتصلون بهم .

لو أن تقريرا وصل فى شأن عمل غير مناسب معارض لرؤية الشاه والسافاك بشأن أحد الأعضاء فإن الوكيل المذكور يُستدعى إلى السافاك ، كما أن مسئولية يجبرونه على ترك وجهة نظره بالتهديد والترغيب ، حتى إن أحد وكلاء المجلس الذين يطلبون توضيحاً من الحكومة بعد أن يكون قد ضرب عرض الحائط بتهديدات السافاك وثبت على وجهة نظره لا يسلم من أذى السافاك ، لدرجة أنه يستدرج ذلك الوكيل بسيارته ولا يتركه إلا وقد أحدث به بعض الإصابات [١٨٦] .

وقد واصل السافاك مراقبته وسيطرته على المجلس ووكلائه فى الأشهر الأخيرة من عمر النظام ، وفى هذه الأيام فإن الحريات السياسية والأصوات المطالبة بالحرية قد حفزت وكلاء المجلس وبعض أعضاء مجلس الشيوخ أن يعارضوا النظام وبرامج الحكومة ، وقد سعى السافاك لمعرفة سبب معارضة أولئك للحكومة وانتقاد الوضع الراهن ؛ حتى يمكنه أن يوقف هذا التيار ، وقد ذكرت الإدارة العامة الثالثة فى رسالة للسافاك فى طهران فى هذا الصدد قائلة : « يرجى أن تأمروا بالتحقيق الفورى فى الموضوعات التالية فى الإدارة العامة وأن يستمر هذا التحقيق حتى الساعة العاشرة من يوم ١٣٥٧/٤/٤ ش (١٩٧٨)........ مجلس الشورى :

(أ) إدارة رئيس المجلس بشكل عام ورأى الأعضاء فى شأن هذه الإدارة .

(ب) السبب الرئيسى لمعارضة الأعضاء للحكومة فى السنوات الأخيرة .

(ب) ردود أفعال الأعضاء وسلوكهم فى المناخ السياسى الأخير للمجلس .

(ت) السبب وراء تشكيل الجماعات السياسية وانتقاد الوضع الراهن » [١٨٧] .

ومع الاهتمام بالموضوعات المذكورة يمكن أن نستنتج أنه كان للسافاك دور مهم فى الانتخابات وفى تحديد صلاحية الأفراد لعضوية فى المجلس وأيضاً فى السيطرة على أنشطة أعضاء المجلس واللجان الاستشارية المتخصصة ، ولكن السافاك كان له

دور أقل أهمية فى مجال التخطيط والبرامج التى كانت تُعرض على المجلس ، ومن هنا فإن هذه الخطط والبرامج فى الغالب كانت تتم من خلال تنفيذ برامج الشاه ، وكان الشاه نفسه يعلم بهذا ، كما أن وكلاء المجلسين الذين كانوا يعرفون نفوذ الساڤاك كانوا يسعون فى الكف عن معارضة برامج حكومته ، فإذا جرؤ وكيل من الوكلاء على معارضة هذا البرنامج فإن صلاحيته تُرفض فى الانتخابات التالية ، ويحرم من شغل الوظائف المهمة فى الدولة.

الفصل الرابع

الساڤاك وأحزاب الحكومة

مع تشكيل حكومة الدكتور إقبال فى عام ١٣٣٦ ش / ١٩٥٧ أشار الشاه فى خطاب له عند الحديث عن الأحزاب السياسية فى إيران إلى ضرورة وجود حزبين فى نظامه ؛ من أجل تحقيق التوازن السياسى فى الدولة ، وقد تكفلت الدولة بمسئولية تأسيس الأحزاب السياسية ، وبعد فترة وجيزة أسس حزب تحت اسم (حزب مردم) أو حزب الشعب ، وقد تزعمه (أمير أسد الله علم)، وعقب تأسيس الحزب المذكور أسس حزب آخر تحت اسم (حزب مليون) أو حزب القوميين ، وتزعم الدكتور إقبال رئيس الوزراء آنذاك زعامة هذا الحزب (١٨٨) ، وبهذا الشكل فقد هيمن الشاه على النظام ذى الحزبيْن ، وكان تنافس هذين الحزبيْن أشبه بمسرحية هزلية فى المجال السياسى (*) .

وكان الحزبان يؤديان وظائفهما وفق أوامر الشاه دون أدنى اختلاف فى وجهات النظر .

وفى السنوات التى أعقبت ذلك فكر أفراد فى تشكيل (حزب جديد) من أمثال حسنعلى منصور ، ولكن الشاه رفض مطالبهم حتى استأذن حسنعلى منصور بعد ذلك عندما عين كرئيس للوزراء فى عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) استأذن فى أن يشكل حزبًا سياسيًا بدلاً من (حزب مليون) الذى تدهور بسبب أخطاء الدكتور إقبال ورفاقه ، وغدا هذان الحزبان أكثر نشاطا فى العمل السياسى عن ذى قبل ، ووافقه الشاه بالفعل على تشكيل هذا الحزب تحت اسم (حزب إيران نوين)أو حزب إيران

(*) إذا نظرنا إلى الخط السياسى فى هذه المرحلة فى إيران سنجده يسير وفقًا للاتجاه السياسى فى تركيا آنذاك . (المترجم)

الجديدة ، وكانت نواة هذا الحزب الأفراد الذين كانوا يعملون مع منصور كجماعة غير رسمية تسمى (كَروه مترقى) (١٨٩) أو الجماعة التقدمية ، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً فإن (حزب إيران نوين) ، و(حزب مردم) كانا يعملان وفقًا لأوامر الشاه .

وبعد ذلك ظهر حزبان آخران تحت اسم (بان إيرانيست)، أو حزب الحركة السياسية الإيرانى و (إيرانيان) أو الإيرانيون ، وقد سُمح لهما بممارسة الأنشطة بشكل ملحوظ ، حتى أمر الشاه فى عام ١٣٥٣ ش (١٩٧٤م) بتأسيس حزب واحد أوسع من الأحزاب الأخرى تحت اسم (حزب رستاخيز) أو حزب البعث ، وظل يعمل هذا الحزب الأخير حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية كحزب وحيد تحت إشراف الحكومة .

ولهذا فإن هذه الأحزاب الحكومية كانت على اتصال وثيق بالساڤاك ، وإن الأفراد الذين انضموا إلى هذه الأحزاب كانوا يخضعون لسيطرة الساڤاك ، ولا شك أن الحديث فى مجال علاقة الأحزاب الحكومية والساڤاك لم يكن سهلاً أو موجودا فى برامج هذه الأحزاب ، فالوثائق والمصادر اللازمة كانت يحوطها المشاكل والصعوبات ، ولكن الكاتب سعى أن يبين جزءا من هذه العلاقة عن طريق الوثائق التى كانت فى حوزة الحزبين : (مردم) ، و (رستاخيز) ، ولم تكن هناك معلومات فى شأن حزبى (مليون) و (إيران نوين) يمكن أن تبين هذه العلاقة .

١- حزب مردم :

إن (حزب مردم) هو أول حزب حكومي تشكل وكان يتبع أوامر الشاه فى مجال تأسيس حزبى الحكومة ، كما أن الساڤاك الذى كان من عمله أن يراقب جميع الأحزاب والجماعات بمجرد تأسيس (حزب مردم) أعدً ملفًا فى شأن أنشطة الحزب وأعضائه (١٩٠) .

وكان الساڤاك يسيطر سيطرة تامة على أنشطة الحزب ومباحثاته وتنقلاته عن طريق بعض الموظفين المخصصين من ذوى النفوذ ، ويرسل التقارير إلى المركز الرئيسى .

إن حزب مردم كان مطلعًا على وثائق الساڤاك وذلك بالاستعانة بالأفراد الذين كانوا قبل ذلك فى حزب (توده) (*) ، واستطاع أن يشكل تنظيمًا حزبيًا جديراً

(*) تودة : معناها سواد الشعب أو الناس .

بالملاحظة [١٩١] ، وكان الحزب على اطلاع بشؤون الساڤاك بدليل وجود أسد الله علم ، الذى كان له نفوذ كبير في البلاط وكانت تربطه علاقة دائمة بشخص الشاه ، فلم يستطع الساڤاك أن يتخذ أى إجراء ضد الحزب .

وفى أحد الإضرابات التى حدثت فى أحد مصانع الآجر فى طهران أعد الساڤاك التقارير القائمة على تدخل (حزب مردم) فى إحداث بعض الشغب داخل هذه المصانع ، وذلك بالاستعانة ببعض أعضاء (حزب مردم) الذين كانوا قبل ذلك من أعضاء (حزب توده) من أجل أن يخبروا الشاه بتلك الأحداث ، ولكن (علم) ذهب إلى الشاه من أجل استيفاء بعض المعلومات ، وأخبر الشاه بنية الساڤاك وغرضه الحقيقى وهو إضعاف (حزب مردم) وتقوية نفوذ (حزب مليون)، وبهذا الشكل دحض آثار تقارير الساڤاك . [١٩٢]

ولكن يبدو أن الساڤاك كان قلقا من وجود الأفراد الذين كانوا موجودين قبل ذلك فى حزب توده وهم الآن فى حزب مردم ، وفى تقارير أخرى سعي للاستفادة من وجود أنصار حزب توده ليضعف حزب مردم .[١٩٣]

ومع وجود هذا فإن حزب مردم كانت تربطه بالساڤاك علاقة قوية وثيقة ، وكانت أنشطة هذا الحزب تتم تحت إشراف الساڤاك مثل المؤسسات الحكومية الأخرى ، حتى إن اجتماعات هذا الحزب ومؤتمراته كانت تتم بإذن من الساڤاك . وكمثال فإن حزب مردم قد طلب التصريح بالاستفادة من (سينما بلازا) لإقامة أول مؤتمر له، طالب ذلك فى رسالة مكتوبة موجهة إلى منظمة الأمن والاستخبارات [١٩٤]، وقد وافق الساڤاك على عقد مؤتمر (حزب مردم) بناء على الرسالة الموجهة إليه . [١٩٥]

٢- حزب رستاخيز :

إن تأسيس حزبى (مردم) و(مليون) لم يستطيعا أن يجذبا الشعب إلى تلك الأحزاب ونظام الشاه ، ومع ظهور حزب (إيران نوين) لم ينجذب الناس للأحزاب الحكومية أيضًا ، وكان الشاه قد يئس من الحزبين فى السنوات الأولى من تشكيلهما ١٣٥٠ هـ. ش (١٩٧١م).

وبناء على هذا فقد فكر فى تأسيس حزب واسع ورسمى ، وفى نهاية الأمر أسس حزب رستاخيز ، وفى ١١ من شهر اسفند (*) عام ١٣٥٣ ش (١٩٧٤م) بدأت فترة أنشطة حزب رستاخيز بافتتاح الشاه له . وحُلت الأحزاب الموجودة كلها ، وأعلن الشاه فى حديثه أنه يجب على الجميع أن يدخلوا فى عضوية الحزب ، ومن لا يقبل هذه العضوية ينبغى عليه أن يخرج من الدولة .

وبعد تأسيس الحزب وضع ملف فى الساڤاك باسمه ، وقد راقب الساڤاك الحزب وأعضاءه ، وكان له تواجد فى كل مكان ، وكان توظيف مسئولى الحزب وتحديد صلاحية أعضائه يتم بإشراف الساڤاك .

ومع نفوذ الساڤاك فى الحزب وتكتلاته إلا أنه كان يسيطر على مسئولى هذا الحزب وأعضائه ، وكان يعد التقارير حول جلساته ومحافله ونظمه .

وعلاوة على هذه التقارير فإن مسئولى الحزب كانوا يرسلون التقارير إلى الساڤاك فى شأن أنشطة الحزب وبرامجه (١٩٦) ، وكانوا يخبرون تلك المنظمة بأمورهم.

٣- التكتل السياسى فى حزب رستاخيز :

وفقًا لأوامر الشاه فإن جميع رجال الدولة والعاملين والموظفين ينبغى عليهم أن ينضموا إلى الحزب ، كما أن وكلاء المجلس الذين كانوا قبل ذلك أعضاء فى حزبى (مردم) و (إيران نوين) قد انضموا على الفور إلى عضوية حزب رستاخيز حتى علم الساڤاك فى ٢٢ من شهر اسفند عام ١٣٥٣ ش ١٩٧٤) بوجود جماعات معارضة فى المجلس وبدأ التكتل الحزبى ، وقد جاء فى هذا التقرير :

« حينما تصبح المملكة ذات حزب واحد ، فمعنى هذا أن يكون لها رئيس وهيئة حاكمة ، لأنه فى الغالب تظهر جماعات تعارض جماعات أخرى أى أكثرية أمام أقلية أو يمين أمام يسار ، وعندما تندمج الأحزاب فى حزب واحد فمعنى هذا أن تتلاشى الأقلية والأغلبية فلا يصاحب ذلك وجود تكتلات ، ومع ذلك فقد أعدوا من جديد جماعة برلمانية فى مجلس الشورى » (١٩٧) ، وفى عام ١٣٥٤ ش . ظهر تكتل سياسى فى الحزب بشكل واضح ، وبناء على وجهة نظر الشاه فقد ظهر تياران حتى يصبح

(*) اسفند : الشهر الثالث من فصل الشتاء . والشهر الثانى من السنة الشمسية .

التحرك فى التيار التقدمى أكثر ؛ الأول هو تيار العمال بزعامة هوشنكر انصارى والتيار الثانى وهو التيار التقدمى ويرأسه جمشيد آموزكاز [١٩٨] ، وقد جهل بعض أعضاء الحزب لماذا هذا التكتل السياسى وأى شىء يجعلها مختلفة عن التيارات الأخرى ، ولم تفلح حيلة الشاه - فى خلق حزب واحد - واتضح هذا الأمر بعد قليل من الوقت ، وقد اعترف الساڤاك بهذه الحقيقة فى أحد تقاريره .

« إن كل يوم يمر على حزب رستاخيز لا يشاهد فيه أى نوع من النشاط الملحوظ فى شأن أمور الشعب أو تعليمه أو حل مشكلة من مشاكله باستثناء سلسلة من البرامج التمثيلية وكتابة بعض الأخبار المتعلقة بالأنظمة الحزبية ...

ولم تدرج بالصحف أية أخبار مهمة تخص الحزب حتى إن أى نشاط آخر ولو بشكل ضئيل لم يكن ليشاهد » [١٩٩] .

ويتحدث الساڤاك فى التقارير الأخرى عن البطالة والكساد ، لدرجة أن الشاه نفسه قد أبدى استياءه فيما يتعلق بالنشاط الحزبى والبطالة والكساد [٢٠٠] .

كما أن تقارير الساڤاك فى السنوات التالية تدل على استمرار الكساد وتوقف البرامج الحزبية وعدم تحمس الأفراد للعمل [٢٠١] .

وفى كل التقارير المتعددة للساڤاك عن حزب رستاخيز يُلاحظ فشل برامج الشاه فى جذب الشعب إلى العمل الحزبى الواسع أو تحقيق الديمقراطية.

٤- دور الساڤاك فى حزب رستاخيز :

كما ذُكر فإن الحديث عن دور الساڤاك فى البرامج الحزبية لم يكن أمر سهلاً لقلة المستندات التى يعتمد عليها ، ولكن ظاهر المستندات والوثائق والملفات المتعددة للساڤاك فى شأن حـــزب رستاخيز يتضح أن الساڤاك لم يكن له دور مباشر فى الحزب .

ولكن كان الساڤاك المسئول الوحيد عن السيطرة على الحزب وإعداد التقارير عنه وعن رؤساء الحزب ورؤساء جلساته وأنظمته الحزبية وتقارير رأى الناس والمسئولين فى شأن الحزب .

وبرغم هذا فإن التقارير التى كان يرسلها الساڤاك إلى الشاه ورئيس الوزراء كانت تبين بشكل واضح وجهة نظر أولئك الأفراد فى الحزب ، وعلاوة على هذا فإن عناصر الساڤاك ذات النفوذ كان لها دورها البارز فى وضع برامج الحزب .

الفصل الخامس

السافاك والرأى العام ومراقبة الكتب والصحف

١ - الرأى العام :

علاوة على سيطرة السافاك وإشرافه على السلطات الحكومية وسحقه للجماعات المعارضة سعى لوضع الرأى العام تحت عينه ، فقد استفاد من الظروف المحيطة وكذلك من مراقبة الكتب والصحف والسيطرة على الراديو والتلفزيون ، ومنع السافاك الناس من التعرف على حقائق المجتمع أو التعرف على أعمال رجال البلاط والشاه وتصرفاتهم ، وبهذه الوسيلة كان يريد أن يمنع ظهور الاستياءات الاجتماعية وكذلك اعتراضات الطبقات الاجتماعية .

واستخدم السافاك أسلوب إشاعة الأكاذيب العديدة على المستوى الاجتماعى مما زاد من نفوذه وكذلك من عيونه وجواسيسه ، فحاول بذلك أن ينشر الرعب والخوف فى قلوب الناس ، وقد روى سير جنجيه (*) (٢٠٢) « إن الشائعات كانت منتشرة لدرجة أنه كان هناك تلميذان فى كل فصل فى المدارس الثانوية على الأقل يتعاونان مع السافاك» (٢٠٣) . وقد أصبح هذا النوع من الشائعات على المستوى الاجتماعى باعثا على أن أفراد الأسرة الواحدة كانت تلتزم الحذر عند الحديث حول سياسة البلاد ، وكل شخص كان يسيء إلى الشاه أو السافاك كانوا ينفونه ، وكان يعتبر الشعب أن الشخص الذى يتحدث عن الشاه والسافاك دون خوف ما هو إلا عميل للسافاك ، وبسبب الخوف من السافاك فإن بعض أفراد الشعب قد تجنبوا الحديث فى مجال السياسة ، أما البعض الآخر الذى كان يتحدث فى القضايا السياسية فقد اتهم بتعاونه مع السافاك ، (٢٠٤) ومن ناحية أخرى فقد تمت مراقبة الكتاب والصحف عن

(*) Ser Ginger

طريق السافاك أو على حد قول (كريستين دلانوا) "كانت المراقبة والتفتيش من عمل السافاك " (٢٠٥) .

٢ـ الرقابة على الكتب :

كان الإشراف على طبع الكتاب ونشره وكذلك الصحف وبرامج الراديو والتلفزيون والسيطرة على دور السينما والمسارح من بين أعمال السافاك ؛ من أجل إفساد الرأى العام للشعب .

وقد راقب السافاك بشدة المطابع ودور نشر الكتاب ، وكان يمنع طبع ونشر كل شىء يراه ضارا من الناحية الأمنية ، وقد كانت حركة مراقبة الكتب وتقييد الكُتَّاب وتهديدهم قد جعل إمكانية طبع أعمال الكتاب الإيرانيين أو إعادة طبع بعض الكتب أمرا مستحيلاً داخل الدولة الإيرانية، حتى إن بعض الكتاب ومن بينهم (رضا براهنى) قد عزموا (٢٠٦) على نشر كتبهم خارج إيران بعد أن مُنعت داخل البلاد (٢٠٧). وفى هذا الوقت اتخذت الرقابة أشكالاً مختلفة من بينها الأخلاق والدين وإبعاد المسئولين عن النقد أو بحجة عدم الإدراك الكافى لحرية القلم أو حرية التعبير (٢٠٨) .

ولكن الهدف الأصلى للسافاك كان المراقبة السياسية حتى يمنع أى نقد لشخص الشاه وحكومته ، وحتى يمكن لدور النشر أن تستمر فى عملها كان عليها أن تتجه إلى ترجمة الكتب الأجنبية وتقوم بطبعها ، ولا شك أن ترجمة الكتب الأجنبية قد أمكن نشرها وتوزيعها حينما كان موظفو السافاك يبحثونها بدقة ، وكانوا يعترضون على بعض هذه الكتب بحجج واهية ، وبهذه الوسيلة حالوا دون نشر هذا النوع من الكتب (٢٠٩) .

كان السافاك يرفع الرقابة عن الإصدارات بعض الوقت أحيانًا ، ويسمح بطبع بعض الكتب الممنوعة ونشرها ، ولكنه اتضح بعد ذلك أن نشر هذا النوع من الكتب كان بقصد معرفة الأفراد الذين كانوا يطالعون هذه الكتب ، وبهذه الوسيلة ألقى القبض على كثير من القراء وتم سجنهم لتجريمهم لقراءة هذه الكتب التى أجاز السافاك طباعتها (٢١٠) .

ومع مرور الوقت وعندما اتجه النظام إلى الاستبداد الديكتاتورى أكثر اشتدت حلقة المراقبة على الكتب ، وفى عام ١٣٤٥ ش ١٩٦٦م أقر (أمير عباس هويدا) رئيس الوزراء فى العصر البهلوى أسلوب الرقابة بعد طبع الكتاب وقبل توزيعه ونشره ،

وكانت تفحص الكتب المطبوعة قبل أن توزع فى قسم خاص بوزارة الثقافة بمعرفة السافاك . وبعد ذلك كان يصرح بتوزيعها ، وكانت هذه الطريقة أكثر خطرا على الناشرين الصغار ، وكم أخ هؤلاء الناشرون بسبب طبع الكتب التى لم يعرف موزعها قبل ذلك [٢١١] ، وفى عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) وبعد تأسيس حزب رستاخيز فإن السافاك كان يسيطر مباشرة على قسم كبير من الكتب المنشورة عن طريق وزارات مثل وزارة التربية والتعليم والصحة، ومؤسسة جذب السياح التى كان يمثلها ناشرو الدولة الكبار ، ونتيجة لذلك ففى أقل من ثلاثة أعوام قل عدد عناوين الكتب المنشورة من أربعة آلاف عنوان إلى ألف وثلاثمئة عنوان فى السنة [٢١٢] .

وكانت الكتب العلمية الخيالية على حد قول (كرستين دلانوا) تدخل فى زمرة الكتب التى تراقب بشدة ، ولم تستثن حتى دواوين الشعراء من هذه القاعدة . [٢١٣]

ونتيجة لذلك ففى هذه السنوات أحكمت الرقابة الشديدة من قبل السافاك على المنتجات الثقافية أكثر من ذى قبل [٢١٤] وقد فرضت المراقبة فقط على المنتجات الثقافية والأيديولوجية والجماعات المعارضة المتنامية ، خاصة منذ أوائل عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١م) [٢١٥] .

٣ ـ الرقابة على الصحف والمجلات :

إن سابقة الرقابة على الصحف فى تاريخ إيران تعود إلى عهد ناصر الدين شاه [٢١٦] وبعد تأسيس السافاك تولت هذه المنظمة عمل الرقابة، وجدير بالذكر أن القسم السادس (الصحف والمجلات والمنشورات) التابع للإدارة الرابعة من غرفة العمليات والبحث فى الإدارة العامة الثالثة قد تعهد بالرقابة على الصحف ، وكانت الرقابة تتم فى القسم الثانى من(المراقبة) بالإدارة الخامسة المساعدة لغرفة العمليات فى الإدارة العامة الثالثة .

وكان السافاك يراقب كُتّاب الصحف ، وكان يوجههم كل يوم إلى الموضوعات التى يكتبون فيها [٢١٧] .

وبعد السيطرة الكاملة للسافاك على أوضاع المعارضين وسحقهم كان يراقب كتاب الصحف فى جميع أنحاء البلاد ويتعقبهم ، وقد وصلت ضغوط السافاك إلى حد أن بعض كتاب الصحف قد اضطر إلى التعاون مع السافاك ، أو الابتعاد عن العمل

واعتزال العمل الصحفي ومباشرة أعمال أخرى ، ولم يكن يُسمح للصحف أن تكتب عن الأحداث الجارية فى الدولة والعالم كما كانت تحدث ، وبهذا الشكل فإن الصحف كانت تعد شبه رسمية أى تابعة للدولة وذلك حتى تتملق الشاه (٢١٨) .

وقد وصل تمجيد الصحف للشاه ومجاملتها له حداً قيل معه : « كأن الصحف كانت قد حصلت على القلم من السافاك وأخذت تكتب من أجله» (٢١٩) .

وقد ذُكر فى وثائق إحدى الخلايا الجاسوسية : « إنه بسبب الرقابة قلما تجد فى إيران صحفيًا » صحيفة غير منافق سالما من الأنية فى إيران) (٢٢٠) .

وقد أجبر السافاك كتاب الصحف والمجلات على الولاء للسافاك ، وعلاوة على أولئك فقد اختير للعمل من الأفراد فى الوظائف مثل رئيس التحرير وكاتب المقال وشارح الأخبار والأحداث ، وذلك باستخدام الضغط السافاكى ، حتى إنهم كانوا يفسرون ما يحدث فى إيران والعالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا وينشرونه بأنفسهم (٢٢١) .

وقد تعرضت الصحف للهجوم من قبل النظام والسافاك أكثر من ذى قبل خاصة فى أيام ثورة الشاه البيضاء ، وفى هذا الوقت غيرت الدولة قانون الصحف ، وفى قانون الصحافة التصحيحى الجديد الذى أعلنه جهانكير تفضلى - الوزير المستشار والمشرف على كل وسائل النشر ورئيسها - فى مؤتمر صحفى أنه ينبغى على الصحف أن لا تنشر أكثر من ثلاثة آلاف نسخة ، وأن المجلات لا ينبغى لها أن تنشر أكثر من خمسة آلاف نسخة ، وبهذا الشكل منع النظام نشر عدد كبير من الصحف والمجلات ، وفقط سمح بالنشر للمديرين الذين تعاونوا مع أجهزة الحكومة (٢٢٢) .

وجدير بالذكر أنه بعد ذلك فإن مهمة الرقابة كانت بشكل عملى فى يد وزارة الإعلام والسياحة ، ولكن إدارة الصحافة فى السافاك سيطرت عليها بدورها ، وسيطر رجال السافاك بدقة على الموضوعات التى كانت تنشر فى الصحف والمجلات .

وفى أحد الموضوعات فإن السافاك قد حبس أحد الكتاب ، والذى كتب فى مجال مسابقة (اللعب بالحمام) فى جنوب طهران تحت عنوان :(الحمامة البيضاء تحقق الفوز) ، وقد منع السافاك الخبر المذكور وسجن كاتب الخبر لأن الكاتب قصد السلام بفوز الحمام (*) .

(*) أو ربما فى كلمة بيضاء تعريض بثورة الشاه البيضاء وسخرية منها . (المترجم)

القسم الثالث

السافاك والصدام مع الجماعات المعارضة

مقـــدمـــة

بعد حركة الانقلاب الأمريكية فى ٢٨ مرداد ١٣٣٢ ش ١٩٥٣ م . زادت قدرة النظام البهلوى عن ذى قبل ، خاصة بعد تأسيس منظمة الاستخبارات [٢٢٣] حتى بداية عام ١٣٤٠ش . ١٩٦١م وقبض محمد رضا شاه على السلطة فى البلاد [٢٢٤] بيد من حديد .

كما أن الساڤاك - الذى أسس فى عام ١٣٣٥ ش (١٩٥٦م) - قد تعهد بمهمة جمع الاستخبارات اللازمة للمحافظة على أمن الدولة وتفعيل أعمال التجسس لمصلحة الدول الأجنبية والقيام بالأعمال التى تُدرج ضد الاستقلال وسيادة الأراضى الإيرانية ، وكذلك منع أنشطة الجماعات التى كان تأسيسها غير قانونى أو كان هدفها معاداة الدستور، ومنع تدبير المؤامرات ضد أمن الدولة ، وبالفعل فقد بدا الساڤاك شبحًا مخيفًا لدى أفراد الشعب (خاصة إذا كان الشعب يعرف قائد الساڤاك - تيمور بختيار - أيام الحكم العسكرى فى طهران).

وبناء على هذا فقد تلاشت القوى المعارضة لمدة قصيرة - فى الظاهر - وفى آخر عام ١٣٢٠ ش .(١٩٤١م) استطاع الشاه أن يقبض على زمام الأمور جيداً وأن يتفوق على معارضيه .

ومع زيادة نفوذ الساڤاك فقد بدا تيمور بختيار كسلطة كبيرة ، وحاول أن يصل إلى منصب رئيس الوزراء ؛ ولهذا فإن الشاه الذى رأى فى بختيار منافسًا قويًا له قد عزله فى عام ١٣٤٠ (١٩٦١م) من رئاسة الساڤاك ، وبعد فترة نفاه خارج البلاد، وكان هذا الأمر باعثا على أن أصبح بختيار أحد المعارضين الخطرين على الشاه ، ومع زيادة نفوذ الشاه فإن الدولة والمجلسين قد أصبحا أداة طيعة فى يده .

وعملت الحكومة والمجلسان على تنفيذ برامجه [٢٢٥] ، وبرغم هذا لم يكن للشاه برنامج واضح لإدارة شؤون الدولة .

والبرامج التى كانت تدافع عن الدستور والأحزاب المتعددة لم يكن عمرها طويلاً ، ولكن بعد ذلك تم التفكير فى تشكيل حزبين ، ولم يرض المعارضون عن التشكيل الجديد ، وظهرت الاستياءات بين الناس بين عامى ١٣٣٧ و ١٣٣٨ ش - ١٩٥٨ و ١٩٥٩م [٢٢٦] .

ومع وجود الاستياءات التى ظهرت فى أواخر عام ١٣٣٠ ش ١٩٥١م لم يتشكل أى حزب أو تيار سياسى ذى نشاط يمكن أن يشترك فى الانتخابات باستثناء حزبى الحكومة: (حزب مليون) بزعامة منوجهر إقبال و(حزب مردم) بزعامة أسد الله علم [٢٢٧] .

وفى أواخر هذا العقد واجهت دولة إيران مشكلات سياسية معقدة ، ففى أمريكا قوى نفوذ التيار الليبرالى المتمثل فى الحزب الديمقراطى ، ووقعت إيران تحت الضغوط الأمريكية خاصة مع ظهور جون كيندى وزيادة نفوذ الشيوعيين فى كوبا فزادت الضغوط أكثر من ذى قبل .

وكان هدف أمريكا فى هذا الوقت ، ومع بداية عصر المرونة مع الاتحاد السوفيتى هو تحقيق المزيد من الاستقرار بين الدول الصديقة عن طريق ممارسة الحريات غير الحقيقية فى تلك الدول ، وكانت تعلم واشنطن أن الحكومات الفاسدة والتابعة ستكون باعثًا على انتشار الأفكار الشيوعية واليسارية بين الشعوب المظلومة .

وداخل الدولة فقد انتعشت القوى المعارضة من جديد بصورة أكبر وبدأت ممارسة أنشطتها ، وقد استفادت خصوصاً من جو الاستياء العام ، وكان رد فعل الشاه على هذه الأوضاع هو أنه صمم على أن يغير المناخ السياسى للدولة [٢٢٨] : فأعلن عن الانتخابات وأقال تيمور بختيار (رئيس الساڤاك) وعين بدلاً منه باكروان (*) .

وكان شخصا أقل بطشا من تيمور، وقد أثار تعيين باكروان لرئاسة الساڤاك فى عام ١٣٤٠ ش / ١٩٦١ دهشة زائدة فى طهران ، لأنه كان رجلاً هادئا ومتسامحا

(*) عين الشاه باكروان رئيسًا للساڤاك بدلاً من تيمور بختيار وكان باكروان عادلاً وليس فى جبروت تيمور وظلمه ، ومع ذلك أعدمت الثورة الإيرانية الأخيرة باكروان ولقى تيمور حتفه فى العراق على يد أتباعها . (المترجم)

وتختلف شخصيته عن صورة السافاك المخيفة التى ارتبطت فى أذهان الناس عن البوليس السرى ، وقد وصل الأمر بباكروان أنه لكى يحد من الأساليب القمعية للسافاك فتح أبواب مكتبه أمام المعارضين والمثقفين الذين لم يكن يتحملهم الشاه [٢٢٩] ، وفى هذه الفترة فإن السافاك قد واجه ثلاث جماعات رئيسية معارضة :

١ - الجماعات اليسارية .

٢ - الجماعات القومية .

٣ - الزعامة الدينية والجماعات المذهبية .

وكان للسافاك صدامات مختلفة مع الجماعات الثلاثة المذكورة ، وقد استخدمت القيادة العسكرية وبعد ذلك السافاك سلاح القوة والسحق إزاء الجماعات اليسارية ومن بينها حزب توده ، وكان الهدف من تأسيس السافاك محاربة الشيوعية ، لذا فإن النظام لم يستطع أن يتعايش بأى شكل من الأشكال مع الأفكار اليسارية والشيوعية . وعقب اكتشاف الشبكة العسكرية لحزب توده فى عام ١٣٣٣ ش (١٩٥٤)، رحل معظم فلول الحزب إلى الخارج ومَنْ بقى منهم فى إيران خضع بشدة لمراقبة السافاك ، وقد تعاون عدد ممن تابوا وندموا عن أعمالهم السابقة مع الأجهزة الحكومية والسافاك نفسه .

وكانت الجبهة الشعبية و الجماعات القومية ضمن الجماعة الثانية المعارضة للنظام ، والتى شكلت حركة المقاومة الشعبية بعد الانقلاب وواصلت كفاحها ضد النظام، ولم يتبع السافاك كما هى الحال فى الماضى الأساليب القمعية ضدها ، بمعنى أن السافاك فى هذه المرحلة اتبع سياسة المداراة وعدم المواجهة ، واتبع سياسة المراقبة والسيطرة مع تلك الجماعات ، وبهذا الشكل فقد سيطر السافاك تماما عليها ، فإذا شاهد نشاطًا سياسيًا بارزًا من أى منها أوقفه .

وكانت الجماعة الثالثة المعارضة للنظام تتمثل فى الزعامة الدينية والجماعات المذهبية ، وباستثناء جهود الإمام الخمينى وآية الله طالقانى لم تكن هناك معارضة فعلية من الزعامة الدينية ضد النظام والشاه ، الذى كان مطلعًا على نفوذ الزعامة الدينية بين الناس ، وكان يسعى إلى التقرب من آية الله بروجردى مرجع التقليد فى ذلك الوقت ، وفى الوقت نفسه كان يسعى الشاه إلى تنفيذ برامجه ، ولكن بسبب

الخوف من معارضة رجال الدين تسامح مع القضايا الدينية والشرعية ، واستمر هذا الحال على ما هو عليه حتى عام ١٣٤٠ ش ١٩٦١ م .

وقد تسببت وفاة آيه الله بروجردى وآية الله كاشانى فى أن الشاه ظن أنه لم يعد له معارض جدى بين رجال الدين ، وفى الوقت نفسه بادر بإرسال تلغراف يعزى فيه آية الله بروجردى أرسله إلى آية الله حكيم فى العراق .

ونقل مقر المرجعية الدينية من قُم إلى النجف ، وبعد ذلك بدأ الشاه فى تنفيذ البرامج الإصلاحية الأمريكية المقترحة مع إضعاف الزعامة الدينية ، وكانت الخطوة الأولى متمثلة فى قانون استصلاح الأراضى ، وبعد ذلك نوقشت لائحة المحافل المتعلقة بالأقاليم والمحافظات .

وفى ١٦ مهر عام ١٣٤١ ش ١٩٦٢ م . تم اعتمادها من قبل الحكومة ، وبموجب هذه اللائحة حذفت كلمة الإسلام من شروط المرشحين والمنتخبين ، وبُدلت مراسم القسم بالقرآن المجيد فى دولة إيران الإسلامية إلى القسم بالكتاب السماوى .

وقد قوبل التعديل الجديد للائحة المذكورة بالمعارضة الشديدة من قبل العلماء ورجال الدين فى قم ، كما عارضت طبقات الشعب هذه اللائحة مساندة لزعماء المرجعية الدينية، وفى تلك الأثناء اعترض آية الله خمينى اعتراضًا قطعيًا ، ووفقًا لإصرار الإمام وبعض الزعماء الدينيين الآخرين اضطرت الحكومة فى النهاية أن تعلن عن وقف العمل باللائحة المذكورة ، وقد أثارت هذه الهزيمة غضب الشاه فسعى إلى أن يرسى برنامجه الثانى الذى أطلق عليه اسم الثورة البيضاء .

وقد ووجه هذا البرنامج الجديد بمعارضة شديدة من قبل الإمام ورجال الدين والقيادات الأخرى ، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً فإن السافاك بدأ صداماته مع الإمام الخمينى والقيادات الدينية . وقد حاول الشاه باتباع أساليب مختلفة أن ينحى هذه الجماعة بعيداً عن المقاومة (سوف نتحدث باستفاضة فى هذا الموضوع فى القسم التالى) .

وعلاوة على الجماعات الثلاثة المذكورة فى أواخر عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١ م) خرجت من تحت عباءة الجماعات السالفة جماعات مسلحة نتيجة لجو الكبت الذى فرضه الشاه ونظام حكمه ، وكان ذلك فى عام ١٣٥٠ ش . ١٩٧١ م وبدأت المقاومة المسلحة ضد النظام ، والسافاك الذى لم يتحمل المقاومة المسلحة اتجه إلى سحق هذه الجماعات ، وكان المثقفون والطلاب من بين معارضى هذا النظام أيضًا ، وعلى الرغم من أن هذه الجماعات لم يكن لها نشاط منفصل وكانت مرتبطة بالجماعات الثلاثة المذكورة ، ولكن بسبب أهمية هذا الموضوع سوف نبين الصدامات التى حدثت لها مع السافاك بشكل مختصر .

الفصل الأول

السافاك وسحق الجماعات اليسارية

كانت الجماعات اليسارية ومن بينها حزب توده إحدى الجماعات المعارضة للنظام حيث كُلف السافاك بسحقها ، وقد كلف السافاك فى الإدارة العامة الثالثة من القسم الأول (الأحزاب والجماعات الشيوعية) بكشف هذه الجماعات وسحقها .

وقبل التعرض لطرق قمع السافاك لهذه الجماعات لابد أن نورد نبذة بسيطة عن الحركة الشيوعية والتيار اليسارى وحزب توده .

بدأت الحركة الشيوعية فى إيران على أساس حركة اجتماعية ديمقراطية (٣٣٠) عقب ثورة إيران منذ عام ١٢٩٦ ش ١٩١٧ م مع تأسيس حزب العدالة ، وفى سنة ١٢٩٩ ش ، ١٩٢٠ م أُسس الحزب الشيوعى فى إيران (٣٣١) .

ومع انتشار أنشطة الحزب الشيوعى فى بداية عام ١٣٠٠ ش ١٩٢١ م وعقب ظهور الإضرابات العمالية فى عام ١٣٠٨ حتى عام ١٣١٠ ش = ١٩٢٩ - ١٩٣١ م بزعامة الحزب المذكور ، حيث وضع قانون عام ١٣١٠ ش = ١٩٣١ م والذى أعلن أن الأنشطة الشيوعية غير قانونية ، وعلى هذا النحو توقف الحزب الشيوعى فى إيران (٣٣٢) حتى عام ١٣١٣ ش ١٩٣٤ م حيث واصلت جماعة قوامها ٥٣ شخصاً نشاطها (*) ، وفى هذا العام فإن الدكتور تقى أرانى يساعده عبد الصمد كامبخش قد أسس الحزب الشيوعى الإيرانى الجديد ، ومارس العمل بشكل سرى .

(*) ألف بزرج علوى قصة حول هذه الجماعة وما تعرضت له من تعذيب فى السجون الإيرانية واتخذ عنوان هذه القصة من اسم المجموعة . (المترجم)

واستطاع هذا الحزب طيلة ثلاث سنوات أن يمارس نشاطه على أيدى ٥٣ شخصاً وبعد تكشف هذا الأمر عرف أفراد هذا الحزب بجماعة الـ ٥٣ .

وكُشفت جماعة « الثلاثة والخمسون » فى عام ١٣١٦ ش .(١٩٣٧م) وحوكم أعضاؤها وفقًا لقانون عام ١٣١٠ فى سنة ١٣١٧ش = ١٩٣٨م ، وفى عام ١٣٢٠ش = ١٩٤١م وبعد احتلال إيران على يد القوى المؤتلفة وإخراج الشاه من إيران أطلق سراح عدد من الشيوعيين السجناء ، وحاول هذا العدد من الأشخاص بمساعدة أفراد آخرين تجديد الأنشطة السياسية ، وقد قوَّى هذه الفكرة وجود الجيش الأحمر فى إيران وحماية الشيوعية وتشجيعها ، وفى عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١ م) والذى وافق يوم وفاة الدكتور تقى أرانى زعيم جماعة الثلاثة والخمسين والذى كان قد قتل فى السجن - أُسس حزب توده .

وقد بدأ هذا الحزب عمله فى البداية كجبهة ديمقراطية شعبية وليس كحزب شيوعى ، ولهذا السبب فإن الحزب الجديد قد حاول أن يخفى أنشطته الشيوعية ، وأطلق على نفسه اسم حزب توده .

كان ذلك لاعتبارات مرحلية سببها أن قانون العقوبات للخارجين على الأمن والاستقلال كان لازال سارياً ، كما كانت الأنشطة الشيوعية ممنوعة وفقاً لهذا القانون [٢٣٣] ، وأيضًا فإن مؤسسى هذا الحزب صمموا أن يجمعوا حولهم القوى المعارضة تحت شعار الديمقراطية وبعد ذلك يعرفونهم بالمبادئ الشيوعية [٢٣٤] .

وكما أن الفوضى السياسية فى بداية عام ١٣٢٠ ش . (١٩٤١م) وتواجد القوى الروسية فى شمال إيران كان باعثاً على أن ينشر حزب توده أنشطته فى طهران وبعض المدن الأخرى ، وجدير بالذكر أن حزب توده كان طيلة وجوده على اتصال غير قوى بروسيا ، وعقب المؤامرة غير الموفقة فى عام ١٣٢٧ ش (١٩٤٨م) لإطلاق النار من قبل ناصر فخر آرايي على الشاه فى جامعة طهران أعلن أن حزب توده غير قانونى من قبل الحكومة [٢٣٥] وتعرض أعضاؤه للملاحقة ، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً اتجه الحزب إلى الأنشطة السرية ، ومع انتشار حركة تأميم صناعة النفط أصبحت أنشطة حزب توده فى إيران علنية ، وفى فترة حكم الدكتور مصدق نما الحزب نموا ملحوظا ، وفى نهاية فترة حكومة مصدق كانت قوة الحزب قد بلغت ذروتها .

وبعد طرح شعار « تأميم صناعة البترول فى سائر أرجاء البلاد » من قبل الحركة القومية وأيضا من قبل مصدق والتى وجدت ترحيباً من الإيرانيين عارض هذا الاتجاه حزب توده ، مستندا فى ذلك إلى أن البترول لا يستخرج من شمال الدولة وينبغى أن يؤمم بترول الجنوب ، فقد طالب أنصار الحزب بإلغاء امتياز البترول فى منطقة الجنوب دون قيد أو شرط ، حتى يكونوا قد حفظوا من أجل المستقبل بهذا الشكل مصالح الروس المتوقعة فى نفط الشمال ، وكان يعتبر حزب توده أن الجبهة القومية تياراً إصلاحيًا كاذبًا ، وأن شعاراته المتقلبة سوف تُبعد الشعب الإيرانى عن نضاله الاجتماعى الحقيقى والصحيح ، ولم يقنع حزب توده بقذف الجبهة القومية وسبها فى صحفه مع انتشار حركة تأميم البترول فى خريف عام ١٣٢٩ ش = ١٩٥٠م. بل تجاوز ذلك ووصف الجبهة القومية بأنها جبهة استعمارية وتعمل ضد الشعب وأنها أداة تخدم الاستعمار ، وبهذا الشكل يمكن أن نشاهد نوعًا من التقارب بين حزب توده ورؤساء شركات البترول والحكومة الإنجليزية (٢٣٦) .

وكان حزب توده طيلة فترة حكم مصدق وراء الفتن المتعددة والقلاقل ، ومثال ذلك ما حدث فى عامى ١٣٣٠ و ١٣٣١ ش . (١٩٥١ و ١٩٥٢م) ، وكان دائمًا باعثًا على الاضطرابات المستمرة وزعزعة الحكم فى البلاد ، وفى ظل هذه الظروف كان الناس يتمنون في أواخر حكومة مصدق أن يسود الاستقرار والهدوء ، وهكذا كان حزب توده يقود عشرات الإضرابات فى المؤسسات الاقتصادية مثل إضراب عام ١٣٣٠ (١٩٥١م) الشهير فى شركة بترول منطقة الجنوب مما تسبب فى أن إنتاج البترول قد توقف تماما ، وقد ألحق هذا بحكومة مصدق ضربات قاصمة ، وقد تسبب توقف الإنتاج من البترول وتخبط الاقتصاد إلى زيادة خسائر الحكومة وتفشى التضخم نتيجة لارتفاع أجور العاملين .

وبعد استقالة الدكتور محمد مصدق فى عام ١٣٣٠ ش (١٩٥١م) بسبب معارضة الشاه لمطالبه فى شأن التخلى عن وزارة الحربية فقد اتخذ حزب توده صحيفة (نويد آينده) أو (بشارة المستقبل) صحيفة رسمية له، وانتقد مصدق دون جدوى ، واعتبر أن هذا الاختلاف نتيجة الصراع بين تيارات السلطة الحاكمة .

وقد اضطرب هذا الحزب بسبب الثورة الشعبية التى حدثت عام ١٣٣٠ ش . (١٩٥١) كما أن عددا من أعضاء الحزب الشبان والذين كانوا من المخلصين للحزب قد

هبوا لمناصرة مصدق ، كما أن الحزب المكافح للاستعمار والذى تأسس بفضل حزب توده قد أعد المظاهرات فى طهران فى عام ١٣٣٠ ش .(١٩٥١) واقترح على الجبهة الشعبية رفع شعار وحدة جميع القوى ضد الاستعمار ، وهو الشعار الذى لم يُقبل آنذاك ، ولم يؤدِ شعار الجبهة الواحدة إلى تغيير فى سياسة حزب توده بالنسبة للحركة الشعبية ، فقط توقفت بعد ذلك حملة النقد المباشر على شخص مصدق .

كما أن سكوت القوى اليسارية فى حركة انقلاب ٢٨ مرداد مع وجود الإمكانات الكبيرة واشتراك أولئك الفعّال فى الأحداث السابقة على الانقلاب المذكور يبيّن هذه المسألة .

وبعد حدوث الانقلاب المذكور فإن حزب توده الذى كان شيوعيًا فى أفكاره قد تم قمعه بواسطة السلطة العسكرية لحكومة الانقلاب ، وبكشف الشبكة العسكرية لأولئك فإن ضربة قاصمة قد لحقت بالحزب ، وبعد كشف المنظمة العسكرية تم التوصل كذلك إلى مطبعة «بواديه» التابعة للحزب ، وفى أعقاب ذلك تم القبض على عدد آخر من أعضاء الحزب ، وفى عام ١٣٣٣ ش (١٩٥٤) أُعدم عدد من القواد العسكريين فى ميدان رماية القصر ، ولاشك أن هذا الأمر قد أضعف من الروح المعنوية لأعضاء الحزب ، وفى العام نفسه تم التوصل إلى كم هائل من الأسلحة المتنوعة فى أحد مخازن مطبعة صحيفة (نامه رزم) أو صحيفة الحرب ، وقد أُعدم عدد آخر من أعضاء هذا الحزب فى العام نفسه [٢٣٧]، وفى عام ١٣٣٤ش (١٩٥٥) تمت مواصلة تصفية الحزب ، وفى نهاية هذا العام رحل عدد آخر من زعماء هذا الحزب إلى الخارج ، وكان هذا العام - ١٣٣٤ش (١٩٥٤) - هو نهاية أنشطة الحزب داخل إيران وبداية مرحلة الهجرة للخارج ، وفى العام نفسه أيضا كشفت الإدارة العسكرية النقاب عن تنظيم داخلى لحزب توده ، فكان فى ذلك ضربة أخرى لحقت بالحزب وتُم إعدام عدد آخر من هذا الحزب فى عام ١٩٥٤ م .[٢٣٨]

وفى عام ١٣٣٥ ش (١٩٥٦) استمر تعقب أعضاء حزب توده، وقد سعت الإدارة العسكرية والقوى الأخرى الموالية لها أن تقضى تمامًا على هذا الحزب ؛ لهذا استمر تعقب الأفراد والقبض عليهم ، وعلى حد قول كيا نورى من منظمة الحزب أن الشبكة التى بقيت كانت محدودة جداً ، ولم يتجاوز عدد أعضائها عدة مئات ، وقد تولى هذه الشبكة : خسرو روزبه ، وعلى متقى ، وحبيب ثابت .[٢٣٩]

وبعد تأسيس الساڤاك في نهاية عام ١٣٣٥ ش = ١٩٥٦ م . وظهور أنشطته بشكل رسمي في عام ١٣٣٦ ش (١٩٥٧) استمر تعقب الشبكة المذكورة ، وفي هذا الوقت فإن أنشطة الجماعات اليسارية يبدو أنها قد انحسرت في هذه الشبكة نفسها، وكما قيل فإن أحد أهداف تأسيس الساڤاك هو مكافحة الشيوعية والحيلولة دون انتشارها في الدولة الإيرانية ، وذلك في الحقيقة يمثل أهم هدف لأمريكا من تأسيس الساڤاك ، وبناء على هذا فقد كلف الساڤاك بالعمل ضد الشيوعيين وفلول الحزب المتبقية .

والساڤاك الذي جند قواته لإلقاء القبض على هؤلاء الأفراد في عام ١٣٣٦ش (١٩٥٧) أعلن أنه ألقى القبض على خسرو روزبه [٢٤٠] وبناء على اتفاق جرى بين روزبه وعلى متقى وحبيب ثابت – عضوى التشكيل القيادى للحزب – للالتقاء ليلاً ، حضر روزبه ولكن أحداً منهما لم يحضر ، راح رجال الساڤاك يحاصرون المكان ، وبعد إلقاء القبض على روزبه تدهور وضع الحزب في إيران إلى الأسوأ [٢٤١] ، وبإلقاء القبض على (روزبه) ومتقى وإلقاء القبض كذلك على عدد آخر من الأعضاء الباقين انتهى وجود حزب توده [٢٤٢] من وجهة نظر الساڤاك ، وبعد ذلك لم يستطع الحزب أن يكون له أدنى تأثير [٢٤٣] .

١ ـ الساڤاك ونفوذه في التشكيل القيادى لحزب توده :

وبعد إلقاء القبض على خسرو روزبه تولى زعامة حزب توده في طهران شخص اسمه (دانش) تحت اسم مستعار (قدرت نادرى) وسرعان ما عرفت حقيقة دانش .

وقد علم (رادمنش) الأمين العام لحزب توده الذي كان يعيش خارج إيران أن (دانش) من أتباع إحسان شهبازى المسئول عن حزب توده في الساڤاك [٢٤٤] ، لهذا فقد جعل (رادمنش) مكانه عباس شهريار الذي كان واحداً آخر من صنائع الساڤاك مسئولاً عن إدارة حزب توده في إيران .

ويوضح هذا الموضوع أن الساڤاك استطاع بجذبه الأفراد موضع الثقة أن يجند أعضاء قيادة حزب توده لحسابه ، وبعد إلقاء القبض على أعضاء حزب توده من قبل الساڤاك كان يفرج عنهم ، ويدعوهم إلى التعاون معه ، كما أن الوضع المضطرب

للحزب وهجرة زعمائه خارج الدولة والفرار من خطر الإعدام وتعذيب عدد من زعمائه كل هذا كان باعثًا على أن يقبل أعضاء الحزب التعاون مع منظمة السافاك ، وكان لأعضاء حزب توده وضع خاص فى السافاك بل ووصلوا إلى مناصب عليا ، حتى وصل الأمر على حد قول أحد الموظفين في السافاك إن من هم ليسوا أعضاء فى حزب توده قبل ذلك ، تمنوا لو كانوا قبل ذلك من أعضاء الحزب (٢٤٥) .

وهكذا كان يمنح السافاكُ الأفرادَ ـ من حزب توده ـ نفوذًا واسعًا ، مع العلم أن هؤلاء الأفراد لم يقدموا فى البداية أية خدمة للسافاك ، وكان الفرد من هؤلاء يمنح النفوذ الواسع حتى يمكنه أن يجذب بقية أفراد الحزب ، فكان الفرد من هؤلاء ينقل جميع المعلومات الداخلية للحزب إلى السافاك (٢٤٦) .

وقد استفاد السافاك من الاختلافات الداخلية لحزب توده ، خاصة بين الجماعات الموالية للسياسة « الماوية » الصينية والجماعات الموالية للسياسة الروسية ، فعمد إلى دعم نفوذه ، حتى إن الروس الذين كانوا يعتبرون ظهور الجماعات الموالية لسياسة الصين خطرًا جديدًا عليهم ، لهذا راحوا يحمون تيار رادمنش ، وقووا موقفه فى زعامة حزب توده ، ولئن كانت هذه الحماية الروسية باعثة على استئصال الماوية من حزب توده ولكن ذلك فى إجماله أدى إلى خسارة فادحة للحزب .

وأصبح هذا الأمر سببًا فى أن السافاك راح يقوى ويشتد فى زعامة الحزب فى المرحلتين ، ويمنح الأفراد موضع ثقته كل النفوذ فى الحزب ، وبهذا الشكل فإن حزب توده فى إيران وظف بالنسبة للسافاك ضد الجماعات المعادية للنظام البهلوى (٢٤٧) .

واستطاع السافاك أن يجذب أحد أقرباء رادمنش - وهو حسين يزدانى - الذى كان موضع ثقة رادمنش إلى حد كبير ، وكان حسين يزدانى وشقيقه (فريدون) قد سرقا وثائق الحزب من رادمنش ، وكانا قد سيطرا على صندوق بريده وقد قدما رسائله إلى السافاك (٢٤٨) ، وبعد أن يحصل السافاك على صور من الوثائق كان يعيدها إلى الشقيقين حتى يوصلاها إلى رادمنش ويضعاها فى صندوق بريده .

وقد وصل نفوذ الساڤاك فى حزب توده إلى درجة أن أحد ضباط الساڤاك البارزين قد ادعى أن جهاز الساڤاك كان يدير حزب توده بنسبه ١٠٠٪ بدءًا من ١٣٤٠ ش (١٩٦١م) فصاعدا [٢٤٩] .

٢ - الساڤاك وتأسيس شبكات التجسس فى حزب توده :

كانت إحدى وسائل الساڤاك من أجل جذب عناصر حزب توده المخلصة للحزب وإلقاء القبض عليها وفى النهاية تصفية الحزب - تأسيس شبكات جاسوسية فى حزب توده ، كما أن عباس شهريارى الذى كان قد أتى إلى إيران فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢) كمسئول لتشكيلات طهران من أجل تجديد هيكل الحزب بمصاحبة بعض الأشخاص الآخرين قد قام بمساعدة الساڤاك بتكوين خلايا من شخصين أو ثلاثة ، حيث كان أحدهم مواليًا للساڤاك ، وكان يرسل بتقارير الجلسات للساڤاك ، وكان قد أشار أحد أعضاء حزب توده الموالين للساڤاك إلى هذا الموضوع ، و بيّن أن الساڤاك كان يطبع فى طهران صحيفة سرية لحزب توده فى عدة نسخ ويعطى لكل منطقة نسختين أو ثلاثا ، وكان يرسل أيضًا عدة نسخ للدكتور راد منش وكان يحفظ الباقى منها فى أرشيف الساڤاك [٢٥٠] .

ولاشك أنه فى بعض المواضع كان يتعاون بعض الأفراد فى الظاهر مع الساڤاك ولكن إذا خرجوا من السجن واصلوا نشاطهم فى حزب توده ، وكان يعمل هؤلاء فى الساڤاك كأفراد موالين للحزب ، وكانوا يبلغون زعماء حزب توده بالمعلومات اللازمة ، وعلى حد قول كيا نورى ، كان على متقى أحد هؤلاء الأفراد ، وقد خرج من السجن بعد أن وعد الساڤاك بالمساعدة والتعاون وكتب رسالة سرية إلى مركز الحزب (خارج البلاد) وأخبر زعماء الحزب بهذا الموضوع ، وذُكر أنه سيكتب بعد ذلك نوعين من الرسائل إلى مركز الحزب : واحدة تحت إشراف الساڤاك ستكون مميزة بعلامة خاصة ، وأخرى غير مميزة بهذه العلامة وسيرسلها بالبريد عن طريق أصدقائه فى الخارج ، وهى رسالة حقيقية لاتخضع لسيطرة الساڤاك ، وقد أخبر على متقى رؤساء الحزب أنه قد تقرر أن يدير شبكة للتخابر تحت إشراف الساڤاك [٢٥١] .

ويتحدث كيا نورى فى جزئية أخرى من مذكراته فى شأن نجاح أحد تشكيلات حزب توده فى التغلغل فى الحكومة تحت اسم (كَروه مخفى نويد) أو جماعة البشارة السرية ، والتى أسست صحيفة (نويد) أو البشارة ، ويعتبر أن سبب نجاح تلك الجماعة هو أن أحد أعضائها الذى كان يعمل فى مؤسسة (كيهان) كان يتعاون مع الساڤاك بالتنسيق مع أعضاء آخرين ، وأن هذا الأمر كان باعثًا على أن صحيفة نويد السابقة الذكر لم تكتشف على الرغم من مساعى الساڤاك وأنها ظلت تواصل عملها منذ عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) حتى الثورة الإسلامية الإيرانية (٢٥٢) .

٣ - الساڤاك ونشر الشائعات:

ومن بين الوسائل التى استخدمها الساڤاك لإخراج الأفراد من ميدان العمل ضد النظام - بث الشائعات لهدم التشكيلات الحزبية بين أفراد الشعب وكذلك الموالين لهم ، ولم يكن حزب توده بمستثنى من هذه القاعدة ، وكان ينشر الساڤاك الشائعات بقدر ما يستطيع لزعزعة مكانة حزب توده ، بزعم أن هذا الحزب قد وقف فى انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ ش (١٩٥٣م) إلى جانب الضباط الموالين للشاه للإطاحة بحكومة مصدق . (٢٥٣)

كما أن سيطرة أعضاء الحزب فى الأنشطة التى سبقت انقلاب ٢٨ مرداد على الرغم من سكوتهم أثناء الانقلاب كان باعثا على قبول الشعب هذا النوع من الشائعات .

وأيضًا فإن الساڤاك فى بعض المواقف قد نسب بعض أعضاء الحزب إليه وأعلن تعاونهم معه بعد خروجهم من السجن ، أو أطلق الشائعات القائمة على أن بعض ضباط حزب توده الذين فروا إلى روسيا ولم تعجبهم السياسة الروسية طالبوا بالعودة إلى إيران ، فحاول الساڤاك أن يحد من ميل الناس إلى حزب توده ومن أنشطة الموالين لهم . (٢٥٤)

٤ - حزب توده والسعى إلى نشاط جديد :

دفعت التطورات السياسية من عام ١٣٣٩ إلى ١٣٤٢ ش (١٩٦٠ - ١٩٦٣م) أثناء حكومة شريف إمامى والدكتور على أمينى جماعة من أعضاء حزب توده الذين كانوا فى الخارج إلى التفكير فى النشاط داخل إيران .

ولهذا الأمر ففى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) توجهت الجماعة المذكورة إلى إيران بعد السماح لها من السلطة التنفيذية وبعد إذن الدكتور راد منش نفسه ؛ من أجل تجديد تنظيمات الحزب .

وكان أعضاء الجماعة المذكورة : بروين حكمت جو ، وعلى خاورى ، وعلى حكيم ، وعباس شهريارى ، وكان عباس شهريارى مسئولاً عن تشكيلات طهران من قبل الدكتور راد منش .

وهؤلاء الأفراد الذين كانت تربطهم معرفة سابقة مع رفقائهم فى الحزب قد سعوا إلى جذب أفراد جدد ، وفى الوقت نفسه فقد حصلوا على معلومات فى شأن الجماعات والعناصر النشطة التى تعمل بشكل غير منظم ، ومن بين هؤلاء الأفراد عباس شهريارى الذى التحق بخدمة السافاك منذ رحيله إلى أوروبا ، بل وقدم كل المعلومات إلى الشرطة ، ووفقًا للمعلومات التى قدمها شهريارى إلى السافاك فإن خاورى وحكمت جو وعدداً آخر من الأشخاص قد تم إلقاء القبض عليهم ، وبعد المحاكمة مكثوا فترة طويلة فى السجون ، وقد توصل السافاك إلى مطبعة دورية (نامه مردم) أو رسالة الشعب التى كان ينشرها عدد من أفراد الحزب ، وتم إلقاء القبض على جماعة أخرى من أعضاء حزب توده ، وجدير بالذكر أن تعاون شهريارى مع السافاك حتى عام ١٣٤٨ ش . (١٩٦٩م) لم يكن معروفا لزعماء حزب توده ، ومنذ عام ١٣٤٦ ش (١٩٦٧م) فإن نشاط حزب توده قد توقف فى إيران بسبب الضربات التى لحقت به [٢٥٥] ، ولم يكن لهذا الحزب حتى عام ١٣٥٠ش (١٩٧١م) نشاط ملحوظ فى إيران ، وفى أوائل هذا العام (١٣٥٠ش) سعت جماعة من المنفصلين عن حزب توده مرة أخرى إلى إحياء الحزب .

والسبب الرئيسى وراء عودة أولئك لحزب توده هو فشل الجماعتين المسلحتين – الأولى (سازمان انقلابى حزب توده) أو منظمة حزب توده الثورية ، والثانية (سازمان طوفان) منظمة الطوفان أو العاصفة – فشلهما فى تنفيذ أهدافهما ؛ أى النضال المسلح ، وشيئًا فشيئًا نشروا أنشطتهم ونشروا كذلك عدة صحف مثل:مردم (الشعب)، ودنيا (الدنيا) ، ونويد (البشارة) نشروها فى طهران ، ولكن ضغوط السافاك وتعقب أعضاء توده سلب الحزب أى نوع من الفاعلية الحقيقية .

حتى إنه فى سنوات ظهور الثورة الإسلامية ، التى تنامت فيها أنشطة الجماعات القومية والإسلامية وعلى الرغم من الحرية السياسية المتاحة فى هذه السنوات ، فقد

عجز هذا الحزب أمام الضغوط الساڤاكية والحكومية عن ممارسة نشاط واسع النطاق ، وظل زعماء ذلك الحزب حتى انتصار الثورة الإسلامية خارج إيران .

أما أعضاء الحزب فى إيران ، فإن كل ما فعلوه هو أنهم أصدروا بعض البيانات أيدوا فيها الحركة الثورية للشعب ، كما اقترحوا إنشاء جبهة موحدة للتحرر الوطنى والاستعداد المسلح الشامل (٢٥٦) .

٥ - الأنشطة الفدائية والمسلحة :

بعد حركة ١٥ خرداد عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣ م) سيطر الساڤاك على جميع الجماعات السياسية سيطرة تامة ، وقضى على كل حركة فى مهدها ، وسحق حزب توده فى إيران ففقد بذلك أى نوع من الفاعلية ، ومع زيادة الضغوط الساڤاكية فإن أعضاء هذا الحزب لم يستطيعوا أن يواصلوا النضال السياسى فى هذا الجو الخانق ، ولم يستطيعوا أن يقوموا بأنشطة مسلحة يمكن من خلالها أن يتآمروا على النظام البهلوى ، وقد سعت هذه الجماعات فى العقدين التاليين ١٩٦١ م و ١٩٧١م إلى أن تقوم بأنشطتها الحزبية وسعت كذلك بعد قبول العضوية أن تعلم أعضاءها النضال المسلح ضد النظام .

ولكن بسبب سيطرة الساڤاك عليها وتصفيتها فقد فشلت هذه الجماعات فى أن تقوم بأنشطة واسعة .

وبعض هذه الجماعات قد انتهى قبل بداية معاركه المسلحة ،والبعض الآخر استطاع أن يقوم بتفجير الأبنية الحكومية وتدميرها ، ومهما يكن من أن هذه الجماعات لم توفق فى أنشطتها لكنها قد تخلصت من جو الكبت فى أواخر عام ١٣٤٠ و ١٣٥٠ش ، (١٩٦١ و ١٩٧١) وألقت الرعب والخوف فى قلب النظام والقوى العسكرية ومنها الساڤاك ، وقد ورد فى إحدى وثائق الساڤاك فى هذا الشأن :

« وفى السنوات السابقة على عام ١٣٤٨ ش . (١٩٦٩م) حدث استقرار نسبى بالنسبة إلى الأنشطة الهدامة شيئًا فشيئًا ، كما حدث تغير فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية للدولة ؛ بسبب التحول فى العوامل المرتبطة بالأنشطة السياسية ، ولكن التعرف على أعضاء الجماعات الشيوعية المختلفة وإلقاء القبض عليهم حينما كانوا فى طريقهم إلى العراق وفلسطين قد هزت إلى حد ما الاستقرار العام ، وقد أدى هذا الأمر

إلى ممارسة هذه الجماعات لأنشطتها فى الخفاء والسرية ، كما أن بناء حزب شيوعى بالمعنى الواسع للشيوعية يحتاج إلى وقت طويل لتحقيق هذا الهدف » (٢٥٧) .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً فإن الساڤاك قد تعقب تصفية الجماعات المسلحة ، ومنع أولئك من العمل ضد النظام بشتى الوسائل ، ويمكن أن نذكر من هذه الجماعات : جماعة منظمة حزب توده الثورية ، ومنظمة الفدائيين الإيرانية ، و جماعة النور . وسوف نبحث فى هذا المقام كيفية اصطدامها بالساڤاك من خلال المصادر والوثائق الموجودة (٢٥٨) .

٦ - منظمة حزب توده الثورية :

وكانت هذه المنظمة أولى المنظمات التى انفصلت عن حزب توده ، وكانت ترتبط أول الأمر (بكوبا) وبعد ذلك اتبعت أفكار الحزب الشيوعى فى الصين ،وفى أوائل عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) استطاع عدد من أعضاء هذه المنظمة (الماوية) أن يدخل إيران وأن يقوم بأنشطة مسلحة .

فى هذه السنوات تعقب الساڤاك الجماعات اليسارية ، وخاصة الجماعات التى كانت تقوم بأنشطة مسلحة وقام بتصفيتها ، وفى عام ١٣٥٠ش (١٩٧١) وفِّق الساڤاك فى أن يتعرف على هذه الشبكة وأن يقضى عليها . وقد ورد فى إحدى وثائق الساڤاك فى هذا الشأن :

« إن الشبكة الأخرى التى تم كشفها هى شبكة مرتبطة بمنظمة حزب توده الثورية المنحلة ، وإن هذه المنظمة التى ظهرت منذ سبعة أعوام فى أمريكا وأوروبا كانت تهدف إلى إيجاد تشكيلات داخل إيران ، وشيئًا فشيئًا أرسلت إلى إيران عددا من الأشخاص يحملون أسماء وهمية ، ومن الأفراد المرسلين قدم ستة منهم أنفسهم إلى مسئولى الأمن ، وتم إلقاء القبض على بعضهم ، وتمت محاكمتهم ، وقد وفق أحد الأفراد المرسلين إلى تشكيل شبكة داخل الدولة ، وقد تم التوصل أخيرا إلى هذه الشبكة المذكورة ، وقد باءت كل مؤامرة من مؤامرات الشبكة بالفشل بسبب النفوذ الذى كان للساڤاك داخل هذه الشبكة المذكورة » (٢٥٩) .

ومن هذا التقرير ندرك مدى نفوذ الساڤاك داخل الجماعات اليسارية ورد فعل الساڤاك تجاه هذه الجماعات .

٧ - « مجاهدو خلق » الإيرانية :

إن إحدى الجماعات المناضلة اليسارية التى كانت تقوم بعمليات مسلحة ضد النظام فى أوائل عام ١٣٥٠ ش . ١٩٧١ م كانت جماعة مجاهدى خلق المذكورة ، وقد تشكلت الجماعة المذكورة فى أواخر عام ١٣٥٠ ش عقب الجماعتين اللتين قد تشكلتا عام ١٣٤٠ ش :

(أ) جماعة جزنى (ب) جماعة أحمد زاده

وقبل بحث منظمة مجاهدى خلق الإيرانية واصطداماتها مع السافاك سوف نتحدث فى شأن الجماعتين اللتين شكلتاها :

(أ) جماعة جزنى :

قام بيجن جزنى عقب انقلاب ١٥ خرداد عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) - وفقا لاعترافاته - بالأنشطة المسلحة ، وقد كون بصحبة خمسة أشخاص من طلاب جامعة طهران [٢٦٠] جماعة تسمى (جنبش آزادى إيران) أو حركة التحرر الإيرانية ، والتى بعد ذلك اشتهرت باسم «جماعة جزنى» أو «جماعة سياهكل» وكان أغلب هؤلاء الأفراد فى الماضى من جماعة شباب حزب توده . وكانت جماعة الشباب هذه وفقا لبرنامج أهداف حزب توده المعتمد فى المؤتمر الثانى عام ١٣٢٧ ش . ١٩٤٨م فى الفصل السابع تتألف من جميع الشباب الذين كانت أعمارهم تتراوح ما بين الثانية عشرة والثالثة والعشرين [٢٦١] ، وهؤلاء الأفراد مع الأخذ فى الاعتبار الشروط المتعلقة بالسن والعمل والنضال السياسى لم يعتبروا كافين للإطاحة بالنظام الحاكم ، وإنما كانوا يعتبرون أن السبيل لقلب النظام يكمن فحسب فى النضال المسلح والفدائى ، وتصدق هذه الحقيقة على سائر الجماعات المسلحة ، وببحث سيرة هؤلاء الأعضاء يتضح أن أكثر الأفراد الذين قاموا بالعمليات المسلحة والفدائية كانوا من طبقة الشباب .

وقد تدربت جماعة جزنى ما يقرب من عام كامل للتعرف على أسلوب العمليات المسلحة ، وهكذا بدأت هذه الجماعة محاولة واسعة لإعداد القوة والتجهيزات ، كما جمعت الأفراد من بين الطلاب والمعلمين وأعضاء حزب توده ، وللاستعداد للنضال القوى استخدمت فى نضالها الأسلحة البيضاء .

وعلى الرغم من الحيطة والسرية فى العمليات المسلحة إلا أن هذه الجماعة سلمت ناصر آقايان أحد أعضاء حزب توده الموثوق فيه الأسلحة ، وكان (آقايان) هذا قبل ذلك من المتعاونين مع الساڤاك ، وعلى هذا النحو اتضحت حقيقة هذه الجماعة للساڤاك .

وقد جعل الساڤاك جماعة جزنى تحت سيطرته عن طريق آقايان ، وسعت جماعة جزنى فى عام ١٣٤٦ ش (١٩٦٧م) فى شن حملة على البنوك وذلك من أجل تأمين احتياجاتها المالية .

وعلى هذا النحو اتفق عباس سوركى مع آقايان على نقل الأسلحة إلى مقر سرى، إلا أن سوركى قد سُجن على يد الساڤاك فى عام ١٣٤٦ ش . (١٩٦٧)عقب نقل الأسلحة عن طريق آقايان إلى مكانها السرى وكان فى صحبة (جزنى) ، وبعدها تم إلقاء القبض على شخصين آخرين من أعضاء الجماعة ، وبسبب ضغط الساڤاك وتعذيبهم للأعضاء المذكورين فقد اعترفوا على بعض أسماء الآخرين .

كما أن الأفراد المتبقين الذين علموا بمؤامرة الساڤاك صمموا على الخروج من البلاد ، وبهذا الشكل يمكنهم أن يهربوا بشكل سرى من الحدود ؛ لهذا طلبوا من فرد يدعى عباس شهريارى أحد الأعضاء المبرزين فى حزب توده فى طهران أن يساعدهم ، والذى كان موضع ثقة السكرتير العام للحزب ، لكنه كان قد التحق بخدمة الساڤاك .

وقد قررت هذه الجماعة أمام الضغوط والمراقبة أن يتسللوا خارج الحدود فى جماعتين ، جماعة تتكون من شخصين وأخرى من ثلاثة أشخاص ، ووفقًا للقرار المذكور فإن شخصيْن من أولئك هما (على أكبر صفائى فراهانى) ، و(محمد صفارى آتشيابى) قد تسللا عبر الحدود ، وقد اهتم الساڤاك بإلقاء القبض على الجماعة الثانية التى كان عددها أكبر وتشكل أهمية كبرى بالنسبة للساڤاك ، ولأن الجماعة الأولى لم تكن تشكل خطرا على الأمن ، وكانت الجماعة الثانية (هى كلانترى ، وجوبان زاده ، وكيان زاد) وقد اتجهت هذه الجماعة إلى العراق عندما علموا أن الطريق آمن ، ولكن أثناء مرورهم وقعوا فى كمين الساڤاك ، وعلى هذا النحو فإن الجماعة المذكورة قبل أن تقدم على ما فكرت فيه قد تم قمعها على يد الساڤاك وتلاشت [٢٦٢] .

وقد قتل بيجن جزنى زعيم هذه الجماعة وبصحبته ثمانون شخصاً من فدائى ومجاهدى (وفقا لاعتراف أحد موظفى الساڤاك يدعى «طهرانى» قد شارك فى قتلهم) بأمر من الشاه لوقف العمليات المسلحة الفدائية بعد اغتيال العميد زندى پور) ، وقد تم قتل هؤلاء بواسطة موظفى الساڤاك فى سجن أوين . (٢٦٣)

وقد ذهب صفائى فراهانى وسقارى آشتيانى إلى لبنان بعد أن نجحا فى الخروج من الحدود ، وتوجه هذان إلى معسكرات « فتح » المرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية حيث أقاما عامين هناك وتدربا على الأساليب الفدائية ، وعاد صفائى فراهانى إلى إيران فى عام ١٣٤٨ ش ، (١٩٦٩)بمساعدة الدكتور راد منش السكرتير الأول لحزب توده عن طريق العراق ، والتحق بحميد أشرف وشخصين آخرين واللذين كانا قد هربا من الخطر ، وحاولوا إحياء المنظمة من جديد .

ثم عاد من جديد إلى لبنان ، وقد جاء بصحبة صفارى آشتيانى فى ربيع ١٣٤٩ ش ، (١٩٧٠) مع بعض الأسلحة القتالية إلى إيران (٢٦٤) وفى شتاء عام ١٣٤٩ ش . (١٩٧٠) توصل الساڤاك إلى هذه الجماعة ، وواجه الأعمال الإرهابية لهذه الجماعة بكل عنف ثم ألقى القبض عليهم ، وقد تمكن هؤلاء الأفراد من القيام ببعض الأعمال فى طهران والأقاليم من قبيل الهجوم على حراس الأمن والهجوم على إدارة الأمن فى تبريز والهجوم على إدارة الأمن فى قلهك (*) وتفجير أعمدة الكهرباء وتفجير بعض مراكز الشرطة و.... (٢٦٥)

وقد تم إلقاء القبض على عدد من أفراد هذه الجماعة بعد الهجوم على الإدارة الأمنية فى لاهيجان (**) وذلك بمساعدة القرويين فى الضواحى ، وبعد محاكمتهم أعدم ٣١ شخصاً منهم ودخل عدد من أولئك السجن بعد الوعد بالتعاون مع الساڤاك وإظهار الندم عما مضى .

واتفق أفراد الجماعة المتبقية بالتعاون بين بعضهم بعضاً بعد التوصل إلى جماعة أحمد زاده – پويان .

(*) قلهك : تبعد ٩ كم عن طهران .
(**) لاهيجان تقع جنوب الخزر . (المترجم)

(ب) جماعة أحمد زاده - پويان

والجماعة الثانية التى كان لها دور فى تشكيل منظمة المجاهدين هى الجماعة التى كانت تمارس أنشطتها منذ عام ١٣٤٦ وعام ١٣٤٧ ش (٦٧ ، ١٩٦٨)، وكانت أفراد هذه الجماعة تؤمن بالعمليات المسلحة والفدائية ، ولكن بسبب ضغوط الساڤاك والشرطة لم تقم بأنشطة كافية .

وقد تمّ التوصل إلى أفراد هذه الجماعة فى عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) مع جماعة جزنى ، وقد واصلت الجماعتان حتى عام ١٣٤٩ ش . (١٩٧٠) النضالَ المسلح إلى جوار المباحثات الطويلة والمنظمة ذات التخطيط الواسع ، وفى النهاية فإن جماعة أحمد زاده كانت تؤمن بفكر جماعة جزنى التى كانت تؤمن هى الأخرى بالعمل فى المدينة والقرية ، وبعد حملة جماعة جزنى بقيادة صفائى على معقل سياهكل فقد تجمعت أعضاء جماعة (جنكل) فى طهران ، وفى عام ١٣٤٩ (١٩٧٠) انفصل الفريقان المستقلان (فريق قوامه خمسة أفراد وآخر قوامه ثلاثة أفراد) .

وقد خططت جماعة (جنكل) فى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) لمؤامرة ضد المدعى العام المكلف بمحاكمة جماعة جنكل ونفذت ذلك فى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) . وكانت جماعة أحمد زاده فى ذلك الوقت لديها فريق مؤهل حيث شن حملة على قسم شرطة (قلهك) وقتلوا حارس القسم بإطلاق النيران عليه .

وفى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) امتزجت الجماعتان معًا وأسستا منظمة للأعمال الفدائية من الإيرانيين ، وكان أعضاؤها الفدائيون جماعة ماركسية ثورية وليست مذهبية وكانت تدافع عن أنشطتها للإطاحة بالشاه وكانت تشبه إلى حد كبير ثوار أمريكا اللاتينية (٢٦٦) ، وفى ربيع عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) ألقى رجال الساڤاك والشرطة القبض على معظم الزعماء والأعضاء المبرّزين أثناء الصدامات المسلحة مع رجال تلك الجماعة وقتلوا البعض منهم ، إلا أن الأفراد الذين سلموا من إلقاء القبض عليهم واصلوا النضال ، ومع انضمام أفراد جدد أسسوا مراكز جديدة فى طهران وبعض المدن الأخرى (٢٦٧) .

فى أواخر عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥) كانت قد توقفت الأعمال الفدائية الشعبية فى مقاومة أعمال الشاه ووُفِّق السافاك والبوليس فى إلقاء القبض على عدد من الفدائيين .

وكان السافاك يشجع الناس على التبليغ عن أولئك الأفراد، الذين كان يسميهم الملحدين والإرهابيين ، وذلك فى المنشورات التى يبثها ضد هؤلاء الخارجين .

وفى هذا العام اختلفت هذه الجماعة حول برنامج توجهاتها ؛ فانقسمت إلى طائفتين : الجماعة التى تمثل الأغلبية أصرت على مواصلة الصراع المسلح ، والجماعة الثانية التى تمثل الأقلية طالبت بإيقاف الصراع المسلح ، وهى الجماعة المنبثقة عن المنظمة الفدائية الشعبية المرتبطة بحزب توده ، وكانت قد أعلنت عن وجودها [٢٦٨] .

وقد واصل السافاك والشرطة ملاحقتهم للجماعتين حتى إنه فى عام ١٣٥٥ ش (١٩٧٦) هاجم أحد عشر شخصًا من أعضاء تلك المنظمة ، التى كانت تؤيد الصراع المسلح فى إحدى المنازل بمهرآباد الجنوبية ، وقضت على جميع أفراد التنظيم ومن بينهم حميد أشرف زعيم الفرقة الأخيرة [٢٦٩] .

ومن ذلك الوقت فصاعداً لم تظهر أى أنشطة فعالة لهذه الجماعة بسبب تضييق الخناق عليها من قبل السافاك والقوى العسكرية الأخرى ، حتى ظهر هؤلاء الأفراد الفدائيون مرة أخرى مع تنامى قوى الثورة الإسلامية ، ولكن لم يكن لهؤلاء الأفراد دور مهم فى إيجاد حركة شعبية تشعل المظاهرات ضد النظام البهلوى ، وفى أثناء الصدامات المسلحة التى وقعت فى ٢١ و٢٢من شهر بهمن من عام ١٣٥٧ ش (١٩٧٨) اتفق هؤلاء الفدائيون مع أفراد الثورة الشعبية على شن حملة على مراكز الشرطة والمعاقل العسكرية ، وغنموا أسلحة ومهمات عديدة من وراء هذا الهجوم خبّأوها فى أماكن مختلفة [٢٧٠] .

٨ - جماعة مصطفى شعاعيان :

وعلاوة على الجماعة المذكورة فقد تم اعتقال جماعات أخرى ذات أفكار ماركسية وشيوعية مثل (جماعة طوفان) وجماعة مصطفى شعاعيان . وفى تلك الأثناء كان مصطفى شعاعيان هذا قد قام بأنشطة فعالة ضد النظام إلى حد أن السافاك اعتبر

جماعته أخطر جماعة [٢٧١] ، وسوف نشير إلى كيفية أنشطة أعضاء هذه الجماعة نقلاً عن إحدى وثائق الساڤاك والمسماة : معلومات بشأن المخربين .

« وقد ظهرت هذه الجماعة على يد شخص يدعى مصطفى شعاعيان منذ عام ١٣٤٧ ش - ١٩٦٨م وقد ظهرت فى سرية كاملة وبشكل تدريجى ، وقد فاقت الجماعات الأخرى من حيث التكتيك والتخطيط ، فهى أهم من (مجاهدى خلق) وأكثر خطورة .

لأن مؤسس هذه الجماعة ذو تجربة طويلة تصل إلى عشرين عاماً ضد النظام ، وكانت أنشطته السرية قد امتدت إلى عشرة أعوام ، هذا فضلاً عن أنه كان شخصاً ذا اطلاع واسع وكاتب بارز وكان لديه إيمان راسخ وأفكار ، وكان المشار إليه قد سمى جماعته (جبهة الشعب الإيرانية الديمقراطية) » . [٢٧٢]

وقد كشفت قوات الأمن وعلى رأسها الساڤاك الفرعين الرئيسيين لهذه الجماعة وذلك بتوجيه ضربتين شديدتين لهما ، الأولى فى صيف عام ١٣٥١ ش . (١٩٧٢م) والثانية فى عام ١٣٥٢ ش (١٩٧٣م) وجردت الأعضاء من الأسلحة والعتاد ، وقد نزلت هذه الضربات كالصاعقة على هؤلاء الأعضاء ، ولكن زعيم هذه الجماعة قد هرب وواصل نشاطه بحرص شديد وحيطة كاملة . [٢٧٣]

أصبح عجز الساڤاك وقوات الأمن التابعة للنظام الحاكم عن إلقاء القبض على (مصطفى شعاعيان) ظاهرا ، وكلما بدا الساڤاك فى الظاهر بأنه تمكن من أن يقضى على كثير من الجماعات اليسارية ، إلا أن استمرار أنشطتها كان دليلاً على هشاشة قوات الأمن والنظام ، والوسيلة التى استخدمها الساڤاك فى مواجهة هذه الجماعات استعمال عيونه المدسوسة داخل هذه الجماعات ، ولكن فى كثير من المواقف كان الساڤاك يجهل أنشطة بعض الجماعات ، وكم من الجماعات التى كانت تمارس نشاطها بالشهور والأعوام حتى إن الساڤاك قد عجز عن معرفتها .

٩ - منظمة مجاهدى خلق :

إن المنظمة المذكورة هى إحدى المنظمات المرتبطة بالجماعات الفدائية المسلحة والتى مارست أنشطتها منذ عام ١٣٤٠ حتى عام ١٣٥٠ ش . (١٩٦١ - ١٩٧١م) وقد بدأت هذه المنظمة نشاطها كجماعة ذات أفكار مذهبية ، ولكن بعد ذلك انحرفت عن مسارها ، وفى عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) أعلنت توجهاتها الماركسية .

وقد كشف السافاك فى أوائل عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) أعضاء الجماعة التى مارست أنشطتها المسلحة وقام بتصفيتها .

وكان : محمد حنيف نجاد ، وسعيد محسن ، وعلى أصغر بديع زادكان ، هم مؤسسى هذه الجماعة ، وهؤلاء الأفراد علاوة على أنهم كانوا طلابًا فقد شاركوا فى أنشطة حركة التحرير ، وبعد وصول أنشطة جمعية حركة التحرير الإيرانية إلى طريق مسدود أخذوا فى بحث الأسباب التى أدت إلى فشل أنشطة الجمعية المذكورة [٢٧٤] .

وكان يعتقد هؤلاء أنه يمكن إسقاط الشاه بالمواجهة العسكرية فقط ، كما كان هؤلاء الأفراد يعتقدون أيضًا أن مقاومة النظام ينبغى أن تكون منظمة وأن يتخذ له هدفا وأن تُدَرَّب الجماعات حتى تستطيع أن تحمل المسئولية ، وأن يوضع تحليل عن طبقات المجتمع والقوى النشطة والمكافحة فى المسرح السياسى [٢٧٥] .

وفى عام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥) أسس هؤلاء الأفراد فى بداية الأمر جماعة تحت اسم (حركة التحرير الإيرانية) على غرار منظمة «فتح» ، ومع جمعهم لبعض الآيات والروايات المنقولة عن الأئمة الأطهار ومقارنة الجهاد فى الإسلام بأساس الثورة فى الأصول الماركسية ، أسسوا فكرًا خاصًا عُرف بعد ذلك بالماركسية الإسلامية [٢٧٦] ، وفى أواخر عام ١٣٤٧ ش (١٩٦٨) قامت المنظمة المذكورة بعد ثلاث سنوات من العمل فى مجال إعداد التشكيلات وبحث الثورات والعُنف النسبى تجاه المجتمع الإيرانى وتدوين برامج التعليم والتدريب وتأسيس بيوت التأهيل ، قامت بتنظيم استراتيجيتها وتدوينها من أجل الترويج للعمل المسلح [٢٧٧] .

وقد وثقت المنظمة المذكورة علاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية والجناح العسكرى فى حركة «فتح» من أجل الحصول على التدريب السياسى والعسكرى ، وفى أواخر عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠م) ذهب ثمانية أشخاص من المجاهدين بوثائق مزورة عن طريق دبى إلى (أبو ظبى) وعادوا بعد إعداد جوازات السفر ، والتحق عدد آخر بأولئك من أجل الذهاب إلى بيروت ، ولكن الشرطة اشتبهت فى ستة أشخاص منهم فقبضت عليهم وأخبر مسئولو الإمارة وزارة الخارجية الإيرانية بإلقاء القبض عليهم [٢٧٨] .

وإن المنظمة التى كانت لفترة طويلة قد غيرت اسمها (بمنظمة مجاهدى خلق) بعد علمها بإلقاء القبض على أفرادها أرسلت ثلاثة أشخاص إلى (دبى) ، وقد علم المجاهدون بعد الاتصال بالمساجين بأمر تسليمهم إلى السلطات الإيرانية وكيفية تنفيذ ذلك ، وقد سيطروا على الطائرة بعد مؤامرة محسوبة وأسروا الطيار ومساعده .

وبعد سيطرة المجاهدين على الطائرة خطفوها إلى بغداد ، وفى مطار بغداد فإن الموظفين العراقيين كانوا قد اشتبهوا فى عملية اختطاف الطائرة هذه ، وكانوا يعتبرون ذلك حيلة من السافاك ، فاعتقلوا المجاهدين وعذبوهم ، وبعد عدة أسابيع علمت الحكومة العراقية بحقيقتهم ، وكان قد سلِّم الأفراد المذكورون إلى منظمة «فتح» ، واتجه هؤلاء من هناك إلى بيروت وانضموا إلى أعضاء المنظمة .

والجدير بالذكر أن المنظمة حتى هذا الوقت ظلت غير معروفة للسافاك ، وبعد ذلك بعام كامل علمت منظمة السافاك بهوية مختطفى الطائرة وتأسيس منظمة فدائية دون معرفة اسمها (٢٧٩) .

ويشاهد هذا جيداً فى وثائق السافاك ، وقد ورد مثلاً فى إحدى الوثائق : إن الجماعة المذكورة قد عملت منذ خمسة أعوام واستطاعت أن تنجو من الأخطار والتصفية بسرية تامة وحرص شديد (٢٨٠) .

وفى أثناء الاحتفال بالأعياد الملكية فإن مراد دلفانى الذى كان من عناصر السافاك ، فى سنة ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) . يعيش بصحبة حنيف نجاد وبديع زادجان فى سجن القصر ، وكان قد استطاع أن يجذب بذكاء ثقتهما إليه ، وأجروا اتصالاتهم معـاً مـن أجل إعداد الأسلحة والديناميت ، وكان مراد دلفانى بتوجيه من السافاك قد أحضر أكثر من مرة الأسلحة لهما ، وبهذه الوسيلة كسب ثقتهما أكثر من ذى قبل ، وكان (دلفانى) قد تغلغل بإرشادات السافاك داخل هذه المنظمة وأثناء توثيق علاقته بأعضاء المنظمة حصل على معلومات جديرة بالاهتمام عن المنظمة والقيادة وبعض العناصر الأخرى وبرنامج العمليات العسكرية لهم أثناء الاحتفال بالأعياد الملكية (٢٨١) ، وكانت الجماعة بصدد تنفيذ عملياتها العسكرية، وكان قرارها أن تبدأ

فى ١٥ مهرماه عام ١٣٥٠ ش - ١٩٧١م عملياتها الواسعة فى أنحاء الدولة ، وقد بقى آنذاك أسبوع واحد على بدء الاحتفال بمرور ٢٥٠٠ عام على الملكية ، وبناء على هذا فقد عرفوا عدداً من أعضاء السافاك وصمموا على اغتيالهم ، وكانوا قد خططوا كذلك لتفجير عدد من الأماكن الحساسة (٢٨٢) ، ولكن قبل تنفيذ مخططهم قام السافاك باعتقالهم .

وعلى الرغم من نقص معلومات السافاك فى شأن المنظمة المذكورة وخوفاً من عملياتهم العسكرية قرر القبض على الأعضاء وتصفية المنظمة ، وبناء على هذا فإن مسئولى السافاك ألقوا القبض على أولئك بمساعدة قوات الشرطة فى برنامج خطط له جيداً فى الساعة الثانية من صبيحة اليوم الأول من شهر يور عام ١٣٥٠ ش . (١٩٧١م) قبل أن ينجح المجاهدون فى عمليات التفجير ، وذلك بعد أن هاجموا منازلهم .

وقد قبض السافاك على معظم أفراد المنظمة باستثناء عشرة أو اثنى عشر شخصاً ، ووقعت المنظمة مرة واحدة فى أيدى السافاك (٢٨٣) وكان عدد المقبوض عليهم ٥٩ شخصاً وفى الشهر المذكور من عام ١٣٥٠ ش . ١٩٧١م وُجِّه الاتهام لهؤلاء الأفراد بالانضمام إلى منظمة مجاهدى خلق ومساعدة أفرادها ، وسلّموا إلى المحاكم العسكرية لمحاكمتهم ، وأثناء التحقيق مع المتهمين ظن المدعى العام العسكرى والسافاك فى بداية المحاكمة أن هذه الجماعة تنتسب إلى حركة التحرير ، ولكن أثناء المحاكمة أعلن المتهمون أنهم أعضاء فى منظمة جديدة تدعى منظمة مجاهدى خلق الإيرانية (٢٨٤) .

ولكى يحصل السافاك على نفوذ أكثر داخل المنظمة ويتعرف على بقية أعضاء المنظمة نظم طريقة هروب (تقى شهرام) أحد أعضاء المنظمة الذى كان سجينا لديه ، وكان شهرام هذا أحد أعضاء المنظمة ، حتى يستطيع بهذه الطريقة أن يتعرف على العناصر المتبقية بالشكل الكامل ويلقى القبض عليهم (٢٨٥) .

وعلى الرغم من عمليات إلقاء القبض الواسعة والمحاكمات وإعدام المجاهدين فإن أعضاء المنظمة المتبقين قد نجحوا فى بدء تجديد المنظمة وممارسة الأنشطة والتخفى فى بيوت آمنة ومسلحة ، وفى السنوات التالية نفذوا سلسلة من العمليات الفدائية ضد النظام .

ومنذ عـام ١٣٥١ ش (١٩٧٢) فـصـاعـداً واصـل المجـاهـدون الـهـجـوم على مـقـار الشرطة لتنفيذ عمليات التفجير فى نقاط مختلفة من البلاد ، وأكثر المجاهدون من عملياتهم المسلحة من عام ١٣٥٢ حتى عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٣ - ١٩٧٤ م) .

وأثناء القيام بهذه الأنشطة تم إلقاء القبض على عدد منهم وقُتل البعض الآخر ، وقد حاول الساڤاك والنظام الحاكم اللذان قد ضيقا الخناق على أنشطة الفدائيين حاولا أن ينشـرا الدعـايات الواسـعـة ضـد هؤلاء حتى يبعدا المواطنين عن الانضـمـام إلى أنشطتهم هذه (٢٨٦) .

وفى أوائل عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) اختلف أعضـاء المنظمة المتبقين فى توجهاتهم وأفكارهم ، ومع إعلان التوجهات الجديدة ظهر اختلاف شاسع فى طبيعة الفكر الثورى لهؤلاء ، وقد استفاد الساڤاك من هذه الحقيقة .

ولتوجيه ضربة شديدة لهذه المنظمة وفى عام ١٣٥٤ ش . أذاع الساڤاك بيانا عن توضيح المواقف الاستراتيجية دون علم المنظمة بذلك ، فى حين أن أكثر أعضـاء هذه المنظمة لم يكونوا يعلمون بنص هذا البيـان ، وبهذا الشكل عمقوا من الاختلافات الفكرية داخل هذه المنظمة، التى واصلت نشاطها حتى سنوات الثورة الإسلامية (٢٨٧) .

ومنذ عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) اتجه أغلب المجاهدين إلى الماركسية وشيئًا فشيئًا قاموا بحذف الآيات القرآنية من شعاراتهم ونشروا بدلاً منها الأفكار الماركسية ، إلا أن عدداً ضئيلاً من التيار المسلم لمنظمة المجاهدين لم يغيّر من توجهه ، ونشر الساڤاك فى هذه السنوات منشورات مـعـادية للماركسيين والمسلمين المجاهدين وحاولوا — رجال السـاڤـاك — زرع الفتن بين الطرفين ، ورغم هذه المشكلات العديدة وضـغـوط السـاڤـاك فإن المجاهدين المسلمين قد حافظوا على تنظيماتهم وواصلوا كفاحهم فى معظم المدن بأسمـاء مـتعددة وجديدة من ذلك : جـمـاعة المهديين فى أصـفـهان ، وجمـاعة الشيـعة الصالحين فى همدان ، وجماعة صراخ الشعب الصامت فى تبريز . وكان المجاهدون الماركسيون أكثر نشاطًا من المجاهدين المسلمين ، وفى هذا العام نفسه نظموا سلسلة من العمليات المسلحة ضد النظام ، ولكن أثناء تنفيذ هذه العمليات تم إلقاء القبض على بعضهم وقتل البعض الآخر .

وعلى أية حال فإن إلقاء القبض على عدد من أعضاء المنظمة وقتلهم وملاحقتهم المتواصلة من قبل السافاك وتضييق الخناق عليهم في السنوات التالية قد أدى إلى نشاط أكثر من المجاهدين ، وبنجاح الثورة في عام ١٣٥٦ و ١٣٥٧ش (٧٧و١٩٧٨م) استطاع المجاهدون أن يواصلوا نشطاهم بحماس جديد ، وكان لأولئك - مثل الجماعات الفدائية والإرهابية - حضور وتواجد في المظاهرات والصدامات التي حدثت عام ١٣٥٧ ش(١٩٧٨م) ولكن لم يكن لكل ذلك دور فعال في جذب الشعب المسلم الإيراني أو الاجتماعات الشعبية والاعتصامات التي أطاح بها النظام الحاكم .

وفي هذه الفترة فقد فشل السافاك بالفعل ولم يكن يُشاهد له دور فعال ضد هذه المنظمة .

النتيجة :

وبالنظر إلى أنشطة الجماعات اليسارية والشيوعية ومكافحة السافاك لها يتضح أن السافاك قد سعى جاهداً في سبيل سحق تلك الجماعات منتهجًا في ذلك السياسات التي وضعها النظام الحاكم ، وكان حزب توده الجماعة الوحيدة التي كانت شيوعية في عصر تأسيس السافاك ، وقد سُحق هذا الحزب على يد القيادة العسكرية في طهران في السنة التي سبقت تأسيس السافاك وكان آنذاك قد تفكك.

كما كُلِّف السافاك بملاحقة فلول هذا الحزب ومعرفتها وتصفيتها وكُلِّف أيضًا بالقضاء على الجماعات الأخرى التي تعتنق الفكر الماركسي والشيوعي ، وقد وُفِّق السافاك في هذا السبيل ، ولم يوفَّق أعضاء هذا الحزب إلا في مواقع محدودة ولمدة قصيرة ، وفي كل مرة كانوا يحاولون تجديد هذه المنظمة كانوا يُسحقون على يد السافاك وفي مدة قصيرة .

وقد تسلل السافاك إلى قيادة الحزب وشكل فيها شبكات عميلة له ، كما نشر الشائعات العديدة من أجل تشويه صورة الحزب في أذهان عامة الشعب ، وبذلك منع الحزب من مواصلة أنشطته ، وقد صفى السافاك هذه الجماعات في السنوات ١٣٥٦ ش . و ١٣٥٧ ش . (٧٧ و ١٩٩٧م) أي عندما كانت هذه الجماعات تواصل أنشطتها ، ولهذا لم يُر من هذه الجماعات أنشطة فعالة في هذه الفترة ولم يكن لقيادة الحزب

القدرة على الدخول إلى إيران وممارسة الأنشطة خاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية ، وكانت تصفية حزب توده سببا أدى إلى أن عددا من الشيوعيين الشبان قد مارسوا الأنشطة الفدائية منذ عام ١٣٤٠ ش ، و١٣٥٠ ش (١٩٦١ - ١٩٧١م) . وكانت هناك جماعات صغيرة وجماعات كبيرة ذات أهداف شيوعية مارست أنشطة خاصة ، ولكن أكثر هذه الجماعات تم تصفيتها بواسطة السافاك والقوى العسكرية للنظام البهلوى ، فتفككت هذه الجماعات ، ولم تستطع أية جماعة من هذه الجماعات أن تحول نشاطها المحدود إلى مكافحة حقيقية فى أية منطقة من البلاد .

وبعبارة أخرى فإن العمليات الفدائية للجماعات المسلحة المذكورة كانت قاصرة على السطو على البنوك وإرهاب الأشخاص المعروفين ووضع المتفجرات فى الأماكن الحساسة ومهاجمة أقسام الشرطة ؛ من أجل الحصول على الأسلحة ، وفى كل هذه الصدامات خسرت هذه الجماعات معاركها مع السافاك وقتل عدد منها .

الفصل الثانى

السافاك والسيطرة على الجماعات ذات التوجه القومى

كانت الجماعات القومية من الجبهة الشعبية والأحزاب والجماعات المشكله لها هى الجماعة الثانية المعارضة للنظام ، وتعهد السافاك بعد تأسيسه بمقاومة هذه الجماعات ، وكان القسم الثانى (الأحزاب والجماعات المتشددة) ضمن الإدارة الأولى (العمليات والإمداد) المرتبطة بالإدارة العامة الثالثة (الأمن الداخلى) للسافاك - هو القسم المسئول عن السيطرة على أنشطة الجماعات المذكورة ومراقبتها .

وكان ظهور الروح القومى أو التفكير فى الهوية الإيرانية أو القومية الإيرانية من التغيرات المهمة فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى القمرى فى إيران والذى بدأ بحركة الطباق أو الدخان ، وقد ارتفعت الروح القومية فى السنوات التالية ، كما تحققت الثورة الدستورية وبعض الأحداث الوطنية والشعبية الأخرى فى هذا الصدد ، وفى بداية عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١م) عقب احتلال إيران على يد القوات الإنجليزية والروسية وطرد رضا شاه من إيران ظهرت الأحزاب والجماعات القومية المتعددة ، وفى عام ١٣٢٨ ش (١٩٤١م) كانت الحاجة لمكافحة الاستعمار حول محور البترول واستيلاء الأجانب عليه من ناحية [٢٨٨] ، وضرورة تشكيل جماعات سياسية متعددة غير منظمة ، وضرورة إيجاد قاعد للقدرة وأرضية صلبة للكفاح السياسى ضد الحكومة ، من ناحية أخرى كان كل ذلك حافزا على ظهور أحزاب وجماعات ذات توجه قومى (الجبهة الوطنية) ، وكانت الجماعات المشكلة للجبهة الوطنية عبارة عن : حزب إيران ، وحزب شعب إيران المكافح ، وحزب شعب إيران ، وحزب الزعامة الإيرانية (حزب شعب إيران) ، والطلاب ، والقوى ذات التوجه القومى فى السوق .

وكان هدف الجبهة الوطنية الأول بناءً على المادة ٣ من القانون الأساسى لها هو تأسيس حكومة وطنية بواسطة تأمين حرية الانتخابات [٢٨٩] ، وفى نظرة إلى قانون

الجبهة الشعبية الأول يمكن أن ندرك أن الجبهة المذكورة تفتقد إلى أيديولوجية محددة ، وكانت تدعو إلى النضال السياسى داخل النظام الحاكم وليس مع النظام ؛ لأنها كانت تعتقد بضرورة المحافظة على الدستور والنظام الملكى ، وأن الهدف المذكور فى المادة الثالثة كان مبهمًا تبيَّنت به خدعة (التكتيك) (٢٩٠) .

وكان الدكتور محمد مصدق قد قام بمساعدة أعضاء الجبهة الوطنية بتأميم صناعة البترول ، ولكن الانقلاب المخزى فى ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش ، ١٩٥٣ قد أفشل هذه الحركة ، وبعد أسبوعين من الانقلاب المذكور فإن حركة المقاومة الشعبية قد تشكلت فى الجو السياسى المملوء بالقمع والاختناق والحبس والتهديد لكل المخلصين للحركة الوطنية ، وقامت حركة المقاومة المذكورة لمنع الانقلاب ولكن بسبب الاختلافات الداخلية للأحزاب وضعف الزعامة وعدم إحساس الأعضاء (٢٩١) بالمسئولية فإن الاتحاد والانسجام بين الجماعات والأحزاب السياسية لحركة المقاومة الشعبية لم يدم ، وتبدلت الوحدة والتعاون بالاختلاف والتشرذم ، واستمر هذا الوضع حتى أواخر عقد الـ ١٣٣٠ ش (١٩٥١) .

وكانت السياسة العامة للنظام والسافاك فى هذا الوقت هى السيطرة على ومراقبة أعضاء الجبهة الوطنية والأحزاب الشعبية المختلفة ، وعلى النقيض لما تراه الجماعات اليسارية وحزب توده فإن النظام الحاكم لم يكن يقصد الإبادة الكاملة لتلك الجماعات بسبب أنشطتها القائمة على المحافظة على الدستور وعدم التصادم مع سلطة الشاه وامتلاكها لقاعدة شعبية ، وفى الواقع فإن النظام لم يستطع أن يقضى على تلك الجماعات تمامًا ، لهذا فإن أعضاء الجبهة القومية والأحزاب المؤيدة لها لم تترك فرصة إلا ومارست أنشطتها .

١- تشكيل الجبهة الوطنية الثانية :

كانت الجبهة الوطنية الثانية وليدة الفراغ السياسى لبدء الصراعات الانتخابية والظروف المضطربة للاقتصاد فى أواخر عقد الـ ١٣٣٠ وأوائل عقد الـ ١٣٤٠ ش (٥١-١٩٦١) .

والجدير بالذكر أن فكرة تجديد الأنشطة فى السنوات اللاحقة على انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ ش (١٩٥٣م) كانت دائمًا موضع بحث زعماء الأحزاب والشخصيات الشعبية ، فظهرت حركة المقاومة الشعبية فى هذا الشأن .

ولكن الجو الممزوج بالاختناق الذى حدث من خلال القيادة العسكرية وبعد ذلك السافاك لم يعطها إمكانية إعادة توحيد الصفوف .

وفى أواخر عام ١٣٣٨ ش (١٩٥٩م) وفى عصر حكومة الدكتور منوجهر إقبال فإن لجنة الشورى فى حركة المقاومة الشعبية الإيرانية وعدداً من الأشخاص الموالين و المقربين للدكتور مصدق والأعضاء القدامى فى الجبهة الشعبية - قد توصلوا إلى هذه النتيجة بعد دراسة الظروف الاجتماعية والسياسية فى إيران والأوضاع الدولية ، وفحواها أن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الموالية لأمريكا قد سعت إلى تغيير سياستها فى استراتيجيتها السياسية بالنسبة لدول العالم الثالث ، وأخذت على عاتقها لمواجهة الشيوعية ومواجهة خطر انفجار الثورة الناتج عن استمرار سياسة التصفية وتضييق الخناق فى مثل هذه الدول أن تقوم بإجراء الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مع منح نوع من الحريات المحدودة ، وفى تلك الفترة فإن محمد رضا شاه قد اتبع الاستراتيجية السياسية لأمريكا ؛ من أجل التخلص من القيود السياسية والاقتصادية وإجراء تغييرات سطحية فى النظام والمجتمع الإيرانى .[٢٩٢]

وفى سنة ١٣٣٩ ش (١٩٦٠م) انتهى عمر المجلس التاسع عشر وأعلن الشاه فى خطبة له بأن الانتخابات سوف تكون حرة ، والحزبان السياسيان المستأنسان (مليون) ، و (مردم) اللذان أُسسا منذ عدة سنوات ولم يبق منهما سوى الاسم قد كلفا بأن يشتركا فى العمل السياسى والمنافسة وفى صراعات الانتخابات ، وقد انتهز الدكتور على أمينى وسائر الشخصيات غير الحزبية والمحافظين أيضاً الفرصة لدخول ميدان الصراع الانتخابى .

ورشح اللهيار صالح من كاشان ، ونظرا للحرية النسبية التى ظهرت فى الانتخابات والمقاومة والتأييد الذى حظى به من جميع أهل كاشان فقد كان تمثيله أمرا مقطوعا به[٢٩٣] .

وقد وجد زعماءُ حركة المقاومة الشعبية وزعماءُ الأحزاب السياسية (حزب إيران) ، و (حزب ملت إيران) ، و (حزب مردم إيران) ، وأنصارُ الدكتور مصدق السابقون المجالَ مواتيا من أجل تفعيل الأنشطة ، وفى البداية وبشكل منفصل عقدوا الجلسات ، وتباحثوا فى شأن تشكيل منظمة سياسية تضم جميع القوى الشعبية ، وفى النهاية فى

عام ١٣٣٩ش (١٩٦٠م) ووفقا لدعوة الدكتور غلامحسين صديقى اجتمع سبعة عشر شخصًا من الشخصيات السياسية فى منزله واتفقوا على تأسيس منظمة وتكتل سياسى ، وفى اليوم التالى من هذا الاتفاق اعُتمد اسم (الجبهة الوطنية الثانية) كاسم للتنظيم الجديد وبعد ذلك نُشر إعلان بتأسيس الجبهة الوطنية الثانية على المستوى الواسع ، وكانت الأحزاب المشكلة للجبهة الوطنية الثانية هى(حزب إيران) ، و (حزب ملت إيران) ، و(حزب مردم إيران) ، والحزب الاشتراكى ، ولم يتواجد التيار الاشتراكى التابع للحركة الشعبية الإيرانية بسبب مخالفته لبنية الجبهة الوطنية الثانية كما لم تتواجد الحركة التحريرية التى تشكلت منذ عام ١٣٤٠ ش ، ١٩٦١م بسبب اختلاف عدد من أعضاء الجبهة مع أعضاء ذلك التنظيم .

وقد قابل أعضاء الجبهة الشعبية الثانية بعد إعلان وجودها شريف إمامى رئيس الوزراء آنذاك من أجل تأمين حرية الانتخابات فى عام ١٣٣٩ ش . (١٩٦٠م) وعلاوة على الطلب السابق طالبوا بحرية الصحف والاجتماعات ، ولم يحقق هذا اللقاء نتيجة مرضية .

وفى عصر رئيس الوزراء الدكتور على أمينى الذى كان عونًا للجبهة الوطنية وحقق طفرة فى تحرير أنشطة هذه الجماعة ، وعلى الرغم من أنشطة السافاك المعرقلة فقد استطاعوا أن يقوموا بنشاط سياسى [٢٩٤] ، كما أن الجبهة الوطنية فى هذه الفترة لم تستطع أن تستفيد من موقعها وتستغل الخلاف بين الشاه وأمينى ؛ بسبب عدم امتلاكها لبرنامج منسجم ، وبسبب الاختلافات الداخلية ، وبعزل الدكتور على أمينى مُهِّد الطريق لديكتاتورية محمد رضا شاه ومُنعت أنشطة الجماعات والأحزاب المختلفة .

وبظهور أسد الله علم وعقب المباحثات غير الموفقة بين الجبهة الوطنية الثانية والحكومة وإصرار الجبهة الوطنية على شروطها (مثل الإصرار على التنفيذ الكامل للدستور وحرية الانتخابات وعدم تدخل الشاه فى الأمور التى تقع مسئوليتها وفقًا للدستور على عاتق الحكومة) وعدم تقبل هذه الاقتراحات من جانب الشاه وعقب الاستفتاء الشكلى الذى قام به الشاه - ألقى السافاك القبض على أعضاء الجبهة الوطنية [٢٩٥] .

وقبل إلقاء القبض على أعضاء الجبهة الوطنية وزعمائها سعى السافاك بكل قوة في منع أولئك من معارضة استفتاء الشاه للشاه ، ولكنه لم يوفق في هذا المسعى .

وبناء على هذا وبعد إلقاء القبض عليهم سعى أكثر من ذى قبل أن يمنعهم من مواصلة المعارضة .

وقد سعى اللواء باكروان - الرئيس الثاني للسافاك - في إبعاد أعضاء الجبهة الشعبية المقبوض عليهم عن معارضة استفتاء الشاه ، وقد ذهب عدة مرات لرؤيتهم في (قلعة قزل) ، والحيلة التي استخدمها الشاه والسافاك في هذا الوقت هي إذا أيدت الجبهة الوطنية والثورة البيضاء ، فإن الشاه في المقابل سوف يجيز ممارسة النشاط للجبهة الوطنية وامتلاك صحيفة ناطقة باسمهم ، حتى إنه سوف يمنح عدداً من أعضاء الجبهة الوطنية حق التمثيل في المجلس [٢٩٦] ، ولكنهم رفضوا هذا الأمر ؛ لذلك مكثوا عدة أشهر في السجن .

وقد أدى استمرار فترة اعتقال أعضاء الجبهة الشعبية وتجاهله إلى أن أضرب أولئك عن الطعام وسعوا أن يعلنوا أسرهم خارج السجن عن نتيجة إضرابهم ، ولم تُسفر تهديدات المسئولين في السجن عن نتيجة ، والشاه الذى كان متخوفا من رد فعل هذا الحادث أمر باكروان حتى يطلب المساعدة من اللهيار صالح حتى يوقف الإضراب ، وفي النهاية وبعد المحاولات ووساطة صالح توقفوا عن الإضراب [٢٩٧] .

وفي هذه الفترة فإن أعضاء الجبهة الوطنية الآخرين الذين لم يقبض عليهم قد خضعوا هم وأنصارهم للرقابة الشديدة من السافاك كما أونوا منهم ، وقد أشار هدايت الله متين دفترى - حفيد مصدق - في التفاوض مع السكرتير الثاني آنذاك في السفارة الأمريكية - أشار إلى هذه المسألة ! (لقد ذكر هدايت الله متين فضلاً عن إلقاء القبض على زعماء الحركة الوطنية أن طلاب جامعة طهران والجامعات الإيرانية الذين كانوا من أنصار الجبهة الوطنية هناك قد تعرضوا للأذى من السافاك) وقال أيضاً :

« وقد استدعى الطلاب كل أسبوع تقريباً من أجل أنشطة الجبهة ، وقد قيل للكثيرين إن أية جماعة أخرى سيعرفون نشاطها في الجبهة الوطنية سوف يلقى بها في السجن » . وذكر متين دفترى أن تلك الجبهة كانت مراقبة بشدة ، حتى إن أية أنشطة مطبوعة لها قد أوقفت بسبب ما يمثلونه من خطر [٢٩٨] .

وقد وُفِّق الساڤاك أيضًا فى اختراق التنظيمات الطلابية وبهذا الشكل تعرف على النشطين فى الجبهة الوطنية واعتقلهم [٢٩٩] ، وقد راقب الساڤاك علاوة على الجبهة الوطنية الأحزابَ والجماعات المتصلة بها ، وكان يعد التقارير اللازمة عنهم بشكل منتظم ، خاصة بعد أن كان قد أكد نصيرى فى هامش أحد تقارير الساڤاك على دور الأمن الداخلى فى مجال السيطرة على الأحزاب والجماعات المختلفة وإعداد التقارير عنها :

(٣١٢ ينبغى عليكم أن تكونوا قد أعددتم التقارير اللازمة يوميًا عن الاشتراكيين وحركة التحرير والجبهة الوطنية والمناضلين وحزب الزعامة وحزب إيران وحزب شعب إيران الموقوف ، فإن لم يصل ذات يوم إلى أيديكم خبر فلا تطمئنوا عندئذ) [٣٠٠] .

ويشير أمر نصيرى السابق إلى استراتيجية الساڤاك فى صدامه مع الجماعات والأحزاب الوطنية ، ولم يضع الساڤاك سياسة من أجل السحق الشديد للقوى الوطنية وفقًا لسياسة النظام البهلوى ، بل سعى دائمًا لمراقبتها حتى لا تتآمر فى أنشطتها ضد النظام ، وحتى لا يقوم أعضاء الجبهة الوطنية بالمعارضة الشديدة للنظام فى علاقتها ومباحثاتها فكان الساڤاك يراقب فقط تلك الجماعات ، وكان يعد التقارير بشكل منتظم عن المحافل والمجالس التى يقيمونها ، ولكن حينما كان أعضاء الجبهة الوطنية وأنصارها يقومون بنشر المنشورات التى تعارض ديكتاتورية الشاه كان يلقى القبض عليهم ، ويزج بهم فى السجن عسى أن يمنعهم من مواصلة الكفاح ضد النظام .

وعلاوة على ضغوط الساڤاك والاختلافات الداخلية داخل تنظيم الجبهة الوطنية ، واختلاف الآراء ووجهات النظر الشخصية حول البرامج الأساسية وعدم تقدير مكانتها وعدم اغتنام الفرص المتاحة وعدم الاستفادة الصحيحة منها ، وضعف القيادة والتنافس غير المعقول بين أعضائها - كل ذلك قد أضعف الجبهة الوطنية وأوصلها إلى مرحلة الحضيض ، وكانت هذه الأمور قد سهلت للساڤاك اختراق تنظيم الجبهة الشعبية وإلقاء القبض على زعمائها وأعضائها . [٣٠١]

وبعد أقل من عام من إعلان الثورة البيضاء والقيام بالاستفتاء المملى من النظام وفى عام ١٣٤٢ش (١٩٦٣) والمواكب لانتخابات المجلس ٢١ - أطلق الساڤاك سراح زعماء الجبهة الشعبية وأعضائها المساجين باستثناء حركة التحرير الإيرانية .

ويشير هذا الأمر إلى سياسة (المراقبة والسيطرة) من قبل السافاك والنظام تجاه القوى ذات التوجه القومى ، ولم يجد زعماء الجبهة الوطنية وأعضاؤها الفرصة المناسبة لتجديد الأنشطة والمنظمة ؛ بسبب الاختلافات الموجودة ، والسيطرة الشديدة للسافاك . وفى أوائل عام ١٣٤٣ ش .(١٩٦٤م) وعقب المراسلات التى تمت بين الدكتور مصدق وزعماء الجبهة الشعبية حول تشكيل تنظيمات الجبهة الوطنية الأولى (التى لم تُحل وظلت باقية) حلّت الجبهة الوطنية الثانية (٣٠٢) .

٢ - الجبهة الوطنية الثالثة :

وبعد فترة من حل الجبهة الوطنية الثانية سعى عدد من رؤساء الأحزاب وفقًا لمطلب الدكتور مصدق وتشجيعه سعوا لتشكيل جبهة شعبية وطنية أخرى ، وكان هذا التنظيم الجديد يُسمى الجبهة الوطنية الثالثة ، وتشمل : حركة التحرير الإيرانية وحزب ملت إيران وحزب مردم إيران وتيار الاشتراكيين فى الحركة الشعبية الإيرانية وتنظيم الطلاب فى الجبهة الوطنية ، وقد نشرت الجبهة الوطنية الثالثة عدة بيانات ، وفى صيف عام ١٣٤٤ ش أعلن عن تأسيسها رسميًا ، ولكن عمرها كان قصيراً جداً ؛ لأن النظام الديكتاتورى لمحمد رضا شاه والسافاك لم يسمحا بأى نوع من التنظيم السياسى كجماعات معارضة (٣٠٣) .

لذا لم يمر سوى عدة أسابيع من بدء نشاط الجبهة الوطنية حتى انتهى أمر هذه الجبهة بضغوط السافاك ، وإلقاء القبض على زعمائها (ومن بينهم خليل ملكى) ومحاكمتهم فى المحاكم العسكرية ، وقد كان ضغط السافاك باعثًا على أن زعماء الجبهة المذكورة وأعضاءها حتى عامى ١٣٤٧، ١٣٤٨ ش = ٦٨ - ١٩٦٩م لم يفكروا فى إعادة نشاطها .

وسيتضح فى ثنايا هذا الفصل مجالات صدام السافاك بحزب القوة الثالثة (الجماعة الاشتراكية للحركة الوطنية الإيرانية) ، وحركة التحرير الإيرانية ، التى لم يكن لها وجود فى الجبهة الوطنية الثانية ، وبعد ذلك سوف يُشار إلى جهود أعضاء الجبهة الوطنية والأحزاب الشعبية من أجل تجديد نشاطها بين عامى ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ش (٦٨ - ١٩٦٩) وأيضًا فى الشهور الأولى من عام ١٣٥٠ ش وكذلك بداية الثورة الإيرانية وصدام السافاك بالقوى الأخرى .

٣ - حزب القوة الثالثة :

إن حزب القوة الثالثة وتيار الاشتراكيين التابع للحركة الشعبية أنشط الجماعات الشعبية ، التى مارست نشاطا ملحوظا ضد النظام الحاكم فى بداية عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) ، وفقا لتقارير السافاك .

وخليل ملكي - زعيم هذا الحزب - والذى هو واحد من بين ٥٣ شخصا قد اشترك فى تأسيس حزب توده بعد أن أطلق سراحة من السجن فى عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١م) ولكن بعد مرور عدة سنوات انفصل مع عدد من الأشخاص عن الحزب المذكور ، وقد امتنع خليل ملكي وعدد من أنصاره عن النشاط حتى بداية حركة تأميم البترول ، وفى فترة التأميم المذكورة بدأ ملكي هو و « بقايي» تأسيس حزب الكادحين من الشعب الإيرانى ، وبدأوا فى المقاومة ، ولكن الاختلافات الداخلية للحزب والمواقف الجديدة لبقايي ضد مصدق كانت باعثا على أن خليل ملكي ورفقاءه قد شكلوا حزبا جديدا فى عام ١٣٣١ ش (١٩٥٢م) باسم (حزب زحمتكشان (*) ملت إيران) (القوة الثالثة) .

وبعد انقلاب ٢٨ مرداد تم إلقاء القبض على ملكي وعدد آخر من أعضاء حزب القوة الثالثة ، وتم إيداعهم السجن ، وبهذا الشكل انتهى تواجد القوة الثالثة من مسرح الأنشطة السياسية والحزبية فى هذه الفترة ، حتى تم إطلاق سراح ملكي من السجن وعاد إلى ممارسة نشاطه من جديد [٣٠٤]، وبعد إطلاق سراح خليل ملكي من السجن انضم إلى عدد من أعضاء حزب (القوة الثالثة) حيث قام بممارسة أنشطة دعائية وتوزيع منشورات ، وفى حين لم يكن لدى سائر الأحزاب والجماعات الموالية لمصدق القدرة على النشاط العلنى ، واصل أنشطته السياسية مع نشر دورية (نبرد زندگى) أو نضال الحياة وبعد ذلك (علم وزندگى) أو العلم والحياة ، بشكل نصف معلن .

وقد كانت محاولة ملكي بغرض تقوية الحركة الاشتراكية والديمقراطية فى إيران [٣٠٥] .

وفى عام ١٣٣٧ش، (١٩٥٨م) نشر ملكي وأعضاء القوة الثالثة أنشطتهم ، وأسسوا تشكيلا كبيرا يسمى جماعة اشتراكيي الحركة الشعبية الإيرانية [٣٠٦] وفى عام ١٣٣٩ ش (١٩٦٠) عقب تصريح الشاه بحرية الانتخابات فى بداية المجلس العشرين وتأسيس الجبهة الوطنية الثانية أعلن خليل ملكي ميلاد تنظيمه الجديد بشكل منفصل .

(*) زحمتكشان : معناها : المتعبون .

وقد راقب السافاك هذا الحزب منذ بداية نشأته ولكن لما كانت الأنشطة السياسية للحزب قد انحصرت فى نشر دورية (نبرد زندكى) أى نضال الحياة السابقة الذكر وبعد ذلك (علم وزندكى) «العلم والحياة» فإن السافاك لم يقم بالمقاومة المعلنة له ، ولا شك أن هذا الأمر جدير بالاهتمام : وهو أن هذا الحزب كان يمارس هذه الأنشطة فى وقت لم يجرؤ أى حزب من الأحزاب والجماعات الشعبية على ممارستها .

ومع انتشار أنشطة جماعة اشتراكيى الحركة الشعبية الإيرانية وأنشطة خليل ملكى فى عام ١٣٤٢ ش، ١٩٦٣ سعى السافاك ليخطب ود تلك الجماعات ومنعها من مقاومة النظام ، وهذه المسألة واضحة فى أحد تقارير السافاك ، وفى هذا التقرير وبعد ذكر أنشطة جماعة الاشتراكيين المذكورة ، ومعارضة أولئك للسياسات الداخلية والخارجية للنظام فقد تقرر اعتقال أعضاء هذه الجماعة ، ولكن ورد فى هامش هذا التقرير أن رئاسة السافاك بزعامة باكروان لم يوافق على اعتقالهم ، وكانت وجهة نظر رئيس السافاك فى هذا الموضوع كما يلى :

(لا ينبغى اللجوء من الآن إلى أسلوب تصعيد الموقف ، ومن الواضح لى تقريبا أنه يمكن التوصل إلى حل بالتفاوض مع زعماء هذا الحزب) [٣٠٧] .

كما أن محاولة باكروان التفاوض مع أعضاء الحزب المذكور وإخلاء سبيلهم لم تسفر عن نتائج ، لهذا فإن عددا من مسئولى السافاك فى جلسة استشارية بتاريخ ١٣٤٣/٧/٧ ش . (١٩٦٤م) قد صمموا على مواجهة أولئك بكل عنف :

بالنظر إلى أن أنشطة جماعة اشتراكيى الحركة الوطنية لإيران (حزب القوة الثالثة المتعلقة بخليل ملكى) قد وصلت إلى مرحلة خطيرة فإنه ينبغى اتخاذ إجراءات عملية ، وقد تكفل بهذه المهمة إدارة العمليات العامة الثالثة وقد جعلتها هدفا لها [٣٠٨] .

وبتأسيس الجبهة الوطنية الثالثة شاركت فى نشاطها (حزب مردم إيران) ، و(حزب ملت) إلى جانب الأفراد المستقلين ، ومن بينهم هدايت الله متين دفترى ، وقد اشتركت حركة التحرير وجماعة الاشتراكيين فى تلك الجبهة ، وبطبيعة الحال فإن هذه الجبهة لم تستطع أن تبقى أو تصمد فى ظل الضغوط السياسية وازدياد الاستبداد وديكتاتورية محمد رضا بهلوى التى بدت بشكل أشرس وأبشع عن ذى قبل ، وقد ألقى

القبض على رؤساء تلك الجماعات ، ومن بينهم خليل ملكى وعدد من أعضاء جماعة الاشتراكيين وقد ورد فى أحد تقارير السافاك مايلى :

« فى عام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥م) ألقى القبض على خليل ملكى وعدد آخر من الأعضاء الشيوعيين ؛ بسبب الأنشطة المعادية لأمن الدولة ومعاداة النظام الدستورى للمملكة وكذلك التعاون مع سائر الجماعات المخربة ، وقد صدرت بحقهم أحكام تتناسب مع الجرم المرتكب . وبعد عدة سنوات تم العفو عن خليل ملكى ، وبقى الآخرون [٣٠٩] حتى نهاية مدة العقوبة فى السجن، وبعد إلقاء القبض على زعماء جماعة الاشتراكيين وأعضائها فقد جُرِّم نشاط هذه الجماعة من قبل السافاك (ولما كان قد ورد فى حيثيات المحكمة أن جماعة الاشتراكيين قد قامت بأعمال ضد أمن الدولة استنادا إلى هذا الرأى نفسه واعتمادا على هذه النظرية ، أصبح نشاط هذا التيار محدودا وفى نظر السافاك غير مسموح به » [٣١٠] .

وقد اعتزل خليل ملكى زعيم هذا الحزب الأنشطة السياسية بعد عامين ونصف العام من وقوع هذه الأحداث ، وظل على هذه الحال حتى وفاته فى مرداد عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) وكان قبل وفاته قد انشغل بالترجمة والتحقيق .

وبعد وفاة خليل ملكى وزيادة ضغوط السافاك على المجاهدين توقفت تماما أنشطة الاشتراكيين ، حتى أنه أثناء الثورة الإسلامية فإن بعض الجماعات الشعبية قد مارست من جديد أنشطتها ، وإن تيار الاشتراكيين الذى كان قد فقد محوره ومنظره لم يستطع أن يواصل نشاطه ، وإن بعض الاشتراكيين المتبقين قد واصلوا أنشطتهم بشكل مستقل أو فى صورة أحداث سياسية أخرى ، ومعظمهم واصلوا أنشطتهم العلمية والثقافية [٣١١] .

٤ - حركة التحرير الإيرانية :

أسس هذه الحركة (مهندس بازركان) فى عام ١٣٤٠ ش ، كما أن هذه الحركة قد خضعت للرقابة السافاكية شأنها شأن الجماعات الوطنية منذ بداية التأسيس حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، ولم تسمح الضغوط السافاكية بنشاط فعّال باستثناء عام أو عامين من بداية التأسيس .

ومع بداية النشاط الجديد للجبهة الوطنية - تحت عنوان الجبهة الوطنية الثانية - أسس الدكتور محمد خنجي حزب الاشتراكيين بعد انفصاله عن جماعة اشتراكيي الحركة الوطنية الإيرانية ، وتزعم بنفسه هذا الحزب ، وقد مهد الطريق لتنظيم كامل من العناصر الوطنية النشطة في تشكيل مدروس ، وكانت اقتراحاته على هذا النحو :

١ - تتكون عناصر الجبهة الوطنية من الأحزاب والأفراد المستقلين داخل المناطق المختلفة وفقا للائحة .

٢ - تُحل جميع الأحزاب والجماعات السياسية الموجودة داخل الجبهة الوطنية بدون قيد أو شرط .

٣ - أن يُعد ثبت بأسماء الأشخاص بصورة مستقلة في تشكيلات الجبهة الوطنية ، والتوقف عن تنظيم جماعات جديدة [٣١٢] .

وعقب هذا الاقتراح حل خنجي حزب الاشتراكيين وشكل المهندس بازركان وعدد من رفاقه حركة التحرير الإيرانية ردا على الإجراءات السابقة .

وقبل تشكيل حركة التحرير الإيرانية اشترك المهندس بازركان ورفاقه في تمثيل حركة المقاومة الشعبية في الجبهة الشعبية الثانية ، وكان آية الله محمود طالقاني ، ودكتور يد الله سحابي ، والمهندس عطايي - من المؤسسين الأصليين للحركة .

وقد استفادت حركة التحرير الإيرانية من حركات التحرير السياسية [٣١٣] في تلك الفترة ، وعملت على تأكيد الهوية الإيرانية والإسلامية ، وكذلك اتباع القانون الأساسي واتباع مصدق [٣١٤] ، وتنظيم المقاومة للحكومة الديكتاتورية . وكان فكر حركة التحرير الإيرانية يقوم على المحافظة على أصالة الحركة الشعبية وتعاون ذلك مع الحركة الإسلامية الجديدة.

ولما لم تكن الحركة المذكورة تعارض مبدأ الحكم الملكي وكانت محاولاتها لبسط حريات سياسية أوسع ؛ فإن السافاك لم يحظر أنشطتها ، ومع بداية كفاح الإمام الخميني ؛ فإن حركة التحرير قد أيدت مواقف الإمام ، وباركت الكفاح ضد النظام البهلوي .

ومع ظهور الثورة البيضاء للشاه فإن الحركة فى أوائل عام ١٣٤١ ش= ١٩٦٢م قد ذكرت فى إعلان لها تحت عنوان (إيران على أعتاب ثورة كبرى) مشيرة فيه إلى جو الاختناق والرعب والتهديدات ، واعتبرت تصرفات الشاه غير مسئولة فى إجراء التحقيقات الكثيرة التى تخالف القانون الأساسى وتعارض أفكار الشعب . وقد سعى الساڤاك والنظام البهلوى أولاً إلى زرع الاختلاف والتفرقة وإطلاق الشائعات ضد الحركة وزعمائها حتى يوقفا كفاحها ، أو يجعلاها تحيد عن طريقها (٣١٥) .

ولكن مع ازدياد النضال المعلن ووضوح حركة التحرير ومعارضتها لحركة إصلاح الشاه ألقى الساڤاك القبض فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) على آية الله طالقانى ، والمهندس بازركان كما قبض على الدكتور يد الله سحابى فى اليوم التالى واعتقل الجميع ، وبعد ذلك بقليل اعُتقل عدد آخر من أعضاء حركة التحرير وأنصارها فى طهران والأقاليم وتم سجنهم ، ولكى يحكم الساڤاك التهمة على رؤساء حركة التحرير فى إيران ولاسيما آية الله طالقانى خدع الساڤاكُ برويز عدالت منش ابن أخت آية الله طالقانى إذ ابتكر حيلة وفحواها أن موظفين من رجال الساڤاك (وهماعليرضا دستغيب وأحمدى مقاديرى) قد أخفيا الديناميت فى مخزن بيت آية الله طالقانى وأعلن ذلك الساڤاك فى خطاب موجه إلى الضباط والجنود .وقد تم وضع الديناميت فى منزل آية الله طالقانى بنجاح ولكن لما كان طالقانى قد اختفى فى بيت أحد الأصدقاء وابتعد عن رؤية الناس بعد أن خرج من السجن فقد باءت مؤامرة الساڤاك بالفشل ، واكتشاف الديناميت فى منزل آية الله طالقانى بدون وجوده شخصيا لم يكن خطة موفقة من قِبل الساڤاك ، لهذا فقد اضطر رجال الساڤاك أن يخرجوا الديناميت من منزل طالقانى ، ومع هذا فقد نجح رجال الساڤاك أن يحصلوا على نص البيان الموجه إلى الضباط والجنود ، الذى كان طالقانى قد أحدث فى نصه بعض التغييرات وذلك عن طريق عدالت منش وأن يطبعوه وينشروه بعد ذلك (٣١٦) .

ومع انتشار أنشطة الأعضاء المتبقين تم إلقاء القبض على طالقانى وعدد آخر من أعضاء الجبهة الشعبية الثانية ، وزج بهم فى السجن ، كما نجح البعض الآخر فى الخروج من البلاد ، وواصل بعض أعضاء هذه الحركة أنشطتهم بصورة سرية ، ووثائق الساڤاك تدل على أنه فى هذه الفترة قد تمكن من مراقبة أولئك الأعضاء والسيطرة

على نشاطهم وقد ورد فى إحدى وثائق السافاك فى هذا المجال ما يلى: « لقد راقب السافاك أعضاء الحركة المذكورة بدقة وسعى أن يجتثّ هذه الشبكة ، ولكن فى الوقت المناسب » (٣١٧).

وعلى أعتاب إقامة الاحتفالات الملكية خشى السافاك من أنشطة هذه الجماعة وإلقاء القبض على الأعضاء المتبقين ، والأشخاص الذين خرجوا من السجن بعد إتمام فتره عقوبتهم عادوا ثانية إلى أنشطتهم ، وقد شل السافاك حركة الحركة ، وقد ورد فى إحدى الوثائق فى هذه الشأن: (إن السافاك قد صمم على وقف أنشطة هذه الحركة أثناء الاحتفالات الملكية وذلك بإجهاض نشاط هذه الحركة) ؛ لذلك فكر فى تدبير خطة مستقبلية فى عام ١٣٥٠ ش ١٩٧١م حيث اعتقل عددا من الأعضاء أثناء الجلسات العامة والأسبوعية لمراكز الحركة فى اثنتى عشرة منطقة فى طهران فى بيوت آمنة أعدت لهذا الغرض ، وخلال يوم واحد قُبض على ستين شخصا منهم فى المنازل ، كما ضبطت فى تلك البيوت المذكورة بعض الأسلحة والمهمات والمواد المتفجرة والمحرقة والوثائق المرتبطة بالعراق ولبنان ، ولكن خمسة عشر شخصا من أولئك قد هربوا ، وبعد ذلك عُرفوا وتَم إلقاء القبض عليهم (٣١٨) .

وقد قبض على عدد آخر وتم اعتقالهم ومن بينهم ثلاثة أشخاص من الهاربين من الشبكة ، بمساعدة أحد المهندسين الكهربائيين فى طهران ويدعى ناصر سماواتى الذى كان يساعد هذه الجماعة ، وفى أيام الاحتفال استعد الأعضاء من أجل تخريب محولات الكهرباء ، ولكن فى الوقت الذى أرادوا فيه أن يضعوا المواد المتفجرة لتخريب محولات الكهرباء تم إلقاء القبض عليهم بمساعدة رجال السافاك قبل أن ينجحوا فى إتمام العملية (٣١٩) .

وهذا التقرير للسافاك يشير إلى أن السافاك قد راقب حركة التحرير بدقة شديدة وسيطر عليها ، وكلما اقتضى الأمر كان يلقى القبض عليهم ويعتقلهم ، فيوقف بذلك نشاطهم لفترة من الزمن ، وكان يسعى دائما إلى وقف الأنشطة الثورية ، وفى هذه الفترة فإن عددا من أعضاء حركة التحرير الذين كانوا يعارضون سياسة المهادنة وسياسة الصبر والانتظار قد سعوا جيدا إلى أن يحثوا الأفراد على القيام بالأنشطة المسلحة .

ولكنهم لم يوفّقوا فى هذا الأمر وقاموا بتنظيم جماعة مسلحة تدعى (تنظيم مجاهدى خلق) . وعلاوة على التنظيم المذكور فقد اتجهوا إلى تحقيق الأهداف القومية والدينية والشيوعية من خلال الأنشطة المسلحة .

وقد أدى نشاط هذه الجماعات إلى تقليل الهدوء النسبى الذى ظهر عقب جو الاختناق والرعب والتخويف من قبل السافاك فى قلوب الناس ، وقد بعث هذا الأمر أملاً جديدا على المستوى الاجتماعى . وسوف نتحدث فى شأن كل جماعة من الجماعات المذكورة فى الموضع المناسب وفى هذه النبذة سوف نتحدث فى شأن إحدى الجماعات المسلحة ذات الأهداف القومية وتدعى (جاما) .

٥ - جاما (جبهة التحرير الوطنية الإيرانية) :

كانت هذه الجبهة إحدى الجماعات المنبثقة عن (حزب مردم إيران) ، وقد سعى الدكتور سامى كرمانى والدكتور حبيب الله بيمان بعد عقد مؤتمر (حزب مردم) فى عام ١٣٤١ ش . ١٩٦٢م لتغيير الأسلوب وإيجاد تطوير أساسى فى وضع أنشطة الحزب ، وسعى الاثنان لحث الحزب على إيجاد أنشطة مسلحة وفدائية من أجل معارضة الوضع القائم للحكم البهلوى ، ولكن لما كان الحزب غير مستعد لقبول آرائهما فقد شكلا (جاما) بشكل سرى بدون علم زعماء الحزب المذكور وبدون علم الأعضاء .

وبعد تشكيل الحزب روّجا لأفكارهما بشكل سرى وبكل الوسائل المتاحة لهما فى(حزب مردم إيران) والجبهة الوطنية وإعلان هدفها ، وقد آمنا بالنضال الثورى ومشاركة كل القوى الوطنية من أجل خلق تحول فى النظام البهلوى ، وكان هذا التنظيم يدين أسلوب المهادنة والحذر الذى تتبعه الجبهة الوطنية والأحزاب الشعبية الأخرى ، وقد قضى الأعضاء فترة طويلة فى التعرف على الأساليب الفدائية من خلال الاطلاع والتدريب (٣٢٠) .

وبعد تعرف السافاك على نشاط هذه الجماعة راقب زعماءها وأعضاءها .

وقبض السافاك على أعضاء تنظيم (جاما) قبل أن يقوموا بأى نشاط ، وأحالهم إلى المحاكمة العسكرية ، واعتبر المدعى العام العسكرى أن أولئك مذنبين بعد محاكمتهم ، وبهذا الشكل فإن نشاط تنظيم جبهة التحرير الوطنية الإيرانية قد توقف .

وعلى الرغم من أن (جاما) لم تستطع أن تقوم بعمل ولكن تنظيمها - مثلها مثل الجماعات المسلحة - أخاف السافاك والنظام الحاكم وبثّ الرعب فى قلوب رجالهما ، وفى الوقت نفسه قلل من الخوف والرعب الموجودين فى قلوب الناس ، وصدام السافاك بهذا التنظيم يشير إلى أنه فى الوقت الذى كان يهادن القوى الشعبية لم يكن ليسمح بأى نوع من الأنشطة الفدائية المسلحة .

٦ - الجبهة الوطنية والعمل من أجل نشاط جديد :

بعد ١٥ خرداد وسحق ثورة الشعب الإيرانى وتجديد منظمة السافاك واختيار نصيرى لرئاستها زادت حدة مراقبة المنظمة الأمنية ، وفى هذه السنوات كلّف السافاك بوأد كل معارضة فى مهدها ؛ لهذا لم يسمح بأى شكل من أشكال النشاط للمعارضين ، وكما أشرنا قبل ذلك فإن عدداً من أنصار الجبهة الشعبية وزعمائها بتشجيع من مصدق قد كونوا الجبهة الوطنية الثالثة ، ولكن نشاطهم لم يستمر شهرا واحدا بل وألقى السافاك القبض على القوى النشطة وزج بهم فى السجن ، واستمر هذا الوضع حتى ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ش (٦٨ ، ١٩٦٩م) وفى هذين العامين المذكورين انتهت فترة عقوبة قادة الجبهة الوطنية وخرجوا من السجن تدريجيًا ، وعقب الإفراج عنهم بدأ النشاط المتنامى لتنظيم الجبهة الوطنية فى الظهور شيئا فشيئا ، وبينَت تقارير السافاك أن موظفى هذه المنظمة ومصادرها قد راقبت بدقة أعضاء الأحزاب الوطنية وزعماءها ورؤساءها وكانت تعد التقارير حول جلساتها ، وقد ورد فى أحد تقارير السافاك :

(فى تاريخ ١٣٤٧/١٠/٣ ش . (١٩٦٨م) اجتمع أعضاء الجبهة الشعبية فى منزل الدكتور صديقى زعيم الجبهة الوطنية للعمل من أجل نشاط جديد) [٣٢١] .

وأيضا أشارت الإدارة العامة الثالثة للسافاك (الأمن الداخلى)فى رسالة لها إلى رئاسة السافاك فى طهران بتاريخ ١٣٤٧/١٠/١١ ش (١٩٦٨) أشارت إلى تزايد الأنشطة والعلاقات بالنسبة للأعضاء المعروفين فى الجبهة الوطنية والأحزاب المرتبطة بها :

(إن بحث التقارير التى وصلت فى الشهور الأخيرة عن طريق المصادر المختلفة للمركز (٣١٢) لهذه الإدارة والتعبير عن الآراء التى تبنتها العناصر المختلفة فى هذه الفترة فى الظروف والمواقف المختلفة كلها توضح انتشار علاقات أفراد الجبهة المذكورة فى إيران ، وهذه الاتصالات التى اتخذت قبل ذلك صورة واضحة من برامج التنظيمات السياسية المختلفة موضع البحث - تتم أخيرا بشكل فردى بين الأعضاء المعروفين لهذه الجبهة ، والتى كانت تأخذ شكل الاعتدال فى السنوات الماضية وكانت

إلى حد ما بعيدة عن التطرف ، فإذا أخذنا فى الاعتبار أن الجبهة المذكورة بعد وفاة مصدق قد افتقدت القائد والإدارة الصحيحة كانت الاختلافات المتعددة قد راحت تهدد وجودها المستقبلى ، فإن زيادة اتصالات هؤلاء الأعضاء جديرة بالبحث الدقيق ... وهكذا يبدو أن الوحدة أو التكتل بين معارضى الدولة كان نتيجة لإحياء تنظيمات الجبهة الوطنية والعمل الموحد بين الأحزاب)(٣٢٢) .

وقد زاد السافاك من مراقبته للأحزاب بسبب استمرار مفاوضاتها وجلسات رؤسائها .

وهكذا يبدو أن السافاك يحيط بالمعلومات الزائدة فى شأن علاقة الأعضاء النشطين فى الجبهة مع الأفراد السابقين للجبهة الشعبية (مثل الدكتور غلا محسين صديقى ، واللهيار صالح) وقد ورد فى الرسالة السابقة :

(ينبغى إعلان النتيجة الآتية لتوضيح الموضوعات المذكورة والبحث الكامل للعلل والظروف التى أظهرت مثل هذا الوضع :

١- إن أعضاء المجلس المركزى السابق للجبهة التى كانت تسمى الوطنية فيما سبق خاصة أفراد مثل الدكتور غلا محسين صديقى واللهيار صالح - ما هو دورهم فى الوقت الحالى وما هى العلاقات المشتركة بينهم ؟

٢- يكتمل العملاء كما تكتمل المصادر الموجودة خاصة بين زعامة الأحزاب وجماعات الجبهة .

٣- يكون للسافاك اطلاع كامل حول توجهات زعماء العمليات المذكورة والمصادر المتعلقة بها خاصة فى شأن القدرة المالية والعددية .

٤- ومن العناصر التى أشير إليها (٣٢٣) يتضح النفوذ والمراقبة الفنية للسافاك .

٥ - ويتضح أيضًا ما هى وجهة نظر اللهيار صالح بالنسبة لبدء الأنشطة المستجدة للجبهة التى كانت تُدعى من قبل بالوطنية ؟

٦- إيجاد الاستعداد اللازم فى المصادر وزعماء العمليات وهو هدف المركز ٣١٢ للحصول على أخبار أكثر دقة عن وضع الجبهة المذكورة وموقفها ...) (٣٢٤) .

واستمرت محاولة زعماء الجبهة الوطنية وأعضائها النشطين من أجل تجديد التنظيم والنشاط الجديد ، وتوالت الاتصالات بين لجان جامعة طهران ، و (البازار) ، وآية الله زنجاني ، وحسن مير محمد صادقي ، وقد تمت المساعي من أجل التقريب بين آية الله طالقاني وهذين الشخصين ، ولكن رغم أن أغلب الأعضاء السابقين من الجبهة الوطنية لم يكن لديهم رغبة في نشاط جديد في هذه السنة [٣٢٥] فإن ضغوط السافاك ومراقبته وسحقه لجميع القوى المعارضة بواسطة تلك المنظمة ووقف أي نوع من نشاطها بما في ذلك الاشتراك في الاحتفال بمرور عام على ذكرى الدكتور مصدق [٣٢٦] ،وكذلك الاحتفال بمراسم تشييع الجنازة أو حضور العزاء في أحد وزراء حكومة الدكتور مصدق (سيف الله معظمي) [٣٢٧] كان كل ذلك باعثا على أن الأفراد قلما رغبوا في تجديد الأنشطة ، واستمر نشاط أعضاء الجبهة الوطنية والأحزاب الشعبية من أجل تجديد التنظيم في عامي ١٣٤٨ و ١٣٤٩ ش (٦٩ و ١٩٧٠م) ، ولكن الضغط الموجود ومحاولات السافاك تصفية المعارضين لم يسمح بأي نوع من النشاط للتنظيم ولم يعط ذلك الفرصة لإظهار الأنشطة بشكل علني ، وفي أوائل عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) بحث الأعضاء السابقون في الجبهة الوطنية وجماعة اشتراكيي الحركة الوطنية الإيرانية ، وحركة التحرير الإيرانية ، وحزب زعامة إيران ، وحزب الشعب الإيراني في الاتصالات التي تمت مع بعضهم البعض - التعاونَ المشترك وتجديد أنشطة الأحزاب والجماعات المذكورة .[٣٢٨]

وبناء على تقارير السافاك فإن عددا من أعضاء الجبهة الوطنية الذين لم يتمكنوا من ممارسة النشاط السياسي في جو الكبت والتصفية مع وجود ضغوط السافاك ، فكروا في عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) في الأنشطة الفدائية والمسلحة ، وكان محمد حسين جُلزار أحد الأعضاء السابقين في الجبهة الوطنية والنشطين فيها عرض هذا الموضوع مع عدد آخر من أعضاء الجبهة الوطنية . وتوضح أحد تقارير السافاك هذا الموضوع :

(في ظل الظروف الفعلية فإن زعماء الجبهة الوطنية لا يستطيعون ممارسة أي نشاط ، كما أنهم لا يرغبون في هذا الأمر ، وأن النضال الخفي غير المعلن يمكن أن يكون ذا تأثير).[٣٢٩]

وكما أشرنا قبل ذلك فإن أفرادا مثل الدكتور سامى والدكتور بيمان كانا يريان هذا الرأى ، ولهذا أنشآ منظمة « جاما » ، كما أن رغبة جماعة من القوميين فى الأنشطة الثورية قد حثَّت السافاك على الاصطدام بهم ، وفى هذا المجال وضعت الإدارة العامة الثالثة للسافاك خطة كبرنامج للسافاك فى طهران من أجل ملاحقة نشاط هؤلاء الأفراد وإخفاق محاولتهم فى الوقت اللازم :

(وفى شأن الأنشطة الفدائية والمسلحة ومن أجل إدراك كيفية الأنشطة الخفية والثورية للعناصر ، التى يدور حولها البحث ومنعها عند الضرورة ، ينبغى مراعاة القواعد التالية :

١ - يفضل للتعرف على الأفراد موضوع البحث ومعرفة أسلوب نشاطهم زيادة المصادر - وبمجرد أن تتشكل الخلية أو الجماعات يقضى عليها .

٢ - وفى حالة عدم صدق هذا النوع من التقارير فيمكن استدعاء الأفراد موضع البحث وتهديدهم وتوجيههم ، فتقل نسبة الخسائر .

٣ - يجب تتبع أعمال العناصر المعارضة والعمل على مراقبتها من أجل تحليل نشاط الأفراد ، وهذا هدف ضرورى .

٤ - والاهتمام بالقرائن والشواهد التى تشير إليها تقارير هذه العناصر وتبيِّن النشاط الخفى والثورى أمر ضرورى وسيكون باعثا على كشف أنشطة هؤلاء الأفراد) .

وقد وُفِّقت الإدارة العامة الثالثة فى مواصلة هذه الخطة فى التعرف على علاقة أولئك الأفراد بالجماعات خارج الدولة ، وأيضا التعرف على الأفراد الذين أبدوا اهتماما بالمعارضة والثورة فى الأنشطة الفدائية والثورية (٣٣٠) .

وسعى السافاك أن يوقف نشاطات هذه الجماعات ، وقبل أن تنجح وُفِّق فى إيجاد تنظيمات محكمة يمنع نشاطها ، وعلاوة على ضغوط السافاك لتقليل أنشطة الجماعات فإن أغلب النشطين فى الجبهة الوطنية كانوا يعارضون العمليات المسلحة والفدائية ، ووفقا لتقرير السافاك فى هذا المجال فإن أحد أفراد الجبهة الوطنية قد اعتبر المقاومة الفدائية للوصول للقوة أمرا مستحيلاً :

(إن إيران من الناحية الجغرافية لا تتوافر فيها الظروف التى تسمح بالنشاط الفدائى ، وفى الوقت نفسه فإن الجيران وأمريكا يقومان بتصفية أى نوع من هذه الحركات، كما أن عدم وجود تنظيمات لا يساعد على القيام بحروب العصابات) (٣٣١) .

وكانت تهديدات السافاك وإجراءاته ومعارضة أغلب الأفراد والأحزاب المرتبطة بالجبهة الوطنية باعثا على أن القوى الشعبية قلما اتجهت إلى الأنشطة الفدائية والمسلحة ، وباستثناء منظمة جاما ومجاهدى خلق لم تشاهد من بينهم جماعة أو تنظيم رئيسى آخر .

وقد اشتدت سيطرة السافاك على أعضاء الجبهة الشعبية والأحزاب الأخرى والجماعات ذات النزعة القومية فى بداية عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١) إلى حد أن السافاك قد منع ذكر أسماء أولئك الأفراد النشطين وأنصار الجبهة الوطنية فى أخبار العزاء فى الصحف ، حتى أن وزارة الإعلام والسياحة قد طلبت رأى السافاك فى شأن ذكر أسماء مثل آية الله طالقانى ، وداريوش فروهر ، وداريوش آشورى فى ذيل إعلان وفاة كشاورز صدر ، وقد صمم السافاك على أن يستفيد من أخبار التعزية بل ويستخدمها ضد الأفراد المذكورين وفى هامش طلب وزارة الإعلام بيَّن السافاك وجهة نظره بهذا الشكل :

(يحول هذا الخبر إلى الإدارة الأولى حتى يمكن الاستفادة منه ويؤخذ فى سوابق الأفراد ، وينبغى أن يكون الإعلان بصورة أسرية) (٣٣٢) .

وأصبح الاحتفال بالأعياد الملكية فى أوائل عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) واحتمال ظهور أنشطة سياسية وفدائية فى هذه الفترة باعثا على زيادة المراقبة والسيطرة من قبل السافاك على الجماعات ذات النزعة القومية ، وتم إلقاء القبض على العديد من الأفراد فى هذا الصدد ، وقد سجنوا لفترات طويلة ، ومنذ عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) بدأت الأنشطة التنظيمية للأحزاب الوطنية والعناصر النشطة فى الجبهة الوطنية وأنصارها ، ولكن السيطرة الشديدة للسافاك لم تسمح لها بالنشاط أو التنظيم .

كما أن انتخابات الرئاسة فى أمريكا ونجاح كارتر وشعاراته - ومنها حماية حقوق الإنسان - قد أعطى أملاً جديدا لأنصار الأحزاب الوطنية ، والجبهة الوطنية والأعضاء النشطين ، وقد شوهد أول علامات التحرك (سياسيا) لأعضاء الجبهة الوطنية المتبقين فى الأيام الأخيرة من عام ١٣٥٥ ش (١٩٧٦م) .

وقد ورد فى أحد تقارير الساڤاك فى شأن نشاط أولئك فى أواخر عام ١٣٥٥ش (١٩٧٦) وأوائل عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧ م) :

« أخيراً بدأت الأنشطة من جانب بقية بعض الأعضاء النشطين فى التنظيمات المرتبطة بالجبهة الوطنية ، وهذه الأنشطة قد حدثت فى أوائل العام الحالى بشكل متفرق ، وفى صورة مباحثات متفرقة لانتقاد الأوضاع الحالية للبلاد ، ومع صدور بعض البيانات من قبل بعض العناصر السابقة اتخذت هذه الأنشطة شكلاً أكثر اتساعًا أو انتشاراً . ومن بين التنظيمات المرتبطة بالجبهة موضع البحث (حزب ملت إيران) بزعامة فروهر وبعض الأعضاء من (حزب نهضت آزادى) – حركة التحرير – بزعامة بازركان من بين من ساعدوا على تجديد هذا النوع من الأنشطة » (٣٣٣) .

ومن أجل التكتل فى النشاط بدأت الاتصالات بين هؤلاء الأفراد (داريوش فروهر، وشابور بختيار ، والدكتور كريم سنجابى) وسعوا حتى يؤسسوا جماعات وأحزاب الجبهة الوطنية ، ولكنهم لم يوفقوا فى هذا الاتجاه .

وقد انتقد هؤلاء الأشخاص الثلاثة فى رسالة مطولة (بتوقيعهم وبدون ذكر اسم الجبهة الوطنية) إلى محمد رضا شاه انتقدوا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى إيران ، وعلى خلاف ما توقع هؤلاء الأفراد لم يصدر رد فعل من قبل الملك والقوى الأمنية .

وبعد ذلك بفترة وسع عدد من الجماعات والأحزاب الوطنية ومن بينها حزب إيران ، و حزب ملت إيران ، وحزب الحركة الشعبية الشيوعية – وسّعوا نشاطهم وأسسوا جماعة باسم (وحدة الجبهة الوطنية الإيرانية) ، وعقب ذلك نشروا إصدارا تحت اسم (خبر نامه) أو الرسالة الخبرية .

ولم تعارض الجبهة المذكورة النظام الحاكم فى إيران بشكل علنى ، وكانت دائما تؤكد على التنفيذ الصحيح والدقيق لأصول الدستور والنظام الدستورى الملكى ، الذى يعد واحدا من مبادئ الدستور (٣٣٤) .

وشكلت جماعة أخرى من الأحزاب الوطنية (أنصار حركة التحرير وحزب الشعب) بزعامة كريم سنجابي وعدد آخر من الأفراد ذوى النزعة الوطنية - شكلت (الجمعية الإيرانية للدفاع عن حرية الإنسان وحقوقه) .

والساڤاك الذى مُنِع فى هذا الوقت من القيام بأى عمل فزع من الأنشطة المذكورة ؛ لذلك سعى إلى ترويج الشائعات ضدها ليقلل من شأن التنظيمات والأحزاب المذكورة بين الناس ، وبهذا الشكل يمنعها من مواصلة كفاحها .

وكان من بين الاتهامات التى اتهم بها الساڤاك الجبهةَ الوطنية علاقتها بالأجانب ومن بينهم الحزب الديمقراطى الأمريكى ، ولكن لما أن الساڤاك لم يكن لديه دليل دامغ يستند إليه فقد باءت محاولته بالفشل (٣٣٥) .

ومع زيادة الكفاح الشعبى وتكتل القوى الوطنية مع حركة الإمام الخمينى فقد الساڤاك دوره (فى منع هذه الجماعات) ، وقد طالب زعماء الجبهة الوطنية وحركة التحرير الإيرانية على عكس ما كان يطلبه الإمام ، وأن يصبح الشاه ملكا برلمانيا ، ولم يعتبر أولئك أن عزل الشاه هو الطريق الوحيد للحل والجدير بالقبول فى ذلك الوقت (٣٣٦) .

وعقب اشتعال النضال الشعبى وعدم قدرة الساڤاك والجيش والقوى الأمنية الأخرى على كبح جماح الثورة المشتعلة ، هذا فضلاً عن هزائم الحكومات المتوالية (حتى حكومة أزهارى العسكرية) وعدم نجاح القيادة العسكرية فى السيطرة على المظاهرات راح الشاه ينقذ ما يمكن إنقاذه ؛ فاتجه إلى أعضاء الجبهة الشعبية وكان رئيس الساڤاك فى هذا الوقت الذى تولى هذا المنصب عقب عزل نصيرى هو الذى كُلِّف بالتفاوض مع هؤلاء الأفراد، وفى النهاية استطاع أن يرضى شابور بختيار بهذا الأمر ، ولكن هذه الحيلة لم تُجدِ نفعا ، وأخفقت المنظمة الأمنية (الساڤاك) والنظام الملكى فى إيقاف ثورة الشعب .

النتيجة :

كانت الأحزاب والجماعات الوطنية والجبهة الوطنية هدفا للساڤاك ، ولم تكن سياسة النظام (قبل وبعد تأسيس الساڤاك) تهدف إلى القضاء المبرم على هذه الجماعات وتصفيتها ، وكان تبني الأفكار الشعبية وعدم معارضتها لنظام السلطنة وشخص الشاه والتأكيد على المحافظة على القانون الأساسى من قبل هذه الجماعات كان باعثا على أن النظام والساڤاك لم يكن لديهما ما يبرر التصفية التامة لهم ، وبناء على هذا فإن هذه الجماعات لم تكن تعارض الحكومة والدولة ولم تقم بأى نشاط يضر الأمن العام من وجهة نظر الساڤاك ؛ لهذا فإن الساڤاك كان يهادن هذه الجماعات .

وكان الساڤاك يحاول أن يوقف أنشطتها بالتهديد والتخويف والاستمالة ، ولكن حينما كانت تبدأ هذه الجماعات فى التشكل وتجهر بمعارضة النظام كان الساڤاك يوقف أنشطتها ، وقد حاول الساڤاك بالتفاوض مع رؤساء هذه الجماعات وأعضائها منع أنشطتها ، ولكن حينما كان يخفق معها كان يعمد إلى قمعها باعتقال وسجن أنصارها والناشطين فيها ، وكان الساڤاك يفرج عنهم بعد فترة قصيرة ، ولكن بمجرد نيلهم الحرية كان يضع نشاطهم تحت السيطرة والمراقبة .

وبهذا الشكل وُفِّق الساڤاك فى أن يوقف أنشطة أولئك الأفراد ، والتغيرات التى حدثت عام ١٣٥٦ وعام ١٣٥٧ ش (٧٧ - ١٩٧٨) وظهور الحريات النسبية كانت فرصة سياسية مناسبة حتى أن القوى الوطنية قد ظهرت مرة أخرى على المسرح السياسى للدولة ، وفى هذه الفترة مُنِع الساڤاك من استخدام الإجراءات العملية والمباشرة وكُلِّف فقط بمراقبة الأحداث السياسية ، خاصة فيما يتعلق بالجبهة الوطنية والجماعات التى تناصرها ، وراح يرسل التقارير عن أنشطتها بشكل منظم .

ومع ازدياد المقاومة فإنه حينما كُلِّف الساڤاك والقوى الأمنية و الاستخبارات - خاصة الجيش والقيادة العسكرية - مرة أخرى بتصفية الحركة الوطنية و الثورة الإسلامية لم يوفَّقوا فى ذلك .

الفصل الثالث

السافاك والجماعات المعارضة للنظام

وعلاوة على الجماعات اليسارية والوطنية والإسلامية ورجال الدين والجماعات المسلحة - فقد هبت جماعات أخرى فى فترة حكم الشاه لمعارضة النظام الديكتاتورى ، وكان المثقفون والطلاب من بين المعارضين الذين راقبهم السافاك بكل أنظمته وكان دائم الاصطدام بهم ، ولا شك أن الجماعات المذكورة كان أغلبها يتركز فى الجماعات اليسارية الوطنية والإسلامية ولم يكن لها نشاط مستقل ، ولكن نظراً لأهمية الموضوع واصطدام السافاك بها فسوف نعرض لها بإيجاز .

١- المستنيرون :

ويمكن تقسيم المثقفين إلى جماعتين ، الأولى : مرتبطة بالحكومة والبلاط ، والثانية : الجماعة المستقلة .

والجماعة الأولى قد عارضت علانية سياسات النظام بالقلم والبيان عن طريق الكتابة ، وقد شغلت بالعمل فى المؤسسات الحكومية ، وبعض هؤلاء الأفراد الذين كانوا يعملون لخدمة السافاك فى الأجهزة التنفيذية التحقوا بخدمة هذه المنظمة الأمنية وكانوا بمثابة العقول المفكرة والمخططة ، وتعهدوا بالتخطيط لأنشطة السافاك ، ومن هؤلاء الأفراد ميمندى نجاد - مدير مجلة رنكين كمان - وولى الله يوسفيه ، وفريدون آدميت .[٣٣٧]

أما الجماعة الثانية فكانت أساساً ذات ميول ليبرالية ويسارية ، وكانت تعمل فى التنظيمات السياسية للجبهة الشعبية لحزب توده[٣٣٨] ، ومع اشتعال الحركة الإسلامية قوى نشاط المستيزين المسلمين وهبوا للانضمام إلى الزعامة الدينية والإمام الخمينى ومكافحة النظام البهلوى .

ولم يكن للمثقفين المعارضين نشاط مؤثر بعد انقلاب ٢٨ مرداد وتأسيس السافاك فى أواخر عام ١٣٣٠ ش (١٩٥١م) .

وعلى حد قول نجف دربندى أن الانشغالات السياسية وحركة ٢٨ مرداد قد بددت الأمل لدى المستنيرين فترة طويلة من الوقت .

وبعد الانقلاب المذكور اعتزل أغلب المثقفين الأعمال السياسية والاجتماعية واتجهوا إلى الحياة المادية وجمع الثروات ، واتجه البعض الآخر إلى الإدمان والمواد المخدرة ، وفى أواخر عام ١٣٣٠ ش (١٩٥١) تهيأ المسرح السياسى [٣٣٩] وتجددت الحركة الفكرية والثقافية مرة أخرى .

وعلى حد قول الدكتور رضا براهنى أن طبع كتاب (غرب زدكى) بمعنى (معاناة التغرب) لجلال آل أحمد نقطة تحول في هذه الفترة ، ومع طبع كتاب غرب زدكى ونشره انقسم المستنيرون إلى طائفتين نشطتين : اتجهت جماعة إلى السلطة ، والجماعة الأخرى هى التى وقفت فى مواجهة الحكومة وعارضت برامج النظام الحاكم [٣٤٠] وبهذا الشكل دخل المثقفون ميدان النشاط السياسى بالفعل وتحول البعض الآخر إلى عامل من عوامل اليقظة وتوعية الشعب ، واتجهوا فى طريق النضال والكفاح من خلال الأشعار ، والقصص القصيرة ، والرواية ، والمقالات الأدبية والاجتماعية فى مواجهة الظروف الاجتماعية والسياسية والبوليسية فى تلك الفترة [٣٤١]، وقد أعد السافاك ملفا منفصلا لكل فرد من الأفراد المستنيرين والكتّاب والفنانين ، وبهذا الشكل راقب كتابتهم ومقالاتهم مراقبة كاملة عن طريق المؤسسات السافاكية المختلفة .

وكانت كتبهم ومقالاتهم وبرامجهم تخضع لرقابة السافاك من حيث الموافقة أو الرفض ، وبعد ذلك يتم الموافقة على طبعها ونشرها ، حتى إن إعادة طبع أى كتاب لابد من أن يأخذ الموافقة من السافاك أولا ، وكم من كتب صُرِّح بطبعها ثم أوقف السافاك نفسه نشرها باعتبارها ضارة بالأمن ، وما يراه منها مفيدا يعيد كتابتها ويثبتها فى الملف [٣٤٢] .

ومع اهتمام السافاك بالوضع الفكرى للمثقفين كانت مواجهته لهم متفاوتة ، ولكن السياسة العامة لتلك المنظمة كانت تقوم على استمالة أولئك واجتذابهم ، حتى إنها

كانت تسعى أن تستميل الأفراد الذين كانت لديهم أفكار ماركسية ويسارية ،وكان برويز نيكخواه أحد هؤلاء الأفراد الذين تم اعتقالهم بتهمة التآمر على شخص الشاه فى قصر (مرمر) ، وبعد ذلك أفرج عنه لأنه وعد السافاك بالتعاون معه ، وشغل كمخطط للحكومة فى وزارة الإعلام والسياحة وهيئة الصوت والضوء [٣٤٣] .

وعقب زيادة الفنانين والكتاب زاد السافاك من نشاطه تجاههم ، فإذا لم يستطع أن يمنع هؤلاء الأفراد - بالتشجيع والتهديد والترغيب - عن معارضة النظام الحاكم حاول استمالتهم ، وكان يلقى القبض عليهم ويزج بهم فى السجن بتهمة كتابة كتاب أو مسرحية أو مقالة ، والتى هى أعمال معارضة للنظام البهلوى وباعثة على معارضة الناس من وجهة نظره ، ويشير معدل المساجين فى السنوات من عام ١٣٥٠ حتى ١٣٥٧ ش (٧١ - ١٩٧٨م) إلى زيادة حدة معارضة المستتيرين للشاه .

وفى هذه الفترة فإن ٩٠٪من الأشخاص الذين سجنوا واعتقلوا كانوا من المثقفين والطلاب وأنصار الحرية ، وبعد إلقاء القبض على هؤلاء الأفراد المثقفين وسجنهم من قبل [٣٤٤] السافاك كان يسعى إلى أن يحثهم على التعاون معه ومع النظام ، وكان يلجأ إلى ادعاء الصداقة وإعطاء الوعود المطلوبة ، أو يلجأ إلى الوسيلة الأخرى وهى الإرهاب وأنواع التعذيب الجسمانية والروحية ، وقد حث أفرادا عديدين على التعاون مع السافاك والحكومة .

وقد استطاع السافاك بذلك فى برهة من الزمن أن يبعد المثقفين كجماعة معارضة للنظام عن المسرح .

وكانت السياسة العامة للشاه هى اجتذاب هؤلاء الأفراد فى المؤسسات الحكومية ؛ حتى يستطيع بذلك أن يمنعهم من المعارضة وحتى يستطيع أن ينفذ برامج ثورته البيضاء بمساعدة هؤلاء الأفراد .

ولهذا السبب بادر بتأسيس حزبين حكوميين هما (حزب مردم)، (وحزب مليون) ، وبعد ذلك (حزب رستاخيز) أو حزب البعث ، وقد خضع هؤلاء المثقفون المعارضون النشطون فى هذه الأحزاب للسيطرة السافاكية والرقابة ، ووصل بعض منهم إلى

مناصب رفيعة فى المملكة بمساعدة السافاك ، وكان (حزب رستاخيز) قد تم تنظيمه بحيث يستفيد من مهارات الرجال والنساء الجامعيين ، وحتى يزيد مشاركتهم فى الجماعات الحزبية والنقاط الأخرى الموجودة فى زيادة النسيج التنظمى للحزب (٣٤٥) ، وكان سعى الشاه إلى الاهتمام بالبرنامج السياسى للمثقفين حتى يحافظ على سلطنته (٣٤٦) خاصة أنه فى السنوات الأخيرة لحكومته كانت المعارضة الشعبية قد بلغت ذروتها ، وقد سعى إلى الاتجاه إلى المعارضين والمنتقدين (من أمثال الدكتور صديقى والدكتور سنجابى والدكتور إحسان نراقى) لكى يسيطر على الأوضاع من خلال الاستعانة بآرائهم .

وأحد وسائل السافاك الأخرى علاوة على استمالة الأفراد هو ادعاء انتسابهم إلى السافاك .

ومع نشر السافاك للشائعات - بين أفراد الشعب - القائمة على تعاون أحد المثقفين كان يسقط هذا الشخص من نظر الناس ، وكان بهذه الوسيلة يخرجه من مسرح النشاط ضد النظام ، وقد سعى السافاك أيضًا بالاستعانة بكتب بعض المثقفين وأفكارهم فى إثارة جو الرعب والإرهاب بمدى قوة السافاك فى المجتمع ، ومنذ أن نشر رضا براهنى كتاب (آدمخوران تاجدار) أو (المتوحشون المُتوَّجون) أشيع أن هذا الكتاب قد كتب بإرشاد السافاك ، وسواء كان هذا صحيحا أو غير صحيح فإن السافاك قد نشر بنفسه هذه الشائعات ، حتى يمنع الأفراد من معارضة النظام ببث نوع من الرعب والذعر الخيالى الكاذب ، وقد وفق السافاك فى هذا الأمر إلى حد كبير بحيث لم يعد أفراد الأسرة الواحدة -حتى الزوجة والزوج - يمكن أن يثقوا فى بعضهم بعضًا ، وخوفا من السافاك لم يعودوا يناقشون الموضوعات السياسية ، ولم تكن هذه الحيل موفقة دائما ، إذ إن عددا من المثقفين خاصة الدينيين منهم والذين ترعرعوا فى كنف الحركة الإسلامية وبسبب قوة إيمانهم الراسخة بهدفهم لم يكونوا مستعدين للتعاون مع السافاك .

وعلى الرغم من ضغوط السافاك فإن الشهيد مطهرى ، والشهيد مفتح ، والشهيد بهشتى قد منعوا من التدريس فى الجامعات ، لكنهم واصلوا نضالهم حتى انتصار الثورة الإسلامية ، وعلاوة على المثقفين المسلمين فإن أفرادا آخرين مثل خسرو

جلسرخي قد رفض التعاون مع الساڤاك ، وكان جلسرخي شاعرا وكاتبا يساريا ، وعلى الرغم من الضغوط والتعذيب من قبل الساڤاك فقد رفض التعاون معه ، وقد أدان النظام على شاشة التلفزيون أمام آلاف المشاهدين الإيرانيين ، ولما يئس الساڤاك من تعاونه معه قام بإعدامه .

وقد أثار إعدام جلسرخي - كبطل مناضل ضد النظام ولاسيما المناضلين اليساريين - لغطا كبيرا مما نبّه الساڤاك لخطورة هذا الموضوع ، وقد جعلت هذه الطريقة التى اتبعها الساڤاك من كاتب مغمور وصغير بطلا كبيرا ، وخلق هذا الموضوع وحدة صف لدى بعض معارضى النظام (٣٤٧) ، ولكن الساڤاك لم يتعظ من هذه الحادثة ، وواصل طريقته المتوحشة في سحق المثقفين فى المجتمع ، كما قبض على بعض الكتاب والفنانين الذين أجيزت أعمالهم من قبل الدولة واعتقلهم ، فمثلا اعتقل الساڤاك الكاتب والمخرج والممثل فى المسرحية المعروفة بـ (آموزكاران) أو المعلمون والتى هى مقالات رسمية أجازتها الدولة . (٣٤٨)

وعلى كل فقد استطاع الساڤاك أن يحيِّد المثقفين حتى السنوات التى سبقت الثورة عن المسرح السياسى والاجتماعى للدولة وذلك باستمالتهم وبترغيبهم وبالدعاية وإثارة الشائعات ، وفى عامى ١٣٥٦ و ١٣٥٧ ش (٧٧ و ١٩٧٨م) ومع إطلاق الحريات السياسية وجد المثقفون الفرصة ثانية فى أن يعلنوا معارضتهم ضد النظام ، حتى إن أفرادا مثل الحاج سيد جوادى و بازرجان وفروهر والذين كان لهم نشاط فى الجماعات المختلفة قد بدأوا المعارضات العلنية ضد النظام الحاكم .

٢ ـ الطلاب والحركات الطلابية :

تعتبر الحركة الطلابية أوسع حركة فكرية وأكثر شعبية .

وبسبب خصوصيتها وخصائصها التقليدية والاقتصادية والاجتماعية فقد حافظت على تحركها واستمرارها ، وعلى مر التاريخ لعبت هذه الحركات الشعبية دورا مؤثرا ، ومنذ عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) ومع بدء الحركة الإسلامية فإن الجامعات قد انجذبت شيئا فشيئا نحو المقاومة ، وكان للطلاب نشاط مثل المثقفين فى الجماعات اليسارية

والشعبية والإسلامية المختلفة، ومنذ نشأة الساڤاك بدأ مواجهة عنيفة ضد أولئك ، وازدادت مواجهة الساڤاك مع الطلاب منذ بداية الحركة الإسلامية ، ويشير تاريخ إيران إلى أن مبادئ الدستور قد تركت شيئا فشيئا وأن الديكتاتورية والإرهاب قد تزايدا ، كما تزايدت ضغوط الساڤاك على الجامعة والطلاب ، إلى حد أن القوة العسكرية والساڤاك قد أصبح لهما تواجد فى الجامعات ، وأصبحت جامعات البلاد عمليا مرتبطة برجال الأمن . (٣٤٩)

وقد سعى الساڤاك أن يسيطر على أنشطة الطلاب ضد الشاه ليوقفها ، وقد طُرد الطلاب اليساريون والمرتبطون بالأحزاب اليسارية وحزب توده من الجامعة ، وخضع الطلاب المرتبطون بالجماعات الوطنية إلى السيطرة الساڤاكية وشتى أنواع الإيذاء ، ولم يكن هؤلاء الأفراد راضين بالخروج من مسرح الأنشطة السياسية وقد منعوا من ممارسة الأنشطة ، وتعرض الطلاب المنتمون للجامعات الإسلامية إلى تعذيب الساڤاك ومن ناحية أخرى ومع بدء الحركة الإسلامية زاد ميل الطلاب إلى الإسلام والروح الدينية ، وكانت التنظيمات الطلابية على النقيض مما سبق تدعو إلى الروح الدينية والزعامة الدينية ، ومع زيادة أنشطة الطلاب المسلمين فى الجماعات الطلابية المختلفة زادت الضغوط الساڤاكية عليها ، ولكن على الرغم من أنواع التصفية من قبل الساڤاك فإن الحركة الطلابية لم تتوقف ، واستمرت طوال السنوات فى محيط الجامعة والمجتمع فى شكل اعتراضات ضد النظام الحاكم ، فى الوقت الذى لم يكن للجبهة الشعبية وحزب توده القوة والقدرة نفسها .

كما أن الحركة الطلابية باتباع القيادة الدينية واصلت مقاومتها وقد اصطبغت بالصبغة الإسلامية ، والساڤاك الذى صمم على سحق الطلاب تدخل فى برامج الجامعات ، كما أن الجامعات من أجل أغراض الساڤاك كانت تواجه كل يوم تخطيطا جديدا من أجل سحق الطلاب وكان قطع المعونات عن الطلاب والطرد من الجامعة ، كل ذلك من أجل تحقيق أغراض الساڤاك وتصفية الطلاب (٣٥٠) ، وكان الطلاب يشكلون المراكز الأساسية للجماعات الثورية المعارضة التى ظهرت فى أواخر عقدى ١٣٤٠ ش . ١٣٥٠ ش (٦١م ، ٧١ م) وبهذا الشكل وجد الساڤاك والقوى الأمنية السيطرة التامة على تلك الجماعات .

وانتشرت أنشطة الطلاب إلى الحد الذى أفزع النظام ، وقد أمر الشاهُ السافاك بسحق أولئك ، وذلك من أجل أن يوقف تلك الحركات والمقاومات الطلابية فى المستقبل ، كما أمر السافاك أن يستفيد من العطلات الصيفية فى عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) حتى يطرد الطلاب المعارضين (العناصر غير المرغوب فيها) من الجامعات ولم يسمح أن يدخل الجامعة فى بداية السنة الدراسية أى طالب معارض ، وعقب أوامر الشاه فقد أمر رئيس السافاك المراكز المختلفة للسافاك بالآتى :

(لا ينبغى أن يوجد فى الجامعات طالب واحد معارض ، ومؤيد للمظاهرات والفتن) .

وعقب أوامر الشاه ورئيس السافاك عمت البلاد موجة من إلقاء القبض والطرد والإرسال قهرا إلى الخدمة العسكرية فى الجامعات ومراكز التعليم العالى ، ولكن على النقيض من هذه الإجراءات القمعية ومع بداية السنة الدراسية فى عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠) . استمرت بعض الأحداث التى اعترضت على سياسات النظام بشكل لم يسبق له مثيل .

وكان مجرد التفكير فى ذلك يمثل مشكلة كبرى للنظام ، وفى السنوات التالية فإن الطلاب واصلوا مقاومتهم للنظام الديكتاتورى للشاه وفى عامى ١٣٥٦ ، و ١٣٥٧ ش (٧٧ و ١٩٧٨م) ومع اشتعال الثورة الإسلامية زادت المقاومات الطلابية ، حتى إن الطلاب قد ساروا فى الشوارع وانضموا إلى طبقات الشعب الأخرى واشتركوا معهم فى المظاهرات ضد الشاه .

وعلاوة على ذلك فقد استمرت أنشطة الطلاب فى أشكال تأسيس المكتبات والمراكز الإسلامية والالتقاء فى المساجد ، وسعى السافاك الذى فزع من هذا النوع من الأنشطة الطلابية – وخاصة اشتراكهم فى المكتبات الإسلامية، والاطلاع على الكتب الإسلامية – لكى يوقف هذا النوع من الأنشطة ، لهذا فإن الإدارة العامة الثالثة للسافاك قد اقترحت عدة اقتراحات لوقف هذا النوع من الأنشطة والمقاومة فى الجامعات ومراكز التعليم العالى ، وكان ذلك ضمن تقرير معالجة الموقف الراهن آنذاك:

١ – تعطيل هذه الأماكن وتحويلها إلى فصول تعليمية تتبع الجامعات .

٢ – إرسال عدد من الطلاب المحبين للشاه والوطن بين أولئك للسيطرة عليهم والتحقيق فى شأنهم .

٣ ـ تأسيس مراكز تعليمية وفنية وثقافية ، وتوفير الكتب المناسبة لتقوية الروح الوطنية ، إعلاء قدر الشاه لدى الطلاب ومنع الطلاب من السقوط في قبضة العملاء المفسدين بسبب الفراغ الفكرى والثقافى [٣٥١] .

ولم يحظ الاقتراح الثانى بالموافقة ، ويبدو أن الساڤاك قد أدرك أن إرسال هذا النوع من الأفراد سيكون باعثا على زيادة التوتر بين الطلاب ، بل ومن الممكن أن يتأثر بعضهم بالبرامج والأنشطة المذكورة ، وأيضا فإن الساڤاك أدرك أن السيطرة على الطلاب ومراقبتهم لا يمكن أن تمنعهم عن ممارسة الأنشطة السياسية ، وبناء على هذا فإن الاقتراح الثالث والأول قد حظيا بالموافقة ، ويشير هذا الموضوع إلى أن الساڤاك لم يكن لديه معرفة حقيقية بهذه الموضوعات ولم يضع يده على السبب الرئيسى للاعتراضات ، وإيقاف هذا النوع من المراكز قد بين بالتجربة أن هؤلاء الطلاب لم يتوقفوا عن هذه الأعمال ؛ بل أصبحوا أكثر تصميما ونشاطا .

القسم الرابع

مواجهات السافاك مع الزعامة الدينية وحركة الإمام الخمينى

مقــدمــة

كان رجال الدين والجماعات الإسلامية يمثلون الجماعة الثالثة من معارضى الشاه، وكان لرجال الدين الشيعة فى العقود الأخيرة دور مهم فى التطورات والحركات الشعبية فى الدول الشيعية المذهب مثل لبنان والعراق وإيران .

وفى تاريخ إيران المعاصر قام رجال الدين بدور مهم فى المواجهات الشعبية المنتشرة ضد النظام البهلوى .

وفى تلك الأثناء تزعم الإمام الخمينى بقوة منقطعة النظير الحركة الإسلامية ، وكان له خاصة أهم وأعظم دور ، وكانت سياسة الشاه والساڤاك قبل بدء الحركة تقوم على التقرب إلى رجال الدين ومهادنتهم ، ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يتورعون عن الخوض المباشر فى السياسة آية اللّه بروجردى ، فلم يكونوا يظهرون أى رد فعل من جانبهم إلا فى الأوقات التى كانوا يرون فيها خطرا على الأحكام الإسلامية وكيان المجتمع الإسلامى فيحذرون الحكومة والشاه .

وكان يشير المرحوم آية اللّه العظمى بروجردى إلى عدم تدخله المباشر فى السياسة بقوله : « كثيرا ما كانوا يؤاخذوننى لماذا لا أقدم على عمل جديد أو أتدخل فى السياسة ؟ وفى حقيقة الأمر ، منذ أن رأيت فى النجف الشريف الأستاذ الملا الخراسانى والمرحوم نائينى قد تدخلا فى الحركة الدستورية وحدث لهما ما نعرفه جميعا [٣٥٢] فقد ظهر لدى حساسية خاصة بالنسبة لهذه الأمور ، بحيث تتولد لدى وسوسة فى الإقدام على مثل هذه الأمور، وأحيانا ينتابنى الندم وأغيّر رأيى » . [٣٥٣]

وعلاوة على هذا فإن نفوذ العناصر الرجعية والاستسلامية حول المرحوم بروجردى قد منعته من العمل ضد النظام ، باستثناء موضوع انتشار الفساد فى إيران والبلاط ، حيث نبه إليه محمد رضا شاه ، وكان محمد رضا شاه يعتبر آية اللّه بروجردى من

الشخصيات المبرزة ، فسعى إلى تلبية مطالبه من أجل منعه من القيام بأيه معارضة ضده .

وفى الوقت نفسه كلف الساڤاك بأن يقلل من شعبية المرحوم آية الله بروجردى حتى يتمكن النظام من أن يقوم بأداء برامجه [٣٥٤] ، ولم يوفق الساڤاك والنظام البهلوى فى هذا الطريق ، وبناء على هذا فقد توقفا عن برامج استصلاح الأراضى بسبب الخوف من معارضته ، ولم يطرحا هذا الموضوع فى حياته ، وفى لقاء للشاه فى الأيام الأخيرة لحكومته مع إحسان نراقى ذكر (كان هناك تفاهم بين الزعامة الدينية والسلطة حتى وفاة آية الله بروجردى ، وقد أرجأنا موضوع استصلاح الأراضى طيلة حياته لأننا كنا نعلم أنه لن يؤيد هذا القانون) [٣٥٥] .

وكان رجال الدين والعلماء بحكم اتباعهم لآيه الله بروجردى واحترامهم له والخوف من هزيمة مرجع الشيعة وانتهاك حُرمة مقامه الرفيع ؛ كانوا يتجنبون النشاط الرسمى والمعلن ضد النظام ، وكانت هذه المسألة باعثا على أن الساڤاك لم يقم بمواجهة فعلية ضد رجال الدين .

ومع رحيل آية الله بروجردى وآيه الله كاشانى فى عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١م) فكر الشاه أن يقضى على معارضيه الأساسيين ، وراح يواصل تنفيذ برامجه ولكن مراجع التقليد والإمام الخمينى فى ردود أفعالهم أفهموه أنه أخطأ فى حساباته ،ولا شك أن هذا قد نم عن ضعف أجهزة الاستخبارات التابعة للنظام ، وخاصة الساڤاك .

الفصل الأول

السافاك والزعامة الدينية

وكما ذُكِر فإن رجال الدين الشيعة كانوا إحدى الجماعات المعارضة للنظام الذين لم يكن لهم فى فترة تأسيس السافاك نشاط واسع أو منظم ، ومع بدء الحركة الإسلامية فى إيران بزعامة الإمام الخمينى واهتمام السافاك بالزعامة الدينية أكثر من ذى قبل سعى السافاك طيلة السنوات التالية أن يضعف الزعامة الدينية من خلال البرامج المختلفة ، ومن بينها : السيطرة على الأوقاف ، وانتقاء الطلاب ، ومنع تداول الكتب المذهبية ، ومراقبة مراسم التعزية والوعظ والخطابة ، حتى يستطيع بذلك أن يقلل من معارضة هذه الجماعات للنظام .

ولقد أدت القوة المتنامية لشعبية الزعامة الدينية بين الشعب والمعارضة العلنية التى يتبناها النظام البهلوى ضد مبادئ الإسلام إلى أن الشاه أخذ يرى سلطته مهددة من قِبل رجال الدين والجماعات المذهبية مع بدء الحركة الإسلامية فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) وبناء على هذا فقد صمم على أن يمنع أولئك من الاتجاه إلى السياسة ومعارضة سياسات النظام ، وذلك بمساعدة الأجهزة الاستخبارية والأمنية .

والسافاك باعتباره أهم منظمة للأمن و الاستخبارات كان له وظيفة أساسية فى هذا المجال ، وقد تعهد السافاك أو القسم الرابع فيه (رجال الدين) فى الإدارات السابعة للعمليات والبحث التابعة للإدارة العامة الثالثة للسافاك - بالسيطرة على أنشطة هذه الجماعة .

وقد راقب السافاك كل رجال الدين المعارضين والمؤيدين للنظام ، وملاحقة رجال الدين وصلت إلى حد أنه فى خرداد عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) طلب السافاك المركزى

من السافاك فى «قُم» أن يمنع سفر رجال الدين للاشتراك فى المؤتمر الإسلامى الذى سوف يعقد فى «بغداد» ، وأن يمتنع عن إصدار جوازات السفر من أجل رجال الدين الذين كانوا ينوون السفر إلى جهات أخرى [٣٥٦] .

ومع انتشار حركة الإمام الخمينى والمعارضات التى حدثت من قِبل رجال الدين ضد النظام أمرت رئاسة السافاك في عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) - مركز السافاك فى «قم» بالآتى :

(ليوضع جميع الوعاظ ورجال الدين تحت المراقبة حيثما وجهوا ، وأى إهانة أو اتهام يوجه إلى المقام السامى للشاه أو إثارة للناس ضد الأمن ومصالح الدولة فإنهم يوضعون تحت المراقبة وفقا للوائح السافاك وقانونه

اللواء باكروان) [٣٥٧]

وكانت قد طلبت الإدارة العامة للسافاك ضمن أوامرها إلى فرع السافاك فى طهران فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) أن يُنبه على رجال الدين أن الموضوعات الدينية والأخلاقية هى التى يجب عليهم أن يهتموا بها ، وأن يتجنبوا التدخل فى الموضوعات السياسية :

« إن رجال السافاك يراقبون أعمال رجال الدين وأنشطتهم ولاسيما فى المساجد والتكايا ، ويجب التنبيه على رجال الدين أن يهتموا فى المساجد والمنابر بالموضوعات الدينية والأخلاقية وأن يبتعدوا عن القضايا السياسية ، وإذا ما تدخلوا فى مثل هذه القضايا فإنهم سوف يقعون تحت طائلة القانون ، وأن الأشخاص الذين يخالفون هذه القواعد سوف يلقى القبض عليهم على الفور وسوف يعاقبون بالاتهام بالعمل ضد أمن الدولة » [٣٥٨] .

ومن مجموع القواعد السافاكية يمكن إدراك مدى خوف السافاك وفزعه من بيان مظالم البلاط والشاه والحكومة ، التى كان يسمعها أفراد الشعب عن طريق رجال الدين ، ولا يمكن للسافاك أن يتحمل انخراط رجال الدين فى الأمور السياسية وإظهار الحقائق السياسية للمجتمع والعالم ، وكان السافاك قد وجه خطابا إلى الأستاذ (الشهيد مطهرى) أعلنه فيه أن تدخل رجال الدين فى السياسة والمزج بين الدين والسياسة خيانة للإسلام .

وإن هذا التدخل فى الحقيقة عامل من عوامل التنوير وإيقاظ الشعب ، وباعث من بواعث الثورة ضد الحكومة الديكتاتورية البهلوية .

والسافاك الذى كان يعلم بنفوذ رجال الدين ومراجع الشيعة بين أفراد الشعب كان يحاول أول الأمر أن يمنعهم من التدخل فى السياسة مدعيا الصداقة وإقامة العلاقات الطيبة معهم ولكن عندما وصلت هذه السياسة إلى الإخفاق استبدلها السافاك بالتهديد والتعذيب والسجن ، حتى إنه قتل بعض رجال الدين المعارضين .

١ ـ الترغيب في رجال الدين :

عقب ازدياد نشاط رجال الدين فى عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) حاول السافاك أن يجذب رجال الدين المعارضين للنظام بإقامة العلاقات الطيبة معهم ، وبهذه الوسيلة يقلل من المعارضات الشعبية ضد الشاه ، وطلبت رئاسة السافاك فى برقية أرسلتها إلى السافاك فى (قم) بعد ذكر هذا الموضوع بدءا من ١٣٤٢/٢/٥ ش . ١٩٦٣م فصاعدا يعتبر السافاك المنظمة الأمنية المسئولة عن رجال الدين :

« أن تراعى الدقة والعلاقات الحسنة شريطة أن لا يخرج هؤلاء عن حدودهم وأن لا يتدخلوا فى السياسة ، وإن سياسة الشاه هى العمل على حماية الدين وتشجيع رجال الدين الذين يقومون بوظيفتهم المعنوية ، وعلى النقيض أى عمل يهدد السياسة ينبغى أن يُحظر ، فالدين أهم عوامل المحافظة على الدولة والهوية ، وينبغى على جميع الإيرانيين أن يفهموا وظيفتهم القومية والدينية ، ولاسيما رجال الدين الذين يعتبرون مرشدين للشعب فى القضايا المعنوية والدينية ، وينبغى أن يضطلعوا بالمهمة التى تقع على عاتقهم .

القائد باكروان » [٣٥٩]

ولما كان السافاك يعلم مدى تأثير الدين ورجاله على أفراد الشعب فقد سعى إلى منعهم من التدخل فى السياسة ، وأن يشغلهم بالقضايا الشرعية والأخلاقية والمعنوية ، وقد ظن السافاك أن الصداقة والعلاقات الحسنة مع رجال الدين يمكن أن تمنعهم عن تحقيق هدفهم السامى .

وفى موضع آخر فإن توثيق علاقات الصداقة بين الساڤاك ورجال الدين منعتهم من التدخل فى المسائل السياسية .

وقد ورد فى أحد تقارير الإدارة العامة الثالثة للساڤاك :

« عندما يستقطب رجال الدين فسوف يؤدى هذا إلى منع تنامى وانتشار المشكلات والأنشطة التخريبية التى تتم عن طريق ماتبثه هذه الجماعة .. من سموم ، وبالتالى سوف يقلل هذا من إضاعة وقت المصادر وقادة العمليات وكذلك النفقات المتعلقة بتغطية الأهداف المبتغاة بشكل ملحوظ» (٣٦٠) .

وتشير سياسة الساڤاك هذه إلى عدم معرفته الصحيحة برجال الدين الثوريين المناضلين ، وأظهر رجال الدين بالفعل أن تلك الحيل لم تُجدِ معهم ، ولا شك أن (بعض) رجال الدين قد سعوا منذ بداية الحركة الإسلامية أن يلعبوا دورا سياسيا ؛ حتى يمنعوا أفراد الشعب ورجال الدين الآخرين من مواصلة المقاومة ضد النظام .

وقد أصبح تعاون بعض الجماعات مع الساڤاك واختلافه مع البعض من رجال الدين باعثا على أن النظام والساڤاك قد اتبعا سياسة التفرقة بينهم ، وبالفعل فقد كان لبعض رجال الدين علاقات حسنة مع البلاط ، ومع وجود هذا وللسبب السابق فقد جعل الساڤاك جميع المؤيدين والمعارضين للنظام تحت سيطرته ، وجعل أولئك تحت إشراف الساڤاك .

٢- مساندة رجال الدين المؤيدين للنظام وإضعاف المعارضين :

إن عددا من رجال الدين الذين قد دخلوا منذ بداية الحركة الإسلامية - فى ظاهر الأمر - المسرحَ السياسى قد وقفوا من كفاح حركة الإمام الخمينى موقف المعارضة ، وقد كان هذا الأمر باعثا على أن أولئك قد حظوا برعاية الشاه واهتمام منظمة الساڤاك ، وكانت السياسة العامة للساڤاك تقوم على حماية أولئك الأفراد من رجال الدين المؤيدين لسياسة البلاط والحكومة البهلوية ، وإضعاف رجال الدين المعارضين للحكومة والنظام ، هذا كما جاء فى وثائق هذه المنظمة ، وكما سبق القول إن أسلوب الساڤاك يجب أن يقوم على مساندة رجال الدين المؤيدين وإضعاف رجال الدين المخلين بالأمن والمعارضين . (٣٦١)

وفى أحد التقارير التى وردت فى شأن إضعاف رجال الدين المعارضين وأبلغت إلى ساڤاك طهران :

« من أجل منع أى نوع من الأنشطة الجديدة على يد رجال الدين المخلين بالأمن ، ومساندة رجال الدين المؤيدين الذين لا يخرجون عن نطاق مهامهم المذهبية ، لابد وأن تنفذ الملاحظات المذكورة بشكل سرى :

١ - إضعاف الجانب المالى للمعارضين .

٢ - التعرف على مصادر إمدادهم وإضعافها .

٣ - منعهم من إقامة أى احتفالات بدون إذن الداخلية .

٤ - السيطرة على الأموال الموقوفة » (٣٦٢) .

وأصدرت رئاسة الساڤاك أمرا فى برقية إلى الساڤاك المركزى جاء فيها :

« أن يحظر على رجال الدين والمراكز الدينية أن تنشر أى موضوع فى الصحف المحلية .

رئيس منظمة الساڤاك باكروان » (٣٦٣)

وعلى الرغم من تنفيذ هذه الأوامر والبرامج لم يستطع الساڤاك أن يمنع رجال الدين من مواصلة الكفاح ضد النظام ، وحتى حدوث واقعة ١٥ خرداد ونفى الإمام الخمينى إلى تركيا وسجنه وتعذيبه لم يحدث أى جديد ، وفى أوائل عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) سعى الساڤاك إلى السيطرة العامة على رجال الدين والحوزة العلمية فى « قم » .

وكان الساڤاك فى قم قد قدم اقتراحا إلى الإدارة العامة الثالثة ، وبعد بحث موضوع الحوزة العلمية فى قم ورجال الدين المقيمين فى قم ، كان قد قرر بعض الإجراءات التى يجب أن يتخذها الساڤاك :

« ١ - زيادة المصادر(*) داخل المدارس ، ودس المصادر فى المؤتمر الذى عقده زعماء رجال الدين عام ١٣٥١ (١٩٧٢) وحضره ممثل عن الإدارة العامة للساڤاك .

(*) المقصود بالمصادر هنا الجواسيس .

٢ - انتقاء السعاة والعاملين فى المدارس وتجنيدهم بقدر الإمكان .

٣ - السيطرة الدائمة على الطلاب فى المنطقة من خلال امتلاك كارنيه الدراسة وتصريح الأعضاء .

٤ - منع مواصلة الطلاب ذوى السوابق عن الدراسة وطردهم .

٥ - إرسال زعماء السافاك فى العمليات الخاصة ، والعمل على إتمام مهامهم المذكورة .

رئيس السافاك فى قم ، « مهران » (٣٦٤)

سعى السافاك بقدر الإمكان إلى منع الأنشطة ومعارضات رجال الدين الثوريين المناضلين ، وأن يقضى بقدر المستطاع على معارضاتهم بالسيطرة على أنشطة رجال الدين والإشراف عليها ، وكان السافاك يخشى من رجال الدين المعارضين للنظام إلى الحد الذى كان يمنع فيه تنظيم مجالس مذهبية لهم .(٣٦٥)

٣- السيطرة على الحوزة وبرامجها التعليمية :

سعى السافاك فى سبيل مواصلة برامجه إلى إضعاف الزعامة الدينية وذلك بالسيطرة على الحوزة وبرامجها التعليمية ، وكذلك بالقضاء على استقلالها وعلى الزعامة الشعبية ، واعتبر أولئك بالفعل معارضين للنظام والسافاك ، وقد وُضِع اختبار للطلاب من قبل وزارة الثقافة فى سبيل هذا الهدف ، حتى يستطيع بهذا الشكل أن يستبعد الطلاب الذين كانوا يعارضون النظام البهلوى ، بحجة افتقاد الشروط اللازمة لتحصيل العلم واستبعادهم أيضا من الحوزات العلمية ، فيتم بذلك القضاء على كل معارضة للنظام ، كما يتم الأخذ بإرشاد الطلاب . وفى أحد تقارير إدارة السافاك والاستخبار والتى أعدت لرئاسة السافاك أشير ضمنيا لهذا الموضوع :

« إن الهدف العام للسافاك هو السيطرة على جماعات الطلاب فى الإطار القانونى وكذلك سائر طلاب العلوم الأخرى ، وأن تقوم الحكومة بالإشراف على أولئك فى تعليمهم ، وأن يتولى السافاك توجيه أفكارهم ، وبهذا الشكل ينتهى الوضع المضطرب » . (٣٦٦)

ولا شك أن برنامج الساڤاك والحكومة هذا قد ووجه بمعارضة أكثر العلماء ورجال الدين ، ولكنه لم ييأس وفكر فى طرح برامج أخرى حتى يقلل من معارضتهم ، ومن ناحية أخرى فإن الطلاب ورجال الدين المناضلين لم يكفوا عن المعارضة للنظام ، وكانوا يعارضون كل شيء كانت الحكومة تؤيده وتطلبه (٣٦٧) ، وقد واصل الساڤاك معارضته للزعامة الدينية وفقا لهذه الحقيقة ، وقد اقترح الساڤاك فى أحد تقاريره تأسيس كلية للعلوم الإسلامية والتى كانت تعمل تحت إشراف الساڤاك والحكومة ؛ حتى يقلل من شعبية الحوزات العلمية واعتبارها .

٤- تأسيس كلية العلوم الإسلامية :

وقد لقى امتحان الطلاب من قبل وزارة الثقافة وإعداد برنامج تعليمى - معارضة رجال الدين ، وبعد فشل الفكرة المذكورة اقترح الساڤاك فكرة تأسيس كلية العلوم الإسلامية ، وباقتراحه هذا - الذى كان يتمتع بمزايا رائعة من الناحية الترفيهية والتعليمية - كان الساڤاك قد وضع فى حسبانه أن يجذب الطلاب النين يهتمون بالعلوم الإسلامية ويتعلمونها ، وقد سعى لتأسيس هذا المركز العلمى وتنشئة الشباب المطلعين على العلوم الإسلامية والمؤيدين للنظام ؛ لكى يضعف الحوزات العلمية ويحد من شعبيتها ، ويستفيد من أولئك فى سبيل أهدافه وخططه ومقاومة رجال الدين فى الوقت نفسه ، وذكر الساڤاك فى تقرير له حول مزايا هذه الكلية :

(أ - فى البداية إن موقف رجال الدين سوف يهتز بسبب الإمكانات التى تقدم للطلاب ، وسوف يكون هذا باعثا على إضعافهم .

(ب - وسيتعرف طلاب هذه الكلية على المناهج الموضوعة التى وضعت لهم ، وسيدركون أن الكلية المذكورة قد أسست وفقا لمواصفات الكليات الأخرى فى الدول الإسلامية ، وستحظى هذه الكلية فى جميع الممالك الإسلامية بأهمية خاصة ، وهى فى الوقت نفسه ترسخ من جوانب عديدة روح التعاون والبناء بين الحكومة والزعامة الدينية ، وسوف يحظى تأثيرها فى الدول الإسلامية الأخرى بآثار طيبة ، وسيكون اهتمام أفرادها بالذات الملكية أكثر

مـن ذى قـبـل ، وسـوف يـكـونـون شاكـرين ومـغـتبطين لتنفـيـذ هـذا العمل العظيم). (٣٦٨)

وكان يريد الساڤاك من الإقدام على مثل هذا العمل أن ينال من استقلال الزعامة الشعبية والحوزة الدينية ، ويجعل طلاب العلوم الدينية أسرى النظام البهلوى ، ولكنه لم يوفق فى هذا الطريق ولم تحقق هذه الكلية أهداف الساڤاك المرجوة .

٥ ـ منع انتشار الحوزات العلمية فى قُم :

إن الساڤاك – الذى كان يرى أنه لا يمكن بأى شكل من الأشكال أن يقف فى مواجهة الزعامة الدينية و الحوزات العلمية ويرى أيضا أن برامجه واقتراحاته ضد الزعامة الدينية محكوم عليها بالفشل – قد سعى إلى منع زيادة طلاب العلوم الدينية والحوزة العلمية فى قم ، إن ميل الشباب والناشئة إلى مدارس العلوم الدينية والحوزات العلمية ، ولاسيما الحوزة العلمية فى قم ، التى كانت مركز المقاومة والأنشطة بالنسبة لرجال الدين ضد النظام قد بث الخوف فى قلب الشاه والساڤاك ، ومن أجل الحد من النمو المتزايد لطلاب العلوم الدينية وانتشار الحوزة العلمية فى قم سعى الساڤاك إلى الحد من تأسيس الأبنية من أجل إسكان طلاب العلوم الدينية فى مدينة قم عن طريق العلماء (والمراجع) ، بل لابد من الحصول على موافقة الشاه فى هذا المجال .

ولم يعتبر الساڤاك أن تأسيس مثل هذه الأماكن فى هذه المنطقة مع الاهتمام بالنمو المتزايد لطلاب العلوم الدينية وخطورة موقف النظام ، لم يعتبر ذلك أسلوبا صحيحا من الناحية الأمنية .

ويشير التقرير الخاص للساڤاك إلى هذا الموضوع :

«إن الاهتمام بمكانة الحوزة العلمية فى قم والزيادة المطردة لطلاب العلوم الدينية فى هذا الإقليم والمشكلات التى قد تحدث بسبب تأسيس المساكن الجديدة وزيادة الطلاب فى هذه المنطقة من حيث الناحية الأمنية المستقبلية ، قد عرض على جلالة المَلك المعظم ، وصدر الأمر من جانبه أنه ليس من الصحيح أبدا أن يُؤسس مثل هذا المركز» . (٣٦٩)

وعلى أية حال فقد راعى السافاك أن يمنع تطور الحوزة العلمية فى قم بكل الطرق ، ولكن برغم ضغوط السافاك وتهديداته فقد حافظت الحوزة العلمية على مركزها المحورى ، وكان يذهب الشباب والصغار المهتمون بتحصيل العلوم الدينية إلى الحوزة العلمية فى قم ، ونتيجة لذلك فإن الحوزة على الرغم من إجراءات السافاك كانت تنتشر يوما فيوما .

وقد حاول العلماء ورجال الدين الكبار استمالة الصغار لتعلم العلوم الدينية وتأسيس مدارس العلوم الدينية ؛ حتى يمكن تنشئة طبقة كبيرة من الصغار والشباب الذين يتعلمون العلوم الدينية ، وبهذه الوسيلة يمنعونهم من الذهاب إلى المدارس الحكومية والتحصيل فى بيئة منحرفة وفاسدة للنظام .

وأصبح هذا الأمر باعثا على أن السافاك حاول منع تأسيس هذا النوع من المدارس ، ولهذا السبب وصف السافاك هذه المدارس فى رسالة كتبها إلى وزارة التربية والتعليم بأنها بلا قيمة، وأمر بمنع الاستمرار فى العمل فى هذه المدارس [٣٧٠] .

٦- السيطرة على الهيئات الدينية ومراكز التعزية :

لقد كان تنظيم الوفود والفصول الدينية والسياسية إحدى خطوات رجال الدين والجماعات المذهبية ؛ من أجل تنشئة الشباب والناشئة وتثقيف طبقات المجتمع .

واستفاد رجال الدين والوعاظ من هذه الفصول فى إبراز الوضع السياسى للمجتمع ومظالم الشاه والحكومة البهلوية ، وقد دس السافاك عيونه فى بعض الجلسات لكى يعلم بما يدور فيها من أنشطة ولكى يواجهها وقت الضرورة ، والسافاك الذى كانت لديه معرفة بانتشار الجلسات المذكورة فى المساجد والمنازل سعى للسيطرة عليها، ومن بين الإجراءات التى اتخذها السافاك للسيطرة على هذه الجلسات استدعاؤه للوعاظ والمتحدثين الدينيين فى المجالس والمساجد ، وكان يحتجزهم هناك وظل يراقب أولئك لفترة طويلة ثم يحقق معهم ، وظل سافاك طهران والأقاليم يقوم بهذه المهمة بشكل منظم حتى لا يتصور أصحاب المجالس والخطباء والوعاظ أن السافاك قد نسيهم [٣٧١] .

وفى العادة بعد كل تحقيق كان يأخذ منهم تعهدا أن لا يتحدثوا سوى فى المسائل الدينية والأخلاقية ، وأن لا يتدخلوا فى الأمور المتعلقة بمصالح المملكة والأمن وعلاقات إيران الخارجية مع الدول الأجنبية ، والأشخاص الذين لا يحصل منهم على تعهد بالأمر المذكور كانوا يواجَهون بمنع عقد المجالس (٣٧٢) .

وأيضًا كان يسعى السافاك إلى تأسيس تنظيم مكون من الهيئات المذهبية واختيار الأفراد موضع ثقة كمسئولين فى المنظمة المذكورة ؛ لكى يدير الوفود الدينية ومجالس التعزية بشكل مباشر ، وقد ورد فى أحد تقارير سافاك خراسان فى هذا الصدد :

« ومن أجل منع بعض الأشخاص الانتهازيين من الاستفادة من تلك الظروف يجب أن يوضع هذا الجمع الغفير تحت المراقبة الدقيقة ، ويمكن أن يدار التنظيم بشكل صحيح وتحت ظروف معينة ، لهذا تم تأسيس التنظيم حتى يسيطر على جميع الهيئات المذهبية فى إقليم خراسان ، وأن هذا التشكيل مكون من الأشخاص الذين يثق فيهم السافاك ويطيعونه .

سافاك - خراسان » (٣٧٣)

ومع كل المحاولات التى بذلها السافاك فى هذا المجال فقد أخفق فى مسعاه ، وفى بعض المواضع اضطر لمنع انتشار المساجد والمراكز والوفود الدينية واضطر إلى إغلاق هذه المجالس ، وسجن الوعاظ ودعاة المجالس لفترة من الوقت ، أو كان ينفيهم إلى مدينة سيئة الماء والهواء ، وقد سعى السافاك إلى جوار تنفيذ البرامج والاعتقال والسجن والتعذيب والنفى وحظر الخطابة على المنابر وتكليف الطلاب المعارضين بإلحاقهم بالخدمة العسكرية وقتل بعض منهم – سعى أن يوقف انتشار حركة رجال الدين بزعامة الإمام الخمينى .

٧ – تصفية رجال الدين :

سعى السافاك سعيا دؤوبا حتى يخرج رجال الدين والوعاظ بشتى الوسائل من مسرح الأحداث ، وبسبب الخوف من رد فعل الشعب حاول أن يتوقف عن أعمال العنف الحبس والسجن – سجن رجال الدين لفترة طويلة ، ولكن حينما لم يستطع أن يمنع نشاطهم بالطرق السلمية لم يترفع عن قتلهم .

وكان منع اعتلاء رجال الدين والوعاظ المنابر أولى خطوات السافاك لإيقاف أولئك عن نشاطهم ، وفى العادة كان السافاك يستدعى رجال الدين المعارضين إلى مقره وكان يذكرهم بتجنب القضايا السياسية ، وفى النهاية أخذ على أولئك تعهدا بعدم القيام بأنشطة تعارض مصالح البلاد ، ولكن لما أن أولئك لم يمتثلوا لأوامر السافاك على الرغم من أن رئاسة السافاك قد منعتهم من اعتلاء المنابر (٢٧٤) - فقد منعهم السافاك بطرق أخرى .

ومجموعة تقارير وثائق السافاك ولا سيما فى أوائل عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) حتى انتصار الثورة الإسلامية تشير إلى هذا الأمر ، وهو أنه لم يقتصر الأمر على المنع من اعتلاء المنابر ولكن تعدى ذلك إلى السجن والنفى والتعذيب وإبعاد رجال الدين عن وظائفهم الدينية والمذهبية ، فى حين أنهم كانوا قد استمروا فى مقاومتهم للنظام بكل قوة منتهزين الفرص المختلفة .

ولم يتوقف رجال الدين عن النشاط ، سواء كانوا فى السجن أو فى المدن التى نفوا إليها ، وذلك من خلال إقامة صلاة الجماعة والالتقاء بالناس وبرجال الدين فى تلك المدن ، كما سعوا إلى تنوير الناس بمظالم النظام وجرائمه .

والسافاك الذى كان يخشى مقاومة أولئك المستمرة حتى فى السجن نفسه سعى إلى قتل آية الله حسين غفارى ، وآية الله سعيدى ، اللذين كانا يقاومان الحكومة بشراسة ، وسعى أيضا إلى بث الرعب والخوف فى قلوب رجال الدين الآخرين وأوقفهم عن أنشطتهم .

لكن استشهاد هؤلاء العظماء من رجال الدين المناضلين الآخرين الذين استشهدوا على يد رجال النظام والسافاك طيلة فترة الحركة الإسلامية - لم يُثْن الآخرين عن مواصلة الكفاح ؛ بل حثهم أكثر على مواصلة السير فى طريق هؤلاء الشهداء الأبرار .

٨ - رجال الدين التابعون للبلاط :

والسافاك الذى لم يوفق فى إفشال مقاومة رجال الدين المعارضين للنظام لم يكن لديه حيلة سوى أن يأمر أحيانا رجال الدين التابعين للبلاط حتى يدعوا لسلامة الشاه

والبلاط من أجل مواجهة إخفاقاته ونفقاته الباهظة التى أنفقها فى هذا السبيل ، وقد كان السافاك قد طمأن نفسه أن هناك عددا ممن « يرتدون زى زعماء رجال الدين » إنما هم حماة الشاه وموالون للسافاك ، وقد ورد فى أحد تقارير السافاك فى هذا الصدد :

« لقد جرت مراسم التعزية فى شهر محرم فى هدوء ونظام تام فى طهران والأقاليم الأخرى ، ولم يعرض الوعاظ والطلاب على المنابر موضوعات غير ملائمة يمكن أن تشد الانتباه ، وقد سُمع الدعاء على كثير من المنابر بسلامة الذات الملكية المباركة وأسرة السلطنة الجليلة » (٣٧٥) .

لكن الجدير بالذكر أنه فى نهاية هذا التقرير نفسه قيل إنه تم أسر واحد وأربعين شخصا من رجال الدين وطلاب العلوم الدينية ، ونفى ستة أشخاص ، ومنع سبعة عشر شخصا من اعتلاء المنابر بسبب خطبة معارضة للشاه والحكومة .(٣٧٦)

وعلى الرغم من أن السافاك قد استخدم الحيل العديدة مثل القوة والإرهاب فإنه لم يستطع قط أن يبعد رجال الدين المناضلين عن مسرح الأحداث ، وقد تحمل رجال الدين الكبار المناضلون الشيعة بإلهام من ربانى بشجاعة وتضحية المشكلات والمصائب ؛ حتى يخلصوا الشيعة من سيطرة الحكام الظلمة الذين استباحوا – لقرون – الظلم لشعب إيران باسم الدين والمذهب ، ولكى يقيموا الأساس الراسخ للحكومة الإسلامية . وفى هذه الظروف لعب الإمام الخمينى زعيم الثورة الإسلامية فى إيران دورا عظيما ، وبناء على هذا سوف نكتب بحثا منفصلا عن الصراعات بين السافاك والخمينى والحركة الإسلامية الشيعية فى إيران .

الفصل الثانى

السافاك والإمام الخمينى

من البداية حتى نفى الإمام :

يعود نشاط الإمام الخمينى السياسى إلى السنوات التالية لعام ١٣٢٠ ش (١٩٤١م) ، وبعد عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١م) دخل بالفعل فى نضال سياسى مع النظام البهلوى ، وبنشر كتاب « كشف الأسرار » قام الإمام بنقد حكومة رضا خان وأيضا محمد رضا شاه ، وبدأ فى نضاله السياسى ضد الحكومة الاستبدادية والديكتاتورية ، وقام الإمام بتحليل المجتمع الإيرانى بنظرته العميقة ، وناقش عيوب فترة حكم رضا شاه وكذلك محمد رضا شاه ، ومن وجهة نظر الإمام لا يوجد اختلاف بين فترة حكم رضا خان وحكم محمد رضا شاه ، لأنه بعد عزل رضا خان من السلطة ومحاكمة عدد محدود من رجال النظام غير المؤثرين لم يحدث أى تغيير أساسى فى بناء الدولة والعلاقات السياسية الثقافية السابقة .

لذلك طالب الإمام بإجراءات أساسية فى طرد أعوان النظام من ديوان الحكومة ، وتغيير القوانين الظالمة ، و إصلاح وضع الجيش ، وإحداث تغيير فى الحقل الثقافى الذى كان فى عصر رضا خان ويعده سببا فى نشر الفساد الأخلاقى ونشر الرذيلة فى المجتمع ، ونستنتج كذلك أنه طالب بالتغيير والإصلاح فى جميع شؤون الدولة (٣٧٧) .

وقد ألف الإمام كتاب " كشف الأسرار " :

يقول فيه « يجب تغيير كل شىء فى هذه الدولة حتى يعم الإصلاح وإلا فلنقرأ الفاتحة عليها » (٣٧٨) .

ويوضح الإمام بصراحة أن الشاه هو السبب الرئيسى لجميع المصائب والمساوئ ، ولإنقاذ الإسلام واستقلاله وشرف شعب إيران وعزته يجب خلع الشاه

من الحكم ، وكان يعتبر الإمام أن آية الله بروجردى هو الشخص الوحيد الذى يمكن اعتباره المرجع المطلق للشيعة وزعيم الثورة من جميع الجوانب ضد محمد رضا شاه ، ولكن كما قيل فإن آية الله بروجردى كان يتجنب التدخل فى السياسة بقدر الإمكان وفقا لأسباب خاصة به .

وقد آثر الإمام السكوت طيلة حياة آية الله بروجردى الذى كان يكن له الاحترام ، وآثر تنشئة التلاميذ الثوريين ، وبعد وفاة آية الله بروجردى سنحت الفرصة لظهور أنشطة الإمام ، وبعد التوقيع على لائحة جمعيات الأقاليم والمحافظات بدأ فى طريق الكفاح ، وقام بمعارضة الحكومة الديكتاتورية للشاه بصحبة بعض (المراجع) والطلاب الشباب فى الحوزة .

وقد واصل الإمام فى السنوات التالية كفاحه ضد الحكومة البهلوية حتى وُفِّق بزعامته الحكيمة أن يستقطب طبقات الشعب إلى ساحة المقاومة ، وأسس الحكومة الإسلامية خلفا للنظام الملكى . والسافاك الذى شغل بتجديد المنظمة لم يترك الإمام ورفاقه لحظة واحدة بل وسعى بكل قواه فى منع انتشار أنشطتهم ، ولكنه لم يوفق فى هذا الأمر .

١ - لائحة جمعيات الأقاليم والمحافظات :

فى عام ١٣٤١ ش - ١٩٦٢ م نشرت صحيفتا (كيهان و اطلاعات) خبر التوقيع على اللائحة المذكورة ، وقد وقعت هذه اللائحة فى غيبة المجلس بمعرفة الحكومة ، وفى هذه اللائحة حذف قيد الإسلام من شروط الناخبين والمرشحين ، وكان قد كتب فى موضع القسم بالقرآن القسم بالكتاب السماوى ، وبانتشار هذا الخبر طالب العلماء والمراجع بتشكيل جلسات عديدة وإصدار بيانات بإلغاء هذا القرار، وقبل هذا كان النظام قد قام بتنفيذ برنامج استصلاح الأراضى حتى يتعرف على مدى معارضات الشعب ورجال الدين ضد برامج الإصلاح . كان الشاه ينتوى فى حالة ما إذا نهض العلماء لمعارضة الإصلاح الزراعى أن يبين للناس أنهم مؤيدون للإقطاعيين وأصحاب الأراضى ، وبهذه الوسيلة ينالون من مكانتهم الاجتماعية ويجبرونهم على الصمت ، وحتى ينفذوا برامجهم الأخرى بدون أية عقبات ، ولكن « المراجع » الدينية - ومن بينهم الإمام - أدركوا حيلة الشاه هذه ، وصبروا حتى ينفذ الشاه برامجه الأخرى ، ولكن عندما رأى الشاه أن المعارضة لم تتم وافق فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م). على اللائحة

المذكورة فى الهيئة الحكومية . تلك اللائحة التى تعادى قواعد الإسلام فى المملكة الإيرانية الإسلامية .

وعصر اليوم الذى نشر فيه خبر اعتماد اللائحة المذكورة فى الصحف اجتمع العلماء فى منزل آية الله حائرى ، وحضر هذه الجلسة الإمام الخمينى ، وآية الله جلبايجانى ، وآية الله مرعشى النجفى، وآية الله شريعتمدارى ، وعدد آخر من العلماء ، ومراجع قم . وبعد عدة ساعات من البحث والمناقشة أرسل العلماء المذكورون البرقيات إلى الشاه، وأعربوا عن قلقهم من الخطر العظيم الذى كان يهدد الدين الإسلامى والقرآن وطالبوه بإلغاء القرارات الوزارية باعتماد اللائحة ، وتجاهل الشاه الرد عليهم لمدة ستة أيام بهدف إهانتهم، وبعد ذلك أعرب عن عدم مسئوليته عما حدث فى برقية بعثها إليهم ، لذلك أرسل علماء قم برقيات اعتراضية كان أشدها حدة برقية الإمام ، الذى اعتبر اعتماد القرارات السابقة مخالفة للشريعة المقدسة ، ومعارضة تماما للدستور . (٣٧٩)

علاوة على ذلك أعرب علماء طهران والأقاليم الأخرى وعلماء العراق - عن استيائهم وقلقهم من اعتماد اللائحة المذكورة ، وأن ذلك مخالف للإسلام والدستور وطالبوا بإلغائه (٣٨٠) وبعث أسد الله علم رئيس الوزراء آنذاك فى إيران ببرقية إلى الآيات العظمى عارضا فيها بعض الشروح فى اللائحة المذكورة ، تلك التوضيحات التى لم يوافق عليها العلماء والمراجع ، وبعد ذلك سادت الاعتراضات الشعبية أغلب المدن الإيرانية ، وقد أصبح ضغط العلماء والمراجع ومواصلة الاعتراضات الشعبية باعثا على إلغائها .

ووفقا لطلب الإمام أعلن ذلك رسميا فى الصحف .

وقد أصبح نجاح العلماء ورجال الدين فى إلغاء اللائحة باعثا على ميل الطبقات الشعبية المختلفة - ولا سيما الجامعيين - إلى الزعامة الدينية والحوزة العلمية فى قم ، والإمام .

وفى هذه الفترة لم تخفَ تصرفات رجال الدين وأنشطتهم عن نظر النظام والسافاك، وأثارت علاقاتُ الشعب بالعلماء والمراجع النظامَ إثارة شديدة ، وصمم السافاك على إجهاض مواصلة هذا الأسلوب وهذه العلاقة أكثر من ذى قبل .

وحاول السافاك أن يوقف برامج رجال الدين وأنشطتهم المختلفة - ولاسيما الإمام - وأن يفرق الموالين والمؤيدين له ، ولكن أسلوب التطورات المستقبلية تشير إلى

أن السافاك لم يستطع أن يخرج أتباعه من المسرح السياسى ، بل إن تهديدات السافاك التى حدثت للإمام والشعب قد حفزتهما أكثر من ذى قبل .

٢ ـ الثورة البيضاء والاستفتاء الذى أجراه الشاه :

وبعد هزيمة النظام فى قضية اللائحة السابقة فكر أن ينفذ برامجه الأخرى بغض النظر عن معارضات الشاه ، وبناء على هذا أعلن الشاه عن القواعد الستة التى كانت أمريكا قد أملتها عليه (شكلت هذه القواعد أو الأصول أركان الثورة البيضاء الشهيرة) .

وصمم على أن يطرحها للاستفتاء فى غيبة المجلس ، وبعد طرح الاستفتاء من قبل الشاه قام العلماء ورجال الدين مرة أخرى بالاعتراض على ذلك .

وقام العلماء بدعوة إحدى الشخصيات السياسية إلى قم وبحثوا هدف الشاه من هذه الحركة الإصلاحية ، وأبلغوه برأى المراجع حتى يخبر الشاه بذلك ، ولكن هذه المحادثات والمناقشات لم تسفر عن شىء .

وأرسل المراجع الكبار فى قم (آية الله روح الله كمالوند) لمقابلة الشاه وطالبوا بإلغاء الاستفتاء ، ولكن هذا اللقاء أيضا لم يتمخض عنه أى شىء ، ولما أن العلماء والمراجع فشلوا فى محادثتهم مع الشاه فقد حرّموا استفتاء الشاه ، وذلك بإرسال التلغرافات إلى المراجع الأخرى والبلاط والحكومة وذلك فى بيان أذاعوه بهذا المعنى [٣٨١] ، كما قام طلاب الجامعة فى طهران بالمظاهرات ضد الشاه لمؤازرة علماء الإسلام فقوبلوا بهجوم عملاء النظام والسافاك ، وبعد احتلال الجامعة فإن القوات العسكرية ورجال السافاك قد سيطروا على كل طهران ومنعوا أى نوع من التجمعات والمعارضات .

وفى عام ١٣٤١ ش.(١٩٦٢م) أغلق بازار قم عقب بيانات المراجع ومعرفة رجال البازار بالأحداث المؤسفة فى طهران .

ولما كان مقررا أن الشاه سيذهب إلى قم فى يوم ٤ من شهر بهمن ، عطلت الحياة بناء على أوامر المراجع فى المدينة تماما ، وأصبح هذا الموضوع باعثا على أن رجال النظام الذين كانوا يتهيئون لاحتفالات الشاه لم يستطيعوا أن يزينوا المدينة لاستقباله .

وسعى الساڤاك وسائر فروع النظام أن ينجح استفتاء الشاه بشتى الطرق ، ولهذا قاموا بتصفية المعارضات الشعبية ، وفى النهاية قام الشاه بإجراء الاستفتاء وأعلن أن أغلب الشعب يؤيده ، ولكن الأحداث التى وقعت فى بداية عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣) تشير إلى عكس ذلك .

٣ ـ الهجوم على مدرسة فيضيه :

مع اقتراب عيد النيروز (*) فى عام ١٣٤٢ش(١٩٦٣) صمم العلماء ومراجع قم على ألا يحتفلوا بعيد النيروز كنوع من الاعتراض على نظام الحكم ، لدرجة أنهم أعلنوا الحداد فى تلك السنة ، وفى اليوم الثانى من مارس الذى واكب استشهاد الإمام جعفر الصادق أقيمت مراسم العزاء فى « مدرسة فيضيه » ، ولكى ينتقم النظام من الشعب والزعامة الدينية أرسل عددا من رجاله فى ملابس تنكرية إلى المدرسة الفيضيه حتى يثيروا الشغب فى مراسم العزاء ويفسدوا الاحتفال ، وقامت قوات الشرطة و الساڤاك بعد إفساد مراسم التعزية بضرب أفراد الشعب والطلبة كما أصابوا عددا منهم وقتلوا عددا آخر ، وقد أصبح هذا الأمر باعثا على أن المقاومة الدينية وعلى رأسها الإمام قد واجهوا الشاه بشراسة ، وبعد هذه الحادثة فإن بعض المسئولين فى ذلك الوقت (مثل حاكم قم) قد ذهبوا إلى المراجع والعلماء فى قم ، وذكر أن كل تلك الأحداث قد وقعت بأمر الشاه وقد أخبر الإمامُ الشعبَ بذلك فى بيان له ، وبهذه الوسيلة راح يهاجم الشاه .[٣٨٢]

وأصدر الإمام والعلماء أيضا بيانات بعد حادثة المدرسة المذكورة وأعربوا عن اعتراضهم واستيائهم من هذه الحادثة المؤسفة ، ونظرا لشجاعة الإمام وذكائه فقد أهله هذا لتزعم المقاومة ضد النظام ، وتعهد هو بالفعل بزعامة المقاومة ، وأصبح هذا الموضوع باعثا على أن الساڤاك قد راقب الإمام مراقبة دقيقة ؛ وذلك من أجل إفشال أنشطته . والساڤاك الذى قد خشى من أتباع الإمام والزعامة الدينية سعى إلى تفريق مؤيديه ببرامج وخطط موضوعة ، وقد عبرت الإدارة العامة الثالثة للساڤاك (الأمن الداخلى) فى أمر إلى رئاسة الساڤاك فى طهران عن هذا الأمر قائلة :

(*) الكتابة الدقيقة للكلمة هى : نوروز ، وتعنى : نو الجديد وروز اليوم . (المترجم)

« فلتأمروا بتنفيذ سلسلة من الإجراءات والعمليات الأساسية خفية ؛ لإجهاض أى نوع من الأنشطة المؤيدة لآية الله خميني وأن يتم ذلك على يد الساڤاك ومن أجل هذا ينبغى أن يتفرق المؤيدون المذكورون من حول الإمام من خلال خطة حتى يمكن الحصول على نتيجة ، ولتأمروا حتى يواتونا بنتيجة الإجراءات .

« ب امجدى » [٣٨٣] من طرف مدير الإدارة العامة الثالثة »

ولكن تطور الأحداث فى الأيام التالية ولاسيما شهر محرم من ذلك العام أبرز عجز الساڤاك وفشله فى هذا المجال ، ويوما فيوما كانت تتفاقم قوة الإمام وعظمته ، وكان الساڤاك قد اعترف بهذا الأمر فى تقرير له عن آية الله خمينى فى المحافل الدينية :

« إن الأعمال المعارضة فى الشهر الأخير لآية الله خمينى وتقدم المشار إليه فى معارضاته للحركة الإصلاحية لجلالة الملك والحكومة أدت إلى تمركز القوى الدينية حوله ، ومن أجل هذا التمركز تعتبره الحوزات العلمية والمذهبية خارج إيران أبرز شخص فى المجتمع الدينى الإيرانى ، وبرقية العزاء الخاصة بالحادثة الأخيرة من قبل آية الله حكيم خطاب إلى الإمام الخمينى تشير إلى ذلك » [٣٨٤] .

٤ - حركة ١٥ خرداد :

وكان حلول شهر المحرم أفضل فرصة لإبراز جرائم النظام وبرامجه المعادية للإسلام .

وأصدر الإمام بيانًا إلى الطلاب والوعاظ أوصاهم فيه بالذهاب إلى الأقاليم من أجل الإبلاغ عن حقيقة النظام ، وأن يعملوا على إطلاع الرأى العام بهذه المسائل والحقائق الراهنة ، وبإصدار الإمام لبياناته إلى الوعاظ والمتحدثين فى الهيئات الدينية اعتبر قرارات الساڤاك غير قانونية ولا أثر لها .

وقد منع الإمام رجال الدين المتحدثين والخطباء والهيئات المذهبية من السكوت على جرائم نظام الشاه وخياناته ، وأعلن أن السكوت فى هذه الأيام تأييد للنظام الظالم ومساعدة لأعداء الإسلام ، وطالب الجميع أن لا يخشوا من حبسهم أو معاقبتهم ، وعليهم أن يضطلعوا بإنجاز وظيفتهم الإسلامية . [٣٨٥]

واستدعى الساڤاك قبل بداية شهر المحرم كثيرا من الوعاظ ورجال الدين وأجبرهم على أن يبتعدوا عن ثلاثة موضوعات :

١ ـ أن لا يتحدثوا ضد الشاه .

٢ – أن لا يتحدثوا عن إسرائيل .

٣ – أن لا يتحدثوا دائما مع الشعب بأن الإسلام فى خطر . (٣٨٦)

كما أمرت رئاسة الساڤاك أيضا فى برقية إلى جميع فروع الساڤاك أنه يجب مراقبة الأوضاع ، وعليهم أن يمنعوا أى نوع من الإثارة والمعارضة ضد النظام وأن يلقوا القبض على الأفراد الذين يخرجون على النظام .

(وبالنظر إلى أن جميع الطلاب والوعاظ يتحركون من أجل مناسبة شهر محرم من قم إلى الأقاليم وذلك بتدبير من الإمام الخمينى ، لذا وجب أن تراقب المدن والقرى مراقبة شديدة ، وعند اللزوم سيلقى القبض على المثيرين للشغب الذين تم تحديدهم ، وأن يحظر إذاعة أى بيان أو نشر أية صورة للخمينى ، وكذلك يجب اتخاذ الحيطة من أنه إذا كان هناك – بخلاف هؤلاء – أشخاص آخرون يمارسون الإثارة والتحريض ، فلا بد أن تحظر أنشطتهم وإذا تطلب الأمر يلقى القبض عليهم ، وأن تعد التقارير اليومية عن نتائج الأعمال المتبعة . اللواء باكروان) (٣٨٧)

وقد حاول الساڤاك بقدر ما يستطيع أن يمنع الإمام من مواصلة المقاومة ضد النظام .

وقد ورد فى هذا المجال فى إحدى وثائق الساڤاك موضوع جدير بالاهتمام ، وهو أن الساڤاك قد طلب من الدكتور «مهدوى» الذى كان يعالج الإمام أن يطلب من الإمام أن يستريح وأن يمتنع عن مقابلة الأشخاص أو ممارسة الأنشطة الفكرية ، وقد ورد فى برقية عن الساڤاك فى «قم» إلى الساڤاك فى طهران أحد التقارير فى هذا الصدد :

(وفى ذلك اليوم نفسه عاد الدكتور مهدوى طبيب القيادة العسكرية فى قم إلى الساڤاك ، وأعلن أنه لما أن الإمام الخمينى كان يعانى من مرض الحمى ونظرا لأننى كنت طبيبه المعالج سابقًا فقد طلب منى أن أزوره ، وقد استشار الساڤاك ، فقيل له إنه

ليس هناك ما يمنع الزيارة وأوصاه ضمن العلاج أنه فى حاجة إلى الراحة ، وعليه أن يمتنع عن مقابلة الأشخاص أو ممارسة أنشطته الفكرية .

٤٢/٢/٣ بديعى) (٣٨٨)

وكان يظن الساڤاك أنه بهذه الوسيلة يستطيع أن يُبعد الإمام فترةً عن مسرح الأحداث ، وأن يمنعه عن مواصلة الكفاح بشكل تدريجى ، ولكن على الرغم من أنشطة الساڤاك وحيله المتعددة فإنه أخفق فى منع رجال الدين والإمام من مواصلة أنشطتهم ، وظلوا يمارسون مهامهم الخطيرة دون خوف .

وبعد يوم عاشوراء (١٣ خرداد عام ١٣٤٢ ش - ١٩٦٣م) ذهب الإمام الخمينى إلى مدرسة فيضية على الرغم من جميع المخاطر التى تهدده ، وكما ورد فى تقارير الساڤاك (٣٨٩) أنه راح يخطب بينما يتجمع أكثر من مئتى ألف شخص فى فناء المدرسة المذكورة ، وهو فناء الحضرة العظيم ، وهو الميدان الموازى لفناء المسجد الأعظم ، وقد جعل الشاه أساس خطبته ، ونصحه بإخلاص أن يكف يده عن أعماله ، وقد كان لهذه الخطبة العصماء للإمام أثر كبير فى نجاح الثورة والحركة الإسلامية .

وقد أحس النظام بعد هذه الخطبة بالخطر ؛ لذلك سعى إلى التصفية والسيطرة على هذه الحركة التى كانت آخذة فى التشكيل ، وبناء على هذا فى ١٥ خرداد هاجم الساڤاك بيت الإمام وألقى القبض عليه وحمله إلى طهران ، وبعد أن سمع أهل قُم والمدن الأخرى خبر إلقاء القبض على الإمام ، ملأوا الشوارع وتظاهروا ضد النظام ، والنظام الذى كان مصمماً على سحق أى حركة معارضة شن حملة على المتظاهرين فأصاب عدداً كبيراً منهم ، وبرغم مقاومة الشعب فقد تمكن من أن يسيطر على الأوضاع ، ولكى يقلل الساڤاك من التوترات فى المجتمع صمم على أن ينفى الإمام بعد خروجه من السجن، وبناء على هذا فقد بيَّن الساڤاك المركزى إلى ساڤاك قُم فى برقية:

(لتصدر الأوامر يوم السبت من الشهر الحالى بتشكيل لجنة أمنية وأن يصدر قانون بنفى آية الله خمينى . اللواء باكروان) (٣٩٠)

وفى برقية أخرى ذكر مكان نفيه وهو « سننادج » ولكن (٣٩١) قرار نفيه ووجه بمعارضة بعض أعضاء اللجنة الأمنية (٣٩٢)، لذلك فإن الساڤاك صرف النظر عن ذلك.

وفى أثناء اعتقال الإمام بُذلت محاولات عديدة لإطلاق سراحه وكذلك العلماء الذين كان قد ألقى القبض عليهم ، وكانت المعارضات والتوتر والقلق قد عم المجتمع الإيرانى ، ولهذا سعى رئيس السافاك من أجل تهدئة جو التوتر الداخلى ، وحاول أن يقنع الشاه بأن ينقل الإمام من السجن إلى بيت خاص فى شمال طهران ، وبعد حصول باكروان على موافقة الشاه على الطلب المذكور قابل الإمام فى مقر التحفظ عليه فى عشق آباد ، وبعد ذلك تم التحفظ على الإمام ، وعلى آية الله قمى ، وآية الله محلاتى (وكان قد تم القبض عليهما مع الإمام) فى منازل خاصة تابعة للسافاك ، وبعد عدة أيام سعى السافاك فى إذاعة خبر فى الصحف الصادرة عصر يوم ١٢ مرداد عام ١٣٤٢ش (١٩٦٣) فحواه تفاهم الإمام والآيات السابق ذكرهم مع السافاك ؛ حتى يُيئِس أتباعه من مواصلة المقاومة ، وبهذه الوسيلة فإنه يُخمد نار الثورة التى كانت على وشك الاشتعال : « إنه وفقًا لمعلومات رسمية ، علمت بها منظمة الاستخبار وأمن الدولة (السافاك) لما أنه حدث تفاهم بين القادة العسكريين والسادة : آية الله الخمينى ، وآية الله محلاتى ، وآية الله قمى ، وأنهم لن يتدخلوا فى الشؤون السياسية ، حدث اطمئنان كامل بسبب هذا التفاهم ، وأن السادة المذكورين لن يقوموا بعمل يعارض مصالح الدولة وأمنها . وبناء على هذا فقد تم نقل السادة المذكورين إلى منازل خاصة » [٣٩٣] .

ولكن كان واضحًا أن هذا الخبر لم يكن إلا أكذوبة ، وأن الإمام لم يقطع عهدًا على نفسه بالامتناع عن الأنشطة السياسية .

وأثناء فترة الإقامة فى البيت الذى كانوا فيه تحت الحراسة كان الإمام يرشد أتباعه وأنصاره فى المقاومة ضد الحكومة ، وكان العلماء ورجال الدين قد ردوا على حقيقة هذا الخبر ، وشرحوا للشعب ، وأحبطوا الخطة القذرة للنظام ، وكان من بينهم آية الله مرعشى النجفى الذى انتقد فى بيان شديد اللهجة بيانَ السافاك الذى صدر فى ذلك الوقت ونشر فى الصحف .

وذكر أن السافاك لا يحترم مكانة الآيات المذكورين ولا يرعى كذلك الوظيفة الأخلاقية والدينية لهم ، وفى نهاية البيان ذكر أن الخبر ملفق وليس صحيحًا وأنه عارٍ من الصحة تمامًا [٣٩٤] .

وبعد فترة انتقل الإمام إلى بيت أحد تجار البازار فى طهران فى قيطرية ، وبعد سقوط حكومة علم وتولى حسنعلى منصور ، فقد سعى الأخير إلى التودد إلى الإمام ، ولم تمر سوى فترة قصيرة على تشكيل وزارة حسنعلى منصور حتى ذهب وزير الداخلية الدكتور صدر لمقابلة الإمام فى قيطرية ، وأعرب الدكتور (صدر) عن ضيقه وشتمه لحكومة علم وأنه سوف يفرج عنه قريبا وسوف يأتى إلى قم [٢٩٥] .

وقد ذكر حسنعلى منصور فى خطبة له فى عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤) (أن مقام الزعامة الدينية ذو قيمة لنا) ، وبهذه الوسيلة هيأ المجال لإطلاق سراح الإمام .[٢٩٦]

وفى النهاية أُطلق سراح الإمام بطريقة غير مسبوقة فى مارس من العام نفسه .

وبعد أن أُفرج عن الإمام لم يتقاعس عن مهمته (الإلهية) وفى ١١ أبريل وفى جمع من طلاب جامعة طهران وطبقات الشعب الأخرى حدد موقفه الثورى والثابت ضد النظام ، وكذّب ادعاء النظام القائم على تعهد الخمينى بعدم التدخل فى الأمور السياسية ، والتزم بمواقفه السابقة من الهجوم على إسرائيل وإبراز معاناة الشعب وأوضاع المجتمع المؤسفة [٢٩٧] .

٥ - مواصلة الكفاح فى عام ١٣٤٣ ش(١٩٦٤) :

ومع حلول شهر محرم ، وكذلك ذكرى الحركة الدموية فى ١٥ خرداد فإن نظام الشاه قد حشد كل قواته لكى يسيطر على البلاد ؛ حتى يمنع ظهور أى حركة أو مقاومة محتملة ، ومُنع كثير من الوعاظ والخطباء المذهبيين ، كما استُدعى كثير منهم حتى يأخذ السافاك عليهم تعهداً ، وقد تعرضوا للتهديد والرعب ، ولكن على الرغم من أنواع التحايل هذه فقد كانت الحقائق تُقال ، وفى هذا الشأن فقد اعتقل النظام كثيراً من الوعاظ ورجال الدين وتم إيداعهم السجن ، وبمناسبة ذكرى واقعة ١٥ خرداد أصدر الإمام الخمينى والعلماء الكبار بياناً بالعزاء العام ، وصرحوا فيه (نحن نعتبر أن ترك النصيحة والسكوت على ذلك ... جرمًا ... وجرمًا كبيراً .... وأننا نعتبره احتفاء بالموت الأسود) . [٢٩٨]

وعلاوة على إصدار الإمام لبيان يوم ١٢ محرم (ذكرى حادثة ١٥ خرداد) أقيمت مراسم العزاء فى بيته ، واستمر كفاح الإمام .

٦ - إحياء موضوع تمييز الأجانب(الكابيتولاسيون(*)) :

كانت الحكومة الأمريكية منذ فترة صدارة أسد الله علم قد اشترطت لحضور العسكريين الأمريكيين إعفاءهم من جميع القوانين القضائية ، وبعد عدة أشهر من التفاوض بين الحكومة الأمريكية وإيران عرضت اللائحة فى هذا المجال من قبل حكومة منصور على مجلس الشورى الوطنى ، وقد تم اعتماد هذه اللائحة فى إحدى الجلسات عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤) من قبل الأعضاء ، وفى الواقع فإن اللائحة المذكورة تعارض استقلال إيران السياسى والقضائى (٣٩٩) .

وبعد أن اطلع الإمام وسائر المراجع المذهبية على هذا الموضوع ، كان رد فعلهم يؤازر رد الإمام فهبوا لمعارضة اللائحة المذكورة .

وعبّر الإمام فى عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤) فى اجتماع موسع بالشعب عن معارضته لمعاهدة تمييز الأجانب عن الإيرانيين ، وانتقد الإمامُ فى هذه الكلمة التاريخية الشاه وعدّ الحكومة والمجلس فاسدين وعميلين لأمريكا وعدوين لشعب إيران والإسلام ، وفى جانب من كلمته قال : « نحن لا نعتبر هذا المجلس مجلسا ، ولا نعتبر هذه الحكومة حكومة ، فهؤلاء خائنون للبلاد » (٤٠٠) وعلاوة على الخطبة الثورية للإمام ، فقد أصدر بيانًا عظيمًا يفضح فيه (قانون تمييز الأجنبى عن الإيرانى) ويشير فيه إلى زيادة خيانة الشاه أكثر من ذى قبل للشعب (٤٠١) وقد أذيع هذا البيان فى طهران والمدن الأخرى فى وقت قصير مما دفع السافاك إلى منع انتشار هذا البيان أكثر من ذلك كما سبب له نوعًا من الذعر وقد عزم النظام والسافاك على نفى الإمام إذ أنهما كانا فى حيرة من أمر رد فعل الأمام ومعارضه الشعب وكان نفى الأمام إلى دولة أجنبية وسيله للقضاء على كفاح الإمام وقبل أن نبحث موضوع الإمام وصدامه مع السافاك سوف نعرض لجماعتين مسلمتين كانا لهما نشاطهما الملحوظ بعد حادثة ١٥ خرداد.

السافاك والجماعات الدينية المسلحة :

وبعد حركة ١٥ خرداد فى عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) فإن بعض الجماعات الدينية التى كانت ترى الطريق الوحيد للنجاة من شرور الشاه فى الحرب المسلحة قد اتجهت

(*) الكابيتولاسيون : هو قانون تمييز الأجنبى عن الإيرانى ومحاكمته فى محاكم خاصة به . (المترجم)

إلى الأنشطـة المسلحـة ، وفـي تـلك الأثنـاء كان للجماعتين (حزب الشعوب الإسلامية) و(الهيئات الإسلامية المؤتلفة) أنشطة أكثر تعقيداً ، ولا شك كان لمنظمة مجاهدى خلق فى بداية الأمر هدف مذهبى ولكن بعد ذلك اتجهت إلى الفكر الماركسى .

وكان قد سبق لنا الحديث عن هذه المنظمة وصدام السافاك معها فى بحثنا عن صدامـات السـافـاك مع الجمـاعـات اليسـارية ، وفى هذا المقـام سنوضح الجـمـاعـتين المذكورتين وصراعاتهما مع السافاك .

١ - حزب الأمم الإسلامية :

وفى ظل جـو الاختناق والخوف الذى أحدثه السـافـاك ، فإنه قد أعلن عن كشف شبكة كانت تقوم بحركة مسلحة ضد النظام .

وقد ذكر الإعلان المذكور أن بعضاً من الشباب كان يهدف للإطاحة بالنظام والذى كان يرى أنه يسيطر على الأوضاع السياسية من جميع الجوانب ، وكان يتصور النظام أنه قضى على أية حركة مسلحة ضد الثورة البيضاء [٤٠٢] .

إن جماعة حزب الشعـوب الإسـلامية الـتى كـانـت قـد أسست فى عام ١٣٤٠ ش (١٩٦١م) وكان لـهـا دور محـدود ، فى ظل الظروف التى كانت الحركة الإسلامـية تنشر نشـاطها فى مراحلها الأولى بزعامة سيد كاظم موسوى استطاعت أن تواصل نشاطها حتى عام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥م) بعيداً عن أعين رجال السـافاك ، فى هذا العام وعلى إثر مؤامرة لم تتم زاد الضغط السـافاكى وألقى القبض على بعض أعضـاء شبكة الحزب ، وعقـب ذلك تم اعتقال أعضاء الجماعة المذكورة الكبار ، وانتهى بالفعل نشاط الحزب وبرامجه [٤٠٣].

وكان يحاول النظام منذ البداية أن يمتنع عن الإعلان عن كشف مثل هذا الحزب وهذه الجمعية وينكرها ، ولهذا السبب مع مرور ثلاثة أشهر على اعتقال أعضائها لم ينشر خـبـرا فى هــذا الصــدد ، وفى عـام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥م) أُعلن عن الجـمـعـيـة المذكورة [٤٠٤] ، وقد ورد فى أحد تقارير السافاك فى هذا الشأن :

إن جماعة حزب الشعوب الإسلامية التى أسست عام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥م) وتم اكتشافها وسحقها كانت تتألف من عدد من المتعصبين الدينيين ، وكانت تدار تحت إشراف جمعية مركزية هدفها قلب النظام وإقرار النظام القائم على الحكم الجمهورى عن طريق المقاومة المسلحة والإرهاب والصراعات السياسية ، وكانت تسعى فى اختيار أعضائها إلى استقطاب الطبقة الشابة التى لديها الاعتقادات الدينية المتعصبة ، وتقوم على تنشئتهم فى فصول هى فى الواقع تنظيمات سياسية . واعتبر الساڤاك أن هذه الجماعات ضارة بالنظام وأنها محظورة .(٤٠٥)

وعقب إلقاء القبض على أعضاء (حزب الشعوب الإسلامية) حوكم هؤلاء الأفراد فى محكمة عسكرية سرية ، وتم الحكم بإعدام سيد كاظم موسوى مؤسس هذا الحزب وزعيمه ، وحبس سبعة أفراد آخرين حبساً مؤبّدا ، وحوكم بقية الأعضاء بالسجن من ستة أشهر حتى عشر سنوات ، وبعد ذلك خُفِّف حكم السيد موسوى من الإعدام إلى السجن المؤبد . (٤٠٦)

٢- الهيئات الإسلامية المؤتلفة :

وفى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢م) نرى عدداً من الأفراد المسلحين الذين كانوا يقومون بالأنشطة فى الجمعيات المتفرقة قد ارتبطوا ببعضهم أثناء الحركة الإسلامية ، وعقب تشكيل الجمعيات الإقليمية وغير الإقليمية وحركة الشاه الإصلاحية ، وفى أوائل عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) ظهرت الهيئات الإسلامية المؤتلفة (٤٠٧) .

وعلى الرغم من أن الساڤاك نجح فى كشف الجماعات المعارضة للنظام إلا أنه عجز عن كشف الشبكة الإسلامية المؤتلفة ، ويتضح هذا الموضوع فى إحدى وثائق الساڤاك ؛ لأنه بعد ظهور الأنشطة المكثفة للهيئات المؤتلفة ومرور ما يقرب من عام ونصف العام على تأسيسها ذكر الساڤاك فى أحد تقاريره العامة بتاريخ ١٣٤٢/٢/١٧ ش (١٩٦٣م) أن جميع هيئات العزاء فى طهران والأقاليم اتخذت تشكيلاً منظما وموحدا ، هذا فضلاً عن جهل الساڤاك بهذه الهيئات المذكورة (٤٠٨) .

وفى عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤م) وبعد أن كشّر حسنعلى منصور عن أنيابه ، فقد اعتقل زعماء التيارين السياسيين الإسلاميين ، وقد انتهى هذا الأمر بإعدامهم أو سجنهم على الأقل .

وبإلقاء القبض على أعضاء الجمعية ونفى الإمام ووقف الأنشطة السرية وتغيير أسلوب المقاومة العامة الرامى إلى المقاومة المسلحة - توقف نشاط الهيئات الإسلامية المؤتلفة .

وعلى الرغم من أن أنشطتها قد استمرت حتى عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠م) لكنها لم يكن لها تأثيرها السابق وانتشارها [٤٠٩] .

وفى عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠م) فإن العناصر الأساسية فى هذه الجمعية قد قاموا بالتعاون مع حركة مجاهدى خلق ولم يعودوا يمارسون نشاطا باسم (المؤتلفة الإسلامية) ومارسوا نشاطهم بشكل منفصل [٤١٠] ، ولابد أن نذكر أنه لم يكن يسمح بأى نشاط مسلح أو فدائى ، وبمجرد ظهور جماعة من الجماعات كان السافاك يقوم بتصفيتها ، وتتضح هذه الحقيقة فى مجال الجماعات الدينية ، وقلما كانت هذه الجماعات الدينية تميل إلى هذا النوع من النشاط .

ولهذا فقد اتجهت جماعات قليلة إلى هذا النوع من الأنشطة ، ومع كشف السافاك لهذه الجماعات وسحقها توقفت عن أنشطتها .

الفصل الثالث

حركة الإمام منذ النفى حتى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م)

بعد إطلاق سراح الإمام من السجن والاعتقال فى عام ١٣٤٣ ش ، قام السافاك بإجراءات مكثفة من أجل مراقبة الإمام وأتباعه ، وسعى السافاك إلى تقوية المراجع الدينيين ورجال الدين الذين كانوا إلى حد ما يعارضون الإمام ، ووثقوا علاقتهم بهم .

وأشارت مجموعة من وثائق السافاك حول الإمام أنه كان تحت السيطرة الشديدة لرجال السافاك ، وتشير إلى هذا الأمر التقارير العديدة والمفصلة لرجال السافاك عن الإمام واتصالاته وتنقلاته وكذلك المراجع ورجال الدين المعارضين للنظام ، وأن السافاك والنظام كانا يخشيان كثيراً من أحاديثه وأنشطته ، وقد حثَّ هذا الأمرُ السافاك على الصراع الشرس مع الإمام ، وحينما فقد السيطرة عليه واعتبر تواجده فى إيران أمراً خطيراً نفاه إلى (تركيا) ، وبإبعاد الإمام عن مسرح الأحداث فقد حاول أن يجعل الناس ينسونه، ويشاهد هذا فى تقارير السافاك من تركيا وبعد ذلك من العراق ، إذ إن الإمام لم يكف يده عن المقاومة ضد النظام ، وأنه كان بالفعل يتزعم الحركة من منفاه .

١- نفى الإمام إلى تركيا :

وكان وجود الإمام الخمينى فى البلاد مع استمرار حكومة الشاه فى البلاد أمرا مستحيلاً ، وكان النظام قد أدرك أن الإمام لن يسكت بأى أسلوب ، لذلك ففى عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤م) وعقب خلاف شديد وقع مع الإمام بشأن طرح موضوع قانون تمييز الأجانب هجموا على بيته ونقلوه إلى مطار طهران ، ومن هناك نفوه إلى تركيا ، وبعد نفى السافاك للإمام أُعلن فى الصحف هذا الخبر :

« وفقًا للمعلومات الموثوق منها والشواهد والأدلة القاطعة أن وجود السيد خميني وأنشطته المشار إليها قد اتسمت بالعمل ضد مصالح الشعب والأمن وضد استقلال البلاد ووحدة أراضيها ؛ لهذا صدر القرار بنفيه عام ١٣٤٣ ش (١٩٦٤)

منظمة الاستخبارات وأمن الدولة»

وعلى الرغم من أن هذا الخبر كان بمثابة أحد الأحداث المهمة والمؤثرة في تطورات مستقبل الدولة ، إلا أنه نشر بشكل غير ملفت للنظر كخبر غير مهم وبدون أي تفسير أو تحليل مما يعكس مدى حقد النظام والسافاك على الإمام .

وقد استعاد السافاك قوته وسيطر على الأوضاع أكثر من ذي قبل ، وبنفي الإمام فإنه ظهر كمنظمة تستطيع أن تنجز أي عمل وأن مقاومة الحكومة والنظام غير ممكن ، حتى ولو كان هذا الفرد المقاوم أحد مراجع الشيعة الكبار (الخميني) [٤١١] .

أثر نفي الإمام :

من أجل منع تكرار حدوث حركة ١٥ خرداد فإن قوات عديدة تمركزت في مدينة قُم والمناطق الحساسة في مدينة طهران ، وقاموا بحركة تمشيط واسعة ، وكانوا يقضون على كل حركة في مهدها مهما كانت صغيرة ، وضيقوا الخناق على أتباعه واعتقلوا ابن الإمام (السيد مصطفى) ، وحاصروا منازل العلماء والقادة البارزين من رجال الدين ، وأصدر رئيس السافاك باكروان آنذاك أوامره في برقية إلى جميع شُعَب السافاك في أنحاء الدولة :

«ابذلوا مساعيكم من أجل المراقبة التامة وامنعوا أي تحرك على الفور ، واكتبوا تقريراً عن أي حادث يقع على الفور ». [٤١٢]

ومع وجود التدابير التي اتخذها السافاك والقوات الأمنية فقد قام الشعب بالمظاهرات في قُم و طهران والمدن الأخرى ، وقد توقفت الحوزات العلمية عن إعطاء الدروس ، وكذلك صلاة الجماعة والمساجد (كنوع من الاعتراض على نفي الإمام) في قُم ومشهد و طهران ، وساد هذا الجو ما يقرب من خمسة عشر يومًا إلى شهر كامل ، وانهمر سيل من البرقيات على تركيا والسفارة التركية في طهران .

ووفقًا لوثائق السافاك فقد أُغلق بازار طهران لعدة ساعات ، وعلى الرغم من تهديد السافاك القائم على أنه إذا أغلق أى دكان فليس لصاحبه بعد ذلك حق فتحه ، فقد امتنع عدد من رجال البازارات عن فتح دكاكينهم ، وبعد ذلك طبق عليهم السافاك قراره وأغلق محالهم .

وبعد ذلك استفاد رجال البازارت ـ ضمن مساعدة إلى أصحاب المحال المذكورة ـ بإغلاقها من النظام والسافاك ، وفى هذا الصدد يقول السافاك :

« علاوة على أن رجال البازارات يساعدون أصحاب المحال المغلقة ، فهم فى الوقت نفسه كانوا يرغبون فى أن تبقى هذه الدكاكين على هذا النحو ، لأنهم يعتقدون أنه مع مشاهدة تلك المحال على ذلك الوضع يجعل الأفراد الذين يأتون إلى السوق يتساءلون ويبحثون عن السبب الذى دفع المعارضين إلى سيرهم فى هذا الاتجاه ، وسيدركون حينئذ فضل رجال الدين وظلم النظام ، ويزعم رجال البازارات أن هذه المحال ما هى إلا نموذج لمقاومة أهل طهران للجهاز الحكومى ، وأن جيران هذه المحال أو بعض الأشخاص الآخرين والأجانب الذين يأتون إلى البازار يوضحون الموقف ويقومون بالدعاية لحساب الخمينى » (٤١٣) .

السافاك والسيطرة على الإمام فى تركيا :

وكان قد رافق الإمام أثناء نفيه إلى تركيا أحدُ قادة السافاك ويدعى العقيد أفضلى ، وكُلف العقيد أفضلى بمراقبة الإمام والسيطرة عليه ، وكان يبلغ التقارير المختلفة عن أنشطة الإمام إلى مركز الاستخبار ، وكان يتلقى منه الأوامر .

وبمجرد دخول الإمام تركيا سعى إلى تعلم اللغة التركية وخاف العقيد أفضلى من اهتمام الإمام هذا ، لأنه ربما بتعلمه اللغة التركية يستطيع أن يوثق علاقاته بالشعب التركى ويواصل مقاومته من هناك (٤١٤) . وفى تقرير لمركز السافاك فى طهران اقترح قائلاً أنه لا ينبغى تركه بمفرده :

« إن معنويات الشخص – موضع النظر – أفضل إذا قيست ، وفى برنامجه اليومى فى المكان الجديد هو فى أغلبه خلود إلى الراحة فضلاً عن تلاوة القرآن وأداء الصلاة وتناول الطعام ، ومن وقت لآخر يتعلم الكلمات التركية ، ولكن لا ينبغى تركه بمفرده » .

وقد طلب القائد باكروان رئيس الساڤاك آنذاك بعد فحص التقرير فى برقية من العقيد أفضلى بأن يبقى هناك حتى يصل قائد آخر إلى أنقرة .

وقد ظل الإمام الخمينى عندما نفى إلى تركيا تحت رقابة أحد الأفراد المعينين من الساڤاك ، وكانت رؤية الإمام تتم بإذن . وقد استمرت المقاومة الشعبية فى إيران مع نفى الإمام إلى تركيا إلى الحد الذى نفى فيه الساڤاك ابن الإمام الأكبر إلى تركيا أيضًا ، ومع كل السيطرة التى كانت للساڤاك فى الدولة إلا أن النظام أحس بالخطر من الاستياء الشديد للشعب ، وكان يخشى من الأعمال الانتقامية والثورة العامة ضد النظام وبناءً على هذا فقد صمم على تهدئة الأوضاع ، وفى الوقت نفسه لم يكن يرغب أن يُعيد الإمام إلى البلاد الإيرانية وينهى نفيه ، لذلك فقد عزم على أن ينقل الإمام إلى العراق ، وكان نقل الإمام فى ذلك الوقت الحساس حيلة ذكية من النظام ؛ من أجل تخليصه من المشكلات والتوترات الناتجة عن نفى الإمام ، وكان نفى الإمام إلى العراق قد أراح الشاه من خطر الإمام وأتباعه (٤١٥) ، ولكن سرعان ما استأنف الإمام المقاومة فى العراق .

٢ - الإمام فى العراق :

عقب مجىء الإمام إلى النجف الأشرف انهمرت الرسائل والتلغرافات من العلماء ورجال الدين والجماعات الأخرى بمناسبة تشريفه النجف المقدس ، إلى درجة أنه وفقًا لتقارير الساڤاك كان قد أرسل فى أقل من أسبوع ١٧٠ ألف برقية .

والساڤاك الذى خشى من تكدس الرسائل والبرقيات منع أى نوع من الرسائل والبرقيات بين الإمام وأنصاره وتحفظ على جميع الرسائل فى ملف خاص بالإمام (٤١٦) .

والساڤاك الذى كان يخشى من مواصلة كفاحه فى النجف الشريف حاول أن يسيطر على الإمام ولكن وبناء على هذا فى ١٣٤٤/٧/١٧ ش (١٩٦٥م) رأت الإدارة العامة الثالثة (الأمن الداخلى) والتابعة للساڤاك أن تُعد خطة لمراقبة الإمام :

« و نظرا لسفر المذكور إلى العراق وخشية أن المشار إليه سيبدأ من جديد أنشطته فى تلك البلاد ، لذا وجب أن تُعد خطة عن طريق هذه الإدارة العامة ؛ من أجل التعرف على نشاط هذا الشخص وموقفه وأن تُخبر بذلك الإدارة العامة الثانية .

وأن يُكتب تقرير شهرى عن موقفه ووضعه وفقًا للقواعد المذكورة وأن تتولى هذه الإدارة العامة هذه المهمة ، وبديهى من أجل إعداد خطة كاملة يجب أن يكون الفرع على علم بمجريات سفر المذكور من حيث شروط الحرية ؛ له ولرفاقة » (٤١٧).

وعقب ذلك فإن الإدارة العامة الثالثة قد أعدت خطة من أجل السيطرة على الإمام ومراقبته فى النجف الشريف ، وقد تم البدء فى هذه الخطة من أجل إنجاز الأهداف المذكورة ، وطيلة فترة إقامة الإمام فى النجف الشريف روعى الآتى :

١ ـ السيطرة على الإمام ومراقبته .

٢ ـ منع وصول التمويل المالى الإسلامى إلى الإمام .

٣ ـ بث التفرقة بين الإمام وعلماء النجف الكبار .

٤ ـ إطلاق الشائعات المغرضة والمسمومة ضد الإمام .

ومن أجل أن يصل السافاك إلى أهدافه أعدَّ خططًا متعددة ، والتى أشرنا إلى بعض منها .

١ ـ السيطرة على الإمام ومراقبته :

سعى السافاك طيلة فترة إقامة الإمام فى النجف الشريف أن يستقطب الأفراد الذين كانوا موضع ثقته ، ويجندهم للتجسس على الإمام حتى يمكنه أن يحيط علمًا بجميع أنشطة الإمام وأنصاره ، ولكنه لم يوفق فى هذا السبيل .

لماذا ... لأن الحياة البسيطة البعيدة عن المظاهر للإمام قد أثارت تعجب السافاك فبدا ذلك أمرًا غير مفهوم للسافاك ، حيَّره و أدهشه فكم حدث أن أصدر الإمام بيانًا ، وأرسله الى إيران فكان هذا البيان يطبع فى إيران وينشر هناك ، إلا أن رجال السافاك لم يدركوا ذلك ، وإنْ أدركوا فإن ذلك يكون بعد فوات الأوان (٤١٨) .

كما كان لطريقة الإمام الذكية والمتواضعة ومراعاة القواعد الأمنية دور كبير فى إحباط المؤامرات المتعددة للساڤاك والنظام ، وكان يحاول الساڤاك أن يسجّل أنشطة الإمام وأحاديثه وكتاباته ، ويستفيد منها فى العمل ضده ، وكان الساڤاك يتتبع كتابات الإمام وأحاديثه حتى يتخذ من ذلك نقطة ضعف ضده ، ويستفيد من رجال الدين المرتبطين بالنظام والمعارضين للإمام لإضعافه ، ولهذا السبب أمر نصيرى - رئيس الساڤاك آنذاك - عقب كتابة الفقرة التالية حول إحدى خطب الإمام :

« يُستفاد من نقاط ضعف هذه الخطبة واستثمار ذلك عن طريق رجال الدين المعارضين للخمينى ، وأن تُسفَّه هذه البيانات من قبل زعيم دينى آخر» . (٤١٩)

وعلى الرغم من تضييق الخناق على الإمام والمشكلات التى يتسبب فيها الساڤاك والنظام ، فإنه حيثما سنحت الفرصة كان يسعى إلى مؤازرة الفئات المكافحة والمسلمين فى إيران ويرفع من معنوياتها ، وبناء على هذا ومع إصدار البيانات المتعددة لرجال الدين والشعب ورئيس الوزراء والحكومة فقد نجح الخمينى فى التشويش على النظام ، وكان يسعى الخمينى فى تنوير أذهان العامة ولفت نظرهم إلى البرامج غير القانونية والشرعية للنظام الحاكم .

وكانت بيانات الإمام وتوزيعها على الرغم من الموانع الموجودة وجو الكبت وفى ظل الوسائل التى كان يستخدمها الساڤاك فى سحق المعارضات ومنع الأنشطة المعادية للنظام والتى شملت كل مكان فى الدولة ، هذه البيانات جعلت الساڤاك فى عمل دائم ، ومع طبع هذه البيانات فقد جرت دماء جديدة فى عروق مكافحى الحركة ؛ مما بدّد جو الكبت الموجود (٤٢٠) .

وسعى الساڤاك الذى كان يخشى من هذه الأنشطة فى حملة على عدد من المدارس العلمية وأغار عليها وأزال صور الإمام من هناك (مع سوء استغلال) (٤٢١) وقام بتفتيش منزل الإمام والهجوم على كتبه ونقلها وكذلك وثائقه إلى ساڤاك طهران (٤٢٢) ، والانتقام من المناضلين ، وعلاوة على ذلك منع أولئك من المقاومة ، ولكن كلما زاد ضغط الساڤاك وتهديداته ومضايقاته زاد المناضلون وأتباع الإمام فى مواصلة الحركة أكثر ، ويشاهد هذا فى وثائق الساڤاك ، إنهم كانوا ينتهزون كل فرصة لتحقيق أهدافهم السامية ، ومنذ عام ١٣٥٤ ش (١٩٧٥م) فصاعداً زاد تردد الإيرانيين

على زيارة العتبات المقدسة فى العراق ، كما زادت العلاقة بين الإمام وأنصاره ، و استطاع الإمام بهذا الشكل أن يكون أكثر اقترابا من أتباعه ، وأنه من السهل عليه أن يتخذ القرار فى شأن الأمور التى تجرى فى إيران [٤٢٣] .

وبناء على هذا كان يسعى السافاك إلى تضييق الخناق على الإمام وأن يراقبه أكثر من ذى قبل ؛ لذلك فقد أرسل عددا أكبر من رجاله إلى العراق حتى يراقبوا أنشطة الإمام .

وأصبحت هذه المسألة باعثًا على أن الزوار الإيرانيين للعتبات لم يستطيعوا أن يقتربوا من الإمام أمام الآخرين فى الحرم المطهر للإمام على كرم الله وجهه ، أو أن يتحدثوا معه .

وقد ورد فى أحد تقارير رجال السافاك فى هذا الصدد : « إن الزوار الإيرانيين لم يقتربوا قط من آيه الله خمينى ، وأوضحوا أنه من الممكن أن يتعرضوا للقبض عليهم من قبل السافاك » . [٤٢٤]

وقد زاد نشاط الإمام وأنصاره مع وجود الفراغ السياسى فى السنوات الأخيرة من عمر النظام ؛ لهذا سعى السافاك إلى مراقبة أوسع تجاه الإمام وأنصاره ليسيطر على اتصالاته بأتباعه [٤٢٥] ، ولهذا ففى ١٣٥٧/٦/١ ش (١٩٧٨م) عرض سيروس يزدان ستا - أحد رجال السافاك - فى تقرير بعض المقترحات من أجل السيطرة على الإمام وأنصاره وإحباط أنشطتهم ، و بالاهتمام بمتن هذا التقرير يمكن أن نحس بخوف السافاك وفزعه من أنشطة الإمام :

« ١ - يُزاد عدد الموظفين المرسلين للسافاك لمراقبة قوافل الزوار المتزايدة ، ويتعرفون على وظائفهم .

٢ - يبحث رجال السافاك أمتعة الزوار وتفتش ملابسهم قبل السفر ، لأن هؤلاء الزوار ينقلون الأموال والرسائل للإمام الخمينى ، ويقوون الجبهة المعارضة فى العراق .

٣ ـ وبعد عودة المسافرين من العراق تفتش أمتعتهم وملابسهم تفتيشا كاملاً وبدقة متناهية ؛ لأنه عن طريق هؤلاء تنقل الأخبار والرسائل العديدة من الخمينى إلى إيران ، وهذه البيانات والرسائل هى أهم عامل فى إثارة الأفراد البسطاء والمفسدين .

٤ ـ وكانت جماعة أنصار الخمينى فى العراق تبلغ بالتليفون بعد إصدار أى نوع من البيانات أو بعد نهاية أى خطبة للخمينى – أتباعه فى إيران ، وبعد يوم واحد على الأكثر ينتشر الموضوع ويشيع .

ويُقترح من أجل إحباط نشاط هذه العناصر أن تصير ساعات الاتصال بالعراق محدودة بقدر المستطاع وتراقب التليفونات المشكوك فيها خلال هذه الساعات ، وتراقب جهات الاتصال فى إيران ، ولهذا يمكن جعل أى نوع من الاتصال عن طريق مركز إدارة المخابرات الخارجية حتى تتم السيطرة الكاملة » . (٤٢٦)

ويشير هذا التقرير إلى أن السافاك حاول أن يمنع بقدر الاستطاعة إرسال أى بيانات ورسائل للإمام أو توزيعها أو نشرها فى إيران ، ولكن مع وجود كل هذه الحيل كانت تدخل بيانات الإمام ورسائله بسرعة فائقة وتنتشر بين الناس .

٢ – منع وصول التمويل المالى من المصادر الإسلامية إلى الإمام :

وكان أحد برامج السافاك وخططه لإضعاف الإمام هو منع وصول المستحقات المالية الشرعية من الوصول إليه ، وكان يحاول السافاك حينما استطاع أن يمنع وصول الأموال المذكورة للإمام أن يضعف قدراته المالية فيوقفه عن مواصلة كفاحه ، وفى سبيل هذا الهدف فإن رئاسة السافاك ـ المخولة لنصيرى ـ قد أمرت بالتعرف على الأفراد الذين كانوا يمولون الإمام ، وقد أشارت الإدارة العامة الثالثة للسافاك فى رسالة إلى رئاسة السافاك فى طهران إلى هذا الأمر :

« قرر قائد رئاسة السافاك أن يعرف الأشخاص الذين كانوا يمولون الخمينى فى العراق من إيران ، وتحدد شخصيات هؤلاء الممولين ، وبناء على هذا فالمرجو أن تأمروا بالاهتمام بالمراسلات التى كانت تصل فى هذا الشأن ، وأن تنفذ الأوامر الصادرة على الفور ، وأن تبعث الإدارة العامة بالنتيجة ». (٤٢٧)

ومع وجود هذه الحيل فإن السافاك لم يوفق فى هذا المجال ، وقد وضح سافاك طهران فى رسالة إلى رئاسة فروع السافاك التسعة أن جمع المال الشرعى و إرساله للإمام فى حالة تزايد وقد أمر السافاك أولئك :

« فلتأمروا ضمن خطة التعرف الكامل على وسائل أولئك وأنشطتهم فى مجال جمع الأموال الشرعية وإرسالها للخمينى ، ولتضبط كل العناصر التى تحت التحفظ من قبل السافاك الذين يجمعون الأموال له وأن يتم التعرف على درجة نشاطهم وقيمة الأموال التى تجمع وأن تبلغ النتيجة بذلك .

رئيس السافاك فى طهران ، بونيان فر» (٤٢٨)

وكذلك فإن السافاك قد صمم فى خطوة أخرى على أن يمنع الإمام عن دفع « شهرية الطلاب » (*) التى كانت تتم بشكل منظم ؛ حتى يقلل من شأن الإمام لدى طلاب الحوزة العلمية ، ولكن تقارير السافاك كانت تشير إلى تكذيب هذا الخبر ، وأن دفع المعونة المالية للطلاب من الإمام كانت تسير بشكل منظم حتى الشهرية التى كان الإمام يدفعها كانت تزيد عما كان يدفعه آيات الله الآخرون ، ولهذا السبب فإن السافاك قد استدعى القائمين بدفع شهرية الإمام فى قُم وألزم أولئك بالتهديد والتخويف أن يمتنعوا عن دفع شهرية الإمام فى قم (٤٢٩) .

ولم ينجح السافاك فى تنفيذ هدفه ، وقد اعترف فى تقارير عديدة بهذا الأمر .

٣ ـ بث التفرقة بين الإمام الخمينى وعلماء النجف الكبار :

لقد سعى السافاك والنظام اللذان كانا يخشيان من أنشطة الإمام فى النجف الشريف أن يهيئا المجال لزرع بذور التفرقة بين الإمام وعلماء النجف الكبار ، وبناء على هذا سعيا فى إبراز أن مكانتهم تتعرض للخطر مع اتساع نشاط الإمام وذلك للوقيعة بينهم وبينه ، ولكن وعى المراجع الدينية المذكورين والإمام قد أحبط هذه المؤامرة .

(*) مساعدة مالية شهرية من الخمينى للطلاب الإيرانيين . (المترجم)

وكذلك فقد كانت اختلافات بعض العلماء مع الإمام باعثًا على أن السافاك صمم أن يضعهم فى مسار معاد للإمام ، وأن يستغل اختلاف العلماء المذكورين فى إنجاح أهدافه وأهداف النظام الخبيثة .

٤ ـ إطلاق الشائعات المسمومة ضد الإمام :

ولكى يعوق السافاك الإمامَ عن مواصلة كفاحه سعى إلى حيل متعددة ومؤامرات كثيرة لكى يسىء إلى الإمام لدى جموع الشعب منتهزا الفرص المناسبة ، وبذلك يهز ثقة الناس الراسخة فى الإمام ، وبناء على هذا فقد اتبع إطلاق الشائعات العديدة فى الداخل والخارج ضد الإمام ، وقد أطلقت الشائعات ضد الإمام ولا سيما فى الحوزة العلمية عن طريق أيادٍ خفية وبعض رجال الدين ممن ارتبطوا بالنظام الحاكم ، وقد كانت هذه الأيدِى العميلة نفسها هى المدبرة داخل الدولة خاصة فى مجالس التعزية ، وكان السافاك يسعى أن يستفيد من استثمار أية حادثة تافهة للعمل ضده .

والسافاك الذى كان ينتهز الفرص حتى يُسىء إلى الإمام وذلك بنشر بيانات عنه فى راديو طهران الذى كان تابعا للجماعات اليسارية والشيوعية – اغتنم الفرصة وحاول طبع مقالة فى صحيفة (إطلاعات) حتى يتهم الإمام بارتباطه بالشيوعيين . ومهما يكن من أن السافاك كان فى الماضى قد كف يده عن مثل هذه الأمور ولكنه هذه المرة سعى فى طبع مقالة تُسىء إلى الإمام (والتى لم يشر فيها إلى اسم الإمام خوفا من رد فعل الشعب المقهور) حتى يثير الناس ضد الإمام ورجال الدين (٤٣٠) .

وكانت إحدى المؤامرات الأخرى للسافاك أنه سعى إلى إبراز الإمام الخمينى كشخص هندى (وليس إيرانيًا) واعتباره وأسرته ليسوا من الإيرانيين حتى يقلل بهذه الوسيلة من شأن الإمام بين الناس ، وبناء على هذا فإن رئيس السافاك قد أمر فى عام ١٣٥٥ ش (١٩٧٦م) بالآتى :

« ابحثوا عن أية وسيلة تُستخدم ضد الخمينى من خلال اسم هندى أو إنجليزى » (٤٣١) .

وقد حاول السافاك فى هذا المضمار كثيراً ولكن يبدو أنه لم يوفق ، وقد توصل السافاك فى هذا المجال فى أحد الأبحاث أن أحد أجداده كان قد عاش فترة من الوقت فى الهند ، وأيضًا فإن الإمام قد تخلص «باسم هندى» فى الأشعار التى نظمها ، وأيضا فى بيان أذيع بين الطلاب ، وصف الإمام « بالجاسوس الإنجليزى » [٤٣٢] ، وفى خبر آخر تحت عنوان (روح الله الخمينى البهائى) وقد كتب باللغة العربية واتهم الخمينى بالبهائية ، وكان السافاك قد أرسل هذه الأخبار إلى الإيرانيين المقيمين فى إمارات خليج فارس والعراق والكويت وإيران وسائر الدول العربية . [٤٣٣]

وحيلة أخرى استخدمها السافاك للإساءة إلى الإمام الخمينى وهى ارتباطه بالحكومة والنظام الحاكم ، وفى أحد تقارير السافاك نقلاً عن أحد الحجاج الإيرانيين الذين عادوا من الحج :

« لقد قالوا لى فى الحج عن الخمينى بعض الموضوعات والتى أفهمها الآن ، وهذا يفسر لماذا يسافر ابنه أحمد خمينى دائمًا إلى إيران ، وأن الخمينى وأبناءه يرتبطون بنظام الحكم فى إيران بينما تزيوا بزى المعارضة » .

وسعى السافاك عقب هذا التقرير إلى تأكيد هذه التهمة بين الناس ، ومهما يكن من أن نشر أصل هذه الشائعة بين الحجاج الإيرانيين يرجع من المحتمل إلى رجال السافاك الذين كانوا يسافرون كزوار إلى السعودية لذلك ورد فى شأن هذا التقرير ما يلى :

« على سافاك طهران تأكيد هذه التهمة عن طريق المصادر وسائر الوسائل المتاحة من أن الخمينى وابنه على علاقة وثيقة بالجهاز » ، وأن هذا الافتراء قد وافق عليه السافاك . [٤٣٤]

وقد سعى السافاك إلى استخدام شتى الوسائل للنيل من الإمام ولم ينجح فى ذلك ، ومع وعى الإمام والأمة والنية الخالصة فى مواصلة الحركة أحبط الإمام جميع مؤامرات السافاك القذرة .

رد فعل السافاك على طرح فكرة الحكومة الإسلامية :

وعقب طرح مسألة (الحكومة الإسلامية) من قبل الإمام فى النجف الشريف ، فإن السافاك سعى أن يسكت صوت الإمام قبل أن يوقظ الطبقات المحرومة والمظلومة ، وأن يمنع الأفراد من بحث هذا الموضوع ودراسته .

وقد سعى نصيرى - رئيس السافاك - بعد الاطلاع على فقرات من « الحكومة الإسلامية » للإمام حتى يستغل نقطة الضعف فى هذا الموضوع وأن يستفيد من ذلك ضد الإمام ، ولهذا فقد طعن فى بعض أقوال الإمام وذكر فى نهايته : « لقد أساء الخمينى إلى رؤساء الدول العربية ويمكنكم أن تربوا على أحاديث الخمينى ولتتهموه فى هذا الصدد » (٤٣٥) .

ولكن كلمات الوشاة لم تتح للسافاك أن ينال من الإمام وانتشرت فقرات الحكومة الإسلامية والمعلومات عن طريق الإمام بسرعة رهيبة بين الناس ، وقد حث هذا الأمر السافاك المركزى أن يخاطب أفرع السافاك فى إيران تلغرافيًا وأمر بمنع توزيع هذه المنشورات أو المعلومات :

« أخيرًا خطب الإمام الخمينى فى النجف ، وقد وصل حديثه فى شكل فقرات ووريقات إلى إيران ، وليحظر ذلك وأن تخبرونا بالنتائج والقائمين على ذلك كما أن بعض الحجاج يحملون أحاديث الإمام المذكورة .

مقدم ١٣٤٨/١٢/٧ ش (١٩٦٩م)

ومع وجود الضغوط التى تهدف إلى منع نشر المعلومات المذكورة ، فإنه عن طريق الحجاج وبعض الطرق الأخرى كانت هذه المعلومات تفد إلى إيران بمعدل كبير ، وكانت تُنشر بين الناس .

والسافاك الذى لم يستطع أن يمنع توزيع أخبار « الحكومة الإسلامية » للإمام بهدف منع انتشار هذه الفكرة بين الناس فى إيران راح يتعقب رجال الدين والوعاظ الموالين له ، وأى شخص كان يتحدث فى شأن الحكومة الإسلامية كان يقبض عليه على الفور ، ويلقى به فى السجن أو ينفى ، كما أن المطابع ومنافذ بيع الكتب ومراكز النشر قد خضعت للسيطرة الشديدة للسافاك ؛ حتى يمكنه أن يمنع طبع أفكار الحكومة الإسلامية ، وحظر انتشارها على نطاق واسع .

وكذلك فإن السافاك قد هاجم منازل العلماء وأتباع الإمام ؛ حتى يقضى تمامًا على فكرة الحكومة الإسلامية (٤٣٦) ولكن كل هذه الحيل والضغوط لم تُجْدِ نفعًا فى منع انتشار أفكار الإمام فى شأن الحكومة الإسلامية .

هجرة الإمام إلى باريس :

لقد أصاب الهلع والخوف نظام الشاه بسبب استمرار الحركة الإسلامية بزعامة الإمام من مقره فى النجف الشريف ، وقد زاد خوف النظام نظرًا لتقارير الساڤاك القائمة على نجاح الإمام فى هذا الصدد؛ لذلك فقد طرح من جديد فكرة نفى الإمام ، ولهذا السبب فقد روجوا الشائعات بين الناس ، والتى فحواها أن الإمام يرغب فى السفر إلى الهند وبعض المناطق الأخرى ، حتى يهيئوا الرأى العام لذلك ، لكن رد الفعل السريع والقاطع للجماعات المناضلة وأتباع الإمام فى إيران والدول الأخرى قد كشفت مؤامرة النظام فى نفى الإمام من جديد .

ومع انتشار الثورة الإسلامية وزيادة المقاومة ضد النظام وتحسُّن علاقات النظام مع العراق صمم الساڤاك أن يحث المسئولين العراقيين على منع أنشطة الإمام - وذلك بمساعدة وزارة الخارجية ، وطلب المسئولون العراقيون فى شكل مفاوضات مع الإمام أن يكف نشاطه ضد النظام ، كما عينت الإدارة الأمنية فى العراق عدداً من الموظفين لمراقبة الإمام (٤٣٧) . وكانت الضغوط العراقية وتصميمها الفعلى على منع أنشطة الإمام باعثًا على أن الإمام عزم على أن يهاجر من العراق ، ولم تسمح الكويت للإمام بدخول أراضيها ؛ لذلك اختيرت باريس لهذا الأمر .

وكان الساڤاك فى هذا الوقت يدبر المؤامرات ضد الإمام وكان من بينها خطف الإمام وسجنه (٤٣٨) ، ولكن هجرة الإمام إلى باريس أحبطت خطط الساڤاك . وكانت هجرة الإمام إلى باريس نقطة تحول فى تاريخ الثورة الإسلامية الإيرانية ، وبرحيل الإمام إلى باريس والإقامة فى نوفل لوشاتو استطاع أن يوثق علاقاته بأتباعه بحرية كاملة ويعد العدة لإسقاط نظام الشاه .

الفصل الرابع

دور الساڤاك فى تطورات عامىْ ١٣٥٦،١٣٥٧ ش (١٩٧٧،١٩٧٨م)

كان عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) بداية مواجهة الشاه والشعب ، ومهما يكن من أن السنوات الماضية قد حدثت فيها معارضات ضد الشاه والنظام ولكن فى العادة كانت هذه المعارضات تتم بصورة متفرقة ومحددة ، وكانت أغلبها تُسحق بواسطة الساڤاك وقوات الأمن الموالية للنظام ، وفى النصف الثانى من عام ١٣٥٦(١٩٧٧) بدأت المعارضات العلنية ضد النظام والشاه ، وفى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) كان يعمل المثقفون ورجال الدين عن طريق تنظيم الجمعيات وإحياء الأنشطة الحزبية وإرسال الرسائل المفتوحة للشاه والحكومة والنظام ، ويتهمونهم بنقض القانون الأساسى وحقوق الإنسان وأحكام الإسلام .

وفى الأيام التى انتشرت فيها الصراعات السياسية ، وتأسيس المنظمات وكتابة الرسائل الاعتراضية زادت حدة الضغوط من ناحية الجماعات الأجنبية لحقوق الإنسان مثل (منظمة العفو الدولية) و (منظمة حقوق الإنسان) .

وقد سعى النظام فى بداية الأمر تحت مسمى الفراغ السياسى أن يبتعد عن مهاجمة الاجتماعات ومقاومة الأفراد المعارضين ، خاصة وأن الأوضاع المحلية قد تأثرت بالأوضاع العالمية .

الجدير بالذكر أن كارتر هو الذى كان يحكم الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك وكان الشاه يتصور أنه يستطيع البقاء فى حكمه بأية وسيلة ، لأنه لم يكن يحس بعمق الأزمة من الناحية العسكرية والاقتصادية والأمنية و المؤازرة الأجنبية والسياسة الخارجية .

وبهذا الشكل أراد أن يقلل من الضغوط فى الحكم حتى لا تكون هناك مشكلة فى حكمه ، وبناء على هذا كُلف الساڤاك بأن لا يتمادى فى سحق المناضلين والمعارضين للنظام أو السجن والتعذيب .

بل والأكثر من هذا أنه قوى بعض الجماعات المعارضة ، التى لم تكن تعارض حكم الشاه ، وأجاز فكرة المباحثة معها (٤٣٩) .

كما أن جو السجون قد تغير أيضًا ، ومنح السجناء السياسيون بعض مزايا الترفيه (٤٤٠) ، وأيضًا وتحت ضغط الرأى العام اضطر النظام إلى إطلاق سراح عدد من السجناء السياسيين ،كما أن زيادة المعارضات والمقاومات الشعبية قد أدت إلى انتشار هذه الحريات .

وهذه التطورات قد أقلقت الساڤاك ونصيرى رئيس الساڤاك آنذاك ، وفى تقرير كان قد قدمه نصيرى للشاه عبر فيه عن قلقه لما حدث ، جاء فيه :

« إننا نحس أن معاناة عشرين سنة كاملة للساڤاك قد ضاعت هباءً ، لقد حاولنا لمدة عشرين عاما أن لا تسقط هذه المملكة فى أيدى الشيوعية ، ولكن كل هذه المحاولات ضاعت هباءً مع هذه الحركة والبرامج » (٤٤١) .

إن استشهاد آية الله مصطفى خمينى فى النجف كما قيل قد تمت على يد رجال الساڤاك ، وقد خلقت فرصة جديدة حتى يبدأ المناضلون كفاحهم النشط وذلك بإقامة مجالس التأبين والعزاء ، وقد هزمت شهادة مصطفى خمينى الخوف والرعب فى المواجهة مع النظام الذى ظل يسيطر لمدة عشرين عاما ، بل وجرأت الناس على مقاومة النظام ، وعقب هذه الأحداث مع طبع إحدى المقالات عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) تحت عنوان (الاستعمار الدموى والرجعية السوداء) فى صحيفة (إطلاعات) التى كانت قبل ذلك قد نسبت الإمام إلى الأجانب - بدأت بوادر الثورة ، والأحداث التى وقعت عقب ذلك قد زلزلت النظام .

١ ـ مقالة إطلاعات :

وفى عام ١٣٥٦ ش . كانت قد نشرت صحيفة إطلاعات مقالة تحت عنوان (الاستعمار الدموى والرجعية السوداء)بقلم (أحمد رشيدى مطلق) وكان قد أهان فيها الإمام بشكل سافر وقد نسب كاتب المقال بوقاحة زائدة إلى الإمام طلب الشهرة وفساد العقيدة ، واعتبره شاعرًا عاشقًا وعميلاً للاستعمار وسيدًا هنديًا .

وقد قيل الكثير حول مصدر هذه المقالة ، وقد اعتبر البعض أن داريوش همايون – وزير الإعلام فى ذلك الوقت – هو المسئول عن هذا الأمر ، وتعتبر جماعة أخرى أن داريوش همايون من كتّاب المقالة ، ولكن (إحسان نراقى) قد رأى أن الرسالة كُتبت بأمر من الشاه وذلك نقلاً عن أحد مسئولى السافاك، وقد ذكر أن ياسر عرفات قد أرسل برقية إلى الأمام فى النجف يواسيه فيها بعد وفاة السيد مصطفى ، وكان الإمام فى الرد على برقية ياسر عرفات قد قال : إن ألمى ومحنتى سوف ينتهيان يومًا ما ، وذلك عندما تتخلص إيران من شر هذا الرجل الظلوم (الشاه) . وحينما أشار نصيرى – رئيس السافاك – إلى رد الإمام على الشاه قال الشاه لنصيرى : (الآن ينبغى محاربة رجال الدين وخاصة الإمام الخمينى بشكل علنى) ، وبعد ذلك أمره حتى يعد مقالة ، وأعدّ السافاك مقالة وكان قد أبرزها نصيرى إلى الشاه .

ولكن الشاه طلب أن تكتب مقالة أشدّ لهجة ، لذلك فإن المقالة التى طبعت فى صحيفة إطلاعات كانت قد أعدت ثم أرسلت عن طريق وزارة البلاط إلى صحيفة إطلاعات [٤٤٢] ، وعقب نشر المقالة المذكورة توقفت فى اليوم التالى فصول الدراسة فى الحوزة العلمية كنوع من الاعتراض ، وعقب توقف الدراسة حدثت اعتراضات ومظاهرات عديدة قام بها طلاب الحوزة العلمية فى قُم ؛ مما أدى إلى الصراع مع الشرطة وقوات الأمن ، وكنوع من مواصلة الاعتراضات أغلق بازار قم فى اليوم التالى كمؤازرة من الطلاب ورجال الدين المعترضين ، وامتنع كذلك الآيات ومدرسو الحوزة العلمية فى قم عن حضور المحاضرات والدروس [٤٤٣] .

وأعرب الطلاب وأهل قُم بعد ذلك عن معارضتهم للنظام فى شكل اجتماعات ، كما حدثت صدامات فى كثير من أرجاء المدينة بين الناس وقوات الأمن ، كما تظاهر طلاب

العلوم الدينية فى شارع صفائيه بقم بعد ظهر ذلك اليوم بعد أن اجتمعوا فى مدرسة خان والمسجد الأعظم ، وساروا فى مسيرات إلى مقر « حزب رستاخيز » ، وبعد ذلك هاجموا قسم الشرطة هناك ، وأطلق رجال الأمن والشرطة النار على المتظاهرين لتفريقهم ، فقتل عدد وجرح عدد آخر .

وفى ٢٠ ديسمبر من العام نفسه حدثت صراعات متفرقة بين رجال الأمن والشعب ، وقد ووجه خبر مذبحة أهل قُم باعتراض الشعب فى سائر المدن الأخرى ، وخاصة تبريز وأصفهان ومشهد .

وقد لجأت القوات الأمنية ومن بينها السافاك إلى سلاح القوة أمام انتشار الاعتراضات ، فقتلوا عدداً من الشعب وجرحوا عدداً آخر ، وقد عقد أهل تبريز والمدن الأخرى فى إيران مجالس العزاء من أجل إحياء ذكرى شهداء (قُم).

وقد أدى عقد الاجتماعات والمظاهرات الشعبية فى تبريز إلى المواجهة بين الشعب وقوات الأمن ، وقد استمر إحياء ذكرى الأربعين واحدة بعد الأخرى بعد تلك الأحداث ، وشيئا فشيئا عمت المظاهرات كل المدن الإيرانية ، وفى هذه الفتن فإن السافاك الذى أدرك اشتعال الثورة الشعبية فى إيران سعى إلى إخمادها مع توقع ازدياد الحركات الشعبية ونشاط رجال الدين ، لذلك فقد طلب فى أمر إلى المراجع الدينية الآتى :

« ينبغى أن تبلغوا جهاز السافاك فى خضم التوقعات والمراقبات اللازمة عن أية حادثة تقع بين أفراد الشعب » . ويبدو خوف السافاك واضحًا من الموقف الراهن آنذاك من خلال هذه الوثيقة والوثائق الأخرى الموجودة لدى السافاك [٤٤٤] .

٢- طلب المساعدة من السجناء السياسيين من أجل حل الأزمة :

وفى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) استدعى مسئولو السافاك عددا آخر من السجناء القدامى والمعروفين ، وتفاوضوا معهم من أجل إيجاد حل للمشكلة الموجودة .

وأعرب المسئولون فى السافاك أن النظام ليس لديه مشكلة من الناحية الاقتصادية والعسكرية والأمنية ، وأيضا ليس لديه أية مشكلة فى السياسة الخارجية ، وأن إيران

لديها مؤازرة قوية من القوى العظمى مثل أمريكا ، ولكن المشكلة تكمن فى السياسة الداخلية للبلاد ، وطلب أولئك بعد إبراز المشكلات الراهنة آنذاك من السجناء السياسيين حلاً للمشكلة ، « فلو أنكم يا معشر رجال الدين قد تعاونتم مع الحكومة فإن الدولة لن تقع فى براثن الشيوعية ، فإذا لم تتعاونوا مع الحكومة فإنكم سوف تضيعون فى ظل الحكومة الشيوعية » (٤٤٥) ، وتصرف الساڤاك ومسئوليه هذا يشير إلى خوفهم من الثورة الشعبية والتحليل الخاطئ للساڤاك عن أوضاع ذلك الزمان ، وقد سعى رجال الساڤاك أن ينسبوا كل التطورات والثورات الشعبية إلى الشيوعيين .

٣- الخامس عشر من خرداد عام ١٣٥٧ ش / ١٩٧٨م :

وفى سنة ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م) استمرت الثورات والأنشطة الشعبية ، وقد ثار الشعب فى أكثر أرجاء الدولة ضد النظام ، وقد أقلق اقترابُ ذكرى الحركة الشعبية فى ١٥ خرداد جهازَ الساڤاك ؛ وذلك بسبب الأنشطة الشعبية فى هذا اليوم والأيام التالية ، وكان الساڤاك قد توقع بالنظر إلى الثورات المتعددة التى حدثت فى الشهور الأخيرة أنه فى يوم ١٥ خرداد والأيام التالية سوف يواصل أفراد الشعب المقاومة ضد النظام فى ذكرى ذلك اليوم وسوف يقومون بالمظاهرات ، لذلك طلب الساڤاك من المراجع المعنيين أن يمتنعوا أى نوع من الأنشطة : بالنظر إلى الأحداث الأخيرة والمظاهرات الواسعة التى حدثت فى الفترة السابقة في بعض أرجاء الدولة ولا سيما فى إقليم قُم ، فإنه من المحتمل مد هذه الأحداث فى ١٥ خرداد إلى ٢٠ خرداد من قبل المتعصبين الدينيين والجماعات المتعصبة المؤيدة للمظاهرات ؛ لهذا فإن المرجو أن تقوموا بالمراقبات اللازمة والاستفادة من وجود جميع الإمكانات لاستخدامها ضد أى نوع من الأنشطة المناوئة للعناصر المتعصبة . وعليكم أن تبلغوا بنتيجة هذا الأمر إلى الساڤاك فى حينه .

رئيس الساڤاك فى قُم » (٤٤٦)

ولكن رجال الدين وأنصار الإمام وأنصار الجبهة الشعبية وحركة التحرير الذين ربطوا أنفسهم بالحركة الشعبية ورجال الدين قد ابتكروا حيلة جديدة ، إذ إنهم طلبوا من الناس توزيع المنشورات المختلفة فى هذا اليوم ، وأن لا يخرجوا من منازلهم فى يوم ١٥ خرداد كنوع من الاعتراض على الحكومة (٤٤٧) ، وقد أحيط الشعب بعدم الخروج من المنازل والمقاومة السلبية ضد النظام وخطط الساڤاك وتوقعاته .

ومع اقتراب ذكرى الأربعين لشهداء قُم وكازرون وخمين فى يومى ١٩ و ٢٠ خرداد من عام ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م) تجددت أنشطة رجال الدين والجماعات ذات التيار الإسلامى ، وفى يوم ٢٠ من الشهر نفسه اقتحمت فرقة الكوماندوز (الحرس الإمبراطورى) تلك المدينة من أجل سحق مظاهرات أهل قُم ، وفى الوقت نفسه أرسل السافاك رسائل تهديدية - بدون توقيع - إلى عدد من زعماء (جمعية إيران للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان) أثناء تلك الصراعات ، كما نسفوا بالقنابل منازل بعض الأشخاص من زعماء الحركة التحريرية والجبهة الشعبية ، كما أرسلت جماعات من فرق الأمن لقمع طلاب الجامعات .

ولذا تزايدت أعمال العنف من قبل النظام تجاه معارضى النظام والشاه ، وتجاه من يدعى شرعية الإمام فى زعامة الحركة والثورة (٤٤٨) .

٤- محاولة النظام تجاهل دور الإمام فى زعامة الثورة :

وكما قيل فإن الأنشطة الشجاعة للإمام ووعيه فى صراعه مع النظام منذ عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣م) فصاعداً ولا سيما فى السنوات الأخيرة من عمر النظام وإصدار البيانات العديدة ضد الشاه وموظفى السافاك ... كل هذا حفزهم جميعًا على المقاومة ، وفى السنوات الأخيرة من عمر النظام أيضًا فإن جميع الجماعات المعارضة - نظراً لدور الخمينى الثابت فى المقاومة - قد اعترفت به كزعيم لها ، والسافاك الذى كان يحاول أن يدل المقربين من الشاه على عناوين الزعماء حتى يمكن - بهذا الشكل - قمع الحركة المذكورة كان يخشى من ذكر اسم الإمام فى ملفات المناضلين ، والأمر الصادر عن « ثابتى » المدير العام لإدارة الأمن الداخلى للسافاك ، الذى أرسل إلى مراكز السافاك يشير إلى هذا الموضوع :

« وفقا للأوامر المقررة يُعتقل الأفراد الذين يتهمون بالنشاط أو الاتصال بروح الله الخمينى ، وعند الرجوع إلى ملفاتهم أثناء المحاكمة لا يذكر الاتهام بالنشاط مع الخمينى ، وأن يكون الاتهام لهؤلاء الأفراد هو الإخلال بالأمن والنظام ، وعلى رجال الشرطة الاهتمام بهذا الأمر .

ثابتى» (٤٤٩)

وهذا الأمر يشير كذلك إلى أن السافاك قد أدرك بصدق الدور المؤثر للإمام أثناء حركة الثورة الإسلامية . وعلاوة على الإمام اضطلع عدد آخر من المراجع ورجال الدين بدور أساسى أثناء المقاومة ، ومن خلال قرارات الإمام وتوجيهاته كانوا يتزعمون الشعب داخل البلاد فى المقاومة ضد النظام ، وأصبح التعرف على هذا الأمر باعثا على أن السافاك كان يركز أنشطته حول هذه الطبقة وأنه كان يستعين ببعض الجماعات المعارضة لمقاومتهم ، وكان رئيس السافاك فى أمر له بتاريخ ١٣٥٧/٥/٢٥ ش (١٩٧٨م) قد اعتبر أن مراقبة رجال الدين والمراجع من بين الأهداف الأولى للسافاك (الإدارة الأولى : على جميع أفراد السافاك فى الأقاليم اعتبار أن مراقبة الآيات الكبار والوعاظ ورجال الدين المتعصبين من الأهداف الأولى) (٤٥٠) .

وتشير هذه المسألة إلى أن السافاك كان يحيط علما بدور أولئك فى زعامة الثورات الشعبية وقد سعى بكل ما استطاع من قوة أن يمنع مواصلة أولئك للمقاومة ، ولكن رجال الدين كانوا يؤمنون بالإمام وهدفه ، وعلى الرغم من تشديد المراقبة وضغوط السافاك لم يتوقفوا لحظة واحدة عن المقاومة وتوعية الشعب ، وواصلوا طريقهم .

٥ - اللجوء الى الحكم العسكرى :

إن إجراءات السافاك وسائر القوى العسكرية والأمنية لم تفلح فى سحق المقاومة الشعبية كما لم تفلح فى توفير الاستقرار والأمن ؛ لذلك صمم النظام على إقرار الحكم العسكرى حتى يمكنه أن يقمع - بعنف - الحركة الشعبية، ولكن مع أن موجة الفتن والاعتراضات قد خمدت لمدة قصيرة ، فإن الأحداث اللاحقة أشارت إلى أن الحكومة العسكرية غير مناسبة .

وفى شهر يوليو من عام ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م) وعقب المظاهرات الواسعة فى أصفهان تم إحراق فندق شاه عباس وعدد من البنوك ودور السينما ، وفى هذه المظاهرات أطلقت قوات الأمن النار على الشعب ، وعلاوة على أصفهان فقد استمرت المظاهرات الشعبية فى عدد آخر من المدن .

وكانت مواصلة مقاومة الشعب فى مدينة أصفهان باعثا على إعلان الحكم العسكرى فى تلك المدينة ، ومدن نجف آباد ، وشهرضا ، و همايون (وبإعلان الحكم العسكرى فى تلك المدن وحظر تحرك المواطنين من الساعة الثامنة مساءً حتى السادسة صباحا) غافلين عن أن إعلان هذه الضغوط على الشعب كانت باعثا على إثارتهم فى مواجهة النظام ، والأخذ بالحكم العسكرى يشير إلى ضعف النظام وأجهزة الأمن والاستخبارات فى مواجهة الأحداث .

وقد أرسل الإمام فى هذا الموقف رسالة فحواها مواصلة المقاومة حتى الإطاحة بالنظام والحكم العسكرى ، وأثنى على شهداء الثورة ضمن هذه الرسالة (٤٥١) .

وقد وصلت المظاهرات والمسيرات المعارضة فى شهرى يوليو وأغسطس ذروتها فى طهران والأقاليم الأخرى ، وفى شهر رمضان تحولت المساجد مركزا للاجتماعات ومكانا مناسبا لإبراز جرائم النظام والشاه ، وفى الثانى من أغسطس والذى واكب يوم شهادة حضرة الإمام على (كرم الله وجهه) نُظمت المسيرات الكبيرة فى كل أنحاء الدولة وخاصة طهران و تبريز ورشت ومشهد ، وأصبحت ذكرى شهادة الإمام على يوم المسيرات المؤدية إلى الاشتباك والعنف ، ومع وجود الحيل المستمرة للنظام كانت الحركة الإسلامية تتجه فى طريقها إلى التقدم .

وكان عيد الفطر فرصة مناسبة أخرى لكى يؤكد شعب إيران المسلم وحدة كلمته وهدفه من خلال التواجد الكبير للمواطنين ، والساڤاك الذى كان يتنبأ بأن الشعب سوف يقوم ببعض التحركات فى هذا اليوم قد جنَّد كل طاقته للردع وأبلغ جميع مراكزه بالاستعداد لهذا :

« يُراعى يوم ١٣٥٧/٦/١٣ ش (١٩٧٨م) أن العناصر المخربة سوف يقومون بالتخريب وسيخلقون جواً من التوتر ، وذلك فى مناطق مختلفة من الدولة بعد صلاة عيد الفطر فى الشوارع والميادين العامة ؛ لهذا يجب الاستعداد الكامل فى ذلك اليوم بدءاً من الساعة السابعة صباحًا علاوة على أن إدارة العمليات سوف تضطلع بمسئوليتها فى هذه الأمور ، ويجب أن يحضر ٣/١ هيئة الساڤاك فى المكان المذكور على أقل تقدير ، وأنه من المحتمل أن تقع بعض الأحداث ربما فى آخر ساعة من هذا اليوم ».(٤٥٢)

وقد أقيمت مراسم صلاة عيد الفطر فى طهران ، وسادت المظاهرات التالية لذلك الهدوء ، والتنظيم اللافت للنظر ومن ثم لم تكن هناك فرصة للاحتكاك برجال السافاك ، حتى إن حشد الجماهير والشعارات التى كانوا يرددونها قد أثرت على قوات الأمن والنظام .

ولا شك أن المظاهرات يوم عيد الفطر قد أدت إلى الصدام بين القوات العسكرية والأمنية فى عدة مدن فى ذلك الوقت .

والاحتفال الهادئ بدون عنف فى مراسم صلاة عيد الفطر والمظاهرات التالية بعد ذلك فى طهران قد زادت من قلق الشاه والحكومة وذلك بسبب وحدة القوى المؤمنة .

وفى ١٦ أغسطس وعلى الرغم من تحذير الحكومة بمنع الاجتماعات فقد سار أكثر من نصف مليون شخص من أهل طهران كاعتراض على إجراءات الحكومة ، وقد صاحب ذلك المظاهرات فى الشوارع ، وأخذوا يرددون شعارات معادية للحكومة ، وهذه المسيرة كانت أكبر مسيرة اعتراضية حتى ذلك الوقت مما أقلق الشاه أكثر ، ولذلك فى الليلة نفسها فإن هيئة الحكومة قد عقدت جلسة ، وأعلن الحكم العسكرى فى طهران وإحدى عشرة مدينة أخرى ، كما عُين (غلا معلى اويس) قائدا عسكريا فى طهران (٤٥٣) .

وفى يوم ١٧ أغسطس سار الشعب فى مسيرة نحو ميدان (جاله) أو الشهداء فى حين أن أفرادًا كثيرين لم يكونوا يعلمون بالحكم العسكرى ، لذلك وفى هجوم على القوات العسكرية والأمنية جُرح وقُتل مئات الأشخاص من المشاركين فى المسيرة المذكورة .

وكانت هذه الحادثة بداية مرحلة جديدة فى الثورة الإسلامية الإيرانية ، وقد زلزلت أحداث ذلك اليوم الشاهَ والجيشَ والحكومة ، وانتهى تقريبًا احتمال التوصل إلى حل سلمى بين الشاه والمعارضين .

وقد أسرع هذا باندلاع الثورة ، حتى إن بعض ممثلى المجلس قد اعترضوا على ذلك (٤٥٤) .

وعقب حادثة يوم الجمعة الأسود فى ١٧ أغسطس بدأ إضراب العاملين والموظفين فى صناعة النفط فى كل أنحاء الدولة ؛ مما شلَّ اقتصاد الدولة ، وأجهز على حكومة الشاه ، وقد زاد الطين بلَّة تضامن رجال البازار مع المضربين .

وكلما زادت الإضرابات ظهرت آثار الضعف والتدنى فى شئون الحكومة ، ومن ناحية أخرى راح النظام يهدد باستخدام العنف ، ومن ناحية أخرى راح الثوار والمضربون يعلنون مطالبهم ، فى حين لم تنفع معهم أية حيلة ، كما أن الامتيازات التى كان يمنحها النظام للمعارضين قد أشعلت الثورة .

٦ - محاولة إقرار الأمن (٤٥٥) :

عقب الأحداث المذكورة وزيادة الإضرابات والمظاهرات والساڤاك الذى كان السبب الرئيسى فى خلق هذه الأوضاع سعى بتقديم فكرة للسيطرة على الأوضاع وتوفير الأمن العام .

وقد طرح الساڤاك فى عام ١٣٥٧ ش . فى أحد التقارير المفصلة بعد بحث الأوضاع الراهنة آنذاك طرح المقترحات التى تشير إلى عدم الفهم الصحيح للموقف الكائن آنذاك وهذه المقترحات عبارة عن :

(أ) « تأسيس تيار فكرى قوى شعبى صحيح وجذاب والذى يراعى الجوانب الشعبية الدينية والإنسانية والثقافية لإيران ، والذى يمكنه فى ظل الأحوال الموجودة أن يجمع الجماعات الشعبية المختلفة تحت لوائه ، وتكون له قدرة على تعبئة القوى الوطنية » .

وهذا الاقتراح الذى قدمه الساڤاك يناقض أعمال الساڤاك نفسه طيلة عشرين عامًا هى عمره ، إذ كان دائمًا يحاول التفرقة بين الجماعات المختلفة ، ومن أجل بقاء الحكم الملكى كان قد سحق جميع التيارات الفكرية والشعبية والمذهبية ، كما سعى النظام كذلك إلى القضاء على الثقافة الإسلامية الإيرانية الشعبية الأصيلة ووضع بدلاً منها ثقافة الغرب .

(ب) « الاستفادة من المفكرين المتخصصين فى علوم المجتمع من أجل التعرف على أفضل مجتمع ومتطلباته وتأثير انطباعات وآراء المفكرين المذكورين فى التخطيط والإجراءات المختلفة » .

ولهذا السبب فإن أفرادًا مثل (إحسان نراقى) الذى وقع تحت ضغط الساڤاك بسبب أفكاره الانتقادية وكان مثار الاهتمام نقل إلى البلاط لبحث المشكلات .

(ت) « الاستعانة بالتدابير المناسبة التى يمكنها أن تحفظ معنويات المجتمع وأخلاقياته من الحالة المريضة والفاسدة فى ذلك الوقت ، وأن تنمى بدلاً من ذلك فضيلة التقوى والطهارة والتفكير الصحيح على مستوى المجتمع ولا سيما الجماعات الاجتماعية المؤثرة » .

والساڤاك الذى كان يسعى طوال السنوات الماضية للقضاء على معنويات المجتمع وأخلاقياته يفكر فى إحياء ذلك حتى يؤازر الشاه فى أيامه الأخيرة ؟!

(ث) « تأسيس نظام يقوم على الأفكار السليمة والمحبة للوطن لإصلاح شئون الدولة والقضاء على العناصر المخربة والمغرضة والمنحرفة ؛ حتى يمكن لهذا النظام أن يقوم بخدمات حكومية بشكل عام للشعب ، وأن يسعى إلى توعية الشعب حتى يستطيع أن يجابه الأحداث والصراعات الأخرى » .

وكانت إحدى وظائف الساڤاك طيلة وجوده وتأسيسه المراقبة المباشرة وغير المباشرة على طبع الكتب والصحف ونشرها أيضا ، فقد كانت القوى الساڤاكية تنقل مستخدمة نفوذها فى وسائل إعلام الدولة مثل الراديو والتلفزيون مطالب النظام للشعب ، ولكن مثل هذا الاقتراح الذى تبناه الساڤاك بددته سياسة التفتيش والمراقبة للساڤاك فى السنوات الأخيرة من الحكم البهلوى ، لهذا فإن الساڤاك اقترح فكرة تأسيس منظمة مستقلة من أجل إصلاح وسائل الإعلام .

(ج) « وحيثما تبحث بشكل سريع مشكلات الجامعات ومراكز التعليم العليا ، فإنه من السهل أن يعود الهدوء إلى المراكز العلمية والجامعية ، وفى هذا المضمار فإن الاهتمام بهذا الموضوع أمر ضرورى حتى تنتهى مشكلة الهيئات العلمية للجامعات وحتى تحل المشكلة الرسمية والمنتشرة بين الطلاب ويبدو أن هذا الموضوع خطير جداً من الناحية الأمنية » .

وكما قيل فقد كان للجامعات والطلاب دور كبير فى تنظيم الحركة والصراعات السياسية للشعب ضد النظام .

والساڤاك بدون اهتمام بهذا الأمر كان أحد الأسباب الرئيسية فى ظهور التوترات الطلابية وتشددها ؛ ومن ثم قدم الاقتراح المذكور .

ومع اشتعال الثورة انضم الأساتذة والهيئات العلمية للجامعات إلى صفوف الشعب المسلم المطحون .

وقد سعى السافاك فى بداية العام الدراسى عام ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م) إلى التعرف على أولئك والسيطرة عليهم من خلال بعض القرارات التى اتخذها لهذا الغرض [٤٥٦] .

(حـ) « وفى شأن العاملين فى المؤسسات المختلفة الحكومية والخاصة أو العاملين فى البنوك الذين لهم مطالب تدرس مطالبهم مادامت كانت قانونية ، وما كان غير معقول من هذه المطالب يهتم بها فينتهى بذلك تحجج المغرضين ، هذا فضلاً عن اتخاذ التدابير اللازمة للتخلص من عوامل التفرقة فى الحقوق والامتيازات الممنوحة للعاملين فى الأجهزة الحكومية المختلفة ؛ لأن أنواع التفرقة هى سبب العداوة الشديدة من جانب الموظفين » .

لقد قُدِّم هذا الاقتراح عندما ظهر الإضراب ونقص العمل فى المراكز العامة والخاصة وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو الضغوط والتفرقة التى حدثت ضد الموظفين والعاملين ، ولكن بعد ذلك تحول الأمر إلى مقاومة سياسية مما شل اقتصاد المملكة .

(خـ) « وحينما تحل الأزمات المالية والتى هى سبب الكساد فى السوق بالنسبة لكثير من أصحاب المهن والحرف فإن هذه الأزمات ستنتهى بشكل مدروس ومحسوب ، ومن ثم فإن الرفاهية فى السوق يمكنها أن تقضى على استياء رجال البازار وتحثهم أكثر على الانشغال بالأنشطة الاقتصادية بدلاً من الأنشطة السياسية التى لا جدوى من ورائها » .

كان للبازار ورجال البازار دور مهم فى تحقيق أهداف الحركة الثورية ، وكانوا يقاومون النظام بإغلاق المحال والسوق كلّما كان ذلك ضروريا ، وأيضًا فقد كان أولئك يقدمون مساعداتهم المالية لمناضلى الثورة ، وفى الوقت نفسه كانوا هم أنفسهم فى صف رجال المقاومة ضد الحكم الملكى .

(د) « الأزمات التى يمكن التنبؤ بها والتى تتعلق بالمطالب الأساسية للشعب حينما تنتهى فإنه فى المستقبل لن تكون هناك مشكلات ناتجة عن الأزمات المذكورة » .

(ذ) « إن الاهتمام الفورى بموضوع الزراعة واتخاذ التدابير اللازمة فى هذا الشأن يمكن أن يخلص المملكة من الحاجة لاستيراد منتجات زراعية ويضع نهاية لمشكلات الدولة والقرويين » .

مع تنفيذ النظام لبرامج مثل استصلاح الأراضى والاهتمام بالصناعات التجميعية وشراء أسلحة متطورة بشكل مبالغ فيه قد أدى إلى شلل الزراعة ، وإيران التى كانت فيما سبق تكتفى ذاتيًا فى شأن منتجات مثل القمح أصبحت تستورده من الخارج ، وكذلك نتيجة لهذه السياسات الخاطئة للنظام ترك الفلاحون القرى ، ومع النزوح إلى المدن فقد تفاقمت المشكلات أكثر بالنسبة للمواطنين والنظام ، وعلاوة على المقترحات المذكورة فإن السافاك فى هذا المضمار قد عرض مقترحات أخرى ، وسنكتفى بذكرها للتعرف على نظريات السافاك فى الأشهر الأخيرة من عمر النظام :

(ر) « اتخاذ التدابير اللازمة من أجل منع التضخم والزيادة المطردة للأسعار ، ولا سيما أسعار السلع والخدمات التى تحتاجها الجماهير » .

(ز) « على الرغم من التدابير التى اتخذت فى شأن تقليل أسعار المساكن إلى الحد المقبول فإن مشكلة المساكن كانت ولا تزال تشكل واحدة من المشكلات الأساسية فى المجتمع ، ومن الممكن حث أصحاب الصناعات والمصانع الكبار على إنشاء المساكن من أجل الصناع والحرفيين العاملين لديهم ، واتخاذ خطوات أساسية فى القضاء على أزمة الإسكان بتخفيض اعتمادات لجمعيات الإسكان التعاونية » .

(س) « الاهتمام بالمشكلات الحياتية والمالية لكوادر القوات العسكرية والشرطة » .

(ش) «على الرغم من مقاومة الفساد والسرقة والبطالة والتمييز وسائر المساوئ الأخرى التى قد سرى مفعولها فى الأجهزة الإدارية إلا أنها كانت تتزايد بشكل ميئوس منه ، إن هذا الأمر لابد أن يبدأ ويستمر بسرعة - ودقة وحسم ودون تباطؤ لكى يتقبل الناس أن مسير الأوضاع يتجه نحو التحسن » .

(ص) « بلا شك أن أكثر المراجع الدينيين فى إيران كانوا يعارضون الخمينى وأعماله وأفكاره ، ولكنهم كانوا يخشونه وينبغى التعامل مع هذا الأمر بشكل مختلف ، كما يجب تقوية القوى الأخرى المؤثرة المعارضة للخمينى » .

(ض) « وفى شأن منح الامتيازات للمعارضين للحكومة يجب الصبر والبعد عن التسرع والعجلة ، وينبغى لفت النظر إلى أن الاهتمام المبالغ فيه بالمعارضين وتلبية مطالبهم بشكل سافر بدون مزايا خاصة بهم ليس فقط يجعل أولئك على خلاف دائم مع الحكومة بل ويقويهم أكثر ، هذا فضلاً عن الخسائر الرئيسية التى تنجم عن ذلك ، وتجعل على الجانب الآخر المؤيدين مستاءين ويائسين ومذعورين » .

(ط) « ويجب ردع الأفراد الذين يعارضون القانون وسحق هؤلاء الأشخاص ، الذين يعتبرون عابثين بالأمن ومعادين للنظام ، وأن عدم تصفيتهم سيؤدى إلى أعمال عنف أكثر » .

(ظ) « إن إطلاق سراح السجناء الخطرين على الأمن بهذه السرعة دون الأخذ فى الاعتبار المصالح السياسية قد عمل على تفاقم المشكلات السابقة بدون معرفة سبب انحرافهم عن الأفكار العامة والانخراط فى الأعمال المعادية للأمن ، كما أن إطلاق سراح هذا النوع من السجناء ينبغى أن يتم فى إطار المصالح السياسية للمملكة وفى مقابل امتيازات مهمة» .

(ع) « وينبغى بالضرورة أن تصدر كل خطوات الحكومة ليس من منطلق الضعف بل من منطلق القوة من أجل المصالح القومية والشعبية ، فلا تكون هذه الخطوات ضريبة تعطى مقابل أعمال الضغط من جانب المعارضين ، وأن تضع العناصر المعارضة كل إجراء تتخذه الحكومة فى رصيد أعمال هذه العناصر ونشاطها ، وفى هذا المجال ينبغى أن يوجَّه الاهتمام إلى دراسة علم نفس الشعب الإيرانى الذى يتطلع إلى قوة صالحة وسليمة » .

وبنظرة عامة إلى الاقتراحات المذكورة يمكن أن ندرك مدى القلق والخوف من جانب السافاك فى شأن الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمع .

ولكن الساڤاك ومحلليه لم يفهما حقيقة النداء الثورى لشعب إيران المسلم ، وكانوا يظنون أن المشكلات واستياءات الشعب أساسها الاقتصاد ؛ لذلك فإن أكثر الاقتراحات التى طُرِحت كانت فى سبيل تحسين الأوضاع الاقتصادية للدولة .

ومن ناحية أخرى فإن الساڤاك باتِّباعه أمورا مثل التعذيب واعتقال السجناء السياسيين فى السجون - الأمر الذى كان له نتيجة عكسية لسنوات طوال ، وقد كان أحد أدلة الاستياء الشعبى - كان يظن أنه يمكنه بذلك السيطرة على الأوضاع ، ولكن مسار الثورة الإسلامية يشير إلى أن الحكم العسكرى أو الدولة العسكرية لم تستطيع أن تسيطر على الأوضاع ، وأن النظام البائس للشاه قد حُكم عليه بالزوال والتدهور .

٧ - طلب المعونة من الحكومة العسكرية :

وفى النصف الأول من شهر أكتوبر شلت حركة الاعتراض والاعتصام حكومة شريف إمامى ، والشاه الذى كان يرى أن بقاءه واستمراره فى زيادة التصفية والابتعاد عن طريق الحلول السياسية أعلن فى الخامس من أكتوبر من الشهر نفسه فى خطاب له بالتلفزيون نبأ تشكيل الحكومة العسكرية فى رسالة موجهة إلى الشعب ، واعترف بالأخطاء فى السنوات السابقة وذكر الشاه : أنه سمع رسالة ثورة الشعب وأقسم مرة ثانية وتعهد أن لا تتكرر الأخطاء والتجاوزات غير القانونية والظلم والفساد ، وأنه يؤازر ما ضحى الشعب الإيرانى من أجله ، واعتبر الشاه أن الحكومة العسكرية حكومة مؤقتة .

وذكر إثر إعلان الحكومة العسكرية أنها حكومة شعبية ولكنها فى الحقيقة كانت غير ذلك ، وقد وضح الساڤاك هذه الحقيقة فى تقرير موجه إلى مراكزه قائلاً : إن الشاه أصدر قرار الحكومة العسكرية حتى يقوم الجيش بتهدئة الأوضاع وسحق أى نوع من الحركات [٤٥٧] .

٨ - الساڤاك واللجوء إلى المظاهرات الموالية لنظام الحكم :

سعى الساڤاك ومراكزه الأخرى المرتبطة بالنظام البهلوى إلى التفكير فى القيام بأعمال مسرحية تؤيد حركة النظام هذه وذلك بعد إعلان حكومة (ازهارى) العسكرية .

وفى البرنامج الذى وضعه السافاك خطط جيداً للقضاء على أى نوع من المظاهرات وطلب من مراكزه المختلفة:

« فى ظل الظروف الحالية يتحتم على العناصر المحبة للوطن والشاه أن تمنع المظاهرات الشعبية والوطنية فى المناطق المختلفة للبلاد ، وإذا لم تستطع ذلك فإن الاهتمام بالموضوعات التالية ضرورى وحتمى :

١ - لا يجب أن تتجه هذه المظاهرات من قبل المعارضين إلى الانتقام والسلب والنهب والتخريب وإشعال النار والضرب أو الجرح ، وينبغى على المظاهرات الوطنية أن تراعى الأوامر السابقة فى هدوء لكى تحظى بثقة الشعب .

٢ - لابد أن تكون المظاهرات الشعبية والوطنية فى شأن الشخص الأول فى المملكة ، وينبغى على الشخصيات الشعبية الموجودة والقادة والحكام المحليين وسائر الشرائح ممن يرتدون الزى المنظم - المحافظة على النظام والسير فى هذه المسيرات فى هدوء تام ، وذلك أثناء التجمع فى هذه المسيرات [٤٥٨] ، كما أنه يمكن اصطحاب رجال الدين فى هذه المظاهرات ، ومن ثم سيكون لذلك أثر فعال» .

وهدف النظام من وراء هذه المظاهرات هو استقطاب الشعب وتحقيق الاستقرار فى ظل الحكومة العسكرية ، ولكن السافاك فى اليوم التالى يطلب فى أمر له إلى المراكز التابعة له أن تُسحق المظاهرات المعادية للنظام بشكل صارم ، وهذه السياسة الثنائية للسافاك كانت تطلب فى يوم أن تستقطب الشعب فى شكل مظاهرات تؤيد الشاه وفى اليوم الثانى كانت تتجه إلى سحق مظاهرات الشعب ، ولم يصل خلال هذه السياسة إلى شىء ، وكان السافاك يرى أنه بتشكيل الحكومة العسكرية قد جدت روح جديدة فى تلك الحكومة وأنها أصبحت على أتم الاستعداد لسحق الحركة .

وكانت توصيات السافاك المركزى لسحق المظاهرات المعادية للنظام على هذا النحو :

« فى هذا الوقت الحساس فإن الدولة فى خضم منع المظاهرات المخلة والإضرابات والاضطرابات ينبغى عليها أن تقوم بذلك بشكل حاسم ؛ حتى تحول دون انتشار العمليات المذكورة .

وبهذا الشكل يجب أن تبدأ الاستعدادات على مرحلتين وفى غضون أربع وعشرين ساعة قادمة ، فى المرحلة الأولى وفى المناطق التى تكون فيها قوانين الحكومة العسكرية منفصلة عن القيادة العسكرية وسائر مناطق الدولة وتأمين الأقاليم والمحافظات يستدعى على الفور العناصر المحرضة على الإضرابات والتى يتم التعرف عليها - يستدعون إلى القيادة العسكرية ومقر شورى تأمين الأقاليم والمحافظة ، وإن لم يكونوا مستعدين يتم استقطابهم ، وأن يُستدعى باحترام الشخصيات المهمة البارزة فى المنطقة إلى القيادة العسكرية وشورى مقر الإقليم والمحافظة .

وحينما تحضر جماعتان فإنه يمكن تفسير الأعمال التحريضية لكل جماعة والوضع الحساس للمملكة والتحريضات التى تتم عن طريق العملاء الأجانب ، وفى بيان تاريخى لملك الملوك وجهه إلى الشعب الإيرانى يشير إلى أعمال كل جماعة من العناصر المحرضة لهؤلاء الأفراد ، يضاف إلى ذلك أن المرحلة الأولى هى مرحلة الخطر ، وحينما لا يكون هناك اهتمام وتستمر هذه الأعمال فسوف تتخذ إجراءات مشددة ، وفى هذه المرحلة الثانية فإن المؤسسات العسكرية والأمنية لديها الأوامر بأن تواجه المظاهرات بشكل حاسم وبعنف فتقوم بالسيطرة الكاملة عليها ، كما أن المظاهرات الشعبية والوطنية السالفة الذكر ينبغى أن تتم بنظام تام بدون أى نوع من الفوضى على النحو الذى سبق ذكره ، وأن تمنع إن لم تظهر بهذا الشكل ، وفى هذا الصدد بلغت وزارة الداخلية والمنظمات الأمنية بالتفاصيل اللازمة وقد تلقى المحافظون الأمر اللازم . (٤٥٩) طبا طبائى ١ » .

لكن أسلوب التغيرات أشار إلى عدم نفع أسلوب القوة أو الكذب ، ومع ذلك لم يخش الشعب ولم يهدأ ، وثبت أفراد الشعب على مطالبهم ، وبحلول شهر المحرم عام ١٣٩٩ هـ .ق . تابع الشعب بحماس زائد نضاله أسوة برائد الشهداء الإمام الحسين .

٩ - شهر المحرم وبرامج السافاك :

وبحلول شهر المحرم سنحت الفرصة مرة ثانية للمناضلين حتى ينشروا الثورة الإسلامية ويسعوا فى سبيل الإطاحة بالنظام وقد أصدر الإمام رسالة بمناسبة شهر

المحرم والتى هى فى الواقع وضحت الشكل العام للأنشطة ، وقد كرر فى هذه الرسالة المطلب الذى وضحه قبل السفر إلى باريس ، «ينبغى على الشاه أن يرحل فقد انتهى أمره» .

إن حركة الدعوة والحرب المعنوية ضد النظام ، والمظاهرات المتواصلة و أساليب التخطيط الأخرى قد مثلت ضغطًا على نظام الشاه ؛ مما أفقده القدرة على التخطيط والسيطرة والمواجهة مع حركة الثورة تمامًا .

ومن ناحية أخرى فإن الحكومة العسكرية ومنظمة السافاك قد بحثا منع تفاقم الأوضاع ، وبناء على هذا منعت الحكومة العسكرية عقد الاجتماعات ومجالس التعزية فى الأماكن العامة ، والتجوال فى الشوارع بدءًا من الساعة التاسعة بعد الظهر فصاعداً ، ولكن الشعب الذى استمر فى نضاله كرد فعل على هذا الحظر قد ذهب أفراده فوق أسطح منازلهم فى الليلة الأولى من شهر المحرم وهتفوا (الله أكبر) (لا إله إلا الله) بشكل جديد معبرين عن اعتراضهم (٤٦٠) .

وكان قد طلب السافاك فى منشور إلى جميع مراكزه ضمن السيطرة على الأوضاع ومواجهة أى نوع من الحركات الشعبية أن تشكل مجالس وهيئات التعزية ، لأن السافاك قد أدرك أنه لا يمكنه أن يواجه الدين عن طريق برامج غير إسلامية ، (٤٦١) لذلك وللاستفادة من عامل الدين وتنظيم مجالس التعزية ، تلك المجالس التى شارك فيها مسئولو الدولة والجيش حتى يستطيع أن يستقطب النظام الشعب وأن يمنع أولئك من إعلان معارضتهم للنظام .

وبحلول مناسبة تاسوعاء وعاشوراء قلت الصراعات المتكررة كما قللت الحكومة العسكرية من شدة ضغوطها وصلفها ، ومن أجل إثبات حسن نيتها أطلق النظام سراح سنجابى فروهر و سبعة وثلاثين شخصًا من السجناء السياسيين ، وتُركت المظاهرات لمدة يومين هما (تاسوعاء، وعاشوراء) ، وكذلك رفعت القيود عن حركة الشعب فى القسم الجنوبى من مدينة طهران (٤٦٢)، وفى الوقت نفسه فإن القيادة العسكرية فى طهران والسافاك قد طالبا بالسيطرة على الأوضاع وإنجاز إجراءات المراقبة والإشراف الدقيقين مع إرسال المنشورات إلى مراكزهما. والقوى الأمنية (٤٦٣) والسافاك الذى لم يجن ثمرة من وراء التهديد والإرهاب اتجه إلى الخديعة من أجل

الإضرار بمشاركة الشعب ورجال الدين ، وإطلاق الشائعات الكاذبة لذلك فقد نشر الشائعات في حملته على الشيوعيين ، وإرهاب الشخصيات المذهبية وزعماء رجال الدين ، وقد ورد في هذا البرنامج :

«من الشائع أن الشيوعيين يرهبون الشخصيات الدينية والمعارضين أثناء مراسم التعزية في تاسوعاء ، وعاشوراء .

وهم يحمّلون الحكومة مسئولية ذلك ، ولتأمروا حتى يعلم بذلك جميع السادة الذين يقومون بهذا الدور وليقوموا بالمراقبة الكاملة من أجل المحافظة على أرواحهم وأن تذاع الشائعات غير المباشرة في المدينة .

طباطبائى ٣» (٤٦٤)

ولكن على الرغم من جميع تدابير الساڤاك والقيادة العسكرية فإن مسيرة تاسوعاء وعاشوراء قد تمت في نظام وانضباط و انسجام لا نظير له ، وقد جعلت هذه المظاهرات معارضي النظام متحدين أكثر من ذي قبل ، ومن ناحية أخرى قد أدت إلى هزيمة الحكومة العسكرية وأظهرت عجزها عن إدارة المملكة .

كما أن المسيرات الهادئة والموفقة في تاسوعاء وعاشوراء والأحداث التي وقعت أثناء ذلك قد جعلت النظام والأجهزة الأمنية للشاه في اضطراب ، والساڤاك الذي كان قد وصل إلى آخر المطاف قد حاول أن يحمل الشعب وحركة إصلاح الشعب المسلم الشائعات المبتذلة والمغرضة غافلاً عن أن نشر الشائعات بين الشعب الذي حضر أفراده في المظاهرات لن يجدي سوى فضيحة عامليه ، وكان ساڤاك طهران قد طلب في أمر إلى مراكز الساڤاك التابعة له :

« لتأمروا أن يشيع الموظفون والعاملون على مستوى مدينة طهران الموضوعات التالية :

١ ـ أن الشعب غير مستريح أو راضٍ عن طريقة التعزية في شأن مناسبة عاشوراء الحسين .

٢ ـ يوجد أخبار موثقة تفيد أن الأوضاع المضطربة السابقة لن تتكرر .

٣ ـ يسعى الشيوعيون أن يثيروا الاضطرابات باسم المسلمين ، وخوفًا من انتشار الإسلام يقومون بأعمال تخريبية » [٤٦٥] .

لقد أذاع السافاك فى طهران والمراكز الأخرى التابعة له بيانات عديدة على مستوى المدينة فى سبيل تحقيق أهدافه ، وكان قد أرسل بعض البيانات إلى بعض الأفراد عن طريق صندوق البريد [٤٦٦] ، ومع وجود حيل السافاك هذه ومع التشدد فى أنشطة الحكومة العسكرية انتشرت الإضرابات والمسيرات فى المدن المختلفة من الدولة، حتى إن تشكيل الحكومة تحت مسمى الحكومة الوطنية لم ينه المشكلة ، حتى سقط نظام الشاه المتذبذب فى يناير من عام ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م)، وأسست الجمهورية الإسلامية الإيرانية بزعامة الإمام الخمينى (و).

١٠ –تفكك السافاك :

والسافاك تلك المنظمة التى كان يعتبرها الشاه عينه التى يرى بها وأذنه التى يسمع بها قد أصابه الشلل، وفقد دوره مع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، وتحطم بين الناس جدار الوهم والخوف من السافاك، ولم يعد للسافاك أية قيمة ، وكان أحد مطالب الشعب فى تلك الأيام هو حل السافاك ، وقد اعتبرت حكومة شريف إمامى أن حل السافاك من بين إصلاحاته وبرامجه .

وتحدث الشاه ضمن رده عن قوة السافاك وعظمته ، إذ كان يعتبر الشاهُ السافاك الأخطبوط الذى له عدة أرجل : وتشكل أرجل تلك المؤسسة الاخطبوطية وهى سيا ، والموساد ، وكى جى بى ، اينتلجنس سرويس أو (مؤسسة الاستخبارات) ، وكل من يلمس هذا الأخطبوط ، فقد أسلم رأسه له حتى أنا ملك إيران [٤٦٧] .

لقد تم حل السافاك ثانية فى حكومة الدكتور شابور بختيار الذى انتهج أسلوب خداع الرأى العام ، لذلك فإن شابور بختيار فى اليوم الرابع من يناير عام ١٣٥٧ ش = ١٩٧٨ م . قد قدم لائحة حل السافاك إلى المجلس [٤٦٨] لعله يمكنه أن يخرج الحقد والخوف اللذين بثهما السافاك لمدة اثنين وعشرين عاما من الخيانة وسفك الدماء واستشهاد آلاف الإيرانيين المسلمين – من قلوب أفراد الشعب الإيرانى ، وقد وصلت اللائحة المذكورة لاعتمادها من قبل مجلس شورى الشعب ومجلس الشيوخ ، ولكن

التطور السريع للثورة الإسلامية الإيرانية فى الأيام التالية بعد اعتمادها والانتصار الرائع للثورة فى ٢٢يناير قد قضى على الساڤاك مثل المنظمات والمراكز الأخرى للنظام البهلوى .

نتائج البحث :

لقد كانت منظمة الاستخبار(الساڤاك) فى الواقع الابن الشرعى للانقلاب الأمريكى فى ٢٨ يوليو ضد حكومة مصدق ، وقد أسست هذه المنظمة عام ١٩٥٦ م . فى القيادة العسكرية بطهران ، وبعد اعتماد قانون إنشائها فى العام نفسه بدأت نشاطها الفعلى فى مجلس الشيوخ وبعد ذلك فى مجلس الشورى الشعبى أى بدءا من عام ١٩٥٧ م ، وكان الهدف من تأسيس هذه المنظمة مقاومة الشيوعية وإقرار الأمن وتحقيق مركزية القوى الأمنية ، وقد جعل الساڤاك نطاق صلاحياتها أوسع من حدود القانون ، وسعى لبث الرعب والفزع وإيجاد جو من الكبت والقهر ، وتثبيت النظام الديكتاتورى للشاه ، كما سعى إلى السيطرة على رجال الدولة والموظفين والعاملين فى الإدارة وأعضاء مجلس شورى الشعب والسناتورات فى مجلس الشيوخ والأحزاب الحكومية ، كما منع رسوخ القوى المعارضة للنظام فى كيان الحكومة وقتل كل معارضة فى مهدها ، وسعى الساڤاك بوسائل عديدة إلى التدخل فى الإجراءات وتخطيط البرامج التى يسيطر عليها رؤساء المنظمات وممثلو المجلس والسناتورات وأيضًا الأحزاب الحكومية ؛ ولهذا السبب كان يسعى إلى تعيين الأشخاص الذين يرضى عنهم فى الوظائف القيادية فى الوزارات والمؤسسات .

ومع سيطرة الساڤاك على وسائل الإعلام ومن بينها الإذاعة والتلفزيون والصحف والسيطرة كذلك على طباعة الكتاب والرأى العام بما يكون فيه مصلحة النظام ، ولهذا السبب سيطرت حركة المراقبة الشديدة على الأعمال والمؤلفات ، ومن هنا فإن النتاج الثقافى أصبح حكوميا أكثر من ذى قبل . ومن ناحية أخرى تكفل الساڤاك بسحق الجماعات المعارضة ، ووفقا لسياسات النظام والشاه كان الساڤاك يستخدم لكل جماعة من تلك الجماعات الوسيلة الخاصة التى تناسبها ، وكانت تعد القوى اليسارية وحزب توده منذ بداية تأسيس الساڤاك أهم الجماعات المعارضة للنظام ، ولاشك أنه قبل تأسيس الساڤاك كانت حكومة الانقلاب العسكرى والقيادة العسكرية فى طهران

برئاسة تيمور بختيار كانتا تقاومان تلك الجماعات ، وبإلقاء القبض على عدد كبير من أعضاء حزب توده وكشف النقاب عن المنظمة العسكرية لحزب توده أصاب تلك الجماعات ضربات قاصمة .

وقام السافاك بعد تأسيسه بسحق الأفراد المتبقين من هذه الجماعة ، وبهذا الشكل توقفت أنشطة حزب توده والقوى اليسارية في إيران ، حتى أن أولئك في عامي ١٣٥٦ و ١٣٥٧ ش = ١٩٧٧ و ١٩٧٨ م . أي الوقت الذي قامت فيه الجماعات السياسية الأخرى بمعارضة واضحة للنظام لم يقوموا بأي نشاط ، ولا شك أنه في العقدين ١٣٤٠ و ١٣٥٠ ش = ١٩٦١ و ١٩٧١م . نرى عدة جماعات مناضلة ممن تعتنق الأفكار الماوية الصينية واليسارية قاموا بكفاح مسلح ضد النظام .

وقام السافاك بسحق جميع القوى التي لم يطق الصبر على هذا النوع من أنشطتها ؛ لذلك لم تنجح أية جماعة من تلك الجماعات المسلحة في القيام بكفاح شامل وشعبي .

وكانت تعتبر الجبهة الشعبية والعناصر القومية الجماعة المعارضة الثانية للنظام ، وكانت سياسة السافاك تقوم على مقاومة هذه الجماعة من خلال السيطرة عليها ومراقبة أنشطتها ، حتى جاء الوقت الذي اختفت أنشطتها الفعالة تمامًا ، ولم يعد السافاك يشعر بالخطر من ناحيتها وكان يكتفي فقط بمراقبتها والسيطرة عليها أيضًا ، ولكن حينما كان يقوم أعضاء هذه الجماعات ببدء الأنشطة كان يمنعها ويقوم بإلقاء القبض عليهم والزج بهم في السجون ، خاصة الزعماء والأفراد المبرزين في هذه الجماعات ؛ حتى يمنع أنشطتها .

وكان رجال الدين وعلى رأسهم الإمام الخميني من بين الجماعات المعارضة للنظام التي قامت عقب أحداث محافل المحافظة والإقليم في أوائل ١٩٦١ م بمعارضة علنية للنظام وسياسات الشاه ، ومع زيادة معارضة النظام كُلف السافاك بمنعها من مواصلة أنشطتها حتى إن أنشطة رجال الدين المعادية للنظام قد أخافت النظام إلى حد كبير بسبب المكانة السامية المترسخة لدى الشعب والتي يتمتعون بها ، لذلك فإن السافاك سعى بكل الوسائل - من قبيل ترغيب رجال الدين ومساندة المؤيدين وإضعاف المعارضين منهم والسيطرة على المؤسسات المذهبية - سعى إلى منع أنشطتهم .

والسافاك الذى يعلم بنفوذهم بين الشعب كان يحاول أن يمنع أعمال العنف ، وحينما كان يُخفق فإنه يمنعهم بشتى الوسائل ، بمنعهم من اعتلاء المنابر والنفى والزج فى السجون ، وذلك بسبب معارضتهم العلنية .

وقد أفزع الإمامُ الخمينى النظامَ بمعارضته الصريحة والواضحة حتى وصل الأمر إلى أن النظام نفى الإمام بواسطة السافاك خارج البلاد ، وبعد ذلك وضع أنصاره تحت السيطرة والمراقبة .

واستطاع السافاك حتى أواسط عام ١٩٧٧ م بسياساته المتعددة ضد المعارضين والسيطرة على الموظفين والعاملين - أن يحافظ على استمرار حكم النظام البهلوى ، ومن ثم فإن الفرضية التى وضعناها موضع البحث قد تأكدت ، وهى الفرضية التى تبين أن السافاك مع اتباع كل وسائل التعذيب الجسمانية والنفسية مع المعارضين ونشر الشائعات المغرضة والكاذبة لفرض جو من الكبت والإرهاب بين الناس من ناحية ، وملاحقة القوى السياسية والمذهبية المعارضة وسحقها من ناحية أخرى ، وأيضا السيطرة على الموظفين وممثلى المجلسين سيطرة محكمة ، كل ذلك كان نوعًا من الأمن الظاهرى الكاذب ، قد استطاع حتى خريف ١٣٥٦ (١٩٧٧م) فترة اشتعال الثورة الإسلامية - استطاع السافاك فقط أن يحفظ الحكم البهلوى الديكتاتورى ، ولكن مع تزايد الاعتراضات الشعبية وخاصة فى اشتعال الحركة الوطنية الدينية للإمام الخمينى ، لم يعد بمقدور السافاك أن يساعد النظام فى شىء .

وعلى النقيض من برامجه فإن السافاك قد انسحب من مسرح الأحداث قبل عام ١٩٧٧ م بسنوات ، أى فى أيام انتشار الحركة الشعبية وانتصار الثورة الإسلامية بالفعل ، ولم يشاهد له ، أى نشاط فعال فى سحق المقاومة منذ انتصار الثورة ، حتى إن محللى معلومات السافاك والخبراء التابعين له لم يستطيعوا بطرحهم أن يمنعوا تنامى تطور الثورة الإسلامية فى الوقت المناسب .

هوامش الأصل الفارسي

(١) كريستين دلانوا: ساواك، ترجمة: عبد الحسين نيك كوهر، طرح نو، تهران، ، ١٣٧١ ص ١٢ .

(٢) اسماعيل رائين: حقوق بكيران انكليس در ايران، سازمان انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٥٦، ص ٢٢٩ .

(٣) مكي، حسين: أمير كبير، تهران، بنكاه نشر كتاب، ١٣٧٠، صص ١٢٩ – ١٢٨، ونيز ر.ك: معتضد، خسرو: بليس سياسي عصر بيست ساله، انتشارات جانزاده، تهران،١٣٦١، ص ٢٨.

(٤) معتضد: خسرو، نفس الصفحة.

(٥) كاوه جبلي، عليرضا: سياست خارجي أمير كبير، انتشارات جويا، تهران، ١٣٧١، ص ٨٢

(٦) نفسه ، ص ٨١ .

(٧) سيفي قمي تفرشي، مرتضى: نظم ونظميه در دوران قاجار، يساولي، تهران، ١٣٦٢ ص ١٩٢ .

(٨) معتضد: خسرو، نفسه ، ص ٤٩ .

(٩) نفسه ، ص ٥١ – ٥٣ .

(١٠) نفسه، ص ٥٩ .

(١١) فردوست، حسين: ظهور وسقوط سلطنت بهلوى، اطلاعات، تهران، ١٣٧٠، جلد اول، ص ٨٠ .

(١٢) معتضد: خسرو، نفسه ، ص ٥٩ .

(١٣) سيفي قمي تفرشي، مرتضى: بليس خفيه إيران ١٣٢٠– ١٢٩٩، ققنوس، تهران، ١٣٦٨، ص ١٠٩ .

(١٤) نفسه، ص ١١٢ .

(١٥) در مورد زندكى وفعاليت هاى رؤساى نظميه ر.ك: معتضد، خسرو: نفس المرجع وسيفي قمي تفرشي، مرتضى: نفسه .

(١٦) براى اطلاع از زندكى آيرم علاوه بر منابع بالا ر.ك: خواجه نورى، ابراهيم: بازيكران عصر طلايى، جابخانه سبهر، تهران، ١٣٧٠ .

(١٧) طلوعي، محمود: بازيكران عصر بهلوى از فروغي تا فردوست، نشر علم، تهران، ٢٧٣١، جلد دوم، ص ٩٧٥ .

(١٨) نفسه ، صص ٩٧٨–٩٧٩ .

(١٩) فردوست، حسين: الصفحة نفسها ، ٨٠ .

(۲۰) نفسه ، ص ۳۳۰ .

(۲۱) نفسه ، ص ۸۰ .

(۲۲) أ. طلوعی، محمود: نفسه ، صص ۹۸۱-۹۸۲

(۲۳) نفسه ، ص ۹۸۲ .

(٢٤) مکی، حسین: سالهای نهضت ملـی (کتـاب سیـاه)، تهـران، انتشارات علمی، ۱۳۷۰ جلد ششم، ص ۸۸ .

(۲٥) استدراکات مجموعه ای از مکتوبات و بیامهای آیت الله کاشانی، کرداوری: م. دهنوی، جابخش، تهران، ١٣٦٣ ج٥ ص ٢٦٢ .

(٢٦) قانون امنیت اجتماعی مصدق، ضمیمه شماره (۱) .

(۲۷) مکی، حسین: نفسه، ص ۹۸ .

(۲۸) نفسه ، ص ۹۳ .

(۲۹) کازیوروسکی، ج. مارك: دیبلماسی آمریکا و ایران، جمشید زنکنه، مؤسسه خدمات فرهنکی رسا، تهران، ۱۳۷۱ ص ۲۰۰ .

(۳۰) افراسیابی، بهرام: ایران و تاریخ، تهران انتشارات زرین، ١٣٦١، ص١٥ .

(۳۱) نفسه

(۳۲) أ . فردوست، حسین: نفس ، ص ۳۸۲ .

(۳۳) هلیدی، فرد: دیکتاتوری و توسعه سرمایه داری در ایران فضل الله نیك آئین، امیر کبیر، تهران، ۱۳٥۸، ص ۸٥ .

(٣٤) عاقلی، باقر: نخست وزیران ایران،...، انتشارات جاویدان، تهران، ۱۳۷۰، صص ٨٦٠-٨٦١ .

(۳٥) نفسه ، صص ۱۰۲۸ - ۱۰۳۷ .

(٣٦) فردوست حسین : نفس صص ۳۰۰-۳۰۱ .

(۳۷) إيران در بند (اسناد لانه جاسوسی آمریکا) ، ترجمه وتنظیم : دانشجویان مسلمان بیرو خط امام ، تهران، مرکز نشر اسناد لانه جاسوسی آمـریکا ، ١٢٦٩ ، ص۲۹ ، سند شـماره ۲- " امنیت وحکومت در ایران " .

(۳۸) فردوست حسین : نفس صص ۳۲۰ - ۳۲۱ .

(۳۹) افراسیابی ، بهرام : ایران وتاریخ ، انتشارات زرین، تهران، ١٣٦٤ص ١٨ .

(٤٠) بیل،جیمز. ا: شیرو عقاب ، ترجمه : برلیان، فروزنده ، نشر فاخته ، تهران ، ۱۳۷۱ص ١٤٢

(٤١) نفس الصفحة .

(٤٢) نفسه الصفحة.

(٤٣) خاطرات نور الدین کیانوری ، انتشارات اطلاعات ، تهران ، ۱۳۷۱ ، صص ۳۳٥ - ٣٣٦ .

(٤٤) منصوری ، جواد : سیر تکوینی انقلاب اسلامی ، دفتر مطالعات سیاسی وبین المللی، تهران ،

۱۳۵۷، صص ۱۰۹ – ۱۱۰ .

(٤٥) بيل، جيمز : شير و عقاب ، ص ١٤٢ .

(٤٦) السابق ، صص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٤٧) خسرو شاهي ، سيد هادي اسلام، مؤسسه اطلاعات، تهران، ١٣٧٥ .

(٤٨) خوش نيت، سيد حسين : سيد مجتبى نواب صفوى ، انديشه ها ، مبارزات وشهادت او ، انتشارات منشور برادري، تهران، ١٣٦ – ١٩٣ .

(٤٩) كازيوروسكى، ج . مارك : ديبلماس آمريكا وايران ، ترجمه: جمشيد زنكنه، مؤسسه خدمات فرهنكى رسا تهران ، ١٣٧١، ص ٢٥٧ .

(٥٠) سفرى، محمد على : قلم وسياست (٢)، نشر نامك ، تهران، ١٣٧٣، صص ٢٨٦ – ٢٥٧ .

(٥١) منكرات مجلس سنا ، جلسه ٢٠٧، اظهارات خواجه نورى (سناتور) .

(٥٢) الصفحة السابقة نفسها .

(٥٣) منكرات مجلس سنا ، نفسه ، اظهارات كلشائيان وزير دادكسترى .

(٥٤) منكرات مجلس سنا ، نفسه، اظهارات سبهبد امير احمدى .

(٥٥) منكرات مجلس سنا ، نفسه، اظهارات جمال امامى (سناتور) .

(٥٦) منكرات مجلس سنا ، نفسه، اظهارات سرلكشر وثوق (وزير جنك) .

(٥٧) منكرات مجلس سنا ، جلسه ١٢٢، اظهارات خواجه نورى .

(٥٨) الصفحة نفسها .

(٥٩) الصفحة نفسها .

(٦٠) منكرات مجلس سنا ، نفس، اظهارات مامقانى (سناتور) .

(٦١) الصفحة نفسها .

(٦٢) افرسيابى، بهرام : ايران وتاريخ، انتشارات زرين، تهران، ١٣٦٤ ، ص ٥٢ .

(٦٣) قانون تشكيل ساواك ، ماده اول ، ضميمه دو .

(٦٤) منصورى، جواد: سير تكوينى انقلاب اسلامى ، دفتر اسلامى ، دفتر مطالعات سياسى وبين المللى، تهران، ١٣٧٥، ص ١١٩ .

(٦٥) بهلوى، محمد رضا :باسخ به تاريخ، ترجمه: حسين ابو ترابيان ، تهران ، ١٣٧١ ص ٣٣٧ .

(٦٦) نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٦٧) افراسيابى ، بهرام : نفسه، ص ٥٣ .

(٦٨) نفسه ، ص ٥٠ .

(٦٩) نفسه ، ص ٥٤ .

(٧٠) منكرات مجلس سنا ، اظهارات وزير كشور " علم" ، جلسه ٢٠٧ .

(٧١) مذكرات مجلس سنا ، اظهارات وزير دادكسترى "كلشائيان" جلسه ٢٠٧ .

(٧٢) لاينك ، ماركات : مصاحبه باشاه، اردشير روشنكر، نشر البرز، تهران، ١٣٧١ص ٢٩٢ .

(٧٣) فردوست، حسين : ظهور وسقوط سلطنت بهلوى ،اطلاعات، ١٣٧٠، تهران، جلد اول ، ص ٣٨٢ .

(٧٤) نفسه ، ص ٣٨٣ .

(٧٥) كازيوروسكى، ج مارك : ديبلماسى آمريكا وايران ، ترجمه، : جمشيد زنكنه، مؤسسه خدمات فرهنكى رسا، تهران، ١٣٧١ص ٢٥٧ .

(٧٦) فردوست: نفس ص ٣٨٢ .

(٧٧) هليدى، فرد: ديكتاتورى وتوسعه سر مايه دارى در ايران، نيك آيين ، فضل الله، امير كبير، تهران، ١٣٥٨ص٩٠ .

(٧٨) كازيوروسكى :نفس منبع، صصص٢٥– ٢٥٧ .

(٧٩) دلانوا، كريستين: ساوك ترجمه: عبد الحسين نيك كهر، طرح نو ، تهران، ١٣٧١ص ٢٢٢ .

(٨٠) كازيوروسكى ، ص ٢٥٧ .

(٨١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٨٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٨٣) هليدى ، فرد: ديكتاتورى وتوسعه ...، ص ٩٥ .

(٨٤) دلانوا كريستين : نفس، ص ص٢٢–٢٢٨ .

(٨٥) كازيوروسكى :نفس،ص ٢٥٨ .

(٨٦) حسين فردوست: نفس ، ص٣٧٢ .

(٨٧) نفس ص . .

(٨٨) اسناد لانه جاسوسى آمريكا ، به كوشش: دانشجويان بيرو خط امام ، مركز نشر اسناد لانه جاسوسى آمريكا، تهران، بى تا ، جلسه ١١، سند شماره ٢ ص ٥٨ .

(٨٩) De Facto .

(٩٠) آرشيو مركز اسناد انقلاب إسلامى : سند شماره ٢٣٠٢٥ / ٧٣٤ – ١١/٥/ ٥٢، ترجمه مقاله "لومونه" تحت عنوان: "التفاوض السرى الحميم بين إيران وإسرائيل" .

(٩١) الصفحة نفسها .

(٩٢) كازيوروسكى : ديبلماسى آمريكا وايران ص٢٧١ .

(٩٣) كريستين دلانوا: ساواك، ص ٢٣٥ .

(٩٤) كُلف فردوست ، حسين من قبل الشاه فى عام ١٩٦١ م بإصلاح جهاز السافاك وعُين بعد ذلك فى عام ١٩٧١ م فى وظيفه القائم مقام فى جهاز السافاك .

(٩٥) فردوست ، حسين : ظهور وسقوط سلطنت بهلوى ، انتشارات اطلاعات ، تهران ، ١٣٧٠، ص ٤٣٠ .

(۹٦) نفسه ، صص ٤٣٢- ٤٣٠ .

(۹۷) معاونت بررسیهای استراتژیک ، ساواک، بی جا، بی تا ، ص ۱۲ .

(۹۸) نفسه ، ص ١٤ .

(۹۹) فردوست. نفس ، ص ٤٥١ .

(۱۰۰) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان منبع ، ص ١٥ .

(۱۰۱) فردوست: نفس المصدر ، صص ع٤٣-٤٣٥ .

(۱۰۲) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، ص ١٥ .

(۱۰۳) فردوست: نفس ، ص٤٦٠ .

(۱۰٤) نفسه ، صص ٤٦ - ٤٦ .

(۱۰٥) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، ص ١٦ .

(۱۰٦) نفسه ،ص١٧ .

(۱۰۷) نفسه ، ١٨ .

(۱۰۸) نفسه ،ص ١٩-١٨ .

(۱۰۹) نفسه ، صص ٢٤ - ٣٣ .

(۱۱۰) این کمیته جزو ادارات ساواک نمی باشد ولی به علت نقش مؤثر ساواک - خصوصا اداره کل سوم-بخش مستقلی به آن اختصاص داده شد.

(۱۱۱) دلانوا، کریستین: ساواک، ص ١٧٦ .

(۱۱۲) نفسه ، صص ١٧٧- ١٧٦ .

(۱۱۳) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، ص ٣٢ .

(۱۱٤) نفسه، ص ٣٣ .

(۱۱٥) نفسه .

(۱۱٦) نفسه، صص ٣٥-٣٦ .

(۱۱۷) فردوست: نفس ،ص٤٣٦ .

(۱۱۸) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، ص ٣٨ .

(۱۱۹) فردوست: نفس، ص١ - ٤٦ .

(۱۲۰) کان وزارة الاستخبارات فی ذلك الوقت قسماً من وزارة الإعلام الحالية .

(۱۲۱) فردوست : نفس ، ص ٢ - ٥٦ .

(۱۲۲) معاونت بررسیهای استراتژیک ر، نفس، ص ٤١ .

(۱۲۳) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، صص٤١ -٤٢ .

(۱۲٤) نفسه ،ص ٤٣ .

(۱۲۵) فردوست ظهور وسقوط...، ص ٤٣٢ .

(۱۲٦) نفسه .

(۱۲۷) معاونت بررسیهای استراتژیک ، همان، ص ٤٧ .

(۱۲۸) فردوست ، مرجع سابق ، ص ٤٣٢ .

(۱۲۹) مدنی و سید جلال الدین : تاریخ سیاسی معاصر ایران ، دفتر انتشارات اسلامی ، قم، ۹ – ۱۳٦ ، جلد دوم ، صص۲۱۷ – ۲۱۹ .

(۱۳۰) مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، ملف عباسعلی خلعتبری در محکمة الثورة .

(۱۳۱) کنفدراسیون جهانی محصلین و ادانشجویان ایران ، باراه ای از اسناد ساواک، انتشارات امیرکبیر ، تهران، ۱۳۵۷، صص ٤ – ۱۲ .

(۱۳۲) رفیع زاده، منصور : مذکرات منصور رفیع زاده، آخرین رئیس شعبه ساواک در آمریکا ،اصغر کرشاسبی، اهل قلم ،تهران ، ۱۳۷٦، ص ۲۵۲ .

(۱۳۳) لانیک ، مارکارت: مصاحبه باشاه ، اردشیر روشنکر ، نشر البرز، تهران، ۱۳۷۱ص ۱۳۳ .

(۱۳٤) السابق نفسه .

(۱۳۵) هلیدی ، فرد: دیکتاتوری وتوسعه سرمایه داری در ایران ، فضل الله نیکآئین، امیر کبیر ، تهران ، ۱۳٦۸ص۸۸ .

(۱۳٦) زوینس، ماروین، شکست ساهانه، اسمعیل زند و بتول سعید، نشر نور، تهران، ۱۳۷۰، ص ع۱۳ .

(۱۳۷) هلیدی ، فرد ، نفس .

(۱۳۸) بهلوی ، محمد رضا : إجابة للتاریخ ، حسین ابو ترابیان، مترجم ، تهران ، ۱۳۷۱، ص ۳۳۷ .

(۱۳۹) نفسه .

(۱٤۰) نفسه، ص ۳۳۸ .

(۱٤۱) نفسه ، ص ۳۳۹ .

(۱٤۲) قانون تشکیل ساواک ، ماده اول .

(۱٤۳) عاقلی ، باقر: یادداشت های شخصی در مورد ساواک و نقش آن در سیاستهای داخلی، ص٤ .

(۱٤٤) نفس ص ٥ .

(۱٤٥) بهلوی ، محمد رضا : نفس، ص ٣٤ .

(۱٤٦) نفسه .

(۱٤۷) دلانوا ، کریستین : الساڤاك ص ۲۵۵ .

(۱٤۸) نراقی، احسان:از کاخ شاه تا زندان اوین ، آذری، سعید ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ،

تهران ،١٣٧٢، ص ٣٩ .

(١٤٩) علم، امير اسد الله : كفتكوى من باشاه (خاطرات محرمانه امير اسد الله علم)، ترجمه : كروه مترجمان انتشارات طرح نو ، تهران ، طرح نو ، ١٣٧١، جلد اول ، ص ١٧ .

(١٥٠) نفس ، ص ٢٤٨ .

(١٥١) نفس ، ص ٢٤٩ .

(١٥٢) رك: ازكاخ شاه تا زندان اوين، ص ع ١٣٧٣١٦ .

(١٥٣) رك: نفس ص ٣١٧ .

(١٥٤) رك: نفس،ص ٣٢٠ .

(١٥٥) ظهور و سقوط سلطنت پهلوى ، جلد دوم مذكرات فردوست ، ص ٣٧٣ .

(١٥٦) عاقلى ، باقر: مذكرات شخصية فى شأن الساڤاك ودوره فى السياسات، ص٤ .

(١٥٧) رك: ايران در بند ، ترجمه وتنظيم دانشويان مسلمان پيرو خط امام ، تهران ، مركز نشر اسناد لانه جاسوسى آمريكا ، ١٣٦٩، ص٣٥ .

(١٥٨) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى ، پرونده ناصر مقدم در دادكاه انقلاب اسلامى ، ص ١٢٨ .

(١٥٩) دكتر امينى در خاطرات خود اين مطلب رارد كرده است. (خاطرات على امينى ، ص ١٣٣-١٣١) .

(١٦٠) رك : ظهور السلطة البهلوية وسقوطها ، جلد٢ص ٣١٤ .

(١٦١) رك : خاطرات على امينى ، به كوشش حبيب لاجوردى، نشر كفتار، تهران، ١٣٧٦ص ١٢٩ .

(١٦٢) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى: ملف التجاوزات المالية للساڤاك ، ص ٢٧٨ .

(١٦٣) دوانى، على نهضت روحانيون ايران ، بنياد فرهنكى امام رضا (ع) ، تهران، بى تا، جلد ششم، به نقل از كيهان، ٧ ارديبهشت ١٣٥٩ .

(١٦٤) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى، پرونده دولتها، جلد دوم ، صص ٦٦ – ٦٤ .

(١٦٥) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى، پرونده دولتها،' جلد دوم ، صص ٣-٩، تحقيق خاص فى شأن جلسات المقامرة لبعض الوزراء والمسؤولين للكبار فى جهاز الشرطة .

(١٦٦) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى، پرونده دولتها،' جلد دوم، ص ١٠١، ١٢/٨/ ٥١ من الساڤاك إلى رئيس الوزراء فى شأن العاملين فى الوزرات والمؤسسات الحكومية الموفدين خارج البلاد.

(١٦٧) نفسه ، ص ١٠١، از ساواك به نخست وزير ٥٥٦٣ / ٣٤٢- ٢١ / ١٢ / ٥١ .

(١٦٨) نفسه ، ٩٦ -٩٥، كزارش ٣٣/ ١٨ /هـ - ٣١ /٦/٥از ٢٢هـ به ٣٥٤ .

(١٦٩) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى، ملف عباسعلى خلعتبرى در محكمة الثورة اسلامى ، ص٧٠.

(١٧٠) الصفحة نفسها.

(١٧١) رك : نفس ،ص٨ .

(١٧٢) رك :نفس ،ص٧١ .

(١٧٣) نفس ،ص ٧٣ .

(١٧٤) نفس ،ص ٧٢ .

(١٧٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، رسالة عباسعلى خلعتبرى – وزير الشؤن الخارجية – إلى السافاك (اداره بنجم سياسى)-٤٥ /٤٨٤-١٠ /١١/ ٤٥ .

(١٧٦) رك : عاقلى، باقر، مذكرات شخصية...،ص٧.

(١٧٧) رك : عاقلى، باقر، يادداشتهاى شخصى در مورد نقش ساواك در سيلستهاى داخلى .

(١٧٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٤١٧٨٤٢- ١٩ /٦/ ٣٦ از ٣٤١ به رئيس اداره جهارم عمليات وبررسى .

(١٧٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٢٠٦٤٦٥٨/هـ ٢١ / ١٢ ٥٤/ ازساواك تهران به ٣٤١ .

(١٨٠) اسناد لانه جاسوسى آمريكا، مركز نشر اسناد لانه جاسوسى آمريكا ، تهران، بى تا ، ج٧، ص ٣٠: "نخبكان وتقسيم قدرات در ايران" فوريه ١٩٧٦ (بهمن١٣٥٤) .

(١٨١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند٥٦٥٤٤ / ٢٠ هـ٢١ -١٦ /٦/ ٦٣ از ساواك تهران

(١٨٢) رك: نخست وزيران ايران ...، سازمان انتشارات جاويدان ، تهران،صص ١٠٠٣- ١٠٠٤ .

(١٨٣) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، كزارش ٤٢ /١/ ١٥٤٢٦- ٢٩ /٦/ ١٣٥٦ از وزارت كمشور به رياست ساواك ونيزكزارشهاى ٤٢/١/١٥٥٣-٣٠ /٦/ ١٣٥٦ و ٤٢ /١/ ٥٦١١ – ٣١ /٦/ ١٣٥٦ .

(١٨٤) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند ٢٧٩١ ٣٤١/- ٢٧ /١١/ ١٣٥٤ از اداره كل سوم به رياست ساواك تهران .

(١٨٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، سند ٥٧٥٩٧ / ٢١ هـ ٢١ – ٩/٧/ ٥٦ از ساواك تهران به مدير كل اداره سوم .

(١٨٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، سند ٢٧٠٥٨- ١٧ /٥٧١/ از٣ هـ ٣ به٣٤٢ .

(١٨٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، نامهٔ ٢٣٨ / ٣٤١ – ٣/٤/ ٣٧ (١٣٥٧) .

(١٨٨) عاقلى ، باقر ؛ نخست وزيران ايران ، سازمان انتشارات جاويدان ، تهران، ١٣٧٠، صص ٨٥٦ – ٨٥٧ .

(١٨٩) همان ، ص ٩٥٩ .

(١٩٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : برونده شماره ٤١٢٠١١ ساواك به نام حزب مردم .

(١٩١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٢-٣- ٢٣٦ – ع ١ /٦/ ٣٧ .

(١٩٢) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٢-٣- ١٦٢٧ -١٥ /٤/ ٣٨ .

(١٩٣) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ١٢٢٠ /د-٢-٢/٦/ ٣٨ .

(١٩٤) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ١٣٨٠-١٩ /٧/ ١٣٢٨ من الجمعية المركزية لحزب مردم إلى الساڤاك .

(١٩٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٢٧٩٩٧-٢٠ /٧/ ٣٨ از ساواک به شهربانی

(١٩٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ١٤٩١٤ / ١٨-١٦ /٧/ ٥٦ از رئيس كميته تخصصی تربيت بدنی حزب رستاخيز ملت ايران ، محمد آهنجی به رياست ساواک .

(١٩٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ١٢١٧١٩ / ٢٠هـ ٢١ -٢٢/ ١٢ / ٥٣ از ٢٠ هـ ٢١ به ٣٤١ .

(١٩٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٦٢١٠٢ / ٢٠هـ ٢٣٢١ /٤/ ٥٤ از ٢٠ هـ ٢١ به٣٤١ .

(١٩٩) أرشيف مـركز وثـائـق الثورة الإسلامية : سند شماره ٦٣٥٢٤ / ٢٠ هـ ٢١ ٤/ ١٠ / ٥٤ از ٢٠ هـ ١٢به ٣٤١ .

(٢٠٠) أرشيف مـركـز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٦٠٦٦٤ / ٢٠ هـ٢١ ٢٣ /١١/ ٥٤ از ٢٠ هـ ٢١ به ٣٤١ .

(٢٠١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : سند شماره ٥٥٨٥٧٥ / ٢٠ هـ ٢١ ٢٨ /٣/ ٣٦ (١٣٥٦) از ٢٠ هـ٢١ به ٣٤١ .

(٢٠٢) SergGinger .

(٢٠٣) دلانوآ ، كرلايستين : الساڤاك ، ١٣٧١، ص ١٢٦ .

(٢٠٤) نفسه .

(٢٠٥) نفسه ، ص ١٣٨ .

(٢٠٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية : ملف رضا براهنی ، نامه انتشارات ابجد در مورد جاپ كتب نويسندكان بزرک كه ساواک به آنها اجازه فعاليت نمی دهد .

(٢٠٧) همان

(٢٠٨) مركز الكتاب الإيرانيين : ده شب (ليالى الشعراء والكتاب فى المركز الثقافى الإيرانى – الألمانى، به كوشش ناصر مؤذن، انتشارات امير كبير ، تهران ، صص ٢٥٢- ٢٥٤ .

(٢٠٩) رک : ايران بر شاه ، احمد فاروقی وزان لورويه، ترجمه : مهدی نراقی، امير كبير ، تهران ، ١٣٥٧، ص ١٥١ .

(٢١٠) مركز الكتاب الإيرانيين : نفس، ص . ٢٦ .

(٢١١) رک : الساڤاك ، دلانوآ ، كريستين، صص١٣٨ – ١٣٩ .

(٢١٢) نفسه ص١٣٩ .

(٢١٣) نفس الصفحة .

(٢١٤) فيوضات، ابراهيم : الحكومة فى العصر البهلوي، انتشارات جابخش ، تهران، ١٣٥٧،ص ١٤٠ .

(٢١٥) مركز الكُتّاب الإيرانيين: ده شب ، ص ٢٥٩ .

(٢١٦) سفرى، محمد على : القلم والسياسة (٢)، ص ٧٨ .

(٢١٧) عاقلى ، باقر: رؤساء الوزراد الأوَل فى إيران من مشير الدولة إلى بختيار، ص ٨٥٩ .

(٢١٨) فاروقى ، احمد ولورويه، زان : نفس ، ص ١٤٩ .

(٢١٩) مدنى، سيد جلال الدّين : التاريخ السياسى المعاصر لإيران ، صص ٧٧٦ -١٧٧ .

(٢٢٠) اسناد لانه جاسوسى آمريكا(احزاب سياسى در ايران، بخش يک) ، مركز نشر اسناد لانه جاسوسى تهران ، آمريكا ، ١٣٦٦، ج٢ص٥٥ سند شماره ٢ .

(٢٢١) فاروقى ، احمد و لورويه ، زان : ايران بر ضدّ شاه ، ص ١٤٩ .

(٢٢٢) رک : القلم والسياسة ، صص٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٢٢٣) اواخر سال ١٣٢٥ .

(٢٢٤) رك : سيرة سياسى مهندس مهدى بازركان، سعيد برزين، نشر، تهران، ص١٩ .

(٢٢٥) تحرير تاريخ شفاهى انقلاب اسلامى ايران (مجموعه برنامه داستان انقلاب از راديو بى بى سى، ٦ ، باقى، قم، نشر تفكّر، ١٣٧٣، ص١٣٣ .

(٢٢٦) نفسه ، صص ١٣٣- ١٣٤ .

(٢٢٧) برزين، سعيد: نفس ، ص١٠٠ .

(٢٢٨) نفسه ، صص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢٢٩) نراقى، حسين: من قصر الشاه إلى سجل أوين، ص٣١٤ .

(٢٣٠) براى آكاهى بيشتر از فعاليت كمونيستى ر.ك: خاطرات نورالدين كيانورى، مؤسسه تحقيقاتى و انتشاراتى ديدكاه، انتشارات اطلاعات، تهران، ١٣٧١، صص٥٠-٦٧ .

(٢٣١) كمونيزم در ايران، على زيبايى، بى جا، تهران، شهريور ١٣٢٣ .

(٢٣٢) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى: جزوه تاريخچه جنبش كمونيستى دار ايران، كد ١/ ٨٩، مؤسسه در راه نور .

(٢٣٣) الموتى، ضياء الدين: فصول من تاريخ النضال السياسى والاجتماعى الإيرانى (الحركات اليسارية)، انتشارات جابخش، تهران، ١٣٧٠، صص٣٢٨-٣٢٩ .

(٢٣٤) على زيبائى:نفس ، ص٢١٨ .

(٢٣٥) اطلاعيه توقيف حزب توده: « وفقًا للأدلة الموجودة أصبح من المسلّم به أن أعمال حزب توده الإيرانى تحدٌ من استقلال البلاد بل إنها باعثة على الاضطرابات وعدم الاستقرار وزعزعة الأمن والفساد ووفقًا للمادة (٢١) من القانون الأساسى لهيئة الوزراء وفى جلسة غير عادية مؤرخة فى الخامس عشر من شهر بهمن ١٣٢٧ ش ت ١٩٤٨ م قد تقرر فيها أن حزب توده الإيرانى وفروعه فى جميع البلاد قد تمّ حلها وذلك لارتكا بها أعمال تنافى قوانين الدولة وقد أصبح الحزب وفروعه موضع مراقبة من المسئولين المعنيين » مكتب رئيس الوزراء .

(٢٣٦) رك : تاريخ العلاقات الإيرانية الأجنبية از ١٣٠٠ تا ١٣٥٧ ،(جزوه درسى)، عبدالرضا هوشنك مهدوى ، جامعة الإمام صادق (ع) ، تهران، نيمسال اول ٧٣-٧٤، صص ٩٣-٩٤ .

(٢٣٧) رك: نفسه، ص٧٩ .

(٢٣٨) رك: الشيوعية فى إيران، صص ٦٣٦ - ٣٨٦ .

(٢٣٩) نفس ، ص ٦٥٢ .

(٢٤٠) رك: مذكرات نورالدين كيانورى، ص٣٥ .

(٢٤١) رك: محمد على سفرى، القلم والسياسة (٢)، ص٣٧٤ .

(٢٤٢) رك: احسان طبرى، كژراهه، امير كبير، تهران، ١٣٦٦ ، ص١٨٥ .

(٢٤٣) رك: الشيوعية فى ايران، ص ٧٣٦ .

(٢٤٤) طبرى، احسان : نفس ص ١٨٥ .

(٢٤٥) حديث الكاتب مع أحد موظفى الساڤاك .

(٢٤٦) براى نمونه ر.ك: مذكرات نورالدين كيانورى، صص ٣٩٦-٣٩٧ .

(٢٤٧) رك: سياسة ومؤسسة حزب تؤده من البداية حتى النهاية، مؤسسه مطالعات وپژوهشهاى سياسى، تهران، ١٣٧٥، جلد اول، ص١٥٢ .

(٢٤٨) نفس الصفحة .

(٢٤٩) كازيوروسكى، مارك. ج: ديپلماسى أمركا و شاه، ص٣٤١ .

(٢٥٠) رك: مذكرات نورالدين كيانورى، ص ٤٥٦ .

(٢٥١) نفسه ، ص٣٥٢ .

(٢٥٢) نفسه ، ص٤٧٤ و ٤٧٧ .

(٢٥٣) نجاتى، غلامرضا: التاريخ السياسى لخمسة عشرين عامًا فى إيران، مؤسسه خدمات فرهنكى رسا، تهران، ١٣٧١ ج اول، صص٣٢٠-٣٢٤ .

(٢٥٤) نفسه .

(٢٥٥) نفسه ، صص٣٢٧-٣٢٨ .

(٢٥٦) نفسه ، ص٣٢٩ .

(٢٥٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، جزوه"اطلاعاتى درباره خرابكاران"، كد١/ ١٢٢٠٠، ص٤.

(٢٥٨) براى تهيه اين قسمت، منابع و اسناد كافى - كه بتواند به خوبى برخوردهاى ساواك باگروههاى مسلح چپ كرا را تبيين كند - در دسترس نبود.

(٢٥٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، بولتن ويژه ساواك٢٢/١٠/ ٥٠ و انجام مصاحبه مطبوعاتى و راديو تلويزيونى، صص١٥-١٨ .

(٢٦٠) من أعضاء الجماعة الآخرين : عباس سوركى، على اكبر صفائى فراهانى، محمد صفارى آشتيانى، زوار زاهديان و حميد اشرف .

(٢٦١) ر.ك: الشيوعية في إيران، على زيبايي، ص ٤٠٩ باورقي .

(٢٦٢) رك: نهضت امام خميني، سيد حميد روحاني(زيارتي)، مركز وثائق الثورة الإسلامية، تهران، ١٣٧٢، ج سوم، صص٢٨٥-٢٨٧ .

(٢٦٣) رك: تاريخ بيست و بنج ساله ايران، ص٣٨٢ .

(٢٦٤) نفس ، صص٣٨١-٣٨٢ .

(٢٦٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، جزوه"اطلاعاتي درباره خرابكاران"، نفس، ص٥ .

(٢٦٦) اسناد لانه جاسوسي آمريكا(احزاب سياسي ايران، بخش دوم) مركز اسناد لانه جاسوسي آمريكا، تهران، ١٣١٧، ج سوم، ص٢٦٠، سند شماره١٩٤ .

(٢٦٧) نجاتي، غلامرضا: نفس ، ص٣٩١ .

(٢٦٨) نفسه ، ص ٣٩٢ .

(٢٦٩) نفسه ، ص ٣٩٢ .

(٢٧٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، جزوه"اطلاعاتي در مورد خرابكاران"، همان، ص٧ .

(٢٧١) نفس، صص٧-٨ .

(٢٧٢) نفس، ص١٠ .

(٢٧٣) ارشيف مركز الثورة الاسلامية ، برونده ١٢٨٥١٢ سند شماره ٨،"نُبذة تاريخية عن مجاهدي خلق في إيران"، ص٣ .

(٢٧٤) مدني، سيدجلال الدين: التاريخ السياسي المعاصر لإيران ، ج دوم، ص١٤٣ .

(٢٧٥) رك: تاريخ بيست و بنج ساله ايران، غلامرضا نجاتي، صص٢٩٧-٢٩٨ .

(٢٧٦) نفسه ، ص٤٠٠ .

(٢٧٧) نفسه ، ص٤٠٠-٤٠١ .

(٢٧٨) نفسه ، ص٤٠٠-٤٠١ .

(٢٧٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، جزوه"اطلاعاتي در مورد خرابكاران" همان، ص ٦ .

(٢٨٠) رك: سراب و كرداب، مذكرات ثلاثة أعضاء في مؤسسة المنافقين (تقديم)، مريم شهبازبور و ديكران، نشر كتيبه، تهران، ١٣٧٥، ص١٠ .

(٢٨١) رك: سير تكويني انقلاب اسلامي، منصوري، جواد، دفتر مطالعات سياسي و بين المللي، تهران، ١٣٧٥، ص ٢٦٨ .

(٢٨٢) رك: سراب و كرداب، مريم شهبازبور و ديكران، ص١٢ . سير تكويني انقلاب اسلامي، جواد منصوري، ص ٢٦٨ .

(٢٨٣) نجاتي، غلامرضا، تاريخ بيست وبنج ساله ايران، صص ٤٠٢-٤٠٤ .

(٢٨٤) شهبازبور، مريم و آخرون: نفس، ص١٤ .

(٢٨٥) منصوري، جواد: ص ٢٦٨ .

(٢٨٦) شهبازيور، مريم و آخرون : همان، صص ١٦-١٧ .

(٢٨٧) نجاتي، غلامرضا: نفسه، صص ٢٤٦ و ص٤٤٨ .

(٢٨٨) كريمي ملّه، على: تاريخ جهل ساله جبهه ملى، فصلنامه ١٥ خرداد، شماره ٢١، سال بنجم، بهار ١٣٧٠ ص ٢٧ .

(٢٨٩) مدنى، سيدجلال الدين: تاريخ سياسى معاصر ايران، ج اول، ص ٨٠ به نقل از: باختر امروز، شماره ٢٧٣ ١٠ /٤/ ١٣٢١٩ .

(٢٩٠) كريمى ملّه، على: نفس، ص ٢٩ .

(٢٩١) للتعرف على أسباب هزيمة حركة تأميم صناعة البترول .. انظر : - نجاتى، غلامرضا: تاريخ بيست و بنج ساله ايران، ج اول، فصل اول .

- كاتوزيان، همايون: مصدق و نبرد مصدق، ترجمه: احمد تدين، مؤسسه خدمات فرهنكى رسا، تهرات، ١٣٧١، ص٣٠٧ .

(٢٩٢) نجاتى، غلامرضا: نفسه، صص ١٠٤-١٠٥ .

(٢٩٣) نجاتى، غلامرضا: نفس، ص ١٤٥ .

(٢٩٤) كاتوزيان، همايون: مصدق و نبرد مصدق، ص ٢٩٤ .

(٢٩٥) مذكرات بازركان ، ٦٠ عاماً من الخدمة والمقاومة (حديث أجرى مع العقيد غلامرضا نجاتى) مؤسسه خدمات فرهنكى رسا، تهران، ١٣٧٥، ج اول ص ٣٥٥ .

(٢٩٦) كريمى ملّه، على : نفس، ص ٤٣ .

(٢٩٧) سفرى، محمد على : قلم وسياست (٢)ص ٥٢٩ .

(٢٩٨) نفسه .

(٢٩٩) اسناد لانه جاسوسى آمريكا (الأحزاب السياسية فى ، بخش دوم)، مركز نشر اسناد لانه جاسوسى آمريكا ، تهران، ٣١٦٧ جلد سوم،ص ١٠ سند شماره ٢٠ .

(٣٠٠) نفسه ص١٥، سند شماره ٢٠ .

(٣٠١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ٨٧٧٤ / ٢٠هـ ٢-٣/٦/ ٤٦ از ساواك تهران به اداره كل سوم أمنيت داخلى .

(٣٠٢) نجاتى ، غلا مرضا: تاريخ بيستو بنج ساله ايران، ص٢٤٧ .

(٣٠٣) نفس، متن نامه ، صص ٢٤٩-٢٨٧ .

(٣٠٤) نفس ص٣٣١ .

(٣٠٥) رك: احزاب سياسى ايران با مطالعه مورى نيروى سوم وجامعه سوسياليست ها، محسن مدير شانه جى، مؤسسه خدمات فرهنكى رسا، تهران ص١١٠- ١٠١ .

(٣٠٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية: تقرير السافاك بتاريخ ١١/٧/ ٤٣ درباره حزب نيروى سوم و جامعه سوسياليست هاى نهضت ملى ايران ، كد برونده ٢/ ١٢١٣٨ .

(٣٠٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، حاشيه كزارش ساواك تاريخ ١٧ /٧/ ٤٢ در تاريخ ٤٢ /٧/٣٢ .

(٣٠٨) ارشيف مركز وثاذق الثورة الاسلامية :حاشيه كزارش ساواك تاريخ ٢٢/٧/٧١ در تاريخ ٢٣ /٧/ ٤٢ .

(٣٠٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية (كزارش ساواك در تاريخ ٧/٧/ ٤٢ درباره جامعه سوسياليست هاى نهضت ملى ايران (حزب نيروى سوم) از اداره كل سوم به مقامات ساواك بهترتيب سلسله مراتب .

(٣١٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، كزارش تاريخ ٢١ /٤/ ٤٦ فى شأن خليل ملكى از بخش ٢١٣ اداره كل سوم ساواك .

(٣١١) نفس الصفحة .

(٣١٢) مدير شانه جى ، محسن: الأحزاب السياسية فى إيران...، ص ١١٧ .

(٣١٣) سفرى، محمد على : القلم والسياسة (٢) ، صص ٤٩٥ – ٤٩٦ .

(٣١٤) لمزيد من المعلومات عن كيفية تأسيس حركة التحرر الإيرانية أنظر .

– جريان تأسيس نهضت آزادى ايران ، انتشارات نهضت آزادى خارج از كشور، ١٣٥٤ .

– يادنامه بيستمين سالكرد نهضت آزادى ايران ، انتشارات نهضت آزاديايران ، تهران ، ١٣٦٢ .

(٣١٥) مرامنامه نهضت آزادى ايران .

(٣١٦) نجاتى ، غلامرضا، تاريخ بيست و بنج ساله ايران ،ص ٣١٥ .

(٣١٧) رك : خاطرات بازركان، صص٣١٤-٤١٤ .

(٣١٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،بولتن ويزه ساواك، انجام مصاحبه مطبوعاتى، راديو تلويزيونى،٢٢/١٠/ ٥٠، صص٢٠-١٨ .

(٣١٩) نفس الصفحة .

(٣٢٠) وثائق الجمعيات المؤتلفة الإسلامية ، جاما، حزب الشعوب الاسلامية ، انتشارات دوازده محرم ١٥ خرداد، ١٣٥٣، صص ١٨– ٢٠ .

(٣٢١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،خبر شماره ٣٥٣٨٦ / ٢٠ هـ٢-٣/١٠/ ٤٧ .

(٣٢٢) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،نامه شماره ٩٦٥١٥ / ٣١٢ -١١/١٠/ ٤٧ از اداره كل سوم ساواك به ساواك تهران .

(٣٢٣) افراد مورد اشاره عبارتنداز : داريوش فروهر من حزب ملت إيران ، منوجهر صفا و حسين تحويلدار و ميرحسين سرشار من مجتمع الاشتراكيين ومهندس بازركان وآيت الله طالقانى وآيت الله سيد رضا موسوى فريد زنجانى و عباس شيبانى من جمعية الحركة التحررية ، أبو الفضل قاسمى وحسين شاه حسينى و محمد حسين كلزار مقدم و هدايت الله متين دفترى وابراهيم كريم آبادى من أعضاء الجبهة القومية السابقين .

(٣٢٤) نفس الصفحة .

(٣٢٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، كزارش شماره ٨٤٧ / ٣١٢- ٢٤ /١١/ ٤٧ – از اداره كل سوم ساواك .

(٣٢٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ٨٦٣ / ٣١٢-١٣ /١٢/ ٤٧- از اداره كل سوم ساواك .

(٣٢٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ٤٧٦ / ٤٧ /-٢هـ١٤ /١٢/ ٤٧ از ساواك تهران .

(٣٢٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ٣٥٣/ ٣١٢-٢٦ /١/ ٤٩- از اداره كل سوم ساواك .

(٣٢٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ٨٢٢٨/ ٢٠هـ٢ -٢/٢/ ٤٩ از اداره ساواك تهران .

(٣٣٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره ١٠/٨/ ٣١٢-٥/٣/ ٤٩ – از اداره كل سوم ساواك .

(٣٣١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،كزارش شماره١١٦١١ / ٢٠٠ -هـ٢-٢٤ /٩/ ٤٩ -از ساواك تهران، اظهارات مهدى غضنفرى در مورد جنكهاى جريكى .

(٣٣٢) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ،نامه بدون شماره ، تاريخ ٢٧ /٤/ ٥٣ – من وزارة والسياحة إلى رئاسة السافاك .

(٣٣٣) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، بولتن ويزه ٢٨٥٤ / ٣١٢-٥/٥/ ٢٥٣٦(١٣٥٦)از اداره كل سوم .

(٣٣٤) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، تقرير السافاك، شماره بازيابى ٢٥١: بررسى أوضاع سياسى در روزهاى اخير، ١٣٥٧، ص٥ .

(٣٣٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، بولتن ويزه شماره ٦٤٢٣ / ٣١٢-٢٩ /٩/ ٣٧(١١٣٥٧) از اداره كل سوم ساواك .

(٣٣٦) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، برونده كزارشهاى ويزه بانا(سازمان خبركزارى بارس) ك ١٢١٦، ص١٣-٣٠ /٨/ ١٣٥٧ .

(٣٣٧) روحاني زيارتي، سيد حميد، حركة الإمام خميني، مركز اسناد انقلاب اسلامي، تهران، ٢٧٣١، جلد سوم، صص١٠٥-١٠٨ .

(٣٣٨) رجبى، محمد حسن، سيرة الإمام الخميني من البداية إلى النفي، كتابخانه ملى جمهورى اسلامى ايران. تهران، ١٣٧١، جلد اول، صص ٢٨٣-٢٨٤ .

(٣٣٩) الثورة الإيرانية نقلاً عن راديو بى . بى . سى، زير نظر: عبدالرضا هوشنك مهدوى، طرح نو، تهران، ١٣٧٢، ص١٧٥ .

(٣٤٠) نفسه، ص ١٧٦ .

(٣٤١) رك: جنون الكتابة، رضا براهني، شركت انتشارات رسام، تهران، بى تا، ص٩ .

(٣٤٢) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ملف جلال آل احمد، كزارش تاريخ٢٢/٨/ ٤٦ .

(٣٤٣) بيل،جيمز:شير و عقاب، برليان‌فروزنده‌نشر فاخته، تهران،١٣٧١ص؟.

(٣٤٤) فاروقى،احمد، ولوريه، زان، ايران بر ضد شاه، مهدى فراقى، مؤسسه امير كبير، تهران،١٣٥٨صص١٦٢ - ١٦٣ .

(٣٤٥) اسناد لانه جاسوسى آمريكا، جلد اول، سلطان تجددكراى ايران، يك ارزيابى سياسى، ١٧، ١٣٥٥٠٤ص٢١٤ .

(٣٤٦) بيل،جيمز: نفس‌ص ٢٢٧ .

(٣٤٧) رك: شير و عقاب، جيمز بيل‌ص٢٢٧ .

(٣٤٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ايران:برونده رضا براهنى، جلد اول، همكاميه هنرمندان تئاتر و نويسندكان ايران.

(٣٤٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، اعلاميه نهضت راديكال ايران، بيام دانشجويان، مهر ١٣٥٦، شماره٩، ص٥.

(٣٥٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، خبرنامه اتحاد نيروهاى جنهه ملى، دهم اسفند ١٣٥٦، شماره ٣.

(٣٥١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، كزارش١٥ / ١٠ / ٥٦ من السافاك ٣٤١ إلى رئاسة السافاك.

(٣٥٢) المقصود بانحراف الحركة الدستورية عن مسارها الأول.

(٣٥٣) دوانى، حياة زعيم عالم التشيع أيه الله بروجردى، نشر مطهر،١٣٧١ص٣٥٣

(٣٥٤) رك: خاطرات ١٥ خاطرات آيت الله امامى كاشانى، به كوشش على باقرى، حوزه هنرى سازمان تبليغات اسلامى، تهران، ١٣٦٩ص٢١ .

(٣٥٥) نراقى،احسان، من قصر الشاه إلى سجن اوين ص٢ .

(٣٥٦) أرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى‌برونده٢٠٢، سند شماره ١٩٦٠ - ٣/٣/ ١٣٤١ من السافاك المركزى إلى سافاك قم.

(٣٥٧) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، برونده٢٠٢، سند شماره ٦٨٧٩ -١٠ /١١/ ٤١ از ساواك مركز به ساواك قم، ص٤١ .

(٣٥٨) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، برونده ١٧٨، سند شماره ٢١١٨٣٠ /٣٣٣-١١/١١/ ١٣٤١ از اداره كل سوم ساواك به ساواك تهران، ص٨٣ .

(٣٥٩) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، برونده٢٠٢، سند شماره ١٩٤٨-٥/٢/ ١٣٤٢، از ساواك مركز به ساواك قم، ص١١٧ .

(٣٦٠) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية برونده٤٩١بدون شماره، از ٣٤١-٤ .٥٤،٢،٤ص٨٨ .

(٣٦١) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية‌برونده٢٠٢، سند شماره ٥٣٤ ٣٦ / ٣٢١-٢٢/٧/ ٤٣ص٢٤٨ .

(٣٦٢) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية بپرونده٢٠٢، سند شماره ٥٤٣ ٢٦ / ٣١٢ -٢٢/٧/ ٤٣ ، صص٢٤٨-٢٥٠ .

(٣٦٣) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية ، تلكراف شماره ١٧١٠-٢٨ /١/ ٤٢، از ساواك مركز به ساواك تهران .

(٣٦٤) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية، سند شمارهـ ٣٠٧٥ / ٢١-٢٤ /٥/ ٥١، از ساواك قم به مديريت اداره كل سوم .

(٣٦٥) أرشيف مركز وثائق الثورة الإسلامية، سند شماره ٧٢ /٢١،٦١هـ - ٢٧ /٩/ ٥٤ از ساواك قم به رياست شهرباني شهرستان قم .

(٣٦٦) أرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى سند شماره ١٧ / ١٠٦ / ٠٢ / ٥٠٧ / ٤٢١ - ٠٢/٢١/٣٥، از ادارهٔ دوم اطلاعات وضد اطلاعات به تيسمار رياست ساواك

(٣٦٧) أرشيو مركز اسناد اقنلاب اسلامى، سند شماره ٢٦٨٥٢ / ٨١٣ - ٦ / ١١ / ٤٥ - از اداره كل هشتم به اداره كل سوم ساواك .

(٣٦٨) أرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامىسند شماره ٣٩٣٢ / ٢١هـ ١٠٢٧ / ٤٧، از ساواك قم به مديريت اداره كل سوم .

(٣٦٩) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى: بولتن ويژه درباره اقدامات أيات و روحانيون در زمينه تأسيس ساختمان براى اسكان طلاب علوم دينى در شهرستان قم و سند شماره ١٩٧ / ١٢٣- ١٨ / ١٨ /١/ ٣٥ (١٣٥٥) .

(٣٧٠) آرشيو مركز اسناد اقنلاب اسلامى، سند شماره ٩٨ع٧/ ٣١١ - ١١/٤/ ٣٦(١٣٥٦) ،از ساواك به وزارت آموزش وپرورش .

(٣٧١) رك: نهضت روحانيون ايران، على دوانى، ج ٦ ،ص٧ .

(٣٧٢) نفس،ص٣ .

(٣٧٣) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامى،كزارش از ساواك خراسان، بدون شماره ، بدون تاريخ .

(٣٧٤) هاشمى رفسنجانى دوران مبارزه، زير نظر: محسن هاشمى ، دفتر نشر معارف اسلامى، تهران ،٦٠ ٢٦،١٣٧، سند شماره ٣٨٦ - ٢٧ /٨/ ٤٨ .

(٣٧٥) ساواك و روحانيت، بولتنهاى نوبه اى ساواك ،دفتر ادبيات انقلاب اسلامى حوزه هنرى ، تهران ، ٣٧١ / ١١، بولتن شماره ٦٠٩٧ - ٢١ / ١٢ / ٥٢، ص ٩٤ .

(٣٧٦) نفس .

(٣٧٧) الحياة السياسية للإمام الخميني ، محمد حسن رجبى ، كتابخانه ملى جمهورى ايران، تهران،١٣٧١ ،صص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٣٧٨) الصفحة نفسها نقلاً عن كشف الاسرار، صص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣٧٩) دوانى،على :نهضت روحانيون ايران، ج٣،صص ٣١ -٣٢ .

(٣٨٠) دوانى، على : نفس، صص ٣٢ - ٤٨ .

(۳۸۱) نفس ،صص ۲۰۰ – ۲۱٦ .

(۳۸۲) خاطرات ۱۵ خرداد ، " خاطرات محمد علی بشارتی " ، نفس ، صص ٤۸ – ٤۹ .

(۳۸۳) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام شماره ۲۱۸۳ / ۳۳۱ – ۲۲/۱/ ٤۲ص ۲۰۰ / ۸۰ .

(۳۸٤) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام شماره ٥٤٥۸ /۳۳۲ – ۲/۷/ ٤۲ ص ۱۷٦\۲۰۰ .

(۳۸٥) فصلنامه ۱٥ خرداد ، شماره ۲٥، سال ششم، بهار ۱۳۷٦، صص۱۱٤ – ۱۱٥ .

(۳۸٦) رجبی ، محمد حسن: زندگی نامه سیاسی امام خمینی ...، ص ۲۷۲ .

(۳۸۷) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام ، شماره ۲٥۰۷ – ۲۸ /۲/ ٤۲ص ۲۰۰ / ۳۰٤ از باکروان به کلیه ساواکها .

(۳۸۸) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، شماره ۲/۳/ ٤۲ از ساواک قم به ساواک تهران .

(۳۸۹) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، شماره ۸۳۱– ۳/۳/ ٤۳، کزارش اطلاعات داخلی بخش ۳۱۲ اداره یکم عملیات .

(۳۹۰) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام ، شماره ۱۳۸۷۹ /۳۳۳– تلکراف شماره ٤۲۹۲ – ۲٤/٥/۳ ص ۲۰۰ / ۸۹۱ .

(۳۹۱) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام ، شماره ۱۷٦۸۰ / ۳۳ تلکراف شماره ٤۳۹ – ۲٤/٥/٥ ص ۲۰۰ / ۹۰۰ .

(۳۹۲) خاطرات ۱٥ خرداد (خاطرات هاشمی"همان ،ص۰ع .

(۳۹۳) عاقلی ، باقر: روزشمار تاریخ ایران،ص ۱٦۰ .

(۳۹٤) نفسه .

(۳۹٥) روحانی (زیارتی)، سید حمید: تحلیل و بررسی از نهضت امام خمینی، انتشارات راه امام ، تهران، ۱۳٥۹، ج۱، ص ٦٤۳ .

(۳۹٦) نفسه .

(۳۹۷) نفسه، صص ٦٥٤ – ٦٥٥ .

(۳۹۸) متن اعلامیه، همان،ص ۷۹٦ .

(۳۹۹) غلا مرضا نجاتی: تاریخ سیاسی بیست وبنج ساله ایران، جلد اول ، صص ۳۰۲-۳۰۳-٤۰۳ .

(٤۰۰) روحانی ، سید حمید، تحلیل و بررسی...،متن سخرانی،صصصصع۷۱– ۷۲٦ .

(٤۰۱) نفسه،ص۷۲۸،متن اعلامیه،صص۷۲۹–۷۳٥ .

(٤۰۲) رك: تاریخ سیاسی معاصر ایران، ج۲،صع۱۳ .

(٤۰۳) منصوری،جواد: سیر تکوینی انقلاب اسلامی، ص۲۳۲ .

(٤۰٤) مدنی، سید جلال الدین: نقس ص ۱۳ .

(۴۰۵) آرشیف مرکز اسناد انقلاب اسلامی، بولتن ویژه شمارهع ۷۸۵ / ۱۱۲-۳/۶/ ۵۱ :کلیاتی راجع به جمعیت فدائیان اسلام، حزب ملل اسلامی، جمعیت نهضت آزادی و مقایسه بین دستجات با یکدیگر و وجوه مشترک بین آنها .

(۴۰۶) منصوری، جواد: نفس، ص۲۳۳ .

(۴۰۷) بادامچیان، اسد الله و بنایی، علی: هیأت های مؤتلفه اسلامی، انتشارات اوج، تهران،۳۱۶۲، ص, ۴۳۵نفس ، ص۲۱۴ .

(۴۰۸) نفسه، صص ۲۱۴

(۴۰۹) نفسه، ص ۳۷ – ۳۸ .

(۴۱۰) نفس ص ۳۸ .

(۴۱۱) مدنی، سید جلال الدین: تاریخ سیاسی معاصر ایران، ج۲ ، ص۱۲۸ .

(۴۱۲) روحانی، سید حمید: نهضت امام خمینی ،ج۲ص۱۹ .

(۴۱۳) مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده امام کزارش شماره ۱۸۴۸۷ / ۲۵ الف – ۳/۹/ ۴۳ص ۳۵۵ / ۲۷۱۵ .

(۴۱۴) روحانی ، سید حمید: نهضت امام خمینی، صص ۴–۵ .

(۴۱۵) نفسهص ۱۱۴ .

(۴۱۶) نفسه، ص ۱۳۸ .

(۴۱۷) نفسه ، صص ۱۴۲ – ۱۴۳ .

(۴۱۸) رک: نهضت امام خمینی...، سید حمید روحانی، ص ۷۹۹ .

(۴۱۹) نفسهص ۷۹۹ .

(۴۲۰) نفسهمتن اعلامیه های امام، صص ۲۲۰ – ۲۲۷ .

(۴۲۱) نفسهص ۲۵۶ .

(۴۲۲) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، کزارش ۴۵۸۱۷ / ع۳۱ – ۲۱ /۸/ ۴۶ و نیز کزارش ۳۰۵۵ / ۲۱ – ۲۲/۸/ ۴۶ از ساواک قم به مدیریت کل اداره سوم .

(۴۲۳) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، برونده، شماره بازیابی ۲۵۱ص ۴۶ .

(۴۲۴) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، کزارش شماره ۱۰۱۵۷ / ۲۱۱ ۹ ۳۵۳/۹/ (۱۳۵۵) از ۲۱۱ به ۷۱۱ .

(۴۲۵) آرشیو مرکز اسناد انقلاب سالامی، کزارش شماره ۱۷۳۸/۸۸۸/ ۳۳۴ – ۲/۶/ ۳۷(۵۷) از ۳۳۴ به ساواکهای خارج ازکشور .

(۴۲۶) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامیبرونده امام، ۱/۶/ ۳۷(۱۳۵۷) صص ۸۰۰۰ / ۸۲۵ – ۸۲۱ .

(٤٢٧) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي، كزارش شماره ١٤٥٣٩ / ٣١٦ - ١٧ /٢/ ٤٦ اداره كل سوم ساواك به رياست ساواك تهران .

(٤٢٨) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي:سند شماره ٣٢١٢٧ / ٢٠ هـ ١٢ - ٧/ ١٠ / ٥٣ از ساواك تهران به رياست ساواك هاى تابعه .

(٤٢٩) روحاني، سيد حميد : نهضت امام خميني،...، ص ٢٦٠ .

(٤٣٠) الصفحة نفسها نقلاً عن روزنامه اطلاعات، ٩ مهر ع ١٣٤ ،صص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٤٣١) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي، برونده امام، جلد ٢٩ شماره سند،٦٠٠٠ / ٧٣ .

(٤٣٢) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي، برونده ١٥٣ سند شماره ١٧٧ / ٦ ٣١ ـ ١٤ /٤/ ٤٩ از اداره كل سوم به رياست ساواك استان خراسان (مشهد) .

(٤٣٣) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي،سند شماره ١٠٢١١ / ٣٣٤ - ١/٤/ ٥٤ از بريستول ٣٣٤ به قزل آلا .

(٤٣٤) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي، برونده امام ، ج ٢٦، كزارش ٣١٢ - ٣٠ /٧/ ٥٢ص ٣٠٠٠ / ٤٦٣ .

(٤٣٥) روحاني، سيد حميد: نفس ، صص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٤٣٦) نفسه ، صص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٤٣٧) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي،سند شماره ٨٠٠ / ٣٣٤ - ٢٨ /٣/ ٣٧ (١٣٥٧)از ساواك به وزارت خارجه .

(٤٣٨) مدني ، سيد جلال الدين ، همان ، صص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٤٣٩) مدني سيد جلال الدين : تاريخ سياسي معاصر ايران ، جلد ٢، ص ٣١٧ .

(٤٤٠) الويرى ، مرتضى : خاطرات مرتضى الويرى، دفتر ادبيات انقلاب اسلامي حوزه هنرى ، تهران ، ١٣٧٥، ص ٦٩ .

(٤٤١) به نقل منصورى، جواد : سير تكوينى انقلاب اسلامى ، ص ٣٥ .

(٤٤٢) انقلاب ايران به روايت راديو بى بى سى ، وزير نظر : عبد الرضا هوشنك مهدوى ، تهران، طرح نو ،١٣٧٢، صص٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٤٤٣) ساواك وروحانيت بولتنهاى نوبه اى ساواك ، حوزه هنرى دفتر ادبيات انقلاب اسلامي ، تهران ، ١٣٧١، صص ٢٠٦ - ٢٠٧ بولتن شماره ٩٥٣٥ - ٢٣ / ١٢ / ١٣٥٦ .

(٤٤٤) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي، برونده ٢٢١سند شماره ١٠١٤٩ / ٢١ هـ - ١٨ / ١٢ / ٣٦ (١٣٥٦) ،از ساواك قم به مراجع انتظامي .

(٤٤٥) منصورى بجواد: سير تكوينى انقلاب اسلامي، ص ٣٥ .

(٤٤٦) آرشيو مركز اسناد انقلاب اسلامي،سند شماره ٦٤٨ / ٢١ هـ - ١٠ /٣/ ٥٧ از ساواك قم به مراجع انتظامي .

(٤٤٧) ساواك وروحانيت ، صص ٢٥٧ - ٢٥٨، بولتن شماره ٧٤٤٤١- ٨/٧/ ٥٧

(٤٤٨) رک: تاریخ بیست و پنج ساله ایران ، غلامرضا نجاتی، جلد ۲، صص ۷۷- ۷۸ .

(٤٤٩) فرازهایی از تاریخ انقلاب به روایت اسناد ساواک وآمریکا ، روابط عمومی وزارت اطلاعات، تهران، ۳۱٦۸، ص ۳۲، سندشماره ۷۷۹ / ۳۱۲- ٥/۱۱/ ٥٦ .

(٤٥٠) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی‌سند شاره ۹۳٥۳ / ۱۰ هـ ۲۲/٥/ ۱۳٥۷، از اصفهان به ۲۱۳و بانوشت ریاست ساواک در تایخ ۲٥ /٥/ ۱۳٥۷ .

(٤٥۱) منصوری، جواد:سیر تکوینی انقلاب اسلامی، صص ۳۱٦ – ۳۱۷ .

(٤٥۲) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی‌سند شماره /٦۷۰٥ ۳۱۲ – ۱۲ /٦/ ۳۷ (۱۳٥۷) ،از ۳۱۲ به کلیه بستها .

(٤٥۳) نجاتی، غلامرضا: تاریخ بیست و پنج ساله ایران، صص ۹۱- ۹۲ .

(٤٥٤) انقلاب ایران به روایت رادیو بی بی سی، نفس ، ص ۲۳۸ .

(٤٥٥) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی، پرونده کد ۱/ ۱۲۱۷٤سند۲٥۱،صص ٦٥ – ٦۹ .

(٤٥٦) فرازهایی از تاریخ انقلاب ....، صص ۱۱٤ – ۱۱٥ سند شماره ۱٦۲۱ / ۳۲۲- ۱٦ /٦/ ۱۳٥۷ .

(٤٥۷) فرازهایی از تاریخ انقلاب ...، صص۲۱۸ – ۲۱۹ .

(٤٥۸) نفسه ، ص ۲۲۳ سند شماره ۸٤۷۰ / ۳۱۲ – ۱٦ /۸/ ٥۷ .

(٤٥۹) فرازهایی از تاریخ انقلاب ....، صص ۲۲٦ – ۲۲۷ – سند شماره ۸٤۸۱ / ۳۱۲ – ۱۷ / ۸ / ٥۷ .

(٤٦۰) جواد منصوری : سیر تکوینی انقلاب اسلامی ، صص ۳۲۹ – ۳۳۰ .

(٤٦۱) فرازهایی از تاریخ انقلاب ....، صص ۲٦۲ – ۲٦۳ .

(٤٦۲) غلامرضا نجاتی، تاریخ بیست وپنج ساله ایران ، ص ۱۸۲ .

(٤٦۳) فرازهایی از تاریخ انقلاب ،نفس، صص ۲٦٤ – ۲٦۷ .

(٤٦٤) آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، سند شماره ۱۰٤٤۹ / ۳۱۲ – ۱۸ / ۹ / ٥۷ از مرکز ۳۱۲ به کلیه بستها .

(٤٦٥) فرازهایی از تاریخ انقلاب ....، ص ۲۷۲، سند شماره ۱٦٥۰ ،/ ۲۰ هـ ۱۱- ۲٥ /۹/ ٥۷ .

(٤٦٦) نفس ص ۲۷۳ – ۲۷٤ سند ، شماره / ۱٦٥۷۱ – ۲۰ – هـ ۱۱ – ۲٥ / ۹ / ٥۷

(٤٦۷) باقر عاقلی ؛ یادداشتهای شخصی در مورد ساواک ونقش آن در سیاستهای داخلی رژیم ، ص٥

(٤٦۸) جزوه " ساواک " ، معاونت بررسیهای استراتژیک (ضمیمه سوم) .

المرجع

- استدراكات ، مجموعة أي مكتوبات وبيامهاى أيت الله كاشانى (جلد ٥) ، كردأورى : م . دهنوى ، چاپخش ، تهران ،١٣٤٣ .

افراسيابى ، بهرام ، إيران وتاريخ ، انتشارات زرين ، تهران ١٣٤٢ .

الويرى ، مرتضى ، خاطرات مرتضى الويرى ، دفتر ادبيات انقلاب اسلامى حوزه هنرى ، تهران ١٣٧٥ .

براهنى ، رضا ، جنون نوشتن ، شركت انتشاراتى رسام ، تهران ، بى تا .

بيل ، جيمز . ا ، شير وعقاب ، ترجمة : برليان فروزنده ، نشر فاخته ، تهران ، ١٣٧١ .

بهلوى ، محمد رضا پاسخ به تاريخ ، ترجمة : حسين أبو ترابيان مترجم ، تهران ، ١٣٧١ .

- جريان تأسيس نهضت آزادى ، انتشارات نهضت آزادى إيران خارج ازكشور ، ١٣٢٣ .

- خاطرات نور الدين كيانورى ، به كوشش مؤسسه تحقيقاتى وانتشاراتى ديدگاه ، اطلاعات ، تهران ، ١٣٧١ .

خسر وشاهى ، سيد هادى ، فدائيان اسلام ، اطلاعات ، تهران ، ١٣٧٥ .

خواجه نورى ، إبراهيم ، بازرگان عصر طلابى ، چاپخانه سپهر ، تهران ١٣٧٠ .

خوش نيت ، سيد حسين ، سيد مجتبى نواب صفوى ، اند يشه ها ، مبارزات وشهادت أو ، انتشارات منشور برادرى ، تهران . ١٣٤ .

دانشجويان مسلمان بيرو خط أمام ، إيران در بند ، مركز بشر اسناد لانه جاسوسى أمريكا ، تهران ، ١٣٤٩ .

دلانوا ، كريستين ، ساواك ، ترجمة : عبد الحسن نيككوهر ، طرح نو ، تهران ١٣٧١ .

دوانى ، على ، نهضت روحانيون إيران (ج ٤) ، بنياد فرهنگى أمام رضا تهران بى تا ، رائين ، اسماعيل ، حقوق بگيران انگليس در إيران سازمان انتشارات جاويدان ، تهران ١٣٥٤ .

رجبى ، محمد حسن ، زند گينامه سياسى أمام خمينى از آغازتا تبعيد ، كتابخانه ملى جمهورى اسلامى إيران ، تهران ، ١٣٧١ .

رفيع زاده ، منصور ، خاطرات منصور رفيع زاده ، أخرين رئيس شعبه ساواك در أمريكا ، كرشاسبى ، أصغر ، أهل قلم ، تهران ، ١٣٧٤ .

روحانى (زيارتى) ، سيد حميد ، تحليل وبررسى ازنهضت أمام خمينى (جلد ١) ، انتشارات راه أمام ، تهران ١٣٩ .

روحانی (زیارتی) ، سید حمید ، نهضت امام خمینی (جلد ۲) ، واحد فرهنگی بنیاد شهید ، تهران ، ۱۳٤۳ .

روحانی (زیارتی) ، سید حمید ، نهضت امام خمینی (جلد ۳) ، مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران ، ۱۳۷۲ .

زونیس ، ماروین ، شکست شاهانه ، ترجمه : اسماعیل زند وسید علی بتول ، نشر نور ، تهران ۱۳۷۰ .

– ساواک ، معاونت بررسی های سیاسی ، بی نا ، بی تا .

سفری ، محمد علی ، قلم وسیاست (۲) ، نشر نامک ، تهران ۱۳۷۳ .

– سیاست وسازمان حزب توده از آغازتا فروپاشی (جلد ۱) ، مؤسسه مطالعات وپژوهشهای سیاسی ، تهران ۱۳۷۵ .

سیفی قمی تفرشی ، مرتضی ، پلیس خفیه ایران ، ققنوس ، تهران ۱۳٤۸ .

سیفی قمی تفرشی ، مرتضی ، نظم ونظمیه در دوران قاجار ، یساولی ، تهران ۱۳٤۲ .

طبری ، احسان ، کژراهه ، امیرکبیر ، تهران ۱۳٤۳ .

طلوعی ، محمود ، بازیگران عصر پهلوی از فروغی تا فردوست ، نشر علم ، تهران ، ۱۳۷۲ .

عاقلی ، باقر ، نخست وزیران ، سازمان انتشارات جاویدان ، تهران ، ۱۳۷۰ .

عاقلی ، باقر ، یا داشتهای شخصی در مورد ساواک ونقش آن سیاستهای داخلی علم ، امیر اسد الله گفتگوهای من باشاه (خاطرات محرمانه امیر اسد الله علم) ، (جلد ۱) ، ترجمه : گروه مترجمان انتشارات طرح نو ، طرح نو ، تهران ، ۱۳۷۱ .

فاروقی ، احمد ولوروپه ، ژان ، ایران برضد شاه ، ترجمه : نراقی ، مهدی ، امیرکبیر ، تهران ، ۱۳۵۸ .

– فرازهایی از تاریخ انقلاب اسلامی به روایت اسناد ساواک وآمریکا ، روابط عمومی وزارت اطلاعات ، تهران ، ۱۳٤۸ .

فردوست ، حسین ، ظهور وسقوط سلطنت پهلوی (جلد ۱) ، به کوشش مؤسسه مطالعات وپژوهشهای سیاسی ، اطلاعات ، تهران ۱۳۷۰ .

ظهور وسقوط سلطنت پهلوی (۲) ، به کوشش مؤسسه مطالعات وپژوهشهای سیاسی ، اطلاعات ، تهران ۱۳۷۰ .

کاتوزیان ، همایون ، مصدق ونبرد قدرت ، ترجمه : احمد تدین ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ، تهران ۱۳۷۱ .

کاوه جبلی ، علیرضا ، سیاست خارجی امیرکبیر ، انتشارات جویا ، تهران ، ۱۳۷۱ .

کریمی مله ، علی ، تاریخ چهل ساله جبهه ملی (مقاله) ، فصلنامه ۱۵ خرداد شماره ۲۱ ، سال پنجم ، بهار ۱۳۷۵ .

کازیوروسکی ، ج . مارک ، دیپلماسی آمریکا وایران ، ترجمه : جمشید زنگنه ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ، تهران ، ۱۳۷۱ .

لاجوردی ، حمید ، خاطرات علی امینی ، نشر گفتار ، تهران ، ۱۳۷٤ .

لانیگ ، مارکارت ، مصاحبه با شاه ، ترجمه : روشنگر ، اردشیر ، نشر البرز ، تهران ، ۱۳۷۱ .

مدنی ، سید جلال الدین ، تاریخ سیاسی معاصر إیران (ج ۱) ، دفتر انتشارات اسلامی ، قم ۱۳٤۹ .

مدنی ، سید جلال الدین ، تاریخ سیاسی معاصر إیران (ج ۲) ، دفتر انتشارات اسلامی ، قم ۱۳٤۹ .

مدیر شانه چی ، محسن ، احزاب سیاسی إیران با مطالعه موردی نیروی سوم وجامعه سوسیالیستها ، مؤسسة ، خدمات فرهنگی رسا ، تهران ، بی تا .

– مذاکرات مجلس سنا ، جلسه ۲۰۷ ، کتابخانه مجلس شورای اسلامی تهران .

– مذاکرات مجلس سنا ، جلسه ۲۲۱ ، کتابخانه مجلس شورای اسلامی تهران .

معتضد ، خسرو ، پلیس سیاسی عصر بیست ساله ، انتشارات جانزاده ، تهران ، ۱۳٤۳ مکی ، حسین ، امیرکبیر ، بنگاه نشر کتاب ، تهران ، ۱۳۷۰ .

مکی ، حسین ، سالهای نهضت ملی (کتاب سیاه) ، انتشارات علمی ، تهران ، ۱۳۷۰ منصوری ، جواد ، سیر تکوینی انقلاب اسلامی ، دفتر مطالعات سیاسی وبین المللی ، تهران ، ۱۳۷٥ .

نجاتی ، غلامرضا ، تاریخ بیست وپنج ساله إیران (جلد ۱) ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ، تهران ، ۱۳۷۱ .

خاطرات بازرگان (جلد ۱) ، شصت سال خدمت ومقاومت (گفتگوی سرهنگ نجاتی با بازرگان) ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ، تهران ، ۱۳۷٥ .

نراقی ، احسان ، ازکاخ شاه تا زندان أوین ، ترجمه : سعید آذری ، مؤسسه خدمات فرهنگی رسا ، تهران ، ۱۳۷۲ .

هاشمی رفسنجانی ، دوران مبارزه (جلد ۲) ، زیر نظر : هاشمی ، محسن ، دفتر نشر معارف اسلامی ، تهران ، ۱۳۷٤ .

هلیدی ، فرد ، دیکتاتوری وتوسعه سرمایه داری درایران ، ترجمه فضل الله نیک آئین ، امیرکبیر ، تهران ، ۱۳٤۸ .

– یادنامه بیستمین سالگرد نهضت آزادی إیران ، انتشارات نهضت آزادی إیران تهران ۱۳٤۲ .

المصادر

اسناد ساواک : پرونده جلال آل أحمد ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده دولتها (جلد أول) ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده دولتها (جلد دوم) ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده رضا براهنی ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده سواء استفاده های مالی ساواک ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : جزوه اطلاعاتی در مورد خرابکاران ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک :خبر نامه اتحاد نيروهای جبهه ملی ، دهم اسفند ع ١٣٥٤ ، شماره ٣ ، مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده های أمام خمينی (ر ٥) ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده های حزب رستاخيز ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پروند های حزب مردم ، أرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده های حزب نيروی سوم (جامعة سوسياليستهای نهضت ملی إيران) ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد سلواک : پرونده هابی در مورد روحانيت ، حوزه های علميه ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسناد ساواک : پرونده های نهضت أزادی إيران ، آرشيو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

اسنادی از جمعيت های مؤتلفه اسلامی ، جاما ، حزب ملل اسلامی ، انتشارات دوازدهم محرم ١٥ خرداد ، بی جا ، ١٣٥٣ .

اسناد لأنه جاسوسی أمريكا (جلد ٧) ، به كوشش دانشجويان بيرو خط أمام ، مرکز نشر اسناد لأنه جاسوسی أمريكا ، تهران بی تا .

اسناد لأنه جاسوسی أمريكا ، به كوشش دانشجويان پيرو خط أمام (جلد ١١) ، مرکز نشر اسناد لأنه جاسوسی أمريكا ، تهران ، بی تا .

اسناد لانه جاسوسی آمریکا (احزاب سیاسی در ایران ، بخش دوم ، جلد سوم) ، بـه کـوشش دانشجویان پیرو خط امام ، مرکز نشر اسناد لانه جاسوسی آمریکا ، تهران ، ۱۳٤۷ .

اسناد لانه جاسوسی آمریکا (از ظهور تا سقوط) ، به کوشش دانشجویان پیرو خط امام ، مرکز نشر اسناد لانه جاسوسی آمریکا . تهران ، بی تا .

پاره ای از اسناد ساواک ، به کـوشش کنفدراسیون محصلین ودانشجویان ایـران ، امیرکبیر ، تهران ، ۱۳٥۷ .

پرونده عباسعلی خلعتبری در دادگاه انقلاب اسلامی ، آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

پرونده ناصر مقدم در دادگاه انقلاب اسلامی ، آرشیو مرکز اسناد انقلاب اسلامی ، تهران .

(الدوريات)

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التـوازن بين المعـارف الإنسـانيـة فى المجـالات العلمـيـة والفنيـة والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٢٥٦ / ٢٠٠٢





ساواک

ونقش آن در تحولات داخلی رژيم شاه

تقی نجاری راد

لقد عرض المؤلف فى هذا الكتاب للأسباب السياسية والأمنية التى دعت إلى إنشاء السافاك فى إيران، ودور المخابرات المركزية الأمريكية والإسرائيلية فى تدريب الكوادر الإيرانية، وفى بناء الخلايا وبث العملاء فى الخارج، كما أفاض المؤلف فى الحديث عن دور السافاك كأداة لضبط مسار الحكومة والمجالس النيابية والأحزاب الحكومية فى عهد الشاه، ثم انتقل المؤلف إلى رصف أبعاد الصدام بين المنظمة ومختلف الفصائل المعارضة فى داخل إيران وخارجها من يسارية وقومية، ونخبة مثقفة ذات توجهات ليبرالية، وعنى المؤلف ببيان ما كان بين السافاك ورجال الدين وعلى رأسهم الإمام الخمينى من صراع، هو بالقطع من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى قيام الثورة فى سنة ١٩٧٨م.

تصميم وائل أحمد

واهب الكيالي

المناديل البيض

مجموعة قصص

دار القلم

مواهب الكيالي

المناديل البيض

مجموعة قصص

قدم له

حسين مروه



نقد ، وتقديم ...

بقلم : حسين مروه

انا اعرف ان لكتابة المقدمات ، عندنا ، تقاليد و « طقوسا » مفروضة تجب رعايتها ، واعرف ان هذه التقاليد وهذه «الطقوس» تكلفني اعباء ثقالا لست من القادرين على النهوض بها ، لانني لست من القادرين على إزجاء الثناء والتقريظ بالمكاييل دون حساب ، كما تقتضي تقاليد المقدمات و « طقوسها » المتبعة عندنا .

ولكن هل يمنعني هذا ان اكتب « مقدمة » هذه المجموعة ؟.

يبدو لي ان ليس في الامر مانع قطعاً، بل يبدو لي ان هذه فرصة صالحة يجب ان اغتنمها للثورة بكل هاتيك التقاليد، وبكل ما تفرضه من «طقوس» وما تقتضيه من «تسابيح» و«تهاليل» بين يدي صاحب الكتاب الجديد، كما يفعل «الدرويش» وهو يتقدم موكباً من «مواكب الذكر» يباركه بالتسابيح والتهاليل، ويحوطه بالعبق الطيب من «البخور»!.

وما اظنّ فرصة تواتيني كهذه الفرصة ، فصاحبي الذي اقدم له كتابه ، ممن ليست تستعبدهم التقــاليد ، كما اعلم ، بل هو ممن يؤمنون بالابداع والتجديد ، وهو – الى ذلك – مؤمن بنفسه ، اي بانسانيته ، لانه مؤمن بالانسان من حيث هو الانسان ، وهو – لذلك – يعرف اين موقع الخطأ عنده واين موقع الصواب ، ويعرف من اين يأتيه الخطأ ومن اين يأتيه الصواب، ثم هو يعرف، بعد ، كيف يملك بارادته الانسانية الواعية ان يستدرك الخطأ من حيث يملك مصادر الصواب .

فاذا كان صاحبي على مثل هذا كله ، فكيف يصح لي - اذن - ان اضيع الفرصة ؟. كيف لا اثور به هو نفسه ، في حين اثور بتقاليد المقدمات وطقوسها المتبعة ؟.

وبعد ، فهذه « مقدمة » تقصد - اذن - الى نقد الكتاب وصاحب الكتاب ، اكثر مما تقصد الى « التقديم » الذي تعارفنا عليه منذ زمن ، وهي تحاول - في سبيل ذلك - ان تعتمد الصراحة اجرأ ما تكون الصراحة .

•

وندق ، الآن ، باب هذه المجموعة ، ثم نطوف في جنباتها نتعرف الى وجوه الاشخاص وملامح افكارهم ونوازع نفوسهم ، وكيف يلابسون الحياة ويعايشونها ، وكيف يتصلون بحركة الحياة ويتأثرون بها .

ونخرج ، بعد ، من هذا التطواف في دنيوات القصص الست التي تحتويها هذه المجموعة ، فاذا بنا نعلم ان الكاتب قد انشأ هذه الدنيوات في اوقات متباعدة ، تخالفت فيها نظراته للحياة ، وتباعدت خطواته في مراحل التطور النفسي والعقلي معاً ، فليس بينها اتساق في مزاج النفس ، وليس بينها اتساق في طريقة النظر الى الحياة ، ثم ليس هناك كبير صلة بين هذه الدنيوات التي يعيشها ناس القصص الست ، وبين هذه الدنيا الواقعية التي يعيشها ناس اليوم الحاضر في الوطن السوري ، حيث يعيش الكاتب نفسه ، وحيث يتلذع هو وصحبه ومواطنوه جميعاً بصنوف من المكاره ، وصنوف من الكبت العسير الشديد ، وصنوف من الضيق : ضيق الصدور ، وضيق السجون ، وضيق العيش ، وضيق فسحات الفكر ...

فهذه قصة « النافذة » تنفتح لك عن دنيا ليست من دنيا الشعب السوري اليوم ، فهي دنيا مليئة بعبث الفتى المراهق ، وصبواته

الهائمة ، واحلامه الطيبة الهانئة ، ليس يصرفها عن ذلك كدر واحد من هذه الاكدار الكثر التي تزدحم ازدحاماً في حياة هذا الشعب وهو يمتحن بمكائد الاستعمار تشتد به كل يوم دفعاً الى الهاوية ، في حين يشتد الشعب كفاحاً عجباً لهذه القوى التي تكيده من داخل ذاته ، وتكيده من خارج ذاته ، في وقت معا ...

وهذه قصة « حارتنا وجارتنا » تدخل الى دنياها، فاذا انت تدور في فراغ عجيب ، فهناك ناس فارغون من هموم الحياة ومشاكلها ، وهناك حركات وحوادث ليست من هذه الارض السورية التي تغلي وتفور اليوم بالهموم والمشاكل ، وبالحركات المتوثبة والحوادث الجسام.

وقصة « اليتيم » ... انها قصة نفس يعرض لها اليتم ، اي انها قصة كل نفس في كل زمان وكل مكان ، قصة تجري في هذا المجرى الازلي الابدي الرتيب ، تتغير الدنيا كلها ولا يتغير ولا ينحرف ، وتتطور الحياة من الجذور والاعماق ولا يتطور هو ، لانه ليس موضوعاً للتطور .

فالقصة ـ اذن ـ لا تأتي بجديد ، لا في الموضوع ولا في التحليل ، لانها لا تخرج من نطاق المشاعر الفردية الخالصة الى الملابسات الاجتماعية التي تحيط بحادث اليتم حين يعرض لفتى القصة في ظروفه الزمانية والمكانية ، ولو خرجت القصة الى شيء من هذه الملابسات ، لكانت على شأن كبير ، لأن فيها عناصر فنية كانت تكون كبيرة النفع لأغناء القضية الانسانية التي تدور عليها .

•

هذا شأن القصص الثلاث الاخيرة في هذه المجموعة ، وقد تحسب انني بدأت الكلام عنها دون القصص الثلاث الاولى ، لمجرد القصد الى النقد و « التجريح » ...

ولكن الامر ليس كذلك ، فأنا اعلم ان مواهب الكيالي

اديب يرى فن الادب اكبر وانبل من ان يعتزل حياة مجتمعه وما يدور فيها من احداث ومشاغل ومـــا يمتحن به ناس مجتمعه من مشاكل ومكاره ، ويرى ان الادب رسالة قبل ان يكون تلهيـة وتسلية ، وان الادب وسيلة شريفة جميلة دون ان يكون غاية لذاته.

وانا اعلم كذلك ان مواهب الكيالي اديب يؤمن بالانسان ويؤمن بالتطور ، وانه - لذلك - يؤمن بالشعب ، فكيف صح له - اذن - ان ينصرف ، في قصصه الثلاث الاخيرة من هذه المجموعة ، عن حياة شعبه المناضل، الى «فرديته» الخالصة، الى هذه المشاعر العابرة تختلج بها نفس فتى مراهق فارغ البـال من هموم مجتمعه كلها .

الامر في هذا واضح عندي كل الوضوح ، وهو ان مواهب قد كتب هذه القصص الثلاث منذ زمن بعيد ، كتبها وهو فارغ البال - فعلا - من هموم مجتمعه ومكاره العيش في وطنه ونكبة الفكر والحرية في بلده .. كتبها ولما تتفتح براعم الوعي الوطني في ذهنه ، ولما تلفحه سموم هـذا الهجير الذي يهب اليوم من كل صوب على الاحرار والمناضلين والكادحين من ابنـــاء شعبه .. كتبها وهو ما يزال في « ضباب » المراهقة يحلم ويتخيل ويتوهم بعيداً حتى عن لحمه ودمه ...

ولكنك تسأل : اذا كان مواهب الكيالي قد كتب قصصه هذه قبل اليوم ، قبل ان تمسه النار المقدسة التي تستشير اليوم احرار الفكر وشرفاء الوطن في سورية ، فكيف صح له -اذن- ان ينشر هذه القصص الثلاث في هذا اليوم العصيب ؟

هذا سؤال صحيح ، ولعلني اكون اشد قسوة منك على صاحب الكتاب ، فأرى في نشر هذه القصص اليوم ، « انهزاماً » من الواقع ، واري فيه ايضاً ان مواهب الكيالي قد اثقله الواقع حتى اعياه ان يقول فيه شيئاً ، واعياه ان يثور بسيئاته وآثامه، بل

اعياه حتى من ان يتململ بهذا الواقع ويتذمر ، فلجأ الى هـــذا السبيل من « الانهزام » !..

وما ادري : اهو معذور في هـــذا ، ام لا يجد له الادباء الوطنيون المناضلون في بلده ، وفي سائر بلداننا العربية ، شيئاً من العذر ؟

وما ادري كذلك : اهو وحده المؤاخذ في هـذا ، ام هو وجميع اخوانه الطيبين في « رابطة الكتاب السوريين » ؟

نتساءل هكذا ، ونحن بعيدون عن الكاتب وعن اخوانه هؤلاء جميعاً ، وقد تنشر هذه « المقدمة » دون ان يراها احدمنهم ، اي دون ان يتيسر لهم ان يجيبوا بشيء عن هذا التساؤل ، ودون ان يدفعوا شيئا من هذه المؤاخـذة عن انفسهم ، ولعل لهم من الواقع ، الذي يشد على صدورهم ويمسك باقلامهم ويقبض على موارد اقواتهم ، ما يحول بينهم وبين ان يقولوا شيئا في جوابهم لنا !.

فهل نحن – اذن – مخطئون بمؤآخذتهم ؟

نعتقد ان الذي نقوله هنا ، يجب ان يقال لهم على كل حال ، ونحسب ان وثبة « رابطة الكتاب السوريين » اوسع مدى من ان تضيق بهذا القول ، او ان يضيق بوجههـــا السبيل الى دفع « الانهزامية » عن نشاطها المتحفز .

•

ونفرع ، الآن ، للكلام عن القصص الثلاث الاولى من هذا الكتاب :

ونقول باجمال : ان هـذه القصص تختلف عن تلك اختلافاً واضحاً ، ففي كل واحدة منها وجه من وجوه الحيـاة الشعبية في الوطن السوري .

ففي « المناديل البيض » صور حية صارخة من هذه الحياة التي يحياها ناس من جوهر الشعب، ولكنهم على هامش الحياة الانسانية!

اولئك ناس ابرياء بسطاء، يعيشون في ضنك وجدب وحرمان، الى رتوب في مجرى العيش ، ورتوب في وجوه الطبيعة ، ورتوب في احساس النفوس ومشاغل الاذهان ، فكل شيء ثابت راكد لا يتبدل ولا يتجدد ، وكل شيء كامد باهت مقفر لا زهو ولا خصب ولا نضرة ولا خضرة .. كل شيء هكذا الا ذكرى صامتة صارمة تهيج ابداً في ذلك العيش القفر الباهت الراكد ، فتتلذع بها حنايا تلك النفوس البريئة البسيطة ، و تتحرك بها حياة اولئك الناس الابرياء البسطاء، ثم سرعان ما تخمد الذكرى وتعود حياة القوم الى رتوبها العتيد ..

تلك ذكرى « المناديل البيض » وقد عادت ربات المناديل الى القرية ذات صباح وهي حمر قد خضبتها دماء .. ولن كيف كان هذا ؟

القصة لا تجيب بوضوح عن هذا السؤال، ولكنها تسكب في نفسك احساسا بعيد الغور ، وتشيع في ذاتك اعجابا مثيراً بهؤلاء الناس الابرياء البسطاء من الشعب ، وتشعرك بأن للقوم سابقة رائعة في جهاد الفرنسيين المحتلين يومذاك ..

على ان نهاية القصة لا تخلو من بادرة « انهزام »تبدو من موظف الميرة حين يحس بلوعة هذه«الذكرى» تصل الى نفسه،وحين يضيق بهذا الرتوب الراكد الكامد في حياة القوم ، فاذا هو يفر من حياتهم هذه ، لا يحاول ان يلقي « حجراً » في « البركة» الراكدة لعلها تتحرك ، لعل مياهها ترتفع،فتجري ، ثم يكون شيء جديد ..

وفي قصة « الثأر » تقف الخيانة بابشع وجوهها ، والوطنية باكرم معادنها ، وجها لوجه يصطرعان ذلك الاصطراع الهائل الرهيب في شخصي : « عوض» و «ابي عوض » حتى ينتهي بهما الامر الى « الثأر » فاذا « ابو عوض » يعود الى رجولته الصارمة، والى مكانه المطمئن من حياة المواطنين الشرفاء .

واما «الموكب الاسود» فهي قصة المأساة التي يعيشها الكثيرون من ابناء هذا الشعب العربي في سوريا ، وفي لبنان ، وفي كل ارض العرب من اطرافها ، وهي القصة الوحيدة في قصص هذه المجموعة ، من حيث كونها تتحدث عن بعض جوانب الحياة السوريه في يومها الحاضر .

هي قصة هذا الشباب البائس ، الحائر ، المتعطل ، تضيق بوجهه سبل العيش ، الا ان ينحرف الى سبيل الشر : الى التهريب ، او السرقة ، او السلب ، او القتل ، او الميسر ، او الغصب والمكر والاحتيال ، ثم يكون مصيره الى حبال المشانق... لان هذه كل حيلة النظام الفاسد في اصلاح النفوس ، ومعالجة الاجرام ، وكفاح الشر ...

•

وبعد ، فان للفن حقاً ان لا ننساه في معرض الحديث عن قصص هذه المجموعة .

والواقع ان مواهب الكيالي يملك ذخيرة من المواهب الفنية تستحق منه مزيداً من الرعاية والعناية ، حتى ينشىء من هـــذه

الذخيرة بناء ادبياً رفيع العماد مشدود الاركان .

ولعل ملكة التصوير الدقيق البـارع ، وقدرته على الاتصال العميق بجو الاشخاص والحوادث في قصصه ، هما من اظهر مواهبه الفنية التي تتكشف عنها قصص هذه المجموعة كلها ، واحسب ان هاتين الخاصتين قد تكونان الان موشكتين ان تتكاملا فى نتاج جديد يطلع به على نحو جديد ، واتجاه جديد ...

وخاصة ثالثة في قصص مواهب ، احب ان تزداد وضوحاً في قصصه المقبلة ، وهي انه قاص متمرد على قيـــود القصة المألوفة ، متحرر من تلك المقاييس العتيقة التي كانت تستعبد كتاب القصة عندنا استعباداً عجيباً .

فقد جاء مواهب قصاصا واقعيا سمحا لا يتقيد بطريقة السرد التقليدية ، ولا يصطنع الحبكة القصصية اصطناعا ، وانما يجري مع الواقع الذي يصفه ، وفقا لما يجري عليه واقع الامور نفسها .

هذه خاصة رائعة ، اذا استطاع صديقنا مواهب ان يستثمرها في فنه القصصي ، كانت خير معوان له على الاستفادة من ذخيرته الغنية الموفورة.

حسين مروه

المناديل البيض ...

زمان الحكاية ... ذات يوم من العام ١٩٤٢ . ومكانها .. منزلنا : امي واخوتي وانا .

وكان الزمان فترة من فترات البحران التي تمر احياناً بالشعوب المستضعفة . وشعبنا فيا نعلم – كان في القـافلة المستضعفة اثناء الحرب . فلا نحن دولة محاربة لها ميزان بين المحاربين ولهذا الميزان كفتان من الانتصار او الانكسار .. ولا نحن دولة محايدة، تجلس او تقف في صفوف المتفرجين ، ولا يصيبها في الحالين ، سوى ثمن التذكرة تدفعه من بعض اقتصادياتها ، ثم رضوض يسيرة تصاب بها اثناء الزحام . لم تكن بلادنا شيئاً من المحاربات او المحايدات ، ولم تكن في المعركة ولا ابعد من المعركة انما هي في حال عجيبة غريبة ليس لها رأس من ذنب فقد اعلنت الحرب ولم تحارب وصار لها حلفاء وخصماء وهي لم تحالف احداً ولم تخاصم احداً وقيل لها : انها اسهمت في النصر ، وبلغت النصر ، ولكنها لم تلمس في جنبيها الاكاليل .. فهل لهذه الحال اسم غير البحران ؟!

ثم ان الحرب كانت في حساب الابعاد معدودة حوالينا ولكنها في الواقع كانت علينا .

فالمحتل الواحد الذي كان قبلها يتكلم الفرنسية اصبح خليطاً من لغات برج بابل .. والجيوش المحتلة التي كانت تبتلع كل يوم من السوق بضع سحارات من الخضار ومثلها من الفواكه التهمت السوق كلها ، حتى انعدم كل شيء ما عدا نفاية السوق ...

وامتدت الايدي الاجنبية الى المحصول على امه ، سنابل في الحقول او عناقيد في الكروم ، او براعم في الغصون فمسحت عليه بالقطف والنتف فلم يبق لنا سوى الجوع والدموع اقتسمها السكان بالقسطاس ، ما عدا فئة هيــأت الكأس للشارب ، واعتصرت له العنقود ، وارتضت لنفسها المقدور ... فهل لهذه الحال اسم غير القطران ؟!

في تلك الايام ، وجدت نفسي اواجه عسر الحياة بلا عمل ولا امل .. حتى كان يوم .. قالت فيه امي وهي تهز اصبعها في وجهي وتمسح عينيها بطرف كمها :

– فلان قريبك هيأ لك وظيفة في الميرة فمتى تسافر ؟

وكان في لهجتها شيء كالأمر .. او قولوا إنها دالة الامهات او نرفزة الارامل ، او كلتاهما معاً .

فوجمت ، ولم اجب ، بل اطرقت ملياً لـكي اجتر تلك السبة الجديدة ، كوني اصبحت واحداً ممن يهيئون الكأس للشارب الغريب ويعتصرون له العنقود .

وخيل اليّ انني اسمع هاتفاً مجهولا يقص في مسمعي قصة آخر

الزمان ، حيث كما يقال « يضطر الناس الى اتباع ياجوج وماجوج اكبر في الارض .. من اجل لقمة الخبز ..

في صباح اليوم التالي ركبت الى رزقي حصاناً شموسا اعارني اياه صديق فاعارني الشيطان بصورة حصان .. واخذت طريقي الى مركز عملي الجديد في احدى القرى لكي اعاون رجال التموين التابعين للجيوش الاجنبية في اعتصار دماء فلاحينا الى آخر نقطة..

كانت السهول ملء المدى تتماوج بالسنابل كأنها البحر الاصفر، والفضاء معطر برائحة الارض ، واغنية حزينة تترامى من بعيد ، متموجة الصوت ..كارتعاشة الامل الذي لم يتحقق ، وخوار بقرة كانت تبدو من بعيد كالنقطة السوداء في حقول القمح المذهب .

ولم اكد اشارف القرية في عزلتها الصخرية فوق قمة الجبل حتى اخذت اطمأن من حماسة الحصان ، واهمس اليه بلهجة رقيقة متوسلة:

– هيس ... دخلت.

فقد كان شر ما اخشاه ان يفطن اللعين الى احدى لعبه الخطرة فيشب على قائمتيه الخلفيتين لكي يلاكم الهواء .. واشر من ذلك ان يفعل فعلته هذه امام جمع القرويين الذين اقبلوا نحوي .. منذ تلاميحت لهم على حدود البيدر ، فأرخيت الزمام الى آخره دفعا لما يجره سوء التفاهم ، وباعدت قدمي عن بطنه الى آخر ما استطيع كيلا يستأنف معي لعبة القفز والنط والتقدم والنكوص واستباق الريح .. ثم امعنت في مجاملته فاخرجت منديلي ، ورحت امسح الزبد الذي كان يتغله من خلال اللجام .

هكذا وصلت القرية ، واعتقد انكم تسمحون لي بكلمة، اجعلها

بين قوسين ، قبل ان امضي بكم الى داخل القرية ، لكي اوضح بها علاقة زمان القصة ومكانها بما يأتي من السرد ،

اولا .. ليست هذه الصفحات التي اتلوها شيئاً من القصة ، اذا كان علينا ان نأخذ بالقواعد والاساليب المتبعة في فنون القصص .. انما هي صور مرسلة عرضت لها باسلوب مرسل ..

ثانياً .. ليس للعام ١٩٤٢ ولا لمنزلنا علاقة بالمناديل البيض .. وانما هو خيط قصير يتبقى في المكوك بعد الفراغ من نسيج ليربط خيطاً جديداً من نسيج جديد .

ليس من علاقة اذا اعتبرنا بيتنا في دمشق منفصلا عن اية قرية نائية في الشمال ، او ان امي واختي تنقطع اسباب العلاقة بينهما وبين اية ام واخت من بنات فلسطين .. او ان عام ١٩٤٢ لا علاقة له بعام ١٩١٦ ، او ان العسكري الفرنسي الذي افترس صبية قروية على طريق حلب لا علاقة له بالعسكري الانكليزي الذي ارتكب الاثم نفسه على طريق الاسماعيلية ..

ثمة علاقة – اوثق علاقة – بين الزمان والاخر على اختلاف الازمان ، وبين المكان والاخر على اختلاف المكان ، وبين الحادث والاخر على اختلاف الحادثات ، وثمة علاقة – اوثق علاقة – بين امهاتنا واخواتنا وبين الامهات والاخوات الكوريات والكينيات والمغربيات والفلسطينيات وعلاقة مثلها بين دانشواي والغوطة والرباط وسيؤول وبنت حمال في مرفأ ليفربول او مرسيلية او نيويورك . وامرأة تجلد بالسياط في مأذنة الشحم . كلهن خيوط في هذا النسيج الاسود الذي يمسح به اعداء الانسانية الارض .

اقسم على انني جريح منذ اطلقت الرصاصة الاولى في القتال ..
ولقد شنقت مرات احداها في دانشواي وقبلها على يد جمال السفاح ومثلها على يد نوري السعيد .. وسوف اشنق غداً مع ابطال الماوماو وجنوب افريقيا ، ولكم جلدت بالسياط اللاهبة في شوارع مدن المغرب وايران والهند مثلما جلدت في شوارع دمشق وحلب.

ولكنني ما يئست ولن ايأس فانا على ثقة من انني سأبلغ ذات يوم ما تبلغه الشعوب المعذبة من الانتصار على العذاب ، والانتقام للعذاب لانني.. انا السيد ، انا الانسان .

هذا ما اردت ان اقوله بين قوسين قبل ان اترجل من فوق الحصان والقي بزمامه الى فتى من القرية ازغب الوجه يميل قليلاً الى النحول . ثم سرت مع الجمع يتقدمنا بعض الصبية والكلاب .

وكان الاطفال يرمقونني من خلال اعينهم الكليلة من الرمد ، وهم في دهشة من هذا الزائر الغريب..

واعترضنا في بعض الطريق شيخ محدودب الظهر وبعد ان صافحني ببرودة قدم لي غليونه الاثري المصنوع من خشب الزيتون..

وكانت القرية مؤلفة من بضع قباب من الطين منتثرة بغير نظام بين الصخور ..

ولعل موقعها المنيع قد اسبغ على اهلها لمحات من المعز ، فهم صغار الاجسام ، معروقو العظام ، سمر ، تتوهج اعينهم بشيء كالعبث ، او الطفولة ، او الذكاء الشديد ..

وكانت في مجموعها ذات لون رملي جاف يذكر بالصحراء ويبدو مشهدها العام كلوحة مدهونة بالطباشير فليس فيها ظل ،

ولا خط اخضر ، ولا شيء غير الاشباح المعروفة من الناس ..

وخيل الي وانا ارقب الاطفال يقضمون كسراتهم اليابسة من الخبز ، انني اشهد آخر الدنيا ، حيث كما كانت تصف جدتي : « لا طير يطير ولا وحش يسير »

ولولا هذا الصوت الرتيب المتقطع احياناً الذي يصدر عن اسنانهم الصغيرة لازداد شعوري بالوحشة، او لظننتني طحلبة وحيدة في احدى الصحارى الافريقية ..

كان علي ان انتظر تعليمات الادارة التي ستصلني غداً في الصباح بواسطة مخفر الدرك لكي ابدأ عملي في اعتصار القوم بقية الحياة التي يتنفسونها ..

وكانت مهمتي — بوصفي موظف ميرة — ان اعد محصول القرية من القمح حبة حبة ، واسجل نسبة الزؤان والاوشاب في اكياسه يوماً بعد يوم .. والا ما استحققت مرتبي الشهري ..

ان الحلفاء بحاجة قصوى الى النصر ، فما على اطفال القرية — كل قرية — في بلادنا الا ان يساهموا في المعركة بكل ما يملكون حتى بكسرات خبزهم التي كانوا يقضمونها كالفئران المذعورة ..

انها معركة حياة او موت حياة الحلفاء وموتنا ...

وتحلقنا في المساء حول « شاعر الربابة » حيث اعد المختـــار لجلوسي حشية من التبن على سبيل الامتياز ، بينما جلس بقية القوم على تراب البيدر ..

وكانت امسية هادئة من امسيات الصيف لا يسمع فيهـا غير شقشقة صرصور يسميه القرويون «طباخ العنب والتين»

وكانت الابصار محدقة بي تتناهبني بعديد من الاسئلة ..
فقال الشيخ ذو الغليون الخشبي يخاطبني :
ــ اي نعم يا سيدنا .. باين الجماعة طحشو !!
قلت : مين ؟!
فاجاب مذعوراً : الانكليز اي نعم الانكليز، وحياتك.
ولا ادري لماذا شعرت بالخجل لذعره هذا فقد كان رومل هو الذي « يطحش » آنئذ في الصحراء الغربية.. ولكني فهمت شيئاً.. ان الرجل يحذرني ، ويحتقرني ..
وكان علي ان اقول كلمة طيبة في الالمان لانتزع ثقة القوم بي، واقتلع من اذهانهم كوني عميلاً انكليزيا جاء يمتص دماءهم ..
يا للهوان ...
لم يبق علي سوى ان امتدح هتلر ، جنكيزخان القرن العشرين لكي اتطهر من سوأة الخيانة لحساب الانكليز ..
كمن يغسل اوساخ وجهه ببول البقر ..
وقلت كلمة في هتلر ..
قلت : انه يجند اعداءنا .. هذا صحيح يا جماعة ، ولكنه لن يوفرنا..
اجاب رجل : جحيمه ولا جنتهم .. مضبوط ؟
لم اجب فقد كان شاعر الربابة يتململ نافذ الصبر ، ويحز الوتر بقوسه بزعقة خائفة بين اللحظة والاخرى .. فاقبلت عليه وقلت بايناس : هات..
ما كاد الرجل يستشعر اقبالي عليه حتى اشتد من استرخاء

واستقام عوده حتى ايقن من اقبالي عليه .. ثم مسح انفه بطرف كمه كطفل مهمل ..

ثم قال بصوت فيه بحة خفيفة بعد ان سعل وتفل يمنة ويسرة :

– تأمر ..

وصاح رجل : سمع يا ناس قالها برغم السكون المخيم فوقنا وحوالينا ، ولعله قصد اعلامي باهتمامه ..

وخاطبني الشاعر قائلا بلهجة هي بين الحديث والنغم :

– شف مطلوبك فوق الرأس ..

عندي م الخبر اجناس .

خبر الزير وخبر جساس

عندي من كل بستان فلة

قلت مقاطعاً : غيره ..

فاستطرد :

عندي قصص كل الشجعان

واخبارهم يوم الطعان

وابو الفوارس يا اخوان

عنتر والظبية عبلة

قلت معابثاً : غيره..

فاضاف :

تسألني يا ابن العشرين

عن اخبار الغابرين

خبر مفرح وخبر حزين

كل حادث وله علة

ولم يلبث ان استقام النغم في حنجرة الشاعر واخذت ربابته تنوح في نغمها الاسوان الرتيب ، وهو حان عليها كالام فوق سرير طفلها . .

وران صمت . .

وخيل الي ان في الربابة حديثاً من رتابة الحياة في هذه القرية النائية . . .

فلا جديد . . ولا شيء . . ولا حياة ،

لا جديد في هذه الايام التي تتابع على وتيرة واحدة ، الصباح صباح ، والمساء مساء ، والبقرة ولدت عجلة وكبرت العجلة فأصبحت بقرة ،

ولا شيء غير تلك النار الملتهبة في الكور ، وحديث معاد عن الغيث السماوي والمحصول المقبل ، ثم دخان . . دخان لا ينتهي من الغليون الخشبي .

اما الحياة فحدث عن الصحراء القراء في دنيا الاحياء ذلك ان اقرب مدرسة الى القرية تبعد سبعة وعشرين كيلومتراً ، والمرأة خلف الابواب او من وراء حجاب ، اما الدنيا بعمارها واوطارها وحركتها وبركتها فهي ابعد من الآفاق . . في البعيد البعيد . .

وامتد الصمت . .

ولم يلبث ان خيم السكون بعد ان الفت الآذان رتابة الربابة . . فرحت اتساءل :

ترى بماذا يفكر هذا الشيخ المحدودب الظهر ؟

وكيف يغازل هذه الشاب حبيبة قلبه ؟
وهذا الطفل .. هل يسمع من امه اغنية حنوناً قبل نومه ؟
وفجأة انقطع حبل الصمت والسكون والخواطر . دفعة واحدة . قطعه صوت يقول :
– باطل يا ابو ابراهيم .. وين مناديلك البيض ؟!
شعرت ان شيئاً أحدث في الجو حين ذكر الرجل المناديل البيض، فقد مرت بين القوم همهمة غاضبة تشبه تلك الزمجرة التي تسري بين متهجدين قانتين اذ يرتفع بينهم صوت يسب الدين ..
واحس الرجل بالخجل فداراه باصطناع الغضب اذ صاح :
– وايش صار ! كفرنا !
فاجاب كهل بلهجة العاتب :
– حاشا الله ... ولكن معلومك ..
قال الرجل وشار نحوي بحركة معينة لم ادرك مغزاها ..
فرد الرجل الاول قائلاً :
غير معقول .. ابداً الحكاية التي ترفع الراس تحكى لكل الناس ..
وانخفضت حدة التوتر الذي ران على الجو بعد هذا التعليل الذي ارضى القوم فيما يظهر .. فتشجعت وكان فضولي بالغاً اشده لاكتناه سر المناديل البيض ، فالتفت الشاعر مقلداً لهجة القوي :
– باطل يا ابو ابراهيم .. وين مناديلك البيض ؟
لشد ما يؤسفني انني لا اذكر اليوم بيتاً واحداً مما غنى الشاعر تلك الليلة .

وقد تركت عهد الشعر منذ زمن طويل فلا قبل لي بنظم ما تبقى في اعماقي من اصداء تلك الليلة ..

تركت الشعر منذ اضطرتني الظروف الى وضع القلم في سباق مع المطبعة ..

ان الشعر يتطلب نفساً خلية شجية ، ويقتله او يشعله الوقت.

كان السمر يلتفون من حولي فتبـــدوا اجسامهم في الغبش كاشباح اسطورية ..

والصمت ليس بثقيل ولكنه كضباب تشرين مبلل بالدموع .

وارتفع صوت الشاعر كأنه دفقة الذكريات من اعماق السنين.

قلت انني تركت نظم الشعر فاليكم ما رتله شاعر الربابة منثوراً:

في دنيا المساكين .. يوم واحد بالف عام ..

ليلتها .. تفجر الصخر نفسه بالدموع ، وتوارى القمر خجلاً من حقارة بعض بني الانسان

ايعقل ان يأكل الذئب لحم ذئب ؟ كلا .. ولكن الانسان اكل لحم الانسان ..

صمتاً ايتها العذارى ، فنداؤكن لن يبلغ اسماع الرجال ..

ليس لان الشهامة مفقودة ..

انها موجودة ..

ولا لأن الضمير مات ، بل هو حي يتفجر بالحياة ..

لكن الرجال اصبحوا في بئر .. ذهبوا ولم يعودوا ..

فلما عاد الطريد وآب الشريد شاهدوا المناديل البيض اصبحت بلون الدم .

ولكنهم بكلمة . كلمة واحدة جعلوها بلون الثلج ..

لقد صرتم امهات يا ذوات المناديل البيض ..

لم يكد يصمت الشاعر حتى كان نشيج القوم يفح كانفاس الجياد المتعبة ..

ومن خلال الدموع تكلم رجل كهل من بين الجلوس فقال موجهاً خطابه اليّ :

– قبل ان تولد انت يا بني كانت هذه القرية موجودة ..

وقبل ان تولد انت كانت جماعة الحاضرين ، وانا منهم ، شباناً صغاراً في مثل سنك .. وكان لنا آمال في ان نزرع ، ونحصد ، ونتزوج وننجب الاطفال .. وكانت اغانينا ملء الارض وملء السماء لانها تنبع من القلب ،

وذات يوم انطلقت بضع رصاصات من ذاك السفح فاشتعل جبلنا بالنار ..

قيل لنا يومئذ : ان قوماً مبرنطين يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ، سيأتون على عجلات وخيول ، لكي يقتلوا شبابنا ويذبحوا اولادنا ، ويهتكوا اعراضنا ، ويأكلوا قمحنا .. فخفنا قليلاً وتحمسنا كثيراً وحملنا الفؤوس والعصي والخناجر .

ولم يكن هناك خيار يابني بين الموت او العار فاخترنا الموت .. ولكننا تبينا منذ اول معركة اننا جماعة من الضعفاء ، فذقنا الموت ولم نسلم من العار ..

واستأنف الراوي حديثه قائلاً :

هذه القرية حصن منيع تحميها الصخور .. ولكن ما فائدة

الحصن الصامت الذي لا يرد على المـــدافع باكثر من الرصاص والحجارة ؟

لقد كنا جماعة من الثوار لا يتجاوزون اصابع اليدين.. ولكن الفرنسيين لاقونا بعناد الجبهات ، فتهاوت قباب الطين بارعاد المدافع قبل نارهـــا وتهاوت مع البيوت نفوسنا .. فرقاً على النساء والاطفال ..

تصور يا بني.. سياطاً من جحيم ، وآفاقاً تغلقت منها الابواب، ورجلا .. بل رجالا قساة غلاظاً يلطمونك ويركلونك وينتفون شعرك ويقتلعون اظافرك وانت مقيد الى جدار ..

لقد انتهينا .. هكذا همس احدنا ، وما في العنـــاد نتيجة .. هكذا همس آخر ، وعلينـــا ان نستسلم ، هكذا اتفق الجميع .. ثم تطوع عدد من شبابنا لحمل الرايات البيض الى معسكر الاعداء فعارض قليلون ، ولكن بصوت خافت ضعيف ..

ولم يلبث هؤلاء الفتيان ان ساروا في موكب حزين تشيعهم زغاريد الجنازات ، واخذت الامهات والاخوات والزوجـــات يعفرن الوجوه بالتراب ، وتبللت لحي الشيوخ بالدموع .. ثم وقفنا ننتظر .. ندعو الله ونقرأ آية الكرسي ويس والف يا لطيف .. ولكن احداً من الاولاد لم يعد ..

لم يعودوا رغم دعوات القلوب المنكسرة ورغم احدى واربعين سورة يسين .. لانهم سكنوا بئراً مهجورة تحت عشرين قامـــة من الارض .

واستطرد الراوي بعد ان اخذ نفساً من سيكارته التي شعت

في الظلام كأنها عين مبصرة فقال :

– ثم كان يوم آخر .. فاذا القرية نقطة صغيرة في حلقة كثيفة من رجال ومدافع ، فتبعثر معظم السكان بين الصخور الصم لانها احن على الانسان من بعض بني الانسان ..

وكانت بناتنا يعقدن المناديل البيض على رؤوسهن دلالة على العذرة والطهر .. فلما ولت الشمس ، واغبش الليل ، ترامت الينا من خلال الصخور نداءات تفتت الصخور وخيل الينا ان النجوم تسمرت في افلاكها ، لما شعرنا به من شقاء بالغ تحالف معه الجوع والخوف فقعدنا في وجوم وذهول كأننا لسنا من انفسنا ولسنا من هذا العالم .. واندفع بعضنا نحو النداءات الغامضة يضرب في الظلام ، ثم لم يعد احد ..

فلما طلع الصباح ولا ندري كيف طلع ، رأينا المناديل البيض على رؤوس عذارانا مصطبغة بلون الدم ..

●

كاد الليل ان ينتصف حينما فرغ التاريخ من حكايته الحمراء .. وكانت كل جارحة من نفسي تنتفض بالحقد والخوف وما لا ادري من اشتات المشاعر ..

واخذ مضيفي يملأ ابريق القهوة لكي يضعه في النار .. ولم يكن هناك احد سوانا هو وانا ، بعد ان تفرق القوم عائدين الى اكواخهم لكي يجتروا ذكريات الشقاء ويحسبوا ما سوف تأتيهم الايام من شقاء .

وقلت لمضيفي وانا اعالج ثيابي لاغوص في الفراش الذي

اعده لي :

– لقد قسوت في حكايتك يا صاحبي فاثرت احزان القوم .

فالتفت نحوي بدهشة وقال :

– قسوت ؟ كلا يا اخي.. انني اريحهم بالدموع .. انها حكايتنا كل يوم ..

وفي تلك الاثناء عبرت الكوخ امرأة فاستوقفها الرجل قائلا :

– البن .. يا عليا ..

فغضت المرأة النصف من طرفها كعذراء في عمر البدر وتوارت خلف ستارة ، فلما تأكد الرجل من انها اصبحت بعيدة عن دائرة صوته همس بصوت خفيض :

– اختك عليا .. ام الاولاد .

ثم استطرد قائلا وهو يجمع شعث النار بملقطه :

– مسكينه عليا.. لم تنس لحظة ما مر بها في تلك الليلة. ولكم تمنت بعدها الموت حين عادت من مشارف القرية وعلى جبينها منديلها الاحمر.

فحملقت في الرجل دهشة وكتمت صيحة.. بينما استطرد قائلا :

– كانت عليا قسمتي حين تقدم شباب القرية العائدون لكي يغسلوا الدم من مناديل الرؤوس ويعيدوها بيضاء ناصعة كالثلج..

لا ادري كيف مرت ليلتي تلك فقد تحالفت الكوابيس وجيوش البق علي حتى كادت ان تفقدني الصواب بعد ان اطارت من جفني النوم..

ولم يلبث الصباح ان اشرق بلون الورد ، وتعطر الجو بأغاني

الصباح يقطعها بين الحين والاخر خوار بقرة او ثغاء شاة او عواء كلب ..

واطللت من باب الكوخ على دنياي الجديدة فشعرت ان الحياة في حركة دائبة صاعدة ، ولن تتسمر عند حادث في التاريخ ، ولكن الاحياء بحاجة الى الدموع ، مثلما هم في حاجة الى البسمات لكي يستلهموا من الاولى القوة والصمود ، ويعيشوا في الثانية

واقبل مضيفي علي قائلا :

ان المخفر يطلبك

ففطنت الى ان الادارة ستتصل بي لتبلغني تعليمات عملي الجديد.

فقلت مغيراً مجرى الحديث:

ــ دخلك بالي عند الحصان .. فاستدار الرجل ذاهبـــاً نحو الاسطبل ، ثم عاد يجر حصاني واللعين يقفز الى امام او يحرن الى وراء او يشب الى السماء .

ومددت يدي اصافح الرجل .

فمال على يدي بلهفة حتى ليكاد يقبلها فقلت :

ــ انا عائد .. فالمقام بينكم يحتاج الى اعصاب ..

وايقنت ان الرجل لم يدرك ما اعني فقد سألني قائلا حينما علوت ظهر الحصان :

ــ الى المخفر ؟؟

قلت : كلا .. الى ضيعتي البعيدة ..

فجحظت عيناه بدهشة ساذجة وقال : والميرة ؟؟

فاجبت على عجل وانا امرق كالسهم :

ــ طظ ميرة ..

الثــأر ...

« ... ونحن نحتفل بالذكرى الثامنة لعيد الجلاء. جلاء الاحتلال الاجنبي عن بلادنا. ارى من واجب حملة الاقلام ان يذكروا ، ومن واجب المواطنين ان يتذكروا ، ففي الذكريات المستنيرة حافز على النضال لدفع اثقـــال الاحتلال عن البقاع المحتلة من ارض العرب ، وصون البقاع المحررة من عودة الاحتلال ... »

•

احست ام عوض وهي تعد الجوز واللوز لتحشو بها رقاق العجين ان صدرها يضيق بهم ثقيل ، فاجأها على غير انتظار ، فقطعت لحناً شائعاً كانت تدندن به ، ومسحت كفيها بطرف ردائها ، وقامت نحو باحة الدار ، تلوب نحو لاشيء ، وفي نفسها ، مع القبق ، شعور بالخوف ، من طائف مجهول .

وكانت الدار هادئة يغمرها السكون ، الا من خرير مكتوم

يصدر عن ساقية بخيلة تعبر الباحة ، مما ضاعف احساس ام عوض بالوحشة ، واشعرها بالحاجة الى وجود انسان الى جانبها : جارتها ام حميد ، او سواها من الصديقات التي يحملن اليها الايناس بلغوهن وحكاياتهن ، كلما زرنها ..

ولبثت ام عوض تلوب في صحن الدار خائفة حائرة مستوحشة حتى سمعت المفتاح يدور في قفل الباب ، ورأت زوجها ابا عوض يدلف نحو الداخل ، فتنفست الصعداء ، واستدارت عائدة نحو المطبخ ، وهي تهمس لنفسها :

ـ الحمد لله على الستر ... الرجل سند البيت ، ربي يمد بعمره.

بينما تابع ابو عوض سيره نحو غرفته ، ببطيء الخطوات ، يتوكأ على عصاه بكلال ظاهر ، وقد ازدادت انحناءة ظهره ، كمن ابهظه حمل ثقيل .

كانت ام عوض قد الفت هذا الوجوم يمد رواقه على دارها . ولم تحاول قط ان تعكره بعتب او شكوى ، لانها ، كمعظم نساء الشرق ، وخاصة نساء الريف ، لا تملك حق الشكوى من الرجل.

وثمة شيء آخر كان يلجم لسانها عن العتب والشكوى ، ويزيد من وطأة الصمت المخيم فوق الدار ...

شيء ثقيل مر ، ما تنفك تناضل لاستدفاع ذكراه عن خواطرها ، كلما المت بها ذكراه ...

كانت وحيدة ابويها ، وكانت صغيرة حين انقطع خبزها من بيت ابويها ، واتصل في هذه الدار .

لا تذكر من هذه المرحلة الا ان بعض النساء احطن بهـــا ،

فمشطن شعرها ، وطلين وجهها بمسحوق ناعم ابيض ، ورسمن فوق حاجبيها خطين اسودين ، ثم اركبنها حصانا وقادهـا الموكب الى قرية بعيدة وهم يطلقون حولها الرصاص .

لكم خافت هذا الرجل الغريب في اول ليلة ، ولكنهـا في الصباح ، لم تنكره ، بل شعرت بدافع يهيب بها انتمسح له صرمايته الحمراء الجديدة ، وتضعها عند قدميه .

ولم تلبث ان سارت حياتها هادئة رتيبة ، يملأها ولدها الوحيد عوض بشبابه الذي اكتمل وازدهر بالقوة والعبق ، حتى كان يوم، فاذا كل شيء يتهاوى كقباب الطين عبثت بها قدم طفل عفريت.

كل شيء : الهناءة والامل . . وارتفاع الرأس.

في ذلك اليوم الاسود من ذات عام بعيد .. هجر عوض القرية يلحقه العار ، وطواه المجهول في اعماقه ، فلا خبر عنه ولا اشارة ، سوى نتف من شائعات لا تبل الريق ..

وانطوت منذئذ ام عوض على شعور يشبه الخوف ، لم يلبث ان بهت ثم انقشع مع مرور الزمن .

ولكنه انبعث اول من امس كالميت يقوم من قبره ، حين برز من صميم المجهول وجه ولدها عوض ..

اي نعم . هكذا بكل بساطة دفع الباب ودخل ، كأنه لم يغب عن الدار تسعاً من السنوات ، بل غاب هذه الساعات القليلة التي كان يستغرقها عمله في الحقل ..

لشد ما اثرت فيها نظراته الذاهلة، ووجهه الذي تخدد وتجعد..

ولكنه جاء اخيراً سليما معافى ، فاندفعت نحوه بكل اشواقها،

واحتضنته ، وغيبت وجهها في صدره ، وراحت تتشمم رائحته المالحه ، دون ان تأبه بتلك النظرة الخاطفة التي تبادلها الاب والابن، واشتبكا بها كسيفين ماضيين ، في حدهما احد امرين : قاتل او مقتول ..

وما عدا تلك الجفوة القائمة التي كانت ترين على الرجل وفتاه ، كلما ضمتهما جدران الدار ، فان الحياة بالنسبة لام عوض اصبحت مقبولة ، حتى لقد ظنت ان الدنيا هادنتها بعد حرب ، مما بعث في نفسها الامل بعودة المياه الى مجاريها بين الاب وابنه ، ومحو ذكرى ذلك اليوم المشؤوم من خاطر الاب .. لا سيما وان الولد وحيده ، وليس له من اعوامه السبعين ان يأمل في ذرية سواه .

كل ما كان يحيرها ان ابا عوض كان فماً يأكل ولا يحكي.

لم يكن لينطق بكلمة تفصح عما يجول في خاطره من غضب او رضى . كان يدخل الدار في سكينة وتوجس ويغادرها على هذه الحال نفسها فلا يدل على ايابه وذهابه سوى صوت عصاه ذي الطرقات الرتيبة على حصى الباحة .

وكانت عودة عوض المفاجئة ، مثاراً لدهشة القرية باجمعها ، فاعادت الى الاذان ، همسة قديمة مخيفة ، تخافتت حيناً من الزمن ، ثم غاضت :

الخائن .. ابو الخائن ، ام الخائن ..

لكم قرعت هذه الهمسة الهائلة مسمع الام ولكم قاست من وقعها ، ومن معناها ، ومن ذكراها .

وها هي تعود ، فتقفز من صميم الماضي ذكريات ايام رهيبة ،

كئيبة ، حين كان « جبل الزاوية » شعلة من نار وحملات الفرنسيين المحتلين ، تتلاحق على قراه باستمرار فتحرق الزرع وتثكل الامهات وتهتصر غصون الشباب وتهتك الاعراض..

كان فتيان القرية حينئذ يلوذون بالصخور المنيعة ، ويصبون من خلفها حمم النار على الاعداء ..وكانت النساء تخبز الخبز وتحمل الماء والذخيرة الى الثائرين .

القرية شعلة من نار وحقد ، ما عدا عوض ، فأنه في دنيا غير دنيا القرية .

كان يلوب حول وطفا .. سمراء القرية الثائرة ، ذات الجمال الغاضب التي يسمونها ، اخت الرجال . ويلازمها حيثما سارت وحيث يتلامح وجهها ذو الغضبة اللاهبة : في الدروب وقرب النبع ، وعلى تخوم الحقول، وقرب نافذتها حين تأوي الى مضجعها..

لقد كانت فاتنة القرية حقاً ، فلا تكاد تبرز من خدرها، بقامتها الملتفة ، وصدرها الطري السمين ، حتى تمصمص النساء بشفاههن ، ويهمسن : اسم الله الحلو حلو ولو قام من النوم والبشع بشع ولو تغندر دوم ..

اما الرجال ، فقد كانوا يغضون من ابصارهم ، كلما برزت ، رغم نار الاشتهاء التي تصفر في قلوبهم ، وتكوي حباتها . ذلك انها خطيبة منصور وعلى اسمه منذ ان كانا صبيين ، يحبوان على اربع كصغار القطط ..

وخيل الى عوض ان الجدار القائم بينه وبين وطفا قد آذن بالانهيار حين اختفى منصور في شعاب الجبل ، واضعاً دمه على

كفه ، شأن بقية رفاقه الثائرين ..

وشعر انه قمين باجتذابها اليه ذات يوم ، مهما طال ، رغم حمرة الحماسة التي كانت تلتمع في وجهها كلما ذكرت منصوراً ، او نقلت شيئاً من حكايته مع جماعة الفرنج.

ولكن احلامه تهاوت كأوراق الخريف حين ترامى اليه ان وطفى تجتمع الى منصور في كل ليلة رغم ستار الحديد والنار الذي ضربه الفرنسيون حول المنطقة ..

ولم تلبث خيبته ان تحولت الى حقد طاغ ملأ نفسه وملك عليه حواسه حتى افقده التمييز بين الاشياء .

واستيقظت القرية ذات صباح ، فاذا الجنود الفرنسيون والسنغال والمغاربة يسدون دروب القرية ومسالكها،ويتعنقدون في الساحات وفوق اسطحة الاكواخ .

وسرت وقتئذ شائعة ، ان خائناً من سكان القرية قد عرف بتلك الزيارات الخفيه الليلية التي كان يقوم بها الثوار بين الحين والاخر . وجرى على الالسنة اسم عوض ، فصمت بعض الناس، وهز اخرون رؤسهم مستنكرين ، غير مصدقين ، ذلك ان اباه .. ابو عوض ، شيخ الشباب سابقا ، وسبع السبنبع دائما . فمن غير الممكن ان يكون اباً لخائن مهما كانت الدوافع .

لقد شهدت القرية في ذلك اليوم العصيب مأساة دامية لا تزال ذكراها ماثلة في الخواطر.

كان عدد من الفتيان مقيداً بالحبال ، بعضهم الى بعض ، في خط واحد كأنهم جمال القافلة . ومن حولهم النساء والاطفال

والشيوخ ، يرين عليهم وجوم حزين مترقب يحطم الاعصاب .

وكان في وسط الساحة ضابط صغير الجسم ميت الملامح كالجرذ المخنوق ، وحوله نطاق من جنود يقفون كالخشب المسندة ، وقد اشرعوا حرابهم الى اعلى كأنهم يتحدون السماء .

وكان منصور مربوطاً الى السلسلة بين الفتيان ، كأنه الاسد الحبيس ، تنطق سماته بالثورة والحقد والقهر ، ولكنه يبذل جهده لمناضلة اعصابه وامتلاكها بالهدوء والمصابرة .

واخذ الضابط يروح ويجيء امام جدار الناس بخطوات متكاسلة مستمتعا باهميته التي فرضها على هذه القرية العاصية ..

ولم يلبث ان توقف على حين غرة ، منتصب القامة ، متعاليا كرأس العليقة واخذ ينقر على جزمته بطرف كرباجه ، شأن سلاطين المواقف العصيبة حين يهمون بابرام امر عظيم ، ثم قال يخاطب الحضور كلمة كلمة كأنه يستقطر خطابه بالقطارة :

— سمع .. ما عندي غير مهلة خمس دقائق لتدلوني على منصور .. خمس دقائق وبس .

قال ذلك وحسر عن كمه بحركة متعالية وراح ينظر في ساعته ...

واخذت الثواني تمر ثقيلة متباطئة في هـــذه الحلقة الضيقة من ارض القرية ، بينما الحياة تمتد عبرها وتوشوش ، في خرير ساقية ، وزقزقة عصفور ، ولغو طفل ، وخوار بقرة يترامي من بعيد ..

ومضت الدقائق الخمس كأنها دهر ، لم ينبس خلالها احد بكلمة .

فعاد الضابط يقول ، وقد حاول ان يكسب قسماته سمت

الناصح الامين :

– سمع يا جماعة : آخرة العناد لاش . والعود اليابس ، طق ، ينكسر . كونوا عاقلين ، وافتدوا العشرة بواحد ..

ولكن احداً من الحضور لم يطرف له رمش نحو المكان الذي يقف فيه منصور ، وعادت الدقائق تمر متباطئة ، كأثقل ما تنقضي اعوام الجدب والالم والعـــذاب ، مات خلالها الآباء والامهات والاخوات الف ميتة وانتقل ثقل الاجسام من ساق الى ساق مرة في كل ثانية ، دون ان يتغير شيء من الموقف الآخر .

قال الضابط وهو يدلف نحو احد الشيوخ .

ما رأيك يا عجوز ؟ قل .. انطقها .. هل معهم حق بهـــذا العناد ؟.. تململ الشيخ قليلاً ، واخذ ينكت التراب برأس عصاه ، ثم قال بدهشة ساذجة :

– عجيبة ..! هل عندك غير الموجود ؟

فجن جنون الضابط لهذا البرود الصارم ، وهجم على الشيخ بغضب مجنون ، يدفعه ويركله بعصبية فائرة ، ثم لطمه بجماع قبضته لطمة هائلة ، تلقاها الشيخ بصبر عجيب ، وراح يلعق خيط الدم الذي اخذ يتخلل لحيته الفضية، حتى اذا امتلأ به فمه . تفله في وجه الضابط بصقة حمراء انطلقت كالرصاصة ثم رفع رأسه بهدوء ينتظر قدره .

ولكن الضابط تلقي هذه الاهانة صابراً ، بوداعة الوحش اذ يتربص بفريسته ، ويرقب عبثها باستعلاء القادر على وقفه حين يشاء واستدار نحو الجمع ، نحو الجدار الصامت من الناس واخذ يحدق

الى الوجوه واحداً بعد الاخر فلما وقعت عيناه على عوض ، توقف واستأنى وشاعت في وجهه ابتسامة باهتة اشبه بالتكشيرة ، ثم ناداه بتحبب اصفر :

- تعال يا بني .

تسمر عوض لحظة ازاء هذه المفاجأة ، ولكنه تقدم تحت وطأة النظرة الكاسحة التي واجهته ، بينما احدقت به ابصار القوم كالاسنة المشرعة .

قال الضابط :

- قل يا ابني . انت اعقلهم دون شك .. بصراحة .. اين منصور من هؤلاء الكلاب ؟

كانت الدنيا تدور كالطاحونة السحرية ، ومئات الصور قد اختلطت في عيني عوض . كل شيء يبدو باهتاً ثقيلاً في نظره ، حتى لكأن الواقع قد استحال بلحظة خاطفة الى كابوس . وخيل اليه انه لمح وطفا تبصق ، وامه تولول ، واباه يضرب الارض بعقاله ..

واستطرد الضابط :

- اجب .. كلمة واحدة ، ولا تخش احداً من هؤلاء الحمير .

فلما لم يحر عوض بكلمة ، اضاف الضابط قائلا ، بلهجة من اسقط بيده :

- طيب يا ابني انت حر .. لا عليك ، فنحن ذاهبون اقلع شوكك بيديك اذا قدرت

قال ذلك ، واستدار نحو جنوده كأنما يهم بالقاء اوامر جديدة

بينما سرت في محيط القوم همهمة عريضة ، كالموجة العنيدة .

وكان ابو عوض يقف معلق الانفاس ، يستحم بعرقه خجلا وعاراً ، وقد تسمر نظره عند شفتي وحيده ، غير مصدق ان هذا الفتى الواقف في منتصف الساحة هو من دمه ولحمه .

ولم تطل هذه الفترة العصيبة من الصمت الا قليلا ، اذ قطعها عوض بصوت مرتعش قائلا وهو يشير نحو منصور : ذلك هو يا سيدي ، فندت عن الكتلة البشرية صرخة مدوية واعولت النساء وتشبث الاطفال بامهاتهم ، بينما اخذت الحلقة المستديرة بعوض تضيق شيئاً فشيئاً كالانشوطة حول عنق المحكوم عليه بالاعدام . ولكن الجنود بادروا بامر من ضابطهم القصير ذي الملامح الميتة الى تفريق الناس بمؤخرات البنادق ، ثم هرع جنديان نحو منصور ، ففصلاه عن السلسلة وجراه الى وسط الساحة ..

وفي هدوء غريب . نتر الضابط مسدسه وافرغ رصاصاته في رأس منصور .

لم يبت عوض تلك الليلة في القرية ، بل تبخر منها باسرع من لمح البصر وتركها متشحة بالسواد ، تمضغ الحقد والقهر ، وتشرق بالدموع .

فلما اصبح الصباح ، شوهد ابو عوض يسير نحو حقله ثقيل الخطو محدودب الظهر ، يعتمر بالاعدامية . وهي كوفية بدون عقال ، يتميز بها صاحب الثأر في القرى ، فلا تفارقه الا بعد ان يثأر لنفسه .

●

وتصرمت سنوات على هذا اليوم دون ان يخرج خلالها ابو عوض

عن انطوائه الصامت على نفسه .

كان يتجنب اهل القرية ويتجنبونه ، ويمر بالجميع كالطيف الساهم لا يبدي ولا يعيد . وقد سارت حياته بين العمل طوال النهار في ارضه ، والايواء مساء الى داره لا يفارقها الا مع الفجر .

هكذا تصرمت الايام ثقيلة باردة كأقسى ما تتصرم على رجل يعيش منبوذاً ، حتى من رفاقه القدامى الذين حمل واياهم السلاح فوق ثلوج القفقاس وفوق شعاب جناق قلعة .

كان هؤلاء يتجنبونه عامدين ،ويشيحون بوجوههم حين يلتقونه ، او يزيدها احدهم فيبصق على الارض بطريقة خاصة لا تخفى على ابي عوض ..

وقد عصف الحقد يوما بأحد الموتورين ، فاعتدى على ارضه ، وقطع بعض اشجارها ، فضلا عن عديد المحاولات لاحراق محصوله من القمح والشعير .

ولكن ابا عوض لاذ بالصبر على هذا الاذى ،فلم يرفع عقيرته بشكوى ، ولم يستنجد بحكومة ، بل لزم الصمت ، ذلك انه كان عارفاً بمشاعر قومه ، شاعراً ان معهم الحق فيما ينطوون عليه من موجدة والم ، يلازمه الاعتقاد في انه يستحق اكثر من ذلك. يستحق الاحراق حياً . ولكم تمنى لو ان يداً رحيمة من بني قومه تجود عليه برصاصة فتنقذه مما هو فيه من عذاب وعار ، اهون منهما الموت .

وقد يصادف ان يلتقي احيانا بوطفا ، تحيط بمحياها الابلج هالة قاتمة من وشاحها الاسود الحزين ، فيتوقف لحظة كمن يتوسل

اليها ان تسمع له كلمة ، ولكنها كانت في كل مرة تشيح عنه بوجه متحجر ، لا اثر فيه لموجدة او احتقار ، ذلك ان احزانها كانت اقوى من الموجدة والاحتقار ..

ولكم خطر لابي عوض وهو يرمقها دامع العينين ، يعتصر قلبه العذاب والخجل ، ان ينزح عن القرية الى سواها من بلاد الله ، لو لا ان حب الوطن قتال كما كان يقول ، ولو لا ان الشجاعة لا تمده بالقدرة على فراق ارض حبيبة ، ما في ترابها ذرة لم تسق بعرقه وليس في جوانبها ركن الا فيه ذكرى من طفولته العابثة او شبابه اللاهي ، او شيخوخته التي تقتات بالذكريات .

ولم يلبث مرور السنوات ان اسدل على مأساة منصور ظلّاً خفيفاً من النسيان ، كفلت الحياة المتواترة ان تسبغه شيئاً فشيئاً على ابناء القرية ما عدا قليلين ، ممن حفرت المأســاة في نفوسهم اخاديد بالغة العمق ، لا يردمها مرور الايام ، وكر السنوات .

وكان ابو عوض من هؤلاء رغم ما يبدو من غرابة هذه الحقيقة فقد ظل على انزوائه وانطوائه وتقشفه ، فلم يقحم نفسه بفرح ، ولم يزر احداً في ترح ، ولم يظهر بثوب جديد لا في جمعه ولا في عيد ، وظلت تلازمه الاعدامية حتى اصبحت شعاره ، مما اضفى على صبره العجيب لوناً من بطولة الشهداء ، محت بتماسكها وجلدها وسكينتها ما ناله من عار في خيانة ولده ، واخرجته من هذه المأساة الحاطمة بريئاً نقياً لا تشوب صفحته شائبة . فاخذت تلقى عليه بعض التحايا ، من الاقرباء اولا ، ثم من بعض الاصدقاء ، ثم من الجميع ، وما لبث القوم ان افسحوا له مكاناً في ساحة القرية حيث يتحلقون في

الليالي القمراء حول البئر، يسمرون ويضحكون، مما اعاد شيئاً من البهجة الى نفسه، واشاع فيها الرضى رغم بعض المنغصات التي تأتي احياناً بغير قصد، على جناح ذكرى يستعيدها متحدث ثم يقطعها فجأة حين يفطن الى وجود ابي عوض بين السامرين.

لكم احس الرجل بالتعاسة لهذا اللون الفاجع من الشفقة، ولكم تمنى في احيان، لو ان الارض تنشق وتبتلعه.

ومع ذلك فان الماضي قد تولى بدمائه ودموعه، وكادت معالمه تنطمس من الاذهان، واوشك ابو عوض ان يستأنف شيخوخة هادئة، هانئة لولا ان مآسي الضمائر لا تختتم بسهولة.

كان لا بد ان يطرق الباب يوما، وبعد تسع سنوات، وان يقف عوض بالباب، بلحمه وعظمه وسماته.

لقد انبعث الماضي على غير انتظار، هكذا دفعة واحدة لم يتغير في عوض شيء سوى عارضيه اللذين التمعت فيهما الشعرات البيض.

وكان عوض يرتدي الملابس الفرنجية: السترة والبنطلون، وفوقها الطربوش، وفي قدميه حذاء سميك من المطاط. وقد ظل ابو عوض فترة غير قصيرة، يحاول خلالها ان يستجمع شتات ذهنه دون فائدة، بينما تسمرت ام عوض في مكانها كالخشبة. وظلت القلوب الثلاثة نهباً لعديد المشاعر المتناقضة خلال وهلة هذا اللقاء، وكاد الاب والابن يتعانقان حين تلاقت اعينهما في اللحظات الاولى، لولا ان وقف الماضي بينهما كالصخرة الهائلة، فاستدار ابو عوض صامتاً، واغلق على نفسه باب غرفته، بينما اندفعت ام

عوض نحو وحيدها مسوقة بلهفة اقوى من الخوف والعار .

ومن خلال سيل الاسئلة الدافقة المتلاحقة ، عرفت من خبر ولدها ما كان خافياً طوال تسع سنوات . عرفت انه جاع وعري ونام على الارض والتحف بالسماء . وعرفت انه تقلب بين الوان من الكدح المرهق حتى استطاع ان يفتح دكاناً صغيراً لبيع الخضار والفاكهة في بيروت .

•

ولم يلبث خبر عودة الفتى ان شاع وذاع في انحاء القرية .. فاستيقظت الاحقاد والذكريات المرة ، وعاد منزل ابي عوض كما كان قبل تسع سنوات ، كأنه كهف الشيطان ، لا بد لمن يمر به ان يقذف بحجر او ببصقة ..

ولم تعلق ام عوض على هذه الحال الا بقولها : الصبر طيب . وكانت تعتقد ان كل ارض ستشرب ماءها ، ولا بد ان يحن الدم يوماً الى الدم . وقد تستطيع ان تقنع زوجها وولدها بالنزوح الى بيروت بعيداً عن ارض الحقد والكره والانتقام .. ولعلها استيقظت هذا الصباح على شيء من هذا الامل ، وزاد من املها ان رأت ابا عوض يخرج عن عزلته ويخالط مكان ولده ، وتوقعت في البدء ان تنشب معركة بين الشيخ والفتى لا يعلم مداها الا الله ولكنها تنفست الصعداء حين ســـار الحديث بينهما حول الارض والعناية بها ، وما الى ذلك مما يجري عادة بين اصحاب المصلحة المشتركة ..

لذلك شاءت ان تحتفل هذا النهار بما سمته : عودة الميـــاه الى مجاريها ، فقامت تعد صنفاً من الحلوى يتـألف من عجينة محشوة بالجوز واللوز تعلم ان الاب والابن يلتقيان على ايثاره بين اصناف الحلوى . واضحكتها ذكرى قديمة ، حين كانت تقوم الى اعداد هذا الصنف في الماضي ، فيدور الرجل حول المقلاة منشداً : في البطن بلوى لا يشفيها الا الحلوى .

غير انها شعرت ان ضحكتها ليست من الاعماق بل من مظاهر القلب ، فقطعت لحناً كانت تلغو به ، وقامت الى ساحة الدار ، وقد غمرها خوف مفاجيء عصف حتى ببقية الامل التي كانت تحتفظ بها للايام السود .

غير انها احست بالامان حين سمعت المفتاح يدور في قفل الباب ورأت ابا عوض يدلف نحو البـــاحة بخطواته البطيئة الرتيبة ، فاستدارت عائدة نحو المطبخ ، وهي تلعن ابليس اللعين الذي يوسوس باوهام بعيدة عن التصديق .

ولكنها لم تلبث ان اطرقت برهة ، وقد رابها ان ابا عوض كان متجهم الوجه ، وان انحناءة ظهره كانت اكثر من المعتاد ، فتساءلت في نفسها لهيفة :

— اين عوض ؟..

وما كادت المرأة تلقي في سريرتها هذا السؤال حتى احست بشيء يقبض على صدرها وينشب فيه ما يشبه المخالب .

فقفزت من مكانها الى باحة الدار ،وهي تصرخ مولولة ، دون ان تدرك سبباً لما طرأ عليهـــا وغير من حالها ، ثم هرعت الى غرفة

زوجها فراعها ان بقجة الملابس منتثرة على القاطع ، وليس في الغرفة احد فاندفعت تلتف بملاءتها كيفما اتفق ، ثم غادرت الدار على عجل كأنها تستبق الاقدار لدفع كارثة مداهمة .

•

في هذا الوقت نفسه كان ابو عوض يدلف نحو ساحة القرية ، بطيء الخطا يتوكأ على عصاه وينقر بها الحصى .

ولم يكد يشارف مجلس القوم حتى ارتفعت نحوه العيون تنقب جسمه بغير شفقة ، وتمسح بالفضول والدهشة على كل شيء فيه ، على : الحذاء الاحمر الجديد ، وسروال الجوخ ذي المطرزات البديعة ، والصدار المقصب ذي الاكمام الواسعة ، وكوفية الكسروان ذات الشرابات الحريرية ، وفوقها ، اي نعم فوقهـــا تماماً ، العقال الاسود ذو العقفة الانيقة .

فلما اخذ لنفسه مكاناً بين القوم ، بادر بعض الجلوس الى مغادرة المكان ، وبقي آخرون بدافع من الفضول او الرغبة في الشكس . واتلع شيخ ابرش العينين عنقه فقال متسائلا في سخرية :

– مين يا جماعة ؟.

فاجابه كهل يتكلم من انفه :

– احم ... يقطع الذوق !.

فقال الشيخ يصطنع الدهشة :

– مين .. ابو عوض ؟

– بعينه .. وما شاء الله مثل العريس ليلة الدخلة ..

ولم يجب ابو عوض بكلمة ، بل اخرج علبـة التبغ ، واخذ يبلل اصابعه بريقه ، هادئاً متأنياً لا يطرف له رمش .

وفي نفس اللحظة ، اقبل من طرف الساحة غلام في العاشرة مدهون الرأس بالزيت من اثر قرعة فصاح :

ـ الحقوا يا جماعة . عوض قتيل عند الدرب الشرقي .

فندت عن الحضور صرخة مكتومة، وتحولت الاعين في حركة واحدة نحو ابي عوض ، ترمق عقــــاله الاسود ذا العقفة الانيقة باعجاب واعتبار ، غير ان الرجل كان بارد التقاطيع لا ينم وجهه عن اسى او عن رضى ، بل كان يتابع ســـــاكناً لف سيكارته باصابع ثابتة ..

الموكب الاسود

لم يكن احد سواي يدرك في تلك الليلة سر العملاق الاسود الذي ينهض جامداً وسط الحركة ، وسر الساعة الرابعة الا ربعاً التي لم تشر اليها ساعة البلدية بعد ...

ولعل من السخريات القاسية ان لا يهمس في قلبي في تلك الليلة ، وانا في موقفي عند عمود النور القائم على طرف بردى ، ودخان سيكارتي يتخلل خيوط المطر ، الا صوته هو كما سمعته منذ اشهر يهيب بي ان انتصر على الضعف ، بقوله : « قم .. ستشفى ونعيش كما يطيب لنا » .

كان وجهه يتألق يومئذ بتلك الاشراقة التي تصطبغ بها الكائنات في احيان مفاجئة ، فنرى من خلالها اعزاءنا على ابدع صورة واتم صحة ، واكمل قوة ، فلا نملك اذ نراهم الا ان نهتف بهم ونحن بين الدهشة والغبطة : « فظاعة شو حليانين » فقد كان بادي البشاشة ، ترسم بذلته الانيقة انتفاخات القوة والبأس من عضلاته ، وتوضح مواضع الانساق من قامته الاسبارطية الجميلة ، وكانت خصلات

شعره الخرنوبي مبعثرة تغري الانامل الرقيقه بالمسح عليهـــا ، وتمسيدها .. وكان من الثقة بنفسه بحيث يملأ الآخرين املًا وثقة . ثمة شعرت ان المرض لم يكن سوى شحاذ ثقيل طرده صديقي بكلمة ، واني كنت سخيفاً اذ سمحت لهذا الشحاذ ان يقف ببابي ويزحف الى فراشي ويأخذ من جيبي وقلبي ما يريد فابتسمت لهذه الخواطر ، واتسعت بسمتي حين مرقت في ذهني صورة طفولتنا ، حين كنا نذرع الشوارع معاً خلف لا شيء ، وادهشني من علي ان الزمن لم يبدل شيئاً من سمات طفولته فهو نفسه جرأة وثقة ، منذ ان كان يجرني وراءه الى مغامرات السطو على دجاج الجيران ... ألم يرسم لحياته طريق الغلبة منذ معركة المصنع ؟

لم نكن حينئذ سوى يتيمين ممن يطلق عليهم بعض الناس : الكلاب الضالة .. فلا بيت يلمنا على التعاطف ، ولا مدرسة تضمنا على التعاون ، ولا اهل سوى امي وامه ، وكلاهمـا سحنة غضنها الحرمان والألم ، وقبضة اعجفها الكدح في شغل اطباق القش لتأمين لقمة الخبز التي لم نحمد الله على شيء سواها .

وذات يوم رأينا نفسينا نلف في البراري المحيطة ببلدتنا على غير هدى ، بعد ان شهدنا ، ونحن نبكي مع عدد قليل من نسوة الحارة ، جثة امـه محمولة على بعض الاكتاف الى حيث لا يعود احد ..

كان الوقت عصراً ولخطواتنـــا وقع مكتوم على الاوراق الشاحبة الرطبة ، وبين الاعشاب البرية تنتثر صفرة فاتحة تذكر بالعطش ..

وسوى عليّ خصلات من شعره الخرنوبي انحدرت على عينه ، وقال كمن يحدث نفسه :

ـ اخيراً ..

فرمقته بطرف عيني احمل له نظرة اشفاق انقلب الى اعجاب حين رأيته يكبر سنوات في لحظات ، واني اصبحت منه كالطفل الى جانب رجل ...

في ذلك اليوم ارتبطت مصائرنا بعضها ببعض ، وولد بيننا شعور مشترك باننا ابناء طبقة واحد ليس لها من حياة الاحياء سوى الجوع والدموع .. والكدح .

وبدافع من تعقله الذي لابسه بعد وفاة امه ، بادر الى الالتحاق بمصنع صغير لحلج القن ، لم البث ان التحقت به بدوري ؛ فراراً من الوحدة ، او بدافع من رابطتي به او خلاصاً من لسان امي التي ما تنفك تقول لي : انني مثل ذكر النحل آكل الطعام واضيق المكان ..

وكنا نجلس الساعات الطوال فوق المحلجة ، في مكان قليل الاتساع ، ذي نوافذ ضيقة يطل منها النور على اعلى جدرانه ، وفي الفضاء غمامة من نشارة القطن نتنفسها بانتظام ، ونسعلها طوال الليل .

وكنا نمسك خلال هذه الساعات بعصي صغيرة ندفع بها القطن كومة في اثر اخرى نحو مشط الآلة الذي يعزل البذور عن كتلة الخيوط ، ولا ننفك نتلقى الصفعات من العمال الكبار الذين كانوا ينادوننا في لحظات غضبهم باولاد الكلب وابناء الـ ... ة .

وكان بين العمال الكبار رجل لا نعرف الا ان اسمه الفيلسوف: ربعة القامة ، اشقر ، لفمه الرقيق شكل ندبة السيف . يبدو كثير الصمت ، مستغرقاً في عمله ، فاذا تكلم تحلق حوله العمال وهزوا رؤوسهم موافقين .

ولم نسمع رجلاً قط من جماعتنا يتكلم بمثل طريقتـــه السهلة الواضحة المقنعة . وكان وجوده يضفي على ما حوله جواً من الحب والرهبة .. وقد خرجنا من حديثه الاول بنتيجة عجيبة هي اننا اولاد طيبون ، ولسنا اشراراً كما كان يخيل الينا .

وكان الفيلسوف يختص فرقتنا نحن الاولاد بمعظم عنايته ، فيمنع زملاءه الكبار من ضربنـا ، ويسأل عن غائبنا ، ويفض مشكلاتنا ، وينوب عنا امام صاحب المصنع ، ويلقننا بعد الفراغ من العمل مبادىء القراءة والكتابة ..

وفي ذات يوم دخل علينا صاحب المصنع ، وبعد ان جاس خلال المكان ببصره ، توقف عند علي، ثم اخذ يروزه ويقيسه طولا وعرضاً والفتى لا يلتفت اليه .. وبعد خروجه بقليل ، كان يحتل مكان علي فوق المحلجة صبي آخر ، في العاشرة من عمره ، له وجه القطة المذعورة ، وفي رأسه آثار قرعة قديمة .. بينما انتقل علي الى قسم العتالة ..

والتقينا في المساء قرب باب المصنع الخارجي ، وكانت ثيابه ملتصقة بجسمه كأنه خارج لتوه من تحت دوش ، ولم يكدر يهدر محرك السيارة بعد امتلائها بالقطن وتمضي بحمولتها حتى رأيته ينقض بمثل لمح البصر على عامل من الكبار فيلطمه في وجه ، ثم يأخذه

من ياقته ويدفعه بقدمه وراءه برشاقة بارعة فاذا الرجل ينهار كتلة جامدة على الارض ..

وقبل ان يبادر العمال الى التفريق بين المتخاصمين كان علي قد بلغ من غريمه ان افقده الرشد ، بعد ان اسـال الدماء من انفه وفمه ، ثم وقف بعيداً بين المحيطين به يلهث كالجواد المتعب وعيونه تقدح شرراً ، وفي وجهه اشراقة انتصار ملأتني اعجاباً ..

ولم يكد الخصم يستفيق لنفسه حتى اغرقه زملاؤه بعاصفة من الضحك وهتف احدهم قائلاً :

ـ قلنا لحميد الف مرة ما كل الطيور لحمها بيتا كل ..

فلم يجب الرجل ، بل تسلل نحو باب المصنع ، بينما اخذ علي يمسح وجهه بطرف كمه ، ويحسر على جبينه الوضيء الخصلات الملتصقة به .

منذ ذلك اليوم شق علي طريقه ، بقبضته ، بين العمال الكبار ، رجلاً صغيراً ليس في وجهه سوى الزغب .

كان يوم المعركة نقطة تحول في حيـاة علي ، فأصبح بعده يصطنع سمت الكبار : يمشي بتثاقل ، ويضع قبضتيه في خاصرتيه وقدماه منفرجتان ، ويدخن ، ويبصق بين اللحظة والاخرى ، ويسب الدين ..

وذات يوم فاجأني بقوله ونحن في طريقنا الى المصنع :

ـ اسمع يا مصطفى .. ان حياتنا بنت كلب .. ما فيها عدالة اجتماعية ، فلم اجب بل رمقته بنظرة احترام ، لم اكن اختص بها سوى صديقنا « الفيلسوف » حين اسمعه يتحـدث عن اشياء لا

افهمها ، ومنها هذا الشيء المسمى « عدالة اجتماعية »

وكان العمال على طول طريقنا يحثون خطواتهم كما نحثها ، وايديهم مضمومة كايدينا على « صرر الزوادة » بينما يسير في لصقنا اطفال وفتيان في مثل عمرنا ، صباح الوجوه ، يتلألئون نضارة ونظافة وايديهم مضمومة مثلنا ، ولكن على محفظات انيقة من الجلد اللامع .

في ذلك الصباح الذي لا انساه شعرت اني لست اقل من علي فهماً لمعنى ما سماه حينئذ « عدالة اجتماعية »

•

ظل المصنع دنيانا الصغيرة طوال سنتين بدأناهما مازحين ثم اصبحنا كادحين ، نعرق كالكبار ، ونقبض اجورنا كالصغار ..

وفي اثناء ذلك ، كانت الحياة تنمو فينا يوماً بعد يوم ، فأخذت سواعدنا تشتد وصوتنا يخشوشن ، واعباؤنا تتكاثر ..

وكان علي اسبقني الى الاكتمال فلم يعد يتحدث عن دجاج الجيران بل عن بنت صاحب المصنع ، وثروة الشعر التي تتموج على كتفيها ، ورقة اصابعها ، وبروز نهديها ..

ثم عن بسمة زعم انها خصته بها اثنا احدى زياراتها للمصنع ..

ولم اصدق حينئذ ، رغم ثقتي البالغة بعلي ، ان يكون جاداً فيما قاله عن قصة البسمة ، لانني أعرف بحدسي ان النظافة لا تبتسم للقذارة ، واننا من غير طينة صاحب المصنع وذريته .

ولم البث ان توزعتني دروب الحياة حين انقطع علي فجأة عن

المصنع ، ثم اختفى من الحارة تاركاً خلفه بعض القلوب الصغيرة التي ظلت امداً طويلاً تنتظره خلف الابواب كل صبـــاح وكل مساء ، حتى اذا امضها الانتظار انطوت على الوحشة والذكرى .

وانقضت على غيابه سنوات ، لم اقع له خلالهـا على اثر ، ولم يبلغني عنه خبر ... حتى كان مساء ، من اماسي الصيف ، كنت افترش الارض في ساحة الحارة مع بعض جيراني ، ندخن ونتثاءب ونرتقب طلوع النجم لنأوي الى مضاجعنا استعداداً لاصباح لا تتغير ، تبدأ بالشقاء والعناء ، وتنتهي بالاعيـاء ، فاذا بشاب يقبل من اول الحارة خلناه لاول وهلة احد الوجهاء ، فلمـا اصبح على كثب منا هتفت ، وهتف الحضور جميعاً : يه !!.. هذا علي ..

وقمنا اليه نتجـــاذبه ونعانقه ، ونتفحصه ونلمسه ، ولا نكتم دهشتنا من ظهوره المفاجيء الذي لا يشبهه الا غيابه المفـاجيء ، وهذا الثراء العريض الذي جعله كنجوم السينما ملاحة واناقة ..

قال لي حين ضمتنا جدران غرفتي القديمة التي لم يتغير منها شيء سوى خلوها من فراش امي :

ـ ستسافر معي ..

ولم اكن بحاجة الى كلمة اخرى تزيد عن هـذا العرض ، فقد كنت متعباً ، وكانت روحي بالغة انفي ، وكان لدي آمال مـا انفك اترقبها في الدرب الطويل الذي تمضي فيـــه السيارات نحو العاصمة ، والذي لم اسلكه قط ..

وجفاني النوم ليلتها ، حتى خيل الي ان الصبح في نهاية الدهر ، وكانت خواطري تطير مبعثرة هنا وهناك ، حيث نثرها حديث

علي .. اري السيارات الفارهة تمرق في الشوارع العريضة وتصخب في داخلها الضحكات ، والنساء رقيقات عطوفات ، يلبسن ما يبرز محاسنهن التي لم ابصرها ولا في الاحلام ..

كان حديث علي مغرياً معظم الليل حتى انني اخذت اتلمس موضع انتفاخة الثراء من جيبي الفارغ ..

وظل علي طوال الطريق يرقب دهشتي بكثير من السخرية العطوف ، فقد كنت بادي السعادة اكاد اصفق لكل مايصادفني، فلما بلغنا دمشق خيل الي انني مع علي بابا اركب بساط الريح . واجوس الفضاء فوق السبعة البحور وراء ست البدور ...

وادهشني ان يصبح علي على هذا القدر من التمدن . ولست اكتم انني شعرت بالصغار حين قارنت اناقته بخشونة ثيابي،ونعومة كفيه بآثار الكدح البادية في اصابعي.. وازدادت دهشتي حين بلغنا منزله فقد لمست وقتئذ لاول مرة نعومة الحرير في ستور النوافذ وشعرت بالراحة حين غصت في المقعد المخملي العريض ..

وامتدت بي احلام هذه الراحة حتى الصباح ..

لم ادرك في الايام الاولى لحياتي الجديدة سر هـــذا التحول الطارىء في حياة علي ولكنني امسكت باول الخيط ذات مساء ، اذ قال لي وهو يعقد حول عنقي ربطة انيقة :

سأكشف لك الليلة عن كنز ..

ثم حملتنا سيارة نحو منزل انيق يقع في شارع مستقيم عريض تمتد في وسطه حديقة دائمة الخضرة .. حيث استقبلتنا لدى الباب

صبية لم تقع عيني على ابدع منها ، تلقتنا ببشاشة وتلقاها علي بالعناق بعد ان دفعني دفعاً الى داخل الصالة .. ثم سمعت صوتا يهتف من الداخل : مين ؟. فردت الفتاة متضاحكة : الازعر ..

واضافت بعد ان نظرت نحوي : ورفيقه ..

فضحك الصوت ، وضحك علي .. ثم تلفت حوله مصطنعاً الفزع ، واسترق من الفتاة غفلة فربت على ردفها فاستدارت نحوه على عجل وبادرته بلطمة خفيفة على وجهه ،فضحك، وضحكت، وجاء على صوت القهقهة كهل سمين ، اصلع غليظ الشفتين حول عينيه هالة زرقاء ، وفي اسفل ذقنه غبغبة مترهلة ترتسم فيها عروق زرق عليها اثر موسى الحلاقة ..

ثم تحلقنا حول مائدة في وسط الصالة ، لم تلبث ان عمرت بالاقداح ، وباصناف المازة ..

وكان ظاهراً ان علاقة علي بالفتاة لا تخفى على الكهل ولعلي رأيت في نظراته واشاراته ما يؤيدانه انه يشجعها الى ابعد الحدود.

ورأيتني بعد ان زال الحرج الذي استشعرته في وهلة اللقاء الاولى استرق النظر الفاحص الى الفتاة .

كانت جميلة اجمل ما يكون الصبا الثائر الفائر .. ولكنها من نوع القطط المدللة في نعومتها المسلحة بالمخالب .. وقد تبدو لك في لحظة .. انها قطة فعلا تنحصر امانيها في حدود طراحة المخمل حيث تغمض عينيها وتحلم ، فاذا استفزها الضحك والدعاب غدت سافرة نافرة كالفرس الشموس ، اذ تنطلق عارية من السرج ، مقطوعة الزمام ، تشق المسافات بكتفها ، ورأسها مرفوع الى اعلى ...

تشعر الى قربها انها منك قريبة قريبة ، كأنهـا جسد يتصدى لك برغباته وافراحه ونعماه .. فاذا اقبلت عليها اصبحت بعيدة بعيدة، كالنجم ، تراه ولا تبلغ مداه .

ولكنها فيما ظهر لي في تلك الليلة ، كانت من علي كالخاتم من اصبعه يحركه كما يشاء ، وكان منها كالفحل الآسر الكاسر الذي يبث الرهبة والحب .

او هكذا خيل الي من خلال الكاس الثالثة ..

قال لي الكهل وهو يملأ قدحي مبتسما : أقريب علي ؟؟..

فأجبت : بل اخوه ..

فقال بين السرور والسخرية : ـ انتصرنا !

ثم التفت الى علي قائلًا :

ـ ما تقول لنا ان لك اخاً ـ اخزيت العين ـ قبضـاي مثلك ؟!

فاستفاق علي لنفسه وكان مستغرقاً في حديث هامس مع الفتاة ، وقال ذاهلًا :

ـ آه ... مصطفى ... دون شك ، انه اخي ، ولو لم تلده امي ..

قال الكهل وهو يغمز نحوي :

ـ مناسبة طيبة . ايش رأيك ؟

فانتفض علي غاضباً وقال :

ـ لا .. دعنا منه . مصطفى ليس قد الحمل .. تماما وحياتك

ولم ادرك حينئذ معنى هذا الحوار الخاطف ، فكان سؤال

الكهل وعرضه ثم رفض علي وغضبه كأنما تدور حولي بلغة لا افهمها.

فلما عدنا الى منزل علي قلت له وانا اغوص في الفراش :

– ان الكهل لطيف ..

فاضاف علي :

– وابن كلب ..

ثم قال مستدركا :

– انه كنز يا مصطفى ، وانا مدين له بكل شيء . ولكنه فظيع ، فظيع جداً .. انه يشرب من دمي ، ولولا ناهد لشربت انا من دمه ..

واستطرد لاهثاً :

انني مطارد يا مصطفي .. منه ومن ابنته ومن آخرين .. ان الشغل على الحدود يشيب شعر الرأس .. وهو حياة الزفت بعينها

قلت في دهشة : التهريب ؟ فلم يجب ، بل اطفأ النور .

•

كانت ساحة المرجة اشبه بمحرقة ضخمة ينعقد في فضائها بخار الماء كأنه دخان الواقد ، ويكتنف جوانبها الظلام .

وفي ناحيتها الشمالية تنهض اخشاب سود كأنها العمالقة وفي وسطها حبل معقود تؤرجحه الريح ..

وكانت الجموع تسيل في الشوارع المؤدية الى الساحة ثم يقف عند الطوق الذي ضربه الجنود حولها ..

وعلى شرفات الفنادق تنعقد غمامة كثيفة من الناس ، خرجوا

من الامان والدفء الى الخوف والريح والمطر . وكانت ساعة ساعة البلدية تشير الى الثانية والنصف ، بينما يصعد دخان سيكارتي في الفضاء بتكاسل ويدور حول هالة النور المحيطة بالفانوس القائم على كتف بردى ..

ولم تلبث سيارة السجن السوداء ان مرقت من مدخل السنجقدار ثم استدارت نحو بناء العدلية العتيق ، حيث هرع لدى وقوفها عدد من رجال الدرك احاطوا بها ، واستقبلوا راكبها.

وما كاد علي يلمحني حتى توقف لحظة ، ثم تفل باشمئزاز وقال يخاطبني :

ـ باطل يا مصطفى .. هل جئت تتفرج علي .. لكم ابصق على رحمتك يا اخي ..

فاطرقت . وتفجر الدمع من عيني ، ولعلي اعترف الان بعد ان تعلمت من العاصمة اشياء كثيرة ، انني لم اشعر بجرمي في تلك اللحظة ، فما كنت لادرك حينئذ انني احد افراد الشعب السوري الذي نطق القاضي باسمه قائلاً :

ـ الاعدام شنقاً ! ولمن ? لاخي علي ..

ولم يلبث علي ان حار الى لون من الهدوء القاتم حين صرنا الى داخل مبنى العدل ..

ثم استغرقه الشرود فلم يحاول مرة ان يمسح دموعه من خديه.

وكان يبدو شاحباً ، ولكنه صارخ الفتنة كالعريس في ليلة زفافه ..

وخيل الي من خلال استغراقه وذهوله انني اقرا جميع الخواطر

التي يلغو بها .. فليس عجيباً وهو الان يسحبه المغيب خلفه ، ان لا يلتفت بكل الشغف الذي تمده به لحظاتـه الاخيرة ، الى اجمل سنوات العمر .

وكنت على يقين بان ابدع سنوات العمر بالنسبة اليه لم تكن في المنزل ذي الستائر الحمر الذي استرده الكهل منذ الليلة الاولى للقبض على علي ، ولا في الصالة ذات اللون الفستقي التي شهدت عناق الالفاظ والشفاه بين علي وناهد ولا في اية زاوية من زوايا دمشق البهيجة .. بل كانت هناك ، في بلدتنـــا الصغيرة ، خلف دجاجة ضالة من دجاجـات الجيران ، او فوق المحلجة في المصنع الصغير ، او في البراري يمسك بقضيب مكسور ينقر به الحصى ، ولخطوه وقع مكتوم على الاوراق الشاحبة الرطبة وحوله ، بين الاشجـــار ، وعلى الاعشاب الثرية ، تنتثر صفرة فاتحة تذكر بالعطش ..

ورفع علي رأسه فجأة وقال :

– ماء ..

فقدم له احد الجنود كأساً اخذ يرتشفها جرعة جرعة .

وكانت الغرفة الكائنة في نهاية الممشى الجانبي تعج بالقضـــاة والصحفيين والجنود .

وندت عن علي ضحكة هائلة حين سأله القـاضي عن وصيتة الاخيرة ، ثم اجاب بعد ان تلفت حواليه بمرارة :

– نظيفة والحمد لله ...لا وصية الا العفو الك ، والعـــافية لاخي هذا ..

قال ذلك واشار ناحيتي ، فاحدقت بي لدى اشارته العيون ، وامتلأ مسمعي بهمهمة لم ادرك سببها كأنها هدير العاصفة ..

لقد شهدت نهاية علي مرتين ، اولاهما كانت قبل اشهر ، حين شعرت به ذات ليلة يتكوم قربي في الفراش ..

كان خائفا مذعوراً يلوذ بي كطفـل في حجر امه ، وسمعته يهمس الي في الظلام :

– انا انتهيت يا مصطفى ..

– لا تقولها ..

– بل قلتها وفعلتها ..

– . . . . . .

– ان الحكومة ورائي ..

– . . . . . .

– مالك ؟ الا تفهم معنى الحكومة ورائي ؟.

لم اجب على الفور ، بل قمت اتلمس ثيــابي في الظلام ، ثم قلت له :

– قم .. لعلنا ندبرها ..

وقبل ان نتحرك خطوة واحــدة كان النور يغمر الغرفة وبضعة مسدسات متجهة نحونا ، وصوت اجوف يأمرنا بالوقوف .

ولعلي شعرت ، بعد ان عرفت ان علياً اصبح قاتلا ، في عنقه دم خفيرين من خفراء الحدود ، ان الاقدار كانت تسخر بنا حين الهمته ان يهيب بي منذ ايام ، قبل رحلته الاخيرة الغامضة وكنت طريحاً في فراش المرض . قائلا :

- قم .. ستشفى ونعيش كما يطيب لنا ..

كان علي يرتجف كالريشة في مهب الريح وقد رسمت قامته نصف قوس ، وبدا كانه يحمل اثقال الارض .

وكان يدير في الحضور عينين زائغتين ، فلما استقر بصره علي تمتم بشقاء بالغ .

- خاطرك ..

فاستخرطت باكياً واندفعت نحوه ، ولكنني شعرت من خلال غيبوبتي ان مئات الايدي تقبض على عنقي وتمنعني من الحركة ..

ثم تلامح لي الموكب الشاحب يسير نحو الساحة ، والبنادق مشرعة تؤدي تحية الموت ..

واخذ علي يصعد في درج المنصة ، هادئاً جسوراً عارم الشباب ولم تفارقه شجاعته الفائقة الا حين تدلت الانشوطة امام عينيه واخذت الريح تؤرجحها كرقاص الساعة ..

كانت ساعة البلدية تقترب من الرابعـــة الا ربعا : وصوت من الساحة يتلو كلاما مكتوبا في ورقه ، والجموع تتدافع مشرئبة الاعناق نحو المشنقة .. وخواطري المبعثرة لا تستقر على حال ، فهي بين سيارة السجن ، والحبل ، وحبال الاراجيح التي يمرح عليها الاطفال او العشاق في الليالي القمراء ..

وكانت دمشق تغفو هاجعة وتنعقد في فضائها احلام النائمين .

وتصورت ساحة المرجة بعد ساعات حين ترتفع الشمس في قبة الفضاء ، ويتوارى كل شيء : الناس الى حيث تناديهم اسباب

الحياة ، والجثة الى حيث يعبث فيها الدود ، والاخشاب السود الى مكانها من سجن القلعة .

ثم تحتل سيارات التاكسي مكانها من الساحة بدل العملاق الاسود ، ولا تلبث الاكتاف الكثيرة المزدحمة ان تندفع من جديد في معركة العيش ، قاتلة او مقتولة ..

اليتيم ...

كان الوقت مساء ، وبيني وبين بلدتي اربعمائه كيلو متر ، ولكنني في تلك اللحظة لم اكن بعيداً عنها .. كنت فيها .. في بيتنا ذي الباب المصفح بالتوتيـــاء ، المطرز بالمسامير تترامى الى سمعي من خلال ضجة المساء في شارع فؤاد الاول ، اصوات اولاد حارتنا وهم يتصايحون ويتشاتمون ثم يتصـالحون ويستأنفون لعبهم الذي لا ينقطع في معظم ساعات النهار ..

كنت اقف وحيداً امام سينما الاهرام احدق في الوجوه ولا اراها .. وتمر بي المناكب فتزحمني، او تتوقاني ، وضحكات مرحة سعيدة ترن هنا وهنالك ، كالاجراس الفضيـة ، وطقس تشرين يمسح على الوجنات برطوبة منعشة ، وكأن افراح المساء قد سرت الى جرس الترام، فمضى السائق يدلله بايقاع موزون على الوحدة.. وخيل الي ان شيئاً في نفسي يغني :

– بكرة السفر ..

لم اكن قبل عام استشعر هذا الشوق الى بلدتي .. فهي جمود

ور كود كما كنت اسميها .

وكانت ايام الفرص السنوية تسبب لي الضيق لانها تضطرني الى مغادرة العاصمة ، الى حيث الجمود والركود .. وبضعة وجوه لا تتغير في الصباح ولا في المساء .. تمضي في حياتها على رتابة تطلع الروح ، ولولا مجلس ابي الذي ينعقد في كل ليلة على سمر وحديث ونوادر وشرب قهوة ، ويجمع بعض اصحابه ، لكان خيراً من اجازتي ان ازج في السجن ..

وكان ابي يعرف بي هـــذه المشاعر ، فاذا انفردنا ، وران الصمت ، رفع رأسه عن كتابه الاصفر ورمقني من خلال نظارتيه بحنان يشوبه الزهو ، وقال بلهجة يحاول دائماً ان يضفي عليها شيئاً من السخرية :

ــ ابن العاصمة غير .. لنا الله يا ابني !

فاطرق معترفاً بصدق حدسه ، فيمضي قائلا :

ــ معك حق يا ابني .. لا وجوهنا حلوة ولا بساطنا ناعم ..

كانت مدرستي الداخلية هي كل دنياي .. يستهويني كل شيء فيها : السجعات المصنوعة من استاذ الادب ، وقامة المدير التي تطاول الباب ومسحة القسوة التي يفضحها حنانه .. ورغوة الصابون نتراشق بها في الصباح ، وخاصة اصباح الجمعة .. والجولات الليلة في ايام الهرب من النظام ..

كنا نرابط احياناً امام احدى دور السينما لنوزع النياشين والالقاب على مخلوقات الله .. فلهذه السمراء وسام الاستحقاق ، ولأم البلوز الاصفر نيشان الكمال مع السعف ، وكنا نقلدهن

ايضا بعض المراتب العسكرية ، ويا مـا اكثر الماريشالات في ذلك الزمن ..

لقد كنا شيئاً من الطفولة ، وشيئاً من الرجولة .. نهزل كثيراً ولا ننقطع في الحالين عن الايمان بانفسنا والثقة في مستقبل الحياة .. ولعل اطرف ما في الصبا انه مفارقات مستمرة متجددة ، موفورة الفنى ، يتميز عهده المتوثب المتحفز الحامي ، بهذا المزيج من الفروسية والشعر ومن شيء لعله من العصفورية .. ولكن عهده كان في جميع احوال سكونه وحركته ، تجاوباً ضاحكا متفائلاً مع كل شيء في الكون .. واحياناً مع لا شيء ..

في تلك الليلة كان سكون يرين على المدرسة بعد سفر معظم الطلاب الداخليين الى بلدانهم ، ولم يجلس احد منـــا نحن الخمسة الباقين الى العشاء الذي قدمه لنا مطبخ المدرسة بل اكتفينا بمـــا تبلغنا به اثناء تطوافنا نهاراً في السوق ..

ولم نلبث او آوينا الى مضاجعنا صامتين ، لا يكاد الواحد منا يتبادل كلمة مع زميله وانثنيت انا على الصرر الصغيرة التي تضم هدايا العيد الى اخي واخوتي و ... وتوقفت كفي لحظة عند لفة صغيرة تتميز عن سواها بلون خاص فوضعتها جانباً بعناية ، وحشرت الباقي في محفظة الثياب ..

كانت الهـــدايا زمارات ، وجوارب ، ومجمعين من فاكهة الشام ، وعلبة حبوب السعلة لجدتي وامزكا للسكاير لابي ، ومنطوفلة من الصوف محلاة بريش الارنب لأمي .. فلما اغلقت غطاء المحفظة واندسست في الفراش ، اخذت على نور غرفة المهجع ذي الخيوط

الواهنة ، افتح الصرة التي ميزتها عن سواها ، لـكي استروح نشر - اضعت العد - تلك الرائحة الفاغمة التي تند عن الاشياء النسوية الرقيقة ..

وطارت بي الخواطر اليها .. الى العينين الشهلاوين الضاحكتين اللتين هناك .. وترامى من اعماق الذكرى صوتها ذي الغنة الممراح يهتف بي : اهلا .. وتلهب خدي بحرارة قبلتها الخاطفة ، تطبعها لهيفة شاكرة ، وتلامح قوامها اللدن الملتف ، ذو الاستدارتين هنا ، والقبب هناك ،والطراوة البديعة من هنا وهناك ، ثم انفلتت هي كالضحكة العارمة نحو المرآة ، لـكي تجرب عصابة الشال .. وما هي الا التفافة رشيقة حول الرأس ، وعقـــدة فوق الاذن ، وتسوية بارعة عند الجبين، حتى استدار الشال الحرير بالشعر الحرير، ووضح الوجه بعد انحسار هالة الشعر عنه، وقد تضرج خداهابحمرة الرضا والزهو والشوق .. واندفع من خلال هذه الصور الوردية ابي يهمس في غفلة عنها :

- بارك الله .. لم تعد دباً يا بني .

كان من رأي ابى ان رسائل الغرام وحدهـا لا تطعم العشاق الخبز ولو كتبت باسلوب ابن زيدون ..

وقد افضى اليّ بهذا السر حين عثر مصادفة على مسودة رسالة كنت بعثت بها اليها مع احد اولاد الحارة ..

في ذلك اليـــوم الذي لا انساه تعرفت في ابي على اظرف صديق .. واكتشفت، ان وراء وقاره نفسها تنطوي على الشباب، وان تزمت منصبه الديني ، لا يلزمه بكتمان مـــا تحت الجبة عن

ولده اليافع .

فلما وقع على مسودة الرسالة ، لم يزد على ان قال ضاحكا ليسكن من روعي .

- نثرك جميل يا ابن ..

ثم استطرد لكي يخرجني عن صمتي .

- قل لي بحياتي عليك ... ماذا تحكيان حين تنفردان ؟

فأجبت ، وقد وجدت في لهجته الحنون سبيلا الى التسرية عن نفسي :

- لا شيء

فصرخ بي :

- فظاعة .. واخذت فتحة انفه تتسع وتضيق ، ونظارتاه تهتزان على ارنبة انفه .. وظل يهز رأسه يمنة ويسرة عدة دقائق وهو يفرك كفاً بكف ويقول :

- فظاعة .. مسكين هذا الولد .. فظاعة

ولم يكف بعدها عن سؤالي بين الحين والاخر عن الجماعة .. كيف هم ؟.. حالهم ؟.. ماذا قالوا ؟.. وماذا قلنا ؟.. ولا يكاد يفاجئني مورد الوجه ضاحكا حتى يغمز لي بأحد عينيه ويقول : اي يا سيدنا من اولها ..

فكنت اطلق للساني العنان في حضرته ، كما لو انه صديقي في مثل سني ، فيسمع ويبتسم ، ويبارك ، ويلوم ، ويوافق ، وتنعكس جميع انطباعات الحكاية في سمات وجهه ، وحركة يديه ، وتململ جلسته ، حتى لكأنه يعيش لحظاتها ويحس انفعالاتها ..

وذات يوم سألني وهو ظاهر القلق :

- هل ترسل هدايا ؟.. قلت بدهشة : هدايا ..

فقال ساخراً : اي نعم.. هدايا.. محرمة، جراب، قلم حمرة .. زمارة ، ضراب سخن اي شيء . المهم الهداية ..

فلم اجب، بل قلبت له احد جيوبي ببساطة مشيراً الى افلاسي.

فهز رأسه باسف وقال :

بصراحة .. انت دب يا ابني ..

فلما رأى تضرج وجهي بلون الدم استطرد مترفقاً :

الهدية يا ابني .. انها تزيل الجفوة ، وترقق النفس ، وتستهوي الكبار والصغار .

قال ذلك ثم قذفني بام الخمس والعشرين وكانت وقتئذ تشتري الدنيا ..

•

لا اعرف كيف نمت ليلتها ..

فلما اشرق الصباح بادرت الى لبس ثيابي على عجل مستجيباً نداء زمور السيارة التي وقفت عند باب المدرسة .

وكنت ضيق النفس اشعر ان شيئاً غامضاً لا يغري بالتفاؤل يتربص لي في بعض الطريق او في نهايتها ..

وكانت السيارة مندفعة كالوحش تشق بساط الاسفلت فيمرق جانباه كطرفي العصا المشقوقة .

وكانت اعمدة التلفون تدور وتتراجع متسارعة كأنها في دوامة.

والمواشي تتبعثر مذعورة تحت الحاح الزمور المستوفز اللجوج ، وقباب القرى تبدو من بعيد ، كأنها عجائز محدوبة الظهر ، تقف متجمدة في العراء ..

ولم البث حين بلغت مدينة حمص ان صادفت رجلا من بلدنا اعمش العينين يمشي و كأنه يغربل فاقبلت عليه اسأله عن احوال البلد ، فلما تبين وجهي حملق فيه بدهشة وصاح :

– هه .. انت هنا ؟!.

قلت : خيراً ..

فلم يجب ، بل لملم دهشته واغتصب بسمة بدت لي كالبكاء ثم انفلت عني مسرعاً وهو يقول :

– عفواً .. السيارة ماشية .

ولبثت بعد غيابه في اطراقة حائرة لا اكاد اتبين شيئا من خلال هذا الضيق الذي يأخذ في خناقي .. حتى ايقظني صوت انبعث من اعماق المرأب يصيح يا الله ركاب حلب ..

فاستدرت ، وغبت بدوري في الزحمة .

ولم البث ان استشرفت بلدتي بعد وقت خلته دهراً ، كما يقال في الروايات .. وكانت غارقة مع غبش المساء في صمت اشبه بالوجوم .. ولم اكد التقي في الطرق الضيقة الملتوية ببعض الوجوه المعروفة مني حتى قرأت فيها المأساة ..

لا ادري كيف بلغت المنزل فقد كنت اعجز من نملة .. ولكني شعرت من خلال البحران الذي تضطرب فيه نفسي ان جموعاً غفيرة من الناس تزحف نحوي ، وتشير بايديها وتصيح ، ثم

تغيب لتبرز بعدها وجوه اخرى ، ضاحكة باكية معربدة .. ومن صميم تلك الضجة الهائلة ، كان صوت جدتي يلوب وصوت امي يندب وصوت اخواتي يتناوح .. وكانت هذه الوجوه تمر بي في مثل لمح البصر دامعة مبعثرة ، ملطخـــة ، مضحكة ، مؤثرة ، وتنعقد الاصوات كلها في كلمة .

ـ ابوك ..

ورأيتني اندفع نحو الغرفة العليا حيث لا ضجة .. بل السكون يخيم فوق ملاءة بيضاء ، وشيخ اعمى يضع كفه على خده ويرتل بصوت فيه فجوة :

ـ ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ..

وحسرت الملاءة بهدوء كما لو انني اداعب النائم العزيز ثم وقفت انتظر ..

كنت انتظر ان يهب واقفاً لمعانقتي . اذ ليس فيما حولي رغم هوله ما يقنعني ان هناك حقيقه هائلة تحيط بي .

ليس من شك في انني ضحية كابوس ، او عبء ثقيـل ، فلا الوجوه الباكية ذات السمات المبعثرة ولا الهمس الرقيق الرفيق من اللدات والاصحاب ، ولا المقرىء الاعمى ذو البحة الجافية ، ولا تلك الخطوات المؤدبة التي تدخل وتتراجع بحذر ، ولا الوجه الاسمر الساكن الذي تكسوه ظلال ابتسامة بقادرة كلهـا على اقناعي ان ابي مات .

كيف ؟ ولماذا ؟.. مستحيل !

صمتا ايها الناس بالله عليكم الا ترون ان ابي نائم ، يحلم .. كان

صوت في داخلي يهمس .

اسمعوا .. انني سأفاجئه بشيء واجعله يضحك سأقول بصراحة : انني لم اعد دباً كما كان يظن ، بل اصبحت كما يريـــد ، عاشقاً كالرجال لا كالاطفال ، وها هي العصابة الحريرية هديتي الى الخطيبة .

ان ابي نائم .. كل شيء يدل على انه انه نائم ، وجهه الساكن ولحيته المصبوغة بالحناء وجبهته الصافية من غضون الالم ، وارتعاشة في الجفنين يخيل الي انني اراها .. ثم هاهي جبته متدلية على المشجب وفوقها عمته البيضاء المثناة باناقة . وعلى الكرسي تنبسط منامته الصوفية منفرجة الكمين ، والى قرب السرير ركبت احدى فردتي شحاطه الاسود فوق الاخرى بشير السفر كما تقول جدتي .

اذن .. ما معنى هذه الضجة التي تعكر ضمير السكون ؟!

شعرت ان شيئاً التمع في رأسي كحد النصل حين بلغت سمعي همسة عابرة :

– هربت دموعه ..

كانت همسة خافتة ، ولكنها تضخمت في سمعي حتى لكأنها الرعد القاصف . ولعل من خصائص الاحزان العظيمة انها ترهف الحواس ، وتعدها لالتقاط اخفى خفيات الضمائر فكيف بالهمسات والاصوات ..

وفطنت حقاً الى انني لا ابكي مع الباكين ، على الرغم من تلامع اليقين في ان ابي مات حقاً وصدقاً ، وانه ليس نائماً كما خيل الي في دفقة حيرتي الاولى .

– مات ..

ليكن .. فماذا تعني هذه الحقيقة ؟.. لا شيء .. كل ما في

الامر انني سأصبح رجلهن .. كنزهن .. امي وجدتي واخواتي سأصفق لاختي الصغرى مناديا كما كان يفعل ابي تماما .

- القهوة يا بنت ..

وسوف ادخن في العلن لا في السر ، واضع محفظة نقودي في جيبي ، مثله تماما ، وانثر النقود منها بعناية .. واتصنع التبرم من اعضاء البيت ثم ادفع راضيا ، وادفع بحماسة وسخاء، وادفع دون توقف ، ولا اكف عن الدفع ، سواء اشتغلت ام تعطلت وسواء رفضت ام قبلت ، وسواء كنت سعيداً ام شقيا ، معسراً ام موسراً ..

انني فتى الاسرة البكر ، وليس يقطف من الازهار والاثمار سوى ما يتفتح او ينضج باكراً .. وما علي ، وانا البكر الا ان افجر رأسي بالدماء لكي اكسر لهن ، لجدتي وامي واخوتي .. الجوز واللوز .

انني ولي العهد كما كان يسميني ابي ، وقد يعني هذا اللقب تماما معناه الملوكي حين يلد البكر في اسرة تستقبل مواليدها وفي افواههم زمارات من ذهب .. ولكنه بالنسبة الي لم يكن ليعني بالاختصار ، سوى محنة لانني فيما اعلم - ولدت في ليلة شاتية ، ونزلت الصينية، وانا امص اصبعي ، ومن خلال الضحكات السعيدة التي تلقاني بها الاهل ليلة ولادتي لمحت الخازوق منذ الدقيقة الاولى، لمحت حياتكم الدنيا هذه ، باوصابها وادوائها ، بهيبها ودبيبها لمحت شقاءها وعناءها ، وخرابها وحروبها .. لمحت ما ينتظرني من ليالي القلق والارق ، وايام العسر والضيق ، ومتاعب الطريق .

فصحت من اعماق خوفي : واع ..

ثم همست لنفسي : ارجع من حيث جئت يا ولد .. الفرصة سانحة لن يتاح لك سواها .. يا الله .. الى الوراء در.. واستدرت فعلا وكدت في لحظة مناسبة اعود من حيث اتيت .. لو لا ان بادرت عشرات الايدي الى تقييدي بالقماط .

عدت من خواطري هذه افتش عنها بين الجميع .. فظاعة .. اين هي ..

كانت حواسي في يقظتها الكاملة ، لا يغيب عني شيء مما حولي، كل شيء مما حولي ، كل شيء ، حتى البكاء الذي يشبه التثاؤب .. ومن خلال وجه امي الاسوان ، الحزين ، الملتاع.. ووجه جدتي، ام ابي ، الذي اعتكر بلون الدم الاســـود .. رأيت الوجوه حولي باهتة جامدة ، لم تعرف الاحزان قط .. وتعالى الهمس حولي : فظيع هالولد ما نزلت له دمعة .

فغمغمت مندهشا :

– مصيبة ، هل ابل عيني بريقي لـكي ابدوا باكيا ؟ لن ابكي، وليقولوا ..

ولم تنطف عيني بدمعة ، حتى حين حملوا الجسد العزيز لتطهيره بالاغتسال ، بل وقفت جامداً كما لو انني اشاهد لعبة مملة .. فهل جننت ؟..

لا اظن ، فانني عارف بكل شيء ، واع لما حولى ، شاعر بان اثقال الدنيا كلها تجثم فوق صدري ولكني لا ابكي ..

ولعلي شعرت بالخجل لجمودي ، فرحت انظر فيما حولي ، لـكي

ابكي ، بالعدوى على الاقل ، ولكن دون فائدة .. فأمسكت عن المحاولة ، والانكي من ذلك انني صرت ابذل محاولة اخرى كيلا اضحك حين وقعت عيني على احد اقربائي يبكي بلهجة الشخير وقد احمرت اذناه فاصبحتا بلون الشوندر المسلوق وكان صوته يهدر بالآهات على صورة غريبة جعلها تبدو كأنها صادرة عن بوق ..

وعدت اسأل : اين هي ؟!

هل يمكن ان تنسى ، هكذا ، بهذه السرعة ، وبيننا عهد ، ان نكون معا في الافراح وفي الاحزان ، والى الابد ؟.

لقد عقدنا على العهد الا كف في لحظة من تلك اللحظات التي تتفجر فيها الحواس بالرغبة والحنان وبالبسمات والدموع . وفي الغرفة ذاتها الذي يسجى فيها جسد ابي .

كنا وقتئذ منفردين تفصل بيننا طاولة وامامنا كتاب مفتوح بجمع الدروس العربية .

وفطنت حينئذ الى ان لها كفاً مخملية رقيقة ذات خمس غمازات ، فلم املك ان اطبقت عليها بكفي فارتعشت قليلا ، وبذلت محاولة ضئيلة للتملص .. محاولة ، لا تعني شيئاً سوى دعوة غير بخيلة .. الى الشفتين المحمومتين .. وشعرت يومها ان في قلبي جناحي طائر ، وجف ريقي ، فرحت ابلله بلساني ، وشملتني رعدة من شعر الرأس الى اخمص القدمين .

كنت انا المعلم الذي لم يعد يعلم شيئاً ، وكانت هي التلميذة التي لم تتعلم شيئاً .. ومع ذلك فقد تعلمنـا ، هي وانا ، في لحظة خاطفة اعمق من المجهول : الاسماء كلها .

ثم عدت اسأل : اين هي ؟.. لا جواب .. فلم يكن وجهها بين الوجوه ، فجلست مطرقاً واضعاً رأسي بين يدي ، اعد نقوش

السجادة من اليمين الى اليسار ثم بالعكس .. وكان اصحابي واقربائي يتحلقون حولي في وضع مضحك : الايدي في الحجور والرؤوس على الاكتاف وقد خيم عليهم صمت مطبق ..

وكان بعضهم مقوس الشفتين كأنه يقول : يا خرابي. فهمست لنفسي : يا ريت .. وعلى حين غرة ، شعرت من خلال الصمت ان همساً ناعما كهتاف المجهول ينبعث من احدى زوايا الدار ..فقمت على عجل ، وتوجهت حيث يتكدس النساء : نساء الاسرة ، ونساء الأهل ، ونساء الاصحاب.. فخيل الي انني في حمام حيث لا تتبين الجرن من الطاسة . ولكنني لمحت بين عديد الوجوه التي تلتمع من خلال السواد وجهاً لا ابهى ولا ابدع .. كانت هي ، دنياي التي لم اقطف منها زهرة انبعثت كدفقة الذكرى من الاعماق ، كأنها الثمرة الناضجة ، تكاد تنطق عسلا وقشطة ، وتكاد شفتاها تدعوان نحل الارض ، وفي اجفانها الوطف ذلك البلل الفاتن الذي يبقى بعد الحمام ، وكانت تلف شعرها بشال اسود غامق السواد ، انحسر قليلا عند اعلى الجبين فاطلق خصلة من شعرها الخرنوبي تمردت على الحزن .. وكان في صدرها شيء بارز مرتعش يكاد ينطلق ، شيء كطيري حمام حبستها البلوز .

ولم تكد تقع عيناها علي حتى استدارت واجهشت في البكاء ، ولكنني ابتسمت ، وشعرت انني املك الجرأة على اخذها بين احضاني ومسح دموعها بالقبلات ، وتذوق تلك الملوحة العذبة التي تتميز بها دموع الحبيبات ..

انني من احزان الدنيا في افراح لا تدانيها هناءة الارض وامل

السماء يكفي انها لي .. على كثب مني بل في قلبي . ملء قلبي .

وقطع علي تلك الافراح العجيبة التي تنفلت احياناً من اعماق احزاننا صوت رجل ، يهتف بلهجة الاعتداد والثقة :

– نازك ...

فاستدرت انا ، وتقدمت هي ، ورأيتني اواجهه مشتد القامة ، كملاكم مبتدىء قبيل بدء الجولة وكان هو هادئاً ينطق وجهـــه بالعذوبة والاعتداد ، وفي استقامة عوده ما يشعر بالاحترام ومـا لبث ان مد يده بمصافحة ودية كمن يبسط في قلبه ، فلم املك ، بعد تردد خاطف ، ان اخذتها بيدي ، وانا ارتجف كالريشة ..

ثم تقـدمت هي فمددت يدي كأنني في حلم او في كابوس ، ولكنها بادرت الى اخفاء كفها وراء ظهرها بحركة اوضحت لي كل شيء .. فشعرت ان شيئاً في اعماقي يفور ، وشفتي ترتعش ، والاشياء تغيب في ناظري، والوجوه تختلط وتنطمس.. وتفجرت في نفسي ينابيع كانت محتبسة .

النافذة ...

قد يحدث احياناً ، خلال الهدير المتصل في حياتنا اليومية ، ان ننفلت بقوة الى ذلك العهد الطري الذي طواه كر الايام والقاه بعيداً بعيداً ، فاستقر في الذكرى شريطاً تحوطه الظلال .

وقد يمر بنا وجه انسان ، او نمر بشجرة او بنـــاء طريق ، فتتلامح لنا خلالها صورتنا القديمـة في فتي مورد الخدين ، متسخ اليدين ، يتعارك مع طابة ، يقذفها في الفضاء ، ويسابق لداته اليها ، وانامل الهواء تعبث بشعره الكثيف ، وقد اختلط الدم بالتراب عند ركبتيه الحاسرتين من بنطاله القصير .

تلك ضريبة الشيطنة التي كنا ندفعهـا من ثيابنا واجسامنا ونحن صغار ، يدفعها الان اطفال حارة السبكي ، بعبثهم المستمر قرب شباكي ، فلا املك معهم ، رغم صياحهم الذي يثقب الآذان ، ورغم عبثهم الذي ثقب زجاج نافذتي اكثر من مرة الا ان ابتسم ، وابارك الحياة المتجددة دائماً في البراعم ، والتمس صلعتي اللامعة كطاسة « الرعبة » ، والتي لم يبق فيها شعرة يعبث بها الهواء .. ثم

آمد رأسي من النـــافذة ، لاصيح بصوت يرتعش حنواً : بس يا اولاد ..

فيتوقف الاولاد عن لعبهم ، وترتفع اعناقهم كالفراخ حين تحوم امهم حول العش ، واعينهم تلتمع بمكر عـذب .. وتسود فترة هدوء ، اعرف بالتجربة انها وقتية ، ريثما يقبضون ثمنها: سكراً وشوكلاته واقلام رصاص ، وقد لا يتورع اعقلهم عن مد لسانه لسانه خلفي دونما حساب للمفاجئات ، ذلك لانني اوجيت اليهم ، بتسامحي واغضائي ، ان الكبار شديدو الغباء ، يخدعون بسهولة ، وتخفام الاعيب الصغار .

وقد نولع احياناً بيقظة البكور ، لنتشور في الشارع الممتد من الجسر الابيض حتى المجلس النيابي ، حيث جموع العمال تعتقد الارصفة في انتظار الشغل ، والطلاب بقمصانهم المفتوحة، وشعورهم المصقولة ، ولهجتهم الحلوة ، يلغطون ، ويتجادلون ، باهتمام وحماسة وايديهم تبعثر الهواء بحركاتها الدائمة .

والطالبات ، وقد نهدت اثداؤهن قدّ الخوخة الفجة ، يمشين بخطواب قصار عجلى ، واعينهن حيناً في الارض ، واحيـاناً عبر الشارع ، هنا او هنالك ، حيثما ينطلق الفضول الساذج حامـــلاً اشواقه المكتومة الحائرة ..

ثمة ، يعود بنا العهد ، الى تلك الفترة القلقلة السعيـدة التي كنا نصنع فيها شواربنا من قطن المخدات ، ونستعجل الرجولة باتخاذ سمت الرجال ، ونؤمن بالعشق من اول نظرة ، تندلق علينا من شباك ذي ستائر داكنة، او ترسل من وراء أب متزمت بالغ الوقار.

ويلذنا ـ شأن من يعد نفسه لقصة بطولة يسجلها التاريخ ـ ان نضع انفسنا مكان فرتر ، ذلك ان الحب كان في رأينا : آهات ودموعاً وكتابة رسائل تنتهي دائماً بلوم الاهل ، وشكوى الزمان ، وتوديع الحياة .. ثم بقبلة ، ـ قبلة اخلاص طبعاً ـ نطبعها على جبين من نهوى ، ولم يشأ حتى اقوانا عصباً واحدنا عاطفة ، ان ينهي حياته منتحراً كما فعل فرتر .

ولعل السبب ان زماننا مختلف عن زمان فرتر الذي لم يتعرف يرحمه الله ، الى فورة الانفعال الفروسي الذي كان يبعثه فينا الاشتراك في مظاهرة ، ننازل فيها رصاص الاحتلال الاجنبي ودباباته بالعصي والحجارة .

الا ليت فرتر سلك سبيلاً آخر او عرف لعبة فوتبول ، او لعبة دحل في حارة السبكي على الاقل ، اذن لعاش حياته واستوفى اجله ، ولم يفجع قراءه بتلك النهاية اليائسة المعروفة .

هكذا كانت الخواطر تلغو في مخيلتي ، حين سمعت صوتاً مرسلاً رقيقاً اقبل في اثر طفلة شقراء في الرابعة من عمرها ، تتأرجح ضفيرتاها المعقودتان بشرائط بيض .

وكانت الطفلة تلوب بين الموائد في اثر كلب من النوع الذي نسميه « ابن اكابر » ، لهيفة الى الامساك بذيله ، والخبيث يروع منها برشاقة عابثة كبهلوان صغير .. فاذا شعر ، بوحي من تلك الصداقة المألوفة بين الاطفال والكلاب انه اتعبها ، وان الملل اخذ طريقه الى نفسها توقف عن كثب منها وراح يرمقها من خلال اللبدة النازلة فوق عينيه ، مديراً رأسه يمنة ويسرة بشكل من يقول :

« هلم » وذيله القصير يهتز بدعوة طفلية الى متابعة الجري واستمرار لعبة المطاردة بين الصغيرين ..

وعادت اللعبة من جديد ...

وكانت ساحتها حول مائدتي فأخذ ما عليها من اكواب وآنية يهتز منذراً بالخطر .. وانا غير آبه لشيء ، فقد استغرقني ما توحيه الطفولة من مشاعر الحنان والرضى في قلوب الكبار .

واقتربت صاحبة الصوت من مجلسي ، ثم مـالت على الطفلة تطامن من انفعالها ، وتهيب بها ان تهدأ ولا تزعج الناس. وكانت سيدة في اوائل عقدها الثالث ، ممتلئة الجسم قليلا .. لم تلبث حين تبينت وجهي ؛ ان توقفت تحيتها في منتصف المسافة ، وملكتها الدهشة ثم الحيرة وخيل الى ان ابتسامة لطيفة قد شاعت في الزوايا الحساسة حول العينين والغمازتين ، فصعدت نفساً عميقـا ، وتهيأت لدعوتها . ولكنها استدارت بشيء من الارتباك ، وخلفتني الى حال هي مزيج من اليقظة والحلم ، عبرت بي الحاضر ، الى ما قبل عشرين عاماً .. الى النافذة الداكنة التي انحسرت ذات يوم عن وجه سونيا ، فقضت بان يظل بصري عالقاً بها طوال عام كامل ، ينتظر ارتعاشها او انفراجها بصبر منهوك ..

•

وكانت النافذة تطل على سور المدرسة الخارجي فلزمته طوال الفترات التي تعقب اوقات الحصص وتتقدم ذهابنا الى المضاجع ، حتى بلغت بالصبر والاستمرار ان اوجد لونا من التفاهم بيني وبينها

اشعرني وقتئذ بالسعادة والزهو ، وانطقني احيانا بالشعر ..

•

ولم تلبث قصة النافذة ذات الستور الداكنة ان شاعت في ارجاء المدرسة ، شأن جميع الاسرار التي نحرص على كتمانها ، وافتضح مخبأي الذي كنت اسميه برج العزلة ، واصبح « منطقة حرة » يطرقها كل طارق ، بما قطع علي تلك الاحلام الخواطر التي كنت انسجها مع الليل وسيكارتي المخبوءة في تكويرة راحتي تشع بحذر في نجوه عن اعين المعيدين ... ولكن مصيبتي في الخروج عن عزلتي اهون بكثير من مصيبتي بالقطيعة .

فقد حدث ان كان برج العزلة يموج بالمنتظرين والفضوليين من جماعة الزملاء ، حين اخذت ستور النافذة ترتعش قليلا ،ثم انحسرت عن وجه سونيا ذي الاشراقة المدهشة فاذا عاصفة من التصفيق والهتاف والصفير تنطلق من محيط الرفقاء ايذاناً بأن النار شبت في القلوب فتوارى الوجه الفاتن على عجل ، وانصفق باب النافذة بغضب شديد انذر بالقطيعة ونفذها . ولم يكن امامي الا ان استعين بالصبر على هذه المصيبة الطارئة متعزيا بما وقع لمن سلف من اهل العشق القدامى ، الذين هجروا من الحبيبات ، وعذلوا من العذال ، وذاقوا مرارة الملام والخصام وتدخل اولاد الحرام ..

•

وانقضت ايام دون ان يجد جديد في امر النافذة ، فقد ظلت

مغلقة لا تبشر بعودة الصلات البكماء بينها وبيني مما اشاع في نفسي كآبة قانطة حدث برفقائي الى تكريسي بأسم « فرتر صفنا » وتطوع شعراؤهم لنظم ابلغ قصائد الرثاء استعداداً لتلاوتها في المناسبة المنتظرة ، حين تسول لي نفسي ان انهي حياتي منتحراً كما فعل الفتى فرتر ..

واشار علي اصحاب الرأي والتجربة ، ان اكتب اليها رسالة اعرب فيها عن اشواقي ، مع طمس سطورها بقطرات من الماء لتظهر كما لو انها كتبت بالدموع ..

واعجبتني الفكرة ، فبادرت الى تحقيقها على الفور .

وكان الصف يقف ورائي كتلة واحدة وقت كتابتها فمن هنا كلمة ومن هنا جملة ، حتى استقامت الرسالة العتيدة فجاءت بعد طول اخذ ورد ، خليطا من المنفلوطي ومجنون ليلى ، ومجموعة دور الانام في انشاء رسائل الغرام ..

ثم انطوينا على سرنا المشترك حتى جاء يوم الجمعة ..

فشهدت غرفة المغسلة ، وتوابعها حفلة عجيبة . اشبه بجلوة العريس تطوع فيها سعيد للقيام بدور الحلاق ، والتصق شعري بجلدة رأسي بعد نصف زجاجة من زيت الشعر ، وبرزت حقائق العطر من الدروج الخفية ، وامتدت الايدي بقوس قزح مشوش ، من ربطات العنق ومناديل الجيب ، وكان بنطالي ممدداً طوال الليل تحت الفراش ، مطواة الطلاب الخالدة التي تعطيهم اناقتهم اليومية ثم خرجنا ساقاً واحدة وبعضنا يغني : الى الامام .. يا ليوث الشآم .

ولكني شعرت بالخوف يتملكني حين اصبحت على كثب من بيتها واخذ قلبي يدق بشدة كطبل المدرسة حين يدعونا الى درس صعب .

وخيل الي من خلال نظرات رفاقي الذين تواروا في المنعطفات انني اقف عارياً وسط الطريق، فاخذ جبيني يتفصد بالعرق وشعرت بالتخاذل وكدت انكص على اعقابي لولا ان برز لي احدهم قائلاً بلهجة التعريض :

– ايش بك .. اهي بعبع ؟

قلت بلهفة من وجد طريق النجاة :

– اعوذ بالله . لكن معلومك .. ابوها !

قال ساخراً : بسيطة ، احمل وقتها صرمايتك واطلب الستو من الستار .

وكأنما الهبت هذه السخرية شجاعتي فاندفعت نحو منزلها لا الوي . وبعد ان زررت سترتي ، وسويت ربطة عنقي ، طرقت الباب ، ووقفت انتظر مرتعداً .

ومرت فترة قبل ان اسمع طقطقة قبقاب تقترب بايقاع موزون تعالت له دقات قلبي بمثل اجنحة طائر يحاول الخلاص من قفصه .

ثم فتح الباب ، في حذر واطلت سونيا ، ولكنهـا ارتدت مذعورة حين لمحت وجهي وصرخت بيأس :

– يخرب بيتك ..

غير اني بدافع من تلك الشجاعة الخارقة التي يبعثها فينا اليأس سارعت الى القاء جسمي على البــاب قبل انصفاقه ، مستبسلاً في

معركة الشد والجذب حتى اتيح لي ان اقذف بالرسالة الى الداخل، واركن الى الفرار .

●

شد ما تسرع الايام والاعوام .

ايعقل ان تنقضي اعوام عشرون على ذلك اليوم ؟.

ترى اين رفاقنا اليوم؟. وكيف غدوا بعد هذا الزمن الطويل؟

لقد اعطتنا الحياة اليوم مقاعد متفاوتة ، بعضها في الحكم ، وبعضها الآخر في مقهى ، او في شباك التذاكر باحدى دور السينما وثمة كثيرون ما يزالون على الماشي بدون مقاعد .. وكنا في ذلك العهد سواء في المقعد الخشبي . القاضي يجلس قرب المتهم، والطبيب يؤاكل المريض ، والافاق مع صاحب الحول ، ذلك ان اذهاننا الصافية كانت خالية الا من حقيقة واحدة هي اننا ابناء مدرسة واحدة وصف واحد .

وكانت الظلال قد اخذت في الاستطالة والامتداد مع الاشعة الغاربة ، حين ايقظني من خواطري عودة الطفلة الشقراء ذات الضفيرتين والشرائط البيض وامامها كلبها الصغير يتوثب مرحاً وبينهما ما يشعر باستئناف علاقات الصداقة والتفاهم ..

كانت صورة من امها في ذلك الحين ، لو لا فارق الفتنة بين طفولة ناعمة وشباب متفجر .

فشعرت بدافع يهيب بي ان آخذها الى صدري وادفن انفي في عنقها فترة استعيد خلالها عبق الجنة من شبابي الآفل ..

ولكني قاومت هـــذا الدافع وحولت بصري نحو الطريق المتدة عبر فندق بلودان وسرحته في الفراغ المظلم الذي تشقه الاضواء ولغط الكتل البشرية الممراح كخلايا النحل في نيسان .

وكانت الانوار المتلألئة في حلبة الفندق تنعكس على النحور الرخامية بألق بديع أخاذ ، والموسيقى الناعمـــة تبلل الجو الحار وتشيع فيه خدراً لذيذاً ناعما .. وكانت الطفلة قد استجابت لدعوتي الضاحكة ، وتوقفت مترددة ترمق قطعة الشوكولاته وتسترق نظرة محاذرة نحو كائن بعيـــد .. ولم تلبث ان فارقت حذرها ، واقتربت على استحياء واصبعها في فمها الوردي الصغير ..

واخذت اصابعي تتخلل شعرها ، وتعبث بضفيرتيها ، وتربت على كتفيها العاريين ، حتى اذا فرغت من التهام قطعتها ، ورفعت نحوي نظرتها المتوددة الآسرة ، خيل الي ان صباي الاول قد انبعث من جديد ، ورأيته يطل علي من نافذتين صغيرتين .. زرقاوين .

جارتنا وحارتنا ...

لم اكن قط من هواة تسلق الجبال لـكي اسكن بيتاً في الجادة الرابعة من حي المهاجرين ، ولكن جفوة المالكين وغلاء اجور السكن دفعاني دفعاً الى الهرب باشيائي القليلة و كيس ثيابي الى آخر ما عمر الله ..

لقد خيل الي وانا اثبت بطاقتي في باب بيتي الجديد انني امنح اسما جميلا لعجوز شوهاء في الغابرين ، فقد كان – عافاه الله – حطاماً من خشب ودك ينهض فوق الارض بقدرة قادر ، ويتشبث بالمرتفع المطل على اسفل الجادة كأنه قطة خائفة ، تغرز اظافرها بشيء ما حذر الانزلاق . وكان فضلاً عن ذلك ، جزءاً من دار واسعة قسمها صاحبها بحاجز خشبي الى بيتين : احـدهما ، وهو النصف الافضل ، تسكنه ارملة تخطت عقدها الثالث بسنوات ، مات عنها زوجها منذ حين ، وترك لها ثلاث بنات كبراهن في العاشرة من عمرها .

وكان الحاجز من الرقة والدقة بحيث جعل البيتين واحداً .

وكثيراً ما يحدث ان استيقظ مذعوراً على حركة غامضة مريبه في احدى الغرف السفلى ، فأبادر وانا بسلاحي الكامل المؤلف من عصا وملقط وفردة قبقاب الى الاخذ بخناق اللص بالجرم المشهود، ثم لا اكشف بعد التريث والتربص والتسمع واستراق الخطوات سوى ان الجارة خارجة من مطبخها .

وهناك مشكلة اخرى اكثر تعقيداً من مشكلة الحاجز ،وهي ان الماء والكهرباء كانا شيئاً مشتركا بيننا مما ادى الى قيام عدد من المشكلات بيني وبين جارتي منذ الشهر الاول لمقامي ، ولكنني رغبة في قيام سلم دائم فيما بيننا حسمت هذه المشكلات كلها دفعة واحدة بان تكفلت وحدي بارضاء الجابي .

ومضت بي الايام هادئة مقبولة لا يعكرها احيانا سوى تلك الغضبات الفجائية التي تنفجر بها الارملة في وجوه بناتها الثلاث ، فيقوم لها البيت ويقعد ، اما انا فكنت اقوم لها ولا اعود قبل منتصف الليل .. فاذا ارتفع صوت الراديو في احيان اخرى وقت القيلولة فإن نقرة خفيفة مؤدبة انقرها على الحاجز الخشبي كانت تكفي لاعادة الهدوء الى بيتنا شبه المشترك .

•

ذات يوم شعرت ان حركة عصيان خفية بدأت في البيت المجاور وفطنت الى ان نقراتي على الحاجز اخذت تفقد قيمها ... ولعل السبب اني اعتذرت مرة عن قبول صحن ملوخية ارسلت به الجارة مع بنتها الوسطى ... ثم هذا الانزواء الذي الوذ به حتى لكأنني

مخلوق من المحيط لا من الناس ... فلا كلمة آرسلها من خلف الباب ، ولا ابتسامة تفتح بيننا بابا من الابواب . حتى كان يوم عدت فيه الى البيت ، وانا كالعادة أتصبب عرقاً من عناء الجادة الرابعة ، تكاد روحي تخرج من انفي ومسامي . ولم اكد اتبلغ بلقمة ، واتهالك كالكيس الجامد فوق سريري ، حتى جأر المذياع باغنية صاخبة من تلك الاغاني التي اختصت بها اذاعتنا ، وكانت موسيقاها مزيجاً من الجعجعة والشتائم والدق بالملاعق على صحون نحاسية ...

ويظهر ان المغني كان مجنونا بلازمة واه ... واه ... فهو يتلمظ بها ، ويدرج ، ثم يتوقف ، ثم يلوكها ، ويعيدها بين مد وخطف وقطع ، حتى خيل الي انها لن تنتهي الى يوم ينفخ في الصور ...

حينئذ غادرت سريري مكرهاً ، ودلفت نحو الحاجز انقره بلطف ، ثم بلطف اقل ، ثم بشيء من العنف ، ثم بعنف اكثر ، مع الشد والخلع والنطح بالرأس ، الى ان سمعت حركة خافتة ، فهدأت قليلاً ، ولملمت غضبي ، ورجوت القادم — وكانت الجارة نفسها — بادب جم ان تخلصني مشكورة من هذه الواه .

وتعمدت اكثر من مرة خلال هذه المساجلة من وراء الحاجز ان اخاطبها بلقب « خانم » تأدباً او تملقاً ، ولكنني برغم لهجتي المتوسلة لم افز من الجارة بغير جواب جد مختصر :

— اخرس ... تضرب في عينك !

قالته على عجل ، وابتعدت مسرعة عن الحاجز وتركتني للدهشة

اولا ، ثم للغيظ الذي يمضغ الحديد فيحيله الى فتاة كالبودرة .

وما هي الا لحظة حتى ارتفع صوت المذياع فجأة فبلغ الرمق الاخير ، واستكمل النغمة الفظيعة ... نغمة الواه ، ومعها البرازيت ...

حينئذ طار صوابي وكدت احطم الحاجز ، او انط فوقه مجتازاً حرماته بنفس حماقة ماك آرثر حين اجتاز خط العرض الثامن والثلاثين في كورية . ولكنني تذكرت ان عداد الكهرباء يقع في منطقة نفوذي فتنفست الصعداء ، وسارعت بلا توقف الى قطع القوة عن المنزلين معاً ، فصمت المذياع فجأة ، وساد السكون ...

•

وخيل الي في تلك الفترة انني انتقمت او قل حسمت المشكلة بهدوء ، وانني سأنعم بقيلولة هادئة خالية من هذه الواه واه ... ولكنني لم اكد اضع رأسي على المخدة حتى شقت السكون نقرة ثاقبة على تنكة فارغة جعلتني اهب من سريري كأنني الآلف ، وتلا ذلك نقرتان متلاحقتان ايذاناً بالمعركة ، ثم ارتفع رنين هاون اخذ يضرب بصوت اصم ، في ايقاع منتظم تصاحبه دقات خشبية على البلاط ..

ثم تبينت من خصاص الحاجز الخشبي ان هذه الجوقة الشيطانية كانت موزعة كما يلي :

الجارة ... منفضة وتنكة

البنت رقم (١) .. هاون منفرد
البنت رقم (٢) .. ضابطة ايقاع بالقباقيب
البنت رقم (٣) .. تصفيق منفرد

ورأيتني دون شعور مني ارقص على هذه الموسيقى العجيبة ولكن من الالم .

•

لا ادري كم امتد بي الوقت على هذه الحال التي لا ترى في غير العصفورية او في منزلنا شبه المشترك ، كل ما اعرفه ان الصخب انقطع فجأة حين انبعث قرب الباب صوت جارنا الشيخ لطفي ، وهو كهل يدرج نحو الخمسين ، دقيق الملامح مشرق الوجه خفيف الشعر ، كان يسكن غير بعيداً عنا ، وحيداً في منزله .

وكانت تتلخص فلسفته في ان الخير ان يبقى الرجل عزبا طول حياته ، فلا يبلو نفسه بزوجة ولو كانت في اخلاق ستنا فاطمة الزهراء ..

وكان يؤكد ان الافضل لنا نحن الرجال ان نبقى بنصف دين بدلا من استكمال ديننا بزواج يأخذ منا العقل والدين .

وقد رتب الشيخ حياته وفقاً لهذه القاعدة . فكان يقضي نهاره في دكانته الصغيرة ، يبيع الاقمشة الرخيصة مما يلبسه فلاحو القرى المجاورة ، فاذا جاء المساء عاد الى منزله الخالي لينصب بنفسه سماور الشاي ضمن حلقة من بعض سكان الحارة ، كانوا يفدون على منزله لقضاء جزء كبير من الليل في شرب الشاي والتسبيح والثرثرة .

ولا بدع ان يتم تعارفنا بسهولة ، فنحن في الحارة قلة من الناس لا يحتاج تبادل الحديث بيننا الى مقدمات ... ولكنني لم البث بعد سهرتين او ثلاث ان انقطعت عن مجلسه بدافع من تباين المزاج بيننا ، الا من سلام عابر نتبادله في الصباح او في المساء ، الى ان كان ذلك اليوم المشهود الذي اعلنت فيـــه جارتي حربها العدوانية علي .

•

وكانت الضجة بالغة اشدهـــا حين طرق الشيخ باب الجارة وتنحنح بصوت مسموع .. فتخافت النقر قليلا قليلا ثم انقطع فجأة وساد الصمت . وسمعت الرجل يقول بصوت مرتعش خجول :

– خير يا ستي خير .. ان شاء الله فرحكم دائم ..

فتجيب الجارة بصوت متأثر مغناج :

– عدم المؤاخذة .. اصل البنات خادماتك ..

فيردد الشيخ على عجل :

– مفهوم .. مفهوم .. لكن معلومك ، ربنا اوصى بالجار ، والراحة مقبولة وقت الظهر .

ولم املك مزيداً من الانتظار . فدلفت نحو الباب ، وتبينت من خلال فرجته وجه الشيخ لطفي وهو يطفح بالبشر اذ يتخطف النظرة نحو باب الجارة بين طرفة الجفن والاخرى .

ولم يكد يحس بصرير الباب حين اخذت في فتحه حتى ابتعد قليلاً عن موضعه واقبل علي هاتفاً :

– ابن حلال ...

وكان غيظي بالغا انفي من هذه القيلولة القاسية فكدت انفجر بخناقة حامية لولا ان ردني الشيخ بنظرة توسل ، اتبعها قائلاً بلهجة رقيقة :

– ما هذه القطيعة يا اخي ! أما تصلحها معنا ؟

فابتسمت ، كأنني اكشر ، ولكن الشيخ تأبط ذراعي بلطف واستدرجني بعيداً عن منطقة سمع الجارة ، وبعد ان تلفت بحذر بادرني قائلاً :

– اقسم بالله العلي العظيم معك حق ... اقسم بصلى الله عليه وسلم معك حق ... اقسم برب الكعبة انك من الصابرين ... اقسم بالله ان اهل القبور استيقظوا على الضجة ... كلنا مثلك يا اخي اصحاب اشغال ، وتلزمنا الراحه ... ولكن ماذا تفعل ... قل أليس النساء جميعا هكذا ؟...

•

كان في صوت الشيخ غنة حنان لم يستطع اخفاءها حين اخذ يتحدث عن جارتي ، فهي كما قال : امرأة مقطوعة ، ترملت قبل الاوان ، واصبحت مسؤولة عن ثلاث بنات يأكلن شعر الذقن .

ثم استطرد قائلاً بلهجة حزينة :

– مسكينة هذه المرأة ... لا بد انها في اشد الحاجة الى رقية تطرد عنها الشيطان .

لم اجب طوال حديث الرجل ، بل لذت بصمت يائس استعال

الى لون من الهدوء حين التمعت في خاطري فكرة مغادرة الحارة على عجل مهما كلف الامر .

فكل شيء محتمل : وجوه المالكين وغلاء الاجور ، وحياة الضنك ، الا ان يكون عدوك متربصاً لك على الحدود بتنكة وهاون وقبقاب .. فلما قفلت عائداً الى بيتي كنت في حال اقرب الى العزاء بعد ان اقتنعت بصواب هذه الفكرة . ثم مرت ايام ، لم اكف خلالها عن البحث بين السماسرة عن بيت ، ولكن بدون فائدة ، فغلاء السكن مستحكم بالبلد ، وبين المالك والمستأجر عداوة مبيتة تنزل الانتقام دائماً بالمستأجر الجديد ..

ولم البث من خلال مشاغلي الكثيرة وتأخر عودتي ليلا الى البيت ان نسيت موضوع الجارة وموضوع البحث عن بيت جديد ، وقنعت بهذه الهجرة الاضطرارية عن بيتي طوال النهار ومعظم الليل اتقاءً للمشاكل .. ثم اخذت بعد حين استأجر وقتي في البيت بعد ان لاحظت ان الراديو لم يعد صاخباً كما كان وان الهدوء خيم على المكان والسكان ، وداخلني الشك حيناً في ان يكون لهذا الهدوء المفاجيء معنى العاصفة ولكن الايام توالت دون جديد فايقنت ان جارتي قد طرأ عليها طارىء جديد ..

وكانت وحدتي في البيت وانقطاع اسباب الزيارة فيما بيني وبين جيراني وقله ما اتكلفه من فضول تجعلني شبيها بساكن المريخ لا اعرف شيئاً من اخبار سكان الحارة ، الا ما اتلقفه عرضاً من حديث عابر ، او حوار على الماشي ، حين اتلكأ احياناً لدى دكانة السمان . لهذا لم استطلع تلك الرقية العجيبة التي طردت الشيطان

من نفس جارتي ، الا حين قصدت ذات مساء منزل الشيخ لطفي.

كان المنظر كعهدي به في اول زيارة قمت بها لمنزل الشيخ : الحلقة الخالدة وسماور الشاي ، والثرثرة ثم التسبيح .

وتلقاني الشيخ متهلل الوجه ، يكاد يعانقني بلهفته وبشره ، ولم يلبث بعد ان سألني عن الصحة والاحوال والاشغال والاعمال حتى استدار نحو جلسائه يصل ما انقطع من حبل حديثه ..

قال وحبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من دنياه ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينه الصلاة ...

ولم يكد يمضي في الشرح والتأويل وايراد الشواهد ، حتى تبينت تطوراً عجيبا في فلسفة الشيخ بالنسبة لاعتقاده القديم في المرأة . فهي لم تعد وسيط ابليس بل طيب وانس ، ولم يعد الزواج مسلبة للعقل والدين، بل سلام واستقرار يجد فيه المرء جنته

وكان يؤكد اقواله هذه بين الفترة والاخرى بقوله :

ـ المجرب ولا الطبيب

فادهشتني تجربة الرجل ، وتساءلت في نفسي : كيف ؟

ولكنني لم افز بجواب .

ودفعني الفضول الى التريث حتى غادرنا آخر زائر . فلما صرنا على انفراد بادرني قائلا ، وهو ظاهر البشر والمرح :

ـ كيف حالك مع جيرانك ؟

قلت : عال ... ولا ارجو الا ان تدوم الحال هكذا .

قال مؤكداً :

ـ ستدوم . اني واثق . فالمرأة ، كما قلت ، مسكينة ...

آدمية جداً .

فقلت معاتبا :

- لعلها مدينة لك بانك طردت من رأسها الشيطان .

فأجاب وقد فطن للهجتي :

- معقول ...ولكن الرقية - بسرك - كلفتني غاليا ...

قلت : كيف ؟

قال باختصار : خطبتها ...

ثم استطرد قائلا وهو يودعني :

- هل انت مسرور .

- مبروك

فأجاب ضاحكا :

- خلصناك يا سيدي من النقر على التنكة ... حلو ؟ كان لا بد للمسكينة من تنكة فارغة تلهو بها . وقد وجدتها .

قال ذلك و كشف عن صلعته واخذ ينقر عليها طروبا .

كتاب الرابطة الثاني

هذا الكتاب ، هو الحلقة الثانية في سلسلة الكتب الشهرية التي تصدر عن رابطة الكتاب السوريين بعنوان « كتاب الرابطة » ، وتقوم « دار القلم » بنشرها في بيروت .

ومؤلف الكتاب الاستاذ سعيد حورانية ، من ادباء الشباب المجددين ، ومن مؤسسي رابطة الكتاب السوريين التي يرجى ان تدفع بالادب السوري من ركوده القديم ، ليجاري موجة التقدم والتطور التي تمتد اليوم بسعة وعمق .

ويشتمل الكتاب على تسع قصص كتبها الاستاذ حورانية في وصف بعض جوانب الحياة الاجتماعية في سورية .

ويبدو من مجموع هذه القصص ان المؤلف موهوب في فن القصة ، فهو قاص ذو اصالة ظاهرة يدل عليها حسن تصرفه في خلق الجو القصصي دون عناء كبير ، ويزيد هذه الميزة ظهوراً ، دقة اختياره للالفاظ والتعابير التي تساعد القارىء على ملابسة جو القصة ، لو لا ان المؤلف مولع بان ينقل بطل قصته فجأة من موقفه الذي

يعيشه فعلا ، الى موقف سابق يعيشه بالذكرى ، فاذا البطل « مزدوج » الشخصية ابداً ، واذا القارىء يصطدم بهذا « الازدواج » فينغص ذلك جو القصة عليه .

وهذه الظاهرة ، تبدو في جميع قصص المجموعة ، ونضرب مثلًا على ذلك من قصة « سريري الذي يئن » ، فان بطلها ، بينما هو في غرفته الجديدة التي استأجرها بعد مغادرته بيت والده يتحدث عنها مسترسلا ، اذا به ينتقل فجأة من غير تمهيد ولا انذار ، الى بيت والده ، الى موقفه مع اخوته واخواته في اللحظات الاخيرة وهو يستعد لمغادرة البيت .

قد تكون هذه حيلة قصصية يتعمدها القاص حفاظا على تقاليد القصة الكلاسيكية ولكن هذه الحيلة ، اذا صح وجوب الحفاظ عليها تحتاج الى براعة ودقة بحيث لا يحس القارىء بشيء من التنغيص وهو يتحول من موقف الى موقف .

وسعيد حورانية ، بعد هذا ، يعنى بتفاصيل دقيقة في الوصف والتمثيل لا تخلو من متعة وطرافة ، مضافا الى حسن اثرها في تكوين الجو القصصي الدافىء .

•

هذا من الوجهة الفنية الخالصة ، واما من حيث الموضوع ، ومن حيث الرسالة التي تضطلع بها رابطة الكتاب السوريين — فان لنا مؤاخذات كثيرة على قصص المجموعة كلها ، دون استثناء .

فنحن نعلم ان اخوان هذه الرابطة قد اعلنوا في بيانهم القيم ،

يوم تألفت رابطتهم ، انهم « كتاب تقدميون بكل ما في الكلمة من خصب ».

والتقدمية ذات معنى نسبي مرن ، غير مطلق ولا متحجر ، وهي بالنسبة للظروف التي تحيط بالحياة السورية في يومها الحاضر وفي محنتها العسيرة الراهنة ، انما تعني النضال من اقرب طرق النضال واشدها علاقة بهذه الظروف نفسها .

صحيح ان معظم قصص سعيد حورانية ، في هذه المجموعة ، تأخذ مادة الموضوع من حياة الناس ، وتأخذ مادة الوصف والتصوير ومادة الحركة من الوان الحياة الانسانية في الشعب السوري ، ولكن الموضوع نفسه الذي تقوم عليه قصة سعيد ، في هذه المجموعة لا يمس قضية النضال من قريب ولا بعيد .

ان مواضيع هذه القصص ، لا تزيد عن كونها عللاً اجتماعية ذات جذور متأصلة في المجتمع السوري ، وليس للوضع القائم الآن في سورية يد في ايجاد هذه العلل ، فعكوف الكاتب على معالجة هذه المواضيع بالذات في هذه المرحلة الوطنية بالذات ، ليس يعني شيئا من « التقدمية » التي هي طابع « رابطة الكتاب السوريين » وهي سبب وجودها ، لانه ليس يعني شيئا من نضال هذا العهد الرابض على صدور السوريين والقابض على مجاري انفاسهم ..

هذا ، مضافا الى بعض قصص المجموعة يدور على عاطفة فردية محدودة لا تتصل بالحياة العامة ، كقصة « اخي رفيق » ، فان كلا الموضوع والمعالجة ، في هذه القصة ، ليس بذي شأن ، حتى من الوجهة الفنية المحض ، اما الموضوع فعادي جداً ، واما المعالجة

فسطحية ، لا يبلغ عمق المعالجات الانسانية لعاطفة الاخوة الثاكلة.
وقصة « اومسة الشيطان » كنا نرجو ان لا تكون في هذه المجموعة اطلاقا، وهي ابعد ما تكون عن روح التقدمية من حيث طريقة العرض والمعالجة، وان كان الموضوع لا يخلو من بريق تقدمي
ولنا ، اخيراً ، اعتراض على بطلي قصة « الخيط المشدود » وقصة « سريري الذي يئن » بان كليهما يختلف مع اهله على امور ليس من واجب الشاب التقدمي ان يجعل منها موضوع خلاف مع اهله ، لانها ليست هي اساس المشكلة القائمة الان بين الرجعية والتقدمية ، وانما اساس المشكلة الحاضرة بينهما ، هو — اولا — قضية التحرر الوطني من الاستعمار الخارجي والداخلي ، وهو ثانيا — تقرير مفهوم صحيح لقيمة الانسان ييسر له الوصول الى حقه السياسي والاجتماعي والدستوري ، الذي يتلخص بتحقيق تكافؤ الفرص امام جميع المواطنين ، للحصول على كفاية العيش والعلم والصحة والابداع في مجالات العمل والفكر والفن .
ونلاحظ في بطل قصة « الخيط المشدود » وقصة « سريري الذي يئن » انهما يتخذان طريقة الاستفزاز سبيلا لاقنـــاع والديهما بما يختصمان فيه ، ونلاحظ في هذين البطلين ايضا ، انهما ضعيفا الارادة عاطفيان سريعا ما يلجآن الى الغضب ومغادرة بيتهما لسبب تافه ، ثم يندمان لسبب عاطفي تافه ايضا ، وليس لهما منهج عملي ايجابي يشقان به طريق حياة مستقلة تفرض احترامهما على سائر اهلهما .
هذه ملاحظات نعتقد انها ذات علاقة بجوهر الرسالة التقدمية التي تضطلع بها رابطة الكتاب السوريين ، انما نذكرها بهذه الصراحة

وبهذا التاكيد ، اخلاصا للقضية التي نشاركها الحفاظ عليها ، ونرجو ان تكون حلقات « كتاب الرابطة » التي تأتي بعد هذا ، اعمق صلة بهذه القضية ، واكثر حفاظا عليها . ونعتقد ان اخواننا اعضاء الرابطة شديدو الحرص على ذلك دون ريب .

«عن الثقافة الوطنية»

فهرست



بعض منشورات دار القلم

•

المؤلف	الكتاب	الثمن
ستالين	المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية	٧٥
ج. ي غليزرمين	الطبقة والامة	٧٥
غوركي	انسانيتان	١٠٠
اوستروفسكي	والفولاذ سقيناه	١٥٠
ايليا اهرنبورغ	اميركا كما شاهدتها	١٠٠
تولستوي	الحرب والسلام (عشرة اجزاء) الجزء	١٠٠
مكسيم غوركي	اميركا بلاد الشيطان الاصفر	١٠٠
وصفي البني	مع الانسان السوفياتي	١٥٠
الخوري طانيوس منعم	وعلى الارض السلام	١٠٠
كاظم السماوي	الحرب والسلم	٥٠
نسيب نمر وحسن فخر	نحو مستقبل سعيد ، مشاهدات في رومانيا ومهرجان الشبيبة	١٢٥

ثمن النسخة : ١٠٠ غ ل

طبع على مطابع الاستقلال